أنيس الدغيدي

غرام الكبار

في صالون مي زيادة

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة ـ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
٠١٠٠١٠٤١١٥ — ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٢٩٩٦١٦٣٥ — ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : غرام الكبار

في صالون مي زيادة

المؤلف : أنيس الدغيدي

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٤٣٨٤٢

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا .

ت: ٠٢/ ٢٧٨٧٧٥٧٤

محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الإهداء

إلى ..

صديقي الحميم الأكثر إبداعاً وتألُقاً .. المنتج الفنان الكبير :

إسماعيل كُتكُت

«مهما حدث .. ومهما اختلفتَ واعتقدتَ ستبقى صديقي المثقف المبدع الفيلسوف وإن شَرَدْتَ أو غِبْتَ .. ففي فِكري وقلبي لن تغيب .

وأخيراً : أنسيتَ وعدك .. لقد تأخر وعدك لـ مي زيادة عشر سنوات يا صديقي المثقف الكبير » .

فلَك كل الود والإعزاز والمحبة ،،،،

أنيس الدغيدي

المقدمة

أئمة الفكر .. كيف يحبون ؟!

أباطرة السياسة .. دُهاة الدبلوماسية .. حين يتقلبون على جمر نار العشق .. كيف تكون النتيجة ؟!

حملة القلم .. أمراء الكلمة .. سادة الشعب .. قادة الفكر .. سلاطين المشاعر .. أرباب الأحاسيس .. سدنة الدين .. كل هؤلاء .. كيف يحبون ؟!

والأدهى من ذلك حَين يجتمعون «جميعاً» على حب امرأة واحدة !! هي مي زيادة !!

إنه العجب العجاب نفسه .. والمستحيل الرابع بعد الغول والعنقاء والخل الوفي .. ترى كيف تكون النتيجة ؟!

تفتكر بصراحة ربنا كده .. مَنْ هؤلاء العشاق الذين اجتمعوا على حب مي زيادة في مفرمة غرام الكبار داخل أروقة صالون ميٍّ ؟

تأخذ فكرة ؟ .. خُد عندك ..

العبقري عباس محمود العقاد .. والفلتة الشاعر والفنان والفيلسوف جبران خليل جبران .. وأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد .. والشاعر الفذ ولي الدين يكن .. وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين .. والشيخ الأديب مصطفى صادق الرافعي .. والوزير العاشق الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر !! والشاعر المرهف الشعور إسماعيل باشا صبري .. ورئيس تحرير الأهرام أنطون الجميل .. وشيخ القضاه وأبو القانون المصري الدكتور عبد العزيز فهمي .. والداهية الشاعر الكبير خليل مطران .. والكيميائي الكبير الدكتور شبلي شميل .. وحفنة من أمراء

العالم العربي .. وعلى مسمع ومرأى وتوقيع وشهادة ومشاركة أمير الشعراء أحمد شوقي وشاعر النيل حافظ إبراهيم والشيخ سيد درويش والمبدع بيرم التونسي وأعظم سلطان لمهنة صاحبة الجلالة الأستاذ محمد التابعي وشيخ الصحفيين داود بركات والمتفرد إبراهيم عبد القادر المازني والشاعر المشاكس عبد الرحمن شكري ..

كل هؤلاء تمرغوا في غرام ميِّ زيادة وسطّروا لها رسائل غرام وسطرت لهم جميعاً خطابات حب مشبوب فقضّت مضاجعهم بالليل وأشعلت مشاعرهم بالنهار وألهبت فكرهم ولوّعت وقتهم وحيرت أفئدتهم في غرامها .. وفي النهاية فقدت عقلها وما نالت منهم أحدا !

عباقرة الفن .. النجوم الساطعة .. الذين علمونا فنون الغزل .. وأبجدية الغرام ودروس العشق «جملة وقطّاعي» كيف أحبوا .. و (تمرمطوا) .. ووضعوا أصابعهم في الشق .. لهثاً خلف الحبيب الخائن .. أو العاشق المجهول .. أو استقر بهم المقام آخر الرحلة في حارة سد .. فندبوا حظهم .. والتفتوا إلى الفن أو الشعر ينسجون لنا تجاربهم ويسكبون لنا دموعهم أروع دروس في أكاديميات العشق ..

غرام الكبار .. كيف يصنع القرار في مطبخ السياسة .. حين يحب السادة السادة .. سادتنا وتاج رأسنا طبعاً .. كيف يفعلون .. وحين يتعذبون غراماً .. تعتقد .. من يدفع الثمن؟!!

غرام الكبار في حب مصر .. كيف يكون ؟!

غرام الكبار في صالون ميِّ زيادة .. من ينتصر ؟!!

غرام الكبار في بلاط صاحبة الجلالة .. إلى أين ؟!

غرام الكبار في دُنيا نجوم المجتمع العربي من مصر ولبنان والشام والمغرب والجزائر والأردن وغيرها من صفوة الصفوة .. كيف كان وكيف أصبح وأين بلغ ؟!



نجوم مجتمع .. ساسة .. أدباء .. فنانون .. مشاهير « تقلبوا على جمر نار العشق » عشق الأوطان وغرام المشاعر والروح وهدهدت القلوب .. فما هي قصصهم ؟ خصوصاً حين يلتقون في غرام واحد .

هي واحدة من أعظم مغامرات الحب في التاريخ الإنساني .. دارت رحاها في محراب مي زيادة .. تلك الأديبة والشاعرة العاشقة اللبنانية التي أقامت في مصر ودفنت تحت أطباق ثراها في عام ١٩٤١ .. في خلفية سياسية لأعظم وأقدس حكاية غرام شعب في عشق مصر ومناهضة جيل من الوطنيين ضد المستعمر الغاصب حتى تم التحرير واستعادة الكرامة والعزة .. إنها مصر .

من خلال صراع الكبار في مفرمة حب مي زيادة من روّاد صالونها تدور الأحداث السياسية والعاطفية والفنية والفكرية .. من داخل صالون ميٍّ .

إنها ماري إلياس زيادة الشهيرة بـ مي زيادة

– يتناول الكتاب رحلتها منذ مولدها في الناصرة بفلسطين عام ١٨٨٦ م .. ثم دخولها مدرسة الراهبات اللعازاريات في الناصرة .. ثم عودتها إلي لبنان والتحاقها بمدرسة راهبات الزيارة في عينطورة بـ بيروت .

– وانتقالها إلى القاهرة في عام ١٩٠٨ للإقامة الدائمة بها .. حيث افتتح والدها إلياس زخور زيادة جريدة المحروسة .. عن طريق مساعدة " إدريس بك راغب " السياسي الكبير والوجيه الشريف الذي يجيد اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية وهو في نفس الوقت حجة في القانون أيضاً ثم بارع جداً في الموسيقى وفوق كل ذلك هو نجل راغب باشا وزير المالية في عصر الخديوي إسماعيل .

ونشرت مي زيادة نتاجها الفكري والشعري والأدبي في العديد من الصحف والمجلات العربية مثل المقتطف .. اللواء..الجريدة .. المحروسة .. المؤيد .. الأهرام

.. الوطن .. ومجلات الهلال .. سركيس .. وغيرها .

فذاع صيتها وامتدت شهرتها فضربت في الآفاق وصدحت في الخافقين .

حتى جاءت ليلة الخميس ٢٤ إبريل ١٩١٣ وكان حفلاً رسمياً لتقليد شاعر الأقطار العربية خليل مطران وساماً هاماً من الخديوي عباس حلمي الثاني وذلك في سراي الجامعة المصرية القديمة .. حضره نيابة عن الخديوي شقيقه الأمير محمد علي توفيق ولفيف ضخم من كبار أساطين السياسة والأدب والفكر والشعر في العالم العربي كله .. ووقع اختيار سليم سركيس صاحب مجلة سركيس والمشرف على الحفل .. وقع اختياره على الآنسة مي زيادة لإلقاء كلمة شاعر المهجر الكبير جبران خليل جبران والمقيم في أمريكا .. فألقتها وتبعتها بكلمة من إنشائها .. فصفق لها الحضور بشدة .. وارتجت الحوائط من صوت الأكف .. واحتارت العقول وشخصت الأبصار وفغرت الأفواه عجباً .. حتى أن الأمير محمد علي توفيق نهض من فوق المنصة ونزل متوجهاً نحو «ميّ» ليصافحها ويهنئها قائلاً :

- آنسة ميِّ .. أننا نهنئ أنفسنا بكِ .

وفي اليوم التالي كتبت كل الصحف والمجلات عن تلك النجمة التي بزغ نجمها فشهق وسما عالياً فناطح الثريا .

ومن هنا انتظمت مي زيادة بشكل غير مسبوق في تاريخ الأدب بـ « صالون مي زيادة » لتضاهي بذلك صالون ولاَّدة بنت المستكفي معشوقة ابن زيدون .. وتذكرنا بصالون سكينة بنت الحسين .. فتردد على صالون مي كوكبة فريدة من الكبار .. فعجّ ومجّ الصالون بأساطين الفكر والشعر والأدب والسياسة والصحافة والفن والدين من مصر والعالم العربي .. بل وتخطى حدود العربية إلى أوروبا والهند أيضاً .. حيث الشاعر الهندي طاغور الذي راسل مي وزارها إعجاباً !!

والأدهى من ذلك أن ترتبط «مي» بهم جميعاً بقصص هويً عجاف .. وروايات غزل عنيف .. وكتابات غرام متبادلة بين مي ورجال الصالون تهدهدت فيها المشاعر وانتحرت فيها الأحاسيس وسُهرت فيها الليالي ..ومن أشهرهم :

«مؤسس الصالون الكاتب الكبير أنطون الجميّل .. والشاعر الجهبذ رقيق المشاعر إسماعيل باشا صبري الذي قال فيها :

روحي على بعض دور الحق هائمةٌ كظامىء الطير حواماً على الماء
إن لم أمتع بمي ناظري غداً أنكرت صبحَك يا يوم الثلاثاء

ثم يختصم في غرامها نواسي وخياما العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي وشاعر النيل حافظ ابراهيم.. فيقول فيها أحمد شوقي :

أسائل خاطري عما سباني أحسن الخلق أم حسن البيان
رأيت تنافس الحسنين فيها كأنهما لمية عاشقان
إذا نطقت صبا عقلي إليها وإذا بسمت إليَّ صبا جناني
وما أدري أتبسم عن حنين إليَّ بقلبها أم عن حنان
أم أن شبابها راث لشيبي وما أوهى زماني من كياني

وكذلك شيخ قضاة مصر الشيخ عبد العزيز فهمي ..

وكيف دخل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين معمعة القتال في غرام الكبار والصراع على مشاعر مي زيادة ؟!! ومن طريف ما يُذكر عن العميد الكبير أنّه حدثها يوماً بعد طول غياب وتمنعت عن لقائه عتاباً على إهماله لها فقال قالها :

- أريد لقاؤك غداً .

فقالت حاسمة :

- لا .



قال الدكتور طه حسين :

- إذاً ليكن بعد الغد .

فأصرت :

- لا ولا بعد الغد .

قال :

- إذاً متى آنستي تسمحين لي باللقاء بعد طول غياب ؟

أجابته :

- أنا لا أجالس هذه الأيام سوى أهل الدين .. فهل لك أن تكون قسيساً ؟!

فابتسم بدهاء الأريب قائلاً :

- لا ريب أن فراقك يعز عليَّ آنستي .. لا أصدق أنّي لن ألقاكِ بعد اليوم .. ويستحيل أن أكون قسيساً .

* وهناك العاشق الصب الأزهري الكبير الشيخ مصطفي عبد الرازق .. والمفكر الكبير مصطفي صادق الرافعي الذي يأتي من طنطا كل أسبوع ليمكث ثلاث ليالٍ في « لوكاندة » من أجل عيون مي زيادة ..ليتمكن من حضور الصالون يوم الثلاثاء من كل أسبوع !!

وهو أصم لا يسمع !!! ويتعاملون معه بالكتابة على وريقة صغيرة ..

* والشاعر العاشق خليل مطران الذي بثها هيامه وأشعاره ..

* وأيضاً شيخ العروبة والسكرتير العام لمجلس النظار أحمد زكي ..

* والدكتور الملحد العجوز شبلي شميل خفيف الظل المتقوِّل الشعر الذي أحب

«مي» من أخمُص قدمه إلى منبت شعره غراماً .. وذات مرة مرض إلياس زيادة والد مي وكانوا يقولون عن شبلي : الدكتور شبلي ظناً منهم أنه طبيب .. فطلب ورقة وقلماً من «ميّ» وجلس يكتب روشتة علاج لإلياس زيادة حتى أتى الدكتور منصور فهمي صدفة وقال له :

- ماذا تفعل يا دكتور شبلي ؟

فقال :

- أكتب روشتة علاج لإلياس .

فثار الدكتور منصور فهمي وهو يخلّص «إلياس زيادة» من يديه :

- يا إلياس الدكتور شبلي مش طبيب ده معاه دكتوراه في الكيمياء بس .

هنا ضحك الجميع ونهض إلياس معافى ضاحكاً وحين سألوه ماذا كنت تكتب في الورقة يا دكتور شبلي قال ضاحكاً :

- أنا عارف !! باكتب أي حاجة والسلام .

* وهناك في قافلة عشاق «مي» .. شيخ الخطاطين «نجيب هواويني» ..

* وشيخ الصحافة «داود بركات» رئيس تحرير الأهرام والذي تنافس على غرام مع مؤسس صالون مي الأديب الصحفي الكبير «أنطون الجميل» خليفته على كرسي رئاسة تحرير الأهرام

* وهناك الدكتور «منصور فهمي» أستاذ الفلسفة بالجامعة المصرية القديمة ..

* وهناك الشاعر الذي مات فيها صبابة المتمرد علي نفسه وشعره «ولي الدين يكن» .. الذي ارتدت عليه السواد ثمانية عشرة عاماً ورغم ذلك تمتع ناظريها ومشاعرها وخطاباتها بحب سواه !!

وقد وقّع إحدى رسائله لمي قائلاً : « تحت قدميكِ .. ولي الدين يكن » !!!

* وهناك صاحب الشعور الفياض «يعقوب صروف» ..

* والمبدع «أمين الريحاني» .. أوفى أصدقاء ميٍّ الذي آزرها في محنتها الأخيرة وأخرجها من مصحة الأمراض العقلية .

* وهناك قطعة من كبد الفكر والتاريخ تدعي «إبراهيم عبد القادر المازني» ..

* وكبير المجمع اللغوي السياسي الكاتب والمفكر الداهية والخطيب المفوّه أستاذ الجيل «أحمد لطفي السيد» الذي قال وهو يرفض نشر رسائل مي بعد موتها :

- هل لو تعارضت الفضيلة مع سلوكنا كمفكرين .. هل ننشر رذائلنا نحن ومي ؟!

* وهناك «محمد التابعي» فلتة الصحافة وصديق الملوك والأمراء وهو الوحيد الذي لم يحبها ..

* وهناك العاشق الملتاع الذي ألهبته «مي» حباً وصبابة ودوّخ «مياً» لهفة وشوقاً طود الفكر وجبل المعرفة «عباس محمود العقاد !!» هو أعظم من حفظ «مي» .. ويكاد يكون الوجه الآخر لعملة واحدة تجمعه بمي أحد وجهيها رجل والآخر امرأة هي «ميٍّ» .. «فالعقاد» لوَّعها فحار فيه الفكر وعشقها وألهب مشاعرها ومن أجلها حارب الملك ثم دخل السجن !! ورفض الوفد وأعلن العصيان والتمرد ضد «مصطفى النحاس» وهاجم «مكرم عبيد» لكي يقول لها فقط : نحن هنا .. أنا «عباس محمود العقاد» الذي ليس له فرع آخر .

ويقول الكتاب كيف صدح الشاعر الفذ «بيرم التونسي» في صالون ؟ والمبدع العاشق الشيخ «سيد درويش» كيف تغني صوته في صالون مي عشقاً !

إن الكتاب هو أضخم عرض لأرق وأروع تظاهرة غرام جارف بين «مي زيادة»

ورجال عصرها الكبار .. من أباطرة الفكر وسادة الحب .. من كبار مشاهير مصر والشرق كله في شتي المجالات العلية الذين أتوا إليها من كل صوب وحدب ينسلون ... مما دفع الأمير «محمد الجزائري» – من الجزائر – إلي محاولة اختطافها كي يتزوجها .. فتدخلت الشرطة وتم القبض علي الأمير ورجاله .. في حالة تلبس بخطف «مي زيادة» !!

والكتاب يتعرض لأروع وأندر وأرقي علاقات المشاعر التي جمعت بين (مائة مفكر وسياسي وشاعر) من ٨ دول عربية وأوربية ذابوا عشقاً في «مي زيادة» .. وأحبتهم جميعاً بكل عجب!!

كتبوا لها غرامهم وبثوها مشاعرهم .. فكتبت لهم جميعاً وبثتهم أيضاً جميعاً ما لذ وطاب من أسمي آيات الحب والمشاعر .

وهكذا .. في مساء كل يوم ثلاثاء كانت تلتقي عدداً من الأدباء والشعراء وغيرهم يتحاورون في الأدب والشعر والعلم والموسيقى والأديان وغير ذلك من شتى علوم ومناحي الحياة ومن هؤلاء : إسماعيل صبري لطفي السيد – شبلي شميل عباس محمود العقاد – خليل مطران – أحمد زكي باشا – طه حسين – الأمير مصطفى الشهابي – أحمد شوقي – ملك حنفي ناصيف – وهدى شعراوي وغيرهم .

ويقول «عباس محمود العقاد» عن صالون مي : « لو جمعت الأحاديث التي دارت في صالون مي لتألفت منها مكتبة عصرية تقابل مكتبة العقد الفريد ومكتبة الأغاني في الثقافتين الأندلسية والعباسية».

لقد استمر هذا الصالون قرابة الـ ٢٠ عاماً يعقد في موعده المعتاد تدير مي الصالون بنفسها وتتحكم في توجيه النقاش وتنظيم السجال منعاً لاختلاط الآراء واحتدام الحوار وكان لها فصل الخطاب فيه لما وهبت من طلاوة الحديث ورشاقته

وموهبة توجيه وإدارة الحديث بين مجلس المختلفين في الرأي والمزاج والثقافة .. علماً أن تلك الفترة كانت مليئة بالمتناقضات الفكرية والاجتماعية والسياسية وكان لدى الجميع الرغبة في تجاوز هذه المتناقضات والمساهمة في صناعة المستقبل عن طريق الحوار البنّاء الذي يحترم الرأي الآخر.

والزمن الذي دخلت فيه «مي» مصر كن زمن الخديوي «عباس حلمي باشا» الذي اشتهر بانعطاف المصريين إليه وامتاز زمانه بنهضة الأقلام واتساع حرية الرأي وإطلاق حرية المطبوعات.

وكم لعبت هذه المنتديات دوراً في نشر الثقافة في المجتمع كما حصل في المجتمع الفرنسي في عهد الملك لويس الرابع عشر وما تلاه من الملوك في صالونات السيدات من أمثال مدام «دي ستايل» و«مدام ريكاميه» وعندنا في الشرق «ولادة بنت المستكفي» و«عائشة التيمورية» وغيرها.

كانت أهداف «مي» في صالونها: البحث في إنشاء جديد يقرب بين اللغة الفصحى واللغة العامية وأيضاً « التقريب ما بين الفكر الشرقي والغربي » من خلال تعريب الروائع الأدبية الأوروبية ومناقشة الكتب الجديدة والقصائد والحملات الصحفية وقضايا الساعة .

ويتناول الكتاب أسفارها لبيروت وأوروبا وغيرها ودورها في الحركة النسائية مع «هدى شعراوي» والأميرة «أمينة حليم» و«لبيبة هاشم» و«روز اليوسف» وغيرهن من رائدات النهضة النسائية في مصر والعالم العربي .

ودور مي زيادة السياسي مروراً بعصر «محمد فريد» .. فالحرب العالمية الأولى فثورة ١٩١٩ فالوفد ونجومية «عباس العقاد» وعصر النهضة الفكرية والثقافية من مبدعي مصر والعالم العربي الذين قصدوا مصر فكان صالون «مي» أحد إرهاصات

التميز الفكري العربي .

ثم الحرب العالمية الثانية ورحيل مي عام ١٩٤١ .

وفي الباك جراوند لـ غرام الكبار نصل إلي مرحلة كفاح «سعد زغلول» .. وعلاقة «عباس العقاد» ككاتب الوفد الأول ثم مناهضاً للوفد ومتمرداً على «مصطفي النحاس» و«مكرم عبيد» .. وعلاقة «النحاس باشا» بـ«زينب الوكيل» والأزمات العاطفية بينهما .. ونوادر «مي زيادة» معهما ... وكذلك صديقتها الملكة العاشقة «نازلي» حرم الملك «أحمد فؤاد» ووالدة «الملك فاروق» وعلاقاتها الغرامية بـ«أحمد حسنين» كبير الياوران .. وغيره أمثال الوجيه «عمر فتحي» ...

والخلفية السياسية للأحداث من خلال مي زيادة وأحمد لطفي السيد وعباس العقاد وأحمد شوقي وداود بركات وإسماعيل صبري وبيرم التونسي وطه حسين وغيرهم من عشاق وروّاد صالون ميٍّ زيادة .. وأشهر المعارك السياسية والأدبية والفكرية في ذلك العصر في محطة غرام الكبار مع مي .. مروراً بمحاولة اغتيال السلطان «حسين كامل» .. ثم ولاية الملك «أحمد فؤاد الأول» عام ١٩١٧ .. ونفي «سعد زغلول» .. ثم ثورة ١٩١٩ .. وصفحات من الحركة الوطنية والنضالية المصرية ودور «مي زيادة» حتى عودة سعد زغلول وتشكيله الوزارة في ١٩٢٣ .. ثم استقالته في ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ ..ومقتل « لي ستاك » السردار المصري والحاكم العام للسودان .. ثم وفاة «سعد» .. وبذوغ نجم «النحاس باشا».. مع ومضات سريعة في الباك جراوند لعصر وزارة «إسماعيل صدقي» الذي وصفوه بأنه : أسوأ رئيس وزارة في تاريخ مصر . وحروبه مع «العقاد» و«طه حسين» و«أحمد لطفي السيد» وغيرهم من رموز الوطنية المصرية من عشاق «مي زيادة »!!

وعن أسرار هامة .. كيف كان «العقاد» يستشيط غضباً من «مي زيادة» فيصب

جام غضبه في رئيس الوزارة «إسماعيل صدقي» أو علي «مصطفي النحاس باشا» على صفحات الصحف إذا ما أراد أن يستلفت انتباه «مي» أو مشاعرها عليه !!!

وعجباً لمي وجبران !!!

يتناول الكتاب علاقة «مي» أيضاً مع «جبران خليل جبران» .. وكيف لقصة حب أن تمتد أكثر من عشرين عاماً بين «مي» و«جبران» دون أن يري أحدهما الآخر في حياته مطلقاً ولو لمرة واحدة .. فكان الحب والشوق والغرام بالمراسلة (فقط) !!

«فجبران» في بوسطن بأمريكا .. و«مي» في القاهرة أو في العواصم العربية !!

وعجباً لجبران الذي يسطر أرق وأحلى رسائل الهوى والجوي والغرام الملتهب لمي زيادة وهو بين أحضان آسرته ومحبوبته الأمريكية ماري هاسكل .. أو معشوقته ميشيلين الفرنسية .. أو روح قلبه هيلدا الأمريكية اليهودية !!

والأعجب من ذلك كيف تعشقه «مي زيادة» وسط ثورات عشقها للطابور الطويل في صالون الثلاثاء .. وقِبلة أهل الفكر والهوى والعشق !!

إلى أن تتعرض «مي زيادة» في أواخر عمرها لاضطهاد الدوتشي موسوليني حين سافرت في رحلتها للبابا وفعلت ما أغضب الدوتشي فأمر بترحيلها فوراً .. وعادت إلى مصر لتعيش في وساوس القتل المنتظر علي رجال الفاشية .. وتخلى عنها الكبار من أهل العشق .. بعد أن أسقط الموت بعضهم .. وخطف الجبن والخوف البعض الآخر .. لتفقد «مي» عقلها أو تكاد .. ويحجر عليها لعدم ثبوت قواها العقلية عن طريق الدكتور «إلياس زيادة» أحد أبناء عمومة «مي» طمعاً في ميراث آل زيادة !! ويتدخل القضاء .. لتعتل صحة مي بشدة نحو السفح .. وينفض مولد الصالون فلا يكاد يحضره سوي بعض تلاميذ الأدب أو هواه الصحافة أو باعة الشعر الجائلون .. أو سرّيحة الغرام بالنفر .. أو متسولي الحب بالقطعة .. لتهرول «مي زيادة» في شوارع



القاهرة نصف عارية ..وينتهي بها المطاف لتموت وحيدة ممزقة عام ١٩٤١ .

إن الكتاب يتعرض لأخطر وأروع وأقسى وألذ تظاهرة عشق وغرام في القرن الحديث لأكثر من مائة من الكبار التاعوا غراماً وعشقاً حول الآنسة مي زيادة .. التي قالوا عنها – رغم ذلك – الآنسة مي زيادة !!

إنها أعظم حكاية حب لقادة الفكر والسياسة والدين في حقبة هامة من عمر مصر .. حين تحولوا جميعاً علي يدي امرأة واحدة نطحت الصخر بعد أن تناطحوا جميعاً من أجلها حتى الموت .. تحولوا جميعاً تحت قدمي مي زيادة إلى متصوفة غرام وبصمجية حب ومتسولي مشاعر وتلامذة عشق .. إنه سباق الحب ومزاد العشق و صراع الهوى المسلح بسلاح الكلمة الرقيقة.. انه نضال الأبطال وغرام الكبار في «صالون مي زيادة» .

أنيس الدغيدي

anis_al_deghidy@hotmail.com


غرام الكبار
صالون
مي زيادة
سيدة الصالونات العربية .. لماذا؟

ماذا عن الصالونات العربية ؟!

وهل هناك صالونات عربية بخلاف صالون مي ؟

وكيف أصبح صالون مي زيادة هو وحده سيد كل هذه الصالونات التي تـوارت خلف بريقه ؟!

وما الذي صنع هذا البريق الخلاَّب لصالون تلك الساحرة اللبنانية ؟!

هل هي عظمتها وسحرها ؟

أم هم كوكبة نجوم الصالون الذين زانوه تألُقاً وجمالاً ؟

أم هي معارك الغرام الطاحنة التي دارات رحاها وجرت وقائعها في صالون مـي الكائن بوسط القاهرة المحروسة عاصمة مصر ؟!

أم أنه كل هذه الأسباب مجتمعة وأكثر ؟!

هذه وقفة مع الصالونات العربية وكيف أصبح صالون مي هو الأشهر والأعرق والأهم عبر تاريخ تلك الصالونات .

***

نشأت هذه الصالونات بمعناها الحديث في حقبة اتسمت بالنزوع إلى التحرر من الحكم العثماني أي أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين حيث تعاظم دورها في مرحلة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية عندما سيطر الاستعمار الغربي على الأقطار العربية فنما النزوع الوطني والقومي بدلاً من النزوع الإسلامي الموالي للعثمانيين إثر التحرر والقيام بالثورات الوطنية ضد المستعمرين.

هذا التحول الفكري الكبير والتغيير الاجتماعي الذي حصل قام به مجموعة المثقفين وأعلام الفكر والأدب والصحافة الذين حصّلوا العلم والمعرفة التراثية العربية وكذلك العلوم العصرية الغربية الذين كوّنوا زادهم المعرفي في المدارس



الأهلية الوطنية ومدارس الإرساليات التبشيرية ومن معاهد وجامعات أوروبا التي منحتهم أعلى الشهادات وأحدث العلوم ولّما عادوا إلى الوطن حاولوا تطبيق معارفهم العصرية في مجتمعاتهم وأهمها الأفكار الديمقراطية والمساواة وتحرير المرأة.

ولا ريب أن نضع في الإعتبار لقاءات هذه النخبة في المقاهي العامة أو بيوت الأدباء والوجهاء حيث كانت تدور المناقشات وكانوا يترددون على المنتديات الأدبية الموجودة من أجل تبادل الآراء والأفكار الثقافية والسياسية والاجتماعية والعلمية .

وكانت هذه الاجتماعات حكراً على الرجال بخلاف النساء اللواتي كانت مشاركتهم على استحياء شديد .

رغم حصول بعضهن على قسط من الحرية الفردية وعلى نصيب وافر من العلم وكانت المساهمة النسوية تتم بحروف رمزية أو بأسماء مستعارة أو أسماء الذكور.

ومع ذلك لم تكن تنقصهن الشجاعة فبرز منهن من زاحم الرجال في انشاء الصحف والجمعيات والمنتديات الأدبية. كان رائد النساء المثقفات المناضلات ما يعرفنه عن النساء وزوج امرؤ القيس في الجاهلية وسكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة الأموية وولادة بنت المستكفي وحفصة الركونية في الأندلس وما يعرفن عن الصالونات الأدبية الفرنسية التي أدارها نساء مثقفات في القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل :

صالون أوتيل دي رامبوليه عام ١٦٠٨ ميلادية وصالون مدام دي ستال وصالون جوفرن في باريس .

وكان من أشهر الصالونات الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صالون الأميرة الكسندرا أفرنيوا في الاسكندرية وصالون الأميرة نازلي فاضل وصالون مي زيادة في القاهرة وصالون مريانا المراش في حلب وصالون

ماري عجمي في دمشق.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين قامت صالونات أدبية مثل: شريفة فتحي في القاهرة وزكريا الحافظ في دمشق وضياء قصبجي في حلب ولكن هذه الصالونات تلاشت لأن مبررات وجودها تلاشت لأسباب كثيرة .

وإذا استعرضنا أحوال بعض الصالونات في الاسكندرية والقاهرة وحلب ودمشق إلا أننا سنتوقف حتماً ونتفكر ملياً في صالون مي زيادة لتميزه من جهة ولتفرد صاحبته من جهة أخرى.

صالون مي زيادة بدأ بالاجتماعات التي كانت تحدث في بيت والدها أي منزل العائلة حيث كان يجتمع الأصدقاء مثل د. شبلي شميل وخليل مطران شاعر القطرين وأنطون الجميل وسليم سركيس .وكانت هذه الاجتماعات فردية وعلى شكل سهرات عائلية دون تحديد ومواعيد ثابتة. وقد مهد لقيام هذا الصالون الزيارات الخاصة لوجهاء مصريين من أرباب الثقافة والسياسة مثل اسماعيل باشا صبري وعباس محمود العقاد وادريس راغب باشا حيث كانوا يترددون على بيت مي زيادة قبل أن تنظم مواعيد جلسات الصالون الأدبي في يوم الثلاثاء وبهذا دخل هذا الصالون التاريخ الأدبي العربي من أوسع أبوابه.

وقد بلغ عدد الرواد الأوائل في كل شيء الذين كانوا يرتادون هذا الصالون بموجب كلام عباس محمود العقاد ثلاثون أديباً وسياسياً ومثقفاً. كانوا يحضرون أو ينيبون بحسب الظروف والمشاغل والوقت المتاح لزيارة القاهرة :« كان الصالون يلتئم في بيت والد مي ، السيد الياس زيادة الذي كان يرحب بالجميع مع زوجته ووحيدته «مي» التي تجلس وحولها حشد من هؤلاء العمالقة من أمثال: ولي الدين يكن وأحمد لطفي السيد باشا وأنطون باشا الجميل صاحب مجلة الزهور و د. شبلي

شميل وخليل مطران وأحمد زكي باشا شيخ العروبة والأمير مصطفى الشهابي وعباس محمود العقاد وطه حسين والشاعر أحمد شوقي والشاعر حافظ إبراهيم ورشيد رضا وسلامة موسى والرافعي وزكي مبارك واسماعيل صبري باشا وخطاط القصر نجيب هواويني وعبد العزيز باشا فهمي وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد حسين هيكل وطاهر الطناحي وبنت الشاطئ ومارون عبود ووديع فلسطين وأميل الريحاني وهدى الشعراوي وباحثة البادية وروز اليوسف وخليل تقي الدين وعبد الله يوركي حلاق وشبلي الملاط وجبر ضومط والأب أنستاس الكرملي وخليل مردم والدكتور مرشد خاطر وشكيب أرسلان والشاعر القروي والأديبة منيرة المحايري وروز عطا الله ونسيبة الأيوبي كما عرف مي زيادة وصالونها عدد كبير من المستشرقين الأجانب مثل: د. يوسف شاخت وألفونسو والمستشرقة آنا ماريانا للينو ولويس ماسينيون ودافيد صاموييل وغيرهم.

جاوزت أخبار الصالون مصر إلى الأقطار العربية وبلاد المهاجر فكانت مراسلات وكتابات في الصحف والمجلات تتطاير في الآفاق تتحدث عنه .. وقد عدّ نفر من الأدباء مجلس مي زيادة في كل ثلاثاء : ندوة الأدب ومجمع الشعراء وسموا ذلك العهد عهد (مي زيادة) كما ورد في قول الأديب جبر ضومط :

حدثينا يانسيمات الصباح   عن زمان قد مضى في عهد مي

كانت مي تجيد الغناء والعزف على الآلات الموسيقية وتجيد ستة لغات وتجيد إدارة الحوار ودماثة الخلق في الحديث مما زاد في شهرتها واشعاعها وقد كتب عنها أحمد شوقي واسماعيل صبري باشا والعالم الجليل يعقوب صروف صديق والدها ومربيها ومعلمها وأعطاها تسميات وألقاب جميلة مثل : ربّة اليقظة والكمال- الامبراطورة – النابغة مي- الدرة اليتيمة – ربة القلم وغير ذلك .. كان يحضر

مجالسها رغم مرضه الشديد وكتب عنها وإليها مصطفى صادق الرافعي وشبلي شميل وولي الدين يكن .. لقد خاطبت مي زيادة هؤلاء العمالقة من أصدقائها : «لا تستعمل قوتك لظلم المرأة لئلا تستعمل هي قوتها للضحك منك وتكون بذلك خاسراً أعذب عطايا الحياة».

لم تُوصف مي زيادة بالمرأة الجميلة ولكنها كانت جذابة ولهذا كانت توحي لكل واحد من محبيها أنها تحبه وحده فكانوا جميعاً يلتفون حولها ولا يستطيعون الابتعاد عن صالونها أو التأخر عن موعد يوم الثلاثاء فكانت بحق ظاهرة ثقافية حضارية وعندها من السحر ما جعلها تمتاز عن مثيلاتها من النساء. كانت ملهماً لكل هؤلاء العمالقة وتحوّلت إلى قصة اجتماعية بين الناس وكانت مثلها مثل كل العباقرة لغزاً وعلى النقاد والباحثين عن دراسة هذا اللغز. لقد كانت هذه الصالونات الأدبية نتيجة طبيعية لتسلل الفكر التنويري إلى الشرق ولهذا كانت النقاشات حادة وحارة وكان الجدل بكل ما في هذه الكلمة من معنى – نبراساً لهؤلاء الأدباء والمفكرين والسياسيين تطل عليه مي زيادة بظرفها وجمالها وحيويتها. فكانوا يلتقون ببعضهم ويتبادلون كل شيء الأمر الذي جعل من ظاهرة الصالونات الأدبية عاملاً مهماً من أبرز العوامل في اليقظة الفكرية والنهضة السياسية والاجتماعية في الوطن العربي .

فماذا عن صالون مي زيادة .. ذلك الصالون الساحر ؟!

■ ■ ■


غرام الكبار
غرام الكبار
في صالون مي

لأول مرة في الصحافة العربية وبالتفاصيل الحمراء والسوداء والملونة :

* مفرمة الكبار في صالون مي زيادة ؟!

* أسرار أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد وحُرقة غرامه لـ مي زيادة !!

* معارك عباس العقاد في دُنيا السياسة وجذور غرامياته واستعراضه لمي !

* مشاحنات الرافعي والعقاد على قلب الساحرة الصغيرة !

* شوقي يسفح غرامه وطه حسين يندب أقداره في غراميات صاحبة الصالون !

* بالدموع والعواطف : شيخ الأزهر يذوب شوقاً في حُب مي !!

* قُضاة .. سياسيون .. فلاسفة .. مفكرون .. رجال دين .. أمراء كيف أحبوا مي ؟!

* عشق أم جنون أم أشياء أخرى : قصة حب مي وجبران ٢٠ سنة بالمراسلة فقط !

* ويُسأل إدريس راغب : لماذا بكت مي وهتفت : رب لِمَ كانت الخطيئة ؟!

* كلهم فازوا بقلب مي .. فمَنْ نال جسد الآنسة ساحرة الصالون ؟!

* الأسرار الخصوصية المخفية لمي زيادة في الدير وحقيقة علاقتها بالفيرا !

* لماذا حاول الأمير الجزائري اختطافها من بيتها ؟!

* أسطورة مي زيادة في مصر هل كانت مخابراتية مصنوعة أم أدبية وفكرية مرفوعة !

* لماذا لم تصنع هذا الصالون نجمات المرحلة «هدى شعراوي» أو روز اليوسف أو ملك حفني ناصف أو إحسان القوصي ؟!

* ولأول مرة أيضاً : نصوص الرسائل الممنوعة بين مي ورجال عصرها وأسرار

اللقاءات السرية في غرام الكبار .. من الكواليس !

* بـالحبر السري : كيـف فقـدت مـي زيـادة عقلهـا في غـرام الكبـار بعـد خـراب الصالون ومَنْ باعوها وأين وفاء الكِبار لملهمتهم ؟!

* مِنْ ولِي الدين يكـن لإسـماعيل صـبري لشـملي شـميل : كيـف مـات الكبـار في هواها ؟

***

عشرات العناوين تتقافز مسرعة لتأخذ دورها في حكاية مي زيادة !!

مئات القصص تثب من جعبة التاريخ والحقيقة على مائدة البحث لتحجز مكانها المباغت والمفاجئ في قصة غرام مي ورجال عصرها .

آلاف التفاصيل الصغيرة والكبيرة تتناطح وتتصارع وتتسـارع في أسـطورة حيـاة مي زيادة وتفردها وعبقريتها ومكنون علاقتها بكبار رجال بل ونساء جيلها .

هي امرأة رفع أمامها الِكبار «كُل كبار حقبتها دون استثناء» الرايـة البيضـاء حـين خروا لها عُشاقاً ما بين سافِح لدمع أو ساكِب لـدم أو ذابـح لـوتين أو كـاسرٍ لقلبـه أو حـاسرٍ لثوبـه أو رافـع لنفسـه مـن خدمـة الرجولـة حـين أعلـن أن : مـي هـي قِبلتـه ووجهته ومحراب صلاته !!

حتـى النسـاء .. نجـمات المرحلـة وعصر النهضـة الفِكريـة والموجـة السياسـية والنضال الثوري والشعبي دخلن الصورة كمشاهدات لمي بغـرض الفُرجـة بعـد أن أجرين جميعاً عملية جراحية في قلوبهنَّ ومشاعرهن باستئصـال الغـيرة والطمـوح في خطف أي من رِجال مي بعد أن شاهدوا الكبار يتطوحون عشقاً ودروشـة سـكارى في غرام مي !!

بدءا من ملـك حفنـي ناصـف فـ هـدي شـعراوى فـ احسـان القـوصي فـ فاطمـة

اليوسف ومروراً بأميرات الأُسرة المالكة ربيبات القصور ووصولاً لنجمات الفن كأم كلثوم وليلى مراد وعلوية جميل وحتى مديحة يسري .. كلهُنَّ خرجن من الصورة ولم يجرؤن على صعود خشبة مسرح مي زيادة سوى متفرجات من مقاعد المشاهدين أو من منازلهم !!

فكيف حققت مي زيادة هذه الأسطورة الطاغية حين أسرت كبار المرحلة في زنزانة قلبها وأغلقت عليهم بالضبة والمفتاح وألقت بكل وسائل النجاة ومفاتيح الزنازين في النيل العظيم لتتوه وتضيع سُبل الخلاص من براثنها ويبقى الجميع يرزخون في أغلالها بحُب ومازوخية وربما بسادية أحياناً !

كيفي ومتى سيطرت مي على كبار رجال عصرها فسطرت أنصع وأنقى وأروع صفحة في تاريخ الأدب العربي من صالونها الكائن بشارع مظلوم مكان البنزينة الحالية في شارع عبد الخالق ثروت وشريف .

هل يمكن أن نتصور علاقة حُب ومفرمة غرام بين مي وجبران بالمراسلة تمتد لعشرين عاماً دون أن يرى أي منهما الآخر قط طيلة حياته ؟!

إنه غرام الكبار حقاً !!

وهل يمكن أن نتخيل مهما أوتينا مَلَكة التصور أو أوراق الكمال أو مواهب التوهم والتصور والتصوف كيف يقع « كُل » رموز الفِكر والصحافة والسياسة والدين والشعِر والإبداع في غرام امرأة واحدة هي مي زيادة ؟!

إنه بالفعل غرام الكبار ..

فكيف كان وكيف حدثت مجزرة الحب في صالون مي ؟

هُنا ..

وهُنا فقط ستجد كل الأسرار المخفية واللقاءات السرية والكواليس الغرامية في

حكاية غرام مي زيادة وكبار رجال عصرها .

ويبقى السؤال :

كيف وصل جنابي لهذه الحقائق والتفاصيل الصغيرة .. الكبيرة والخطيرة ؟!

وما هي مصادري في ذلك ؟!

وكيف حصلتُ على تفاصيل التفاصيل الدقيقة في حكاية غرام مي وأسطورتها ؟!

بداية .. وقبل الجواب .. يجب أن نعترف بكُل مفردات المهنة وكل ثوابت الكِتابة وشتى وسائل المعرفة وأدنى مقاييس الحِساب والموازنة أن أنيس منصور هو آخر مَنْ يعلم : في حكاية مي ورجال عصرها .

فأنيس منصور إذا كان اقترب على استحياءٍ مِنْ مجلس ولا أقول صالون عباس العقاد في أواخر أيامه وساعاته –بل بلغني أنه كان يجلس متاخماً للأحذية قُرب الباب– في صالون العقاد فلم يدنيه العقاد ولم يصطفيه العملاق ولم يُسر إليه بخصوصية علاقته لا بمي زيادة ولا بإلزا ولا بسواهما .

فأغلب اليقين وليس كله ظناً أن أنيس منصور كان متفرج شفاهة وليس بطلاً صاحب مقعد في صالون العقاد فأنَّا له بصالون مي زيادة الذي انتهي وتوقف وتهاوت أركانه في عام ١٩٢٥ وهو "تقريباً" نفس الحول الذي ولِدَ فيه أنيس منصور إذ جنابه من مواليد ١٨/ ٨/ ١٩٢٤ !!

اللهم إلا إذا كان أنيس منصور دخل صالون مي يوم أن حملت فيه الست والدته !!

ولم يأتِ إلينا لا بالتواتر ولا بالعقل أو النقل أن الست المصون والدته أتت من المنصورة لحضور صالون مي بوسط القاهرة قبل أن تحمل فيه بشهرين أو حتى في و[illegible]ير حملها لتشاهد عن كثب لحظة خراب صالون مي زيادة في عام ١٩٢٥ !!

[illegible] من [illegible] لاً .. أما عن ثانياً : فعباس العقاد مواليد أسوان في ٢٨ من يونيو عام

١٨٨٩ م بينما أنيس منصور -كما قُلنا- مواليد ١٨/ ٨/ ١٩٢٤ بالمنصورة وليست هناك أية وسيلة مواصلات مباشرة تربُط أسوان بالمنصورة في ذلك الوقت .. معنى هذا أن هناك ٣٥ سنة بالتمام والكمال بين العقاد وسي أنيس منصور .. والمعلوم أن عباس العقاد رحل عن دنيانا في ١٢ من مارس ١٩٦٤م أي كان عمره ٧٥ سنة فأي علاقة تلك التي ربطت كاتب ناشئ بعملاق الفِكر العربي العربي خصوصاً أنه لم يثبُت لدينا إطلاقاً عشق عباس العقاد للغلمان .. حاشا !! فمتى كانت علاقة العقاد بأنيس منصور ؟!

هل قبل موت العقاد بخمسة عشرة سنة -مثلاً- حين كان أنيس منصور عمره ٢٥ سنة أم لحظة وفاة العملاق وعمره ٧٥ سنة وهو على فراش الرحيل وغرغرة الموت وحشرجة النَفَسْ؟!

وفي هذه الحالة فإنني أطالب سي أنيس منصور أن يقوم بتغيير إسم كتابه :

مِنْ : «في صالون العقاد كانت لنا أيام» .

إلى : «في صالون العقاد كانت لهم أيام» !!

أنا مش فاهم إيه اللي حشره في صالون العقاد !!

أما أية صورة تليفزيونية مرأية أو فوتوغرافية تظهر لتجمع أنيس منصور بالعقاد فهي لمجرد مُعجَب بالعملاق ولن تعدو عن كونها :

- والنبي ممكن أتصور معاك يا فندم !!

فلو أن جابر عصفور أقام صالوناً أدبياً الآن للنخبة – وبالمناسبة لا توجد نُخبة في هذا العصر .. وحضر أحد طلبة كلية الألسُن صالون عصفور جالساً بجوار أحذية القوم .. فهل يجوز له أن يكتُب :

في صالون عصفور كانت لنا أيام ؟!

فأين له بالهمسات والقفشات والحوارات الجانبية التي بالقطع لن يسمعها جنابه من الدكتور عصفور وخاصته وكوكبته خصوصاً إذا علمنا أن قديماً لم تكن هناك في صالون مي أو العقاد أية مكبرات للصوت !!

فبالكثير كل ما سمعه أنيس منصور من صالون العقاد هو صوت ضحكات القوم إذا ضحكوا أو يرى بعضهم طشاش حين يخرجوا تباعاً بعد أن ينفض الصالون !!

فكيف له أن يكتب :

(في صالون العقاد كانت « لجنابه » أيام ؟!)

ثم أن أنيس منصور تخرج من كلية الآداب عام ١٩٤٧ ولم يعمل في الأخبار سوى عام ١٩٥٢ كصحفي تحت التمرين ثم سافر إلى أوربا لفترة فمتى عرف عباس العقاد ؟!

وحين عاد لمصر في عام ١٩٥٤ عمل مدرسا للفلسفة الحديثة بكلية الآداب جامعة عين شمس أي قبل وفاة العقاد بعشر سنوات فمتى تعرَّف حضرته على الأستاذ العقاد ؟!

وهل كان أنيس منصور مشغول بصناعة نفسه والكتابة وبناية نفسه مادياً وأسرياً ومهنياً في تلك السنوات العشر «قبل رحيل العقاد» أم ترك كل ذلك وتوجه شبلاً لا يعرفه أحداً إلى دار العملاق وضرب بابها بحذاءه ثم دخل :

- فين عباس العقاد .. تعالي هِنا صاحبني أحسن لك يا عِبسْ ؟!

وهل انصاع الأستاذ العقاد لمطلب هذا الشبل الغريب اليافع وقبِلَ صداقته :

- حاضر تحت أمرك يا فندم .. قلت لي إسمك إيه ؟!

فأجابه :

- إسمي أنيس منصور .. إحفِظ الإسم ده كويس !!



والحقيقة أن هذا لم يحدث قط لأن العملاق عباس العقاد لم تكن عينه مكسورة من أحد ألبتة .

والغريب المريب العجيب أن أنيس منصور في كتابه :

في صالون العقاد كانت لنا أيام " يتحدث عن عشرين عاماً قضاها بصحبة العملاق عباس العقاد !!

فمتى كانت تلك السنون العشرين التي يتحدث عنها سي أنيس منصور ؟!

يبدو أنه بدأ علاقته بأونكل عباس العقاد حين كان عُمْر (أنيس) ١٥ سنة !!

الحقيقة أن أنيس منصور أراد أن يصعد على أكتاف العملاق فكتب مقاله الشهير وهو «شبلٌ» يشن هجوماً على العقاد وللأسف أكل العملاق الطُعم وهو في آخر أيامه ورد قائلاً :

- مَنْ هذا الأنيس منصور ؟!

فسطَّر دون أن يدري بداية شهرة لسي أنيس .

وكذلك بالضبط فعل طه حسين «شبلاً» مع مصطفى لطفي المنفلوطي وهو صاحب «النظرات والعبرات» حين هاجمه طه .

فحين يقول أمير الشعراء أحمدشوقي في المنفلوطي :

يا مرسِل (النظرات) في الدنيا وما ... فيها على ضجرٍ وضيق ذراعِ
ومرقرِق (العَبَرات) تجري رقةَ ... للعالم الباكي من الأوجاع
من شوّه الدنيا لديك فلم تجد ... في المُلك غير معذبين جياع
أبكلّ عينٍ فيه أو وجهٍ ترى ... لمحات دمعٍ أو رسومَ دماعِ

في عام ١٩١٠ كان طه حسين عمره ٢١ عاماً فقط أي حديث عهد بالجامعة

وبالحياة الصحافية والأدبية في حين كان المنفلوطي آنذاك كان ملء السمع والبصر ومقالاته في جريدة «المؤيّد» للشيخ علي يوسف يتخاطفها القرّاء وتحظى بإعجابهم وكتاباته يقرّرها المعلّمون على تلامذتهم لتعليم الإنشاء والبلاغة وشنَّ طه حسين حملة شعواء ضد المنفلوطي ليصعد على أكتافه واعترف طه حسين نفسه بذلك بعد أن ضربت شهرته في الخافقين وأصبح عميداً للأب العربي بأنه هاجم المنفلوطي ليصعد على كتفيه مستفيداً من شهرته الواسعة واسمه الكبير!!

وكان ذلك قبل رحيل المنفلوطي بأربعة عشر سنة في ١٩٢٤ وهو نفس عام ميلاد أنيس منصور بالمناسبة !!

فقد كتب طه حسين سلسلة من المقالات العنيفة تحت عنوان «نظرات في النظرات» نقدا لكتاب المنفلوطي « النظرات » وذلك ابتداء من شهر مارس وحتى ٢٥ نوفمبر ١٩١٠م حيث وجّه له مجموعة من الاتهامات ومنها الجهل والسرقة الأدبية والتغرير بالناس وتضليل القرّاء .. وهي في الحقيقة مقالات لا تخلو من الزهو واندفاع الشباب وحماسته كما أنها دلالة أيضا على صراع الجيل الأدبي الجديد مع الجيل الأدبي الكلاسيكي وشهوته لتحطيم الرموز أو الأصنام أو لطلب الشهرة والذيوع .. كما رأينا نظير ذلك في هجوم العقاد على شوقي والرافعي وهجوم المازني على المنفلوطي أيضا في كتاب « الديوان » .

وفي الحقيقة لقد شعر طه حسين بالندم على هجومه أو تهجّمه على المنفلوطي وبادر بإعلان تأسفه غير مرّة .. حيث يقول في إحدى المرّات: « لم أخجل من شيء في كل ما كتبت قدر خجلي من هجومي على المرحوم المنفلوطي فالذي كتبته عنه كلام فارغ فقد كنتُ أستعين بالقاموس ضدّ المنفلوطي على كلمة بها خطأ نحوي أو لغوي وكنتُ أعتمد على معجم واحد لا على كل المعاجم».

وفي مذكرات طه حسين (الأيام/ ج٣) يشرح طه حسين مزيدا من التفصيلات ويكشف أن الشيخ عبد العزيز جاويش من الحزب الوطني كان يقف وراءه بالتحريض والتشجيع الذي زاده إعجابا بنفسه وطرباً .

يقول طه حسين: « وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله يقع نصيب غير قليل من ثقل تلك الفصول الطوال السمجة التي كتبها الفتى فشغل بها الأدباء والمثقفين حينا ثمّ لم ينقطع استخذاؤه لها وضيقه بها وخجله منها كلما ذكرت له».

«قرأ الفتى الفصول الأولى من نظرات المنفلوطي راضياً عنها معجباً بها ثم لم يلبث أن سئمها وانصرف عنها . ولكنه لم يكد يراها مجموعةً في كتاب حتى ضاق بها أشدّ الضيق وكتب يعيبها ويغضّ منها .. وفرح الشيخ عبد العزيز بما كتب الفتى أشدّ الفرح واستزاده من الكتابة وحرّضه عليها أشدّ التحريض حتى ألقى في روعه ألا يدع فصلا من فصول المنفلوطي إلا اختصه بفصل من النقد . وكان الفتى قديم المذهب في الأدب لا ينظر منه إلا إلى اللفظ ولا يحفل من اللفظ إلا بمكانه في معجمات اللغة فكان عيب المنفلوطي عنده أنه يخطئ في اللغة ويضع الألفاظ في غير مواضعها ويصطنع ألفاظا لم تثبت في لسان العرب ولا في القاموس المحيط .. وما أسرع ما انزلق الفتى من هذا النقد السخيف إلى طول اللسان وشيء من الشتم لم تكن بينه وبين النقد صلة ».

وفي عام ١٩١٢ شَنَّ طه حسين معركة أدبية أخرى ضد مصطفى صادق الرافعي علي صفحات الجريدة فكان الصراع بين المحافظة والتحديث وكان الرافعى قد نشر كتابه «حديث القمر» فكتب حافظ إبراهيم قصيده في الجريدة مطلعها :

قرأت كتاب حديث القمر ... فنعم الكتاب و نعم الأثر
بداية هذا الفتي الرافعي ... نهاية كل أديب ظهر



ولكن طه حسين كتب مقالاً عنيفاً بدهاء ومكر وخديعة ينتقد فيه الرافعى من خلال تحليله للقصيدة ويلمز فيها حافظ من خلال تعرضه لإشادة بالرافعي .

وتطاول العقاد «أيضاً» على المنفلوطي متهماً إياه بالإنشاء وليس بالإبداع .. أي أنه منشئ وليس بكاتب وشتان بين الوصفين .. ويصفه بالسطحية والضعف .. ليستفيد من شهرته !

فمتى يعترف أنيس منصور بكذب ما ذهب إليه في كتابه ولا سيما في تاريخه كله ؟!

فشهادته لتاريخ العقاد لا يُعتد بها ألبتة نظراً لكونه إمام المدلسين وكبير وُضَّاع الحديث الأدبي المكذوب .

وقال عنه أكثر حُماة الحرفة ونُحاة المهنة : لم ير شيئاً .

وقال عنه البعض الآخر : هو من المناكير .

في حين أفتى فريق ثالث أنه : مُدلِّس لا يؤخد منه حديث أدبي .

فكيف نقبل شهادته ؟!

ثانياً .. مِنْ جوابي عن استفهام : «كيف حصلتُ على كل هذه الأدلة وتفاصيل التفاصيل في حكاية غرام الكبار في صالون مي زيادة ؟!».

لقد كتبتُ مسلسل «غرام الكبار .. في صالون مي زيادة » منذ اثنتي عشرة سنة أي في عام ١٩٩٨ في مكتب صديقي الحميم المنتج التليفزيوني والسينمائي الأستاذ إسماعيل كُتكت والمنتج الكبير صفوت غطاس .. وأكاد أجزم أنني عكفتُ على «كُل» مطبوعة ورقة كانت أو مخطوطة جريدة أو كتاب .. مقالة أو رأي .. خاطرة أو سانِحة شاردة أو واردة .. مائلة أو جانحة .. مما كتبته مي أو كُتِبَ عنها .. بل وزُرتُ معاقل الأحداث في لبنان وسوريا والتقيتُ بأساطين الشهود مِمَن بقوا أو دَنوا من الأحداث أو بقاياها سماعاً أو شفاهة وخصوصاً أولئك الذين لا يواجهون

الكاميرات وبريق الشهرة ويبيعون سلعة الأونطة :

- حصل وأمام عينيَّ وعلى يدي وكان عباس العقاد قاعد هِنا وأنا قاعد هِنا ومي زيادة على صرخة واحدة : ما اخدوش يا بابا .

فعجباً لتلك الشرذمة التي تكتب بفِقه : «حدثني قلبي عن ربي بسندٍ صحيح دون واسطة» .. في عصر انقطاع الوحي بعد محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم فيروا عيونهم ما لم ترى !!

ثالثاً : أدَّعي أيضاً أنني شربت ونهلت المرحلة وأبطالها وتآريخهم ثم وضعتُ أوراقي على مائدة البحث وطاولة التقصي وكتبتُ ما هو آت .

وما أدراك ما هو آت !!

■ ■ ■

مولد حُلم نجمة

بعد أن أحضرها إدريس راغب باشا إلى القاهرة وساعد والدها في افتتاح «المحروسة» ووفر لهم المسكن أيضاً .. بدأت مي نجوميتها منذ أن أتت إلى مصر وتفكرت وهي تلقي نظرة الوداع على ماضيها وحاضرها في محاولة منها لاستقراء مستقبلها في مصر المحروسة :

«ما أكثر لحظات الوداع في حياتي .. ما إن أبصرت يوسف والتقينا حتى فصل بيننا الوداع .. وكذلك مازن .. حتى شقيقي الذي أتى ليؤنس وحدتي .. اختطفه الموت سريعاً ليلقي بظلال الوداع علي خارطة حياتي .. حتى فرسي البيضاء التي أحبها كثيراً حام عليها شبح الوداع .. فافتقدتها .. وكذلك الفيرا .. آه من الفيرا .. لقد افتقدتها هي الأخرى .. تلك الفيرا رفيقتي ومعلمتي في الدير .. أواااااه لكم أشتاق إليها .. لن أنسى ليالي الأرق والوحدة المفعمة بالمشاعر المؤججة والأحاسيس السامية المقاتلة في محراب الشوق .. لن أنسى الفيرا .. أمي في مدرسة الراهبات بعينطورة .. تلك الفتاة التي تكبرني بخمس سنوات والتي خصصت للقيام على متطلباتي وتوجيهي .. أه لكم أفتقدها .. أنني اكن لها ود من نوع خاص» .

■ ■ ■

العقاد على الخَط

في مكالمة هاتفية مخصوصة بين العقاد والمازني جاءت حُمى البداية هكذا :

- مساء الخير يا عباس .. إيه صحيتك م النوم ؟

بثقة الأريب الهادئ يأتي صوت العقاد :

- وهل أخبروك أن عباس محمود العقاد ينام مثل خلق الله يا إبراهيم يا مازني ؟!

فيبتسم المازني قائلاً :

- آه ده أنا نسيت صحيح .. اللي عمري ما شفتك نايم .. طيب يا سيدي ما دام ما بتنامش إلا تخاطيف في أوقات غير معلومة لأمثالي .. قريت آخر مقال في المحروسة لإيزيس كوبيا ..

يصحح له بثقة صاحب المعلومة الواثقة :

- تقصد الآنسة ماري ابنة الياس أفندي زيادة ؟

تعجب المازني فتسائل :

- أيوه يا سيدي هيه بعينها .. الله إنت تعرفها ؟!

- ومن هي تلك الـ ماري القادمة إلى عالم الكلمة والصحافة حتى تشغل وقت العقاد يا مازني؟! وماذا تريد أن تقول تلك الماري أو الإيزيس كوبيا ؟ لا أخفي أن لها رشاقة قلم .. وجموح خيال .. لكنها بحاجة قصوى لمن يكبح جماح أفكارها .. التي لا تفتأ تتفرنج حتى لا تمسي أهزوجة غربية ممجوجة ممسوخة .. لا تعدو عن كونها ترجمة بالية لرواية عقيمة .. تنخر بها في عقول الناشئة .. في وقت تمر فيه البلاد



بمنعطفٍ وطنيٍ حاد .

شعر المازني ببوادر حرب فتسائل :

- انت حطيتها في دماغك يا عباس يا عقاد ؟

انتفض العقاد وهو ينهي المكالمة قائلاً :

- ومن هي حتى تتمكن من دخول هذا الدماغ ؟

■ ■ ■

غرام الكبار



وانطلق صالون مي زيادة ..

ولِدَ على يدي « الأديب أنطون الجميل وداود بركات رئيس تحرير الأهرام وإسماعيل باشا صبري الشاعر الكبير .. وإدريس بك راغب ذلك اللُغز في حياة مي! ».

وكانت ليلة البداية ..

دخل أنطون يلقي تحية المساء :

- مساء الخير يا آنستي الرقيقة ...

فأجابته مي زيادة :

- مسا النور يا أستاذ أنطون

أنطون يدعو رفيقه وضيفه :

- اتفضل يا سركيس أفندى ...

تبتسم مي وهي تستقبل ضيوف صالونها الأول :

- سركيس أفندى ؟ يا مرحبا

بود وهو يدعو ضيفه الثاني :

- ومفاجأة الصالون شيخ الصحافة ورئيس تحرير الأهرام الأستاذ داود أفندى بركات

تحييه مي مصافحة :

- اتفضل

يبتسم أنطون وهو يقدم ضيفه الأخير :

- وأخيراً مع شيخ الخطاطين وردتنا العبقة الأستاذ نجيب هواويني



تصافحه مي وتتقدمهم في خفة لتبدأ أولى وقائع الصالون :

- اتفضلوا ...

فيدخلون ليجدوا إدريس راغب يسبق الجميع بألف خطوة جالساً في دار مي بالصالون ويتخذ الجميع أماكنهم حول مي .. في صالونها التاريخي !!

هُنا فقط يدخل إلياس أفنيدج زيادةوالد مي ليكون ديكوراً في الجلسة

- شرفتونا جميعاً ... أهلاً ...أهلاً وسهلاً

فيجيبه سركيس :

- مواعيدنا مظبوطة مثل الساعة يا إلياس أفندى

يبتسم أنطون في ود وهو يغازل مياً بنظرة ود تؤكد ولائها «لمي» موقعة على بياض :

- ومن منا يملك أن يخلف موعده مع إلياس أفندي .. أو الآنسة مي ؟

ثم يبدأ أنطون وقائع الصالون الرسمية بقوله :

- يسعدني في هذه الليلة السعيدة أن أتوجّه بالشكر أولاً للآنسة مي زيادة وبالمناسبة لقد اتصلت بي اليوم علشان تخبرني بأنها قررت أن توقع كتاباتها باسمها الجديد المختصر .. ميّ .. وهو الحرف الأول ميم والأخير ياء من اسمها الحقيقي ماري .. وإنني أشكر إلياس أفندي لأنه السبب في أن نلتقي سوياً وأشكره مرة تانية على استضافته لنا جميعاً وهذا سيكلفه الكثير من الشاي والقهوة وربما العصائر .. وطبعاً معانا الليلة كوكبة مضيئة من الأساتذة والأحبة على رأسهم إدريس بك راغب ... رجل القانون والفكر والسياسة الكبير صاحب رتبة البالا .. أي بك البكوات اللي منّ عليه بها الخديوي عباس الثاني حفظه الله ورعاه .. ونغتنم هذه الفرصة لنهنئ إدريس بك راغب على إنشائه للحزب الدستوري

« تصفيق حاد من الجميع » .

فرفع إدريس بك يده بالتحية :

- أشكر حضراتكم جميعاً .. شكراً لكم .

يتدخل داود بركات :

- أحب أغتنم الفرصة دي بقى واسأل سعادة إدريس بك راغب عن آخر أخبار محمد فريد .

يؤكد إدريس بك :

- والله أنا شخصياً شايف ان مباحثات السلام غير مجدية لحد النهاردة .. وأتوقع فشل محمد بك فريد بكل أسف .. والله النهاردة كنت بادردش في الموضوع ده مع لطفي بك السيد .

« صوت ضمير مي تشرد متفكرة »

- يا ربى ...... ما هذا الرجل ؟ .. إنه أحمد لطفي السيد داهية هذا الزمان .. مازلت أشعر بشيء ما يشدني نحو هذا الرجل .

يتوجه نجيب هواويني لداود بركات :

- عايزين نسمع من داود أفندي بركات بقي آخر أخبار الولدين اللي هربانين بتوع قضية الدبلوماسي الإنجليزي .

يجيبه داود بركات :

- لحد دلوقتي لسة التحقيق جاري مع المتهم الأول اللي قبضوا عليه والقصر مقلوب .. والوضع شكله كده مخيف .

النجمة مي .. تناوش هواتف النجوم !!

في مكالمة هاتفية أخرى بين العقاد والمازني نجد :

- مساء الخير يا عباس .. لسة سهران ؟ أنا برضه قلت اللي زي عباس العقاد ما بينامش دلوقتي ..

- أهلاً يا مازني ..

يتعجب المازني قائلاً :

- شفت اللي بيحصل في البلد يا أستاذ ؟

يتعجب العقاد ويقرر :

- يقبضون علي محمد فريد ويصادرون الشرفاء ويغلقون الصحف .. ويصادرون كل رأي حر بغية أن يسبّح بحمد السلطان .. و ..

ثم يتوقف فجأة فتعجله المازني :

- وإيه قول واشجينا

يأته صوت العقاد متهدجاً حانقاً :

- وتلك الميِّ التي لا تأبه سوي بسوانحها الشاردة ومشاعرها المتفجرة بالهوى المفعم .. والحب المؤجج ..

يبتسم المازني في سعادة المكتشف :

- الإيه ؟! الحب ؟ اشجينا يا أستاذ اشجينا .. منكم نستفيد

- نعم الحب .. أروع ما في الوجود يا مازني .. ولكن !!

ثم يعاود التوقف فيعاود المازني التعجل بالتساؤل :

– لكن إيه .. كمِّل ما تُقفش .. احنا ما بنصدق انك تبحبح وتقول ..

– لكن متى يأتي يا مازني !! متي يأتي؟ وهل حينما يأتي لا يأبه بأي شئ أمامه كالقضاء والقدر ؟ أم يغيرنا ويعبث بنا .. يحولنا من النقيض إلي النقيض ؟! كلا .. فإذا جاء ذلك الزائر .. لأعذبنه أو لأرجمنه .. أو لأجعلنه عبرة حتى للعاكفين والرُكع السجود .. لكن أن يهزمني الحب .. كلا .. فليس العقاد ممن يحني هامته من أجل امرأة يا مازني..

– بس الصورة كده ما تطمنش يا أستاذ .. الأمر ينذر بحرب شعواء .. وكل ده بسبب الآنسة مي زيادة ؟!

– هه ؟ مَنْ ؟ مي زيادة ؟ إنها ليست امرأة .. إنما هي مشروع قنبلةٍ موقوتة .. عجباً لها .. إنها تكتب عبارات الحب المشتعلة بتباريح الهوى والجوى كما لو كانت جامعة مفتوحة للعشق .. أو متحفاً مشاعاً للغرام يُزار صباح مساء .. إلي أين تريدُ تلك المي أن تهرول .. لست أدري ؟! لتهرول أينما ما تشاء .

■ ■ ■



مي .. الحالمة

بعد انقضاء الليلة الأولى من الصالون تهيم مي حالمة شاردة تتقلَّب في سريرها :

– وتشمخ القاهرة دوماً برجالها .. الذين يستنشقون أريجها ويتنسمون عبيرها .. وها هم كوكبة من رجالها يسرعون الخطي إلي هنا .. لتتحول دارنا إلي مزارٍ لأهل الفكر والقلم والباحثين عن الحقيقة في رحم الأيام .. لا ريب أنني أسمو وأسمو وبيد أنني تحولت لشعلة تضيئ ليل هؤلاء الباحثين عن الحقيقة في هذا العصر .. فها هم يتواردون كل ليلة إلى دارنا .. ليس لأن هذه الدار دار إلياس زخور زيادة .. صاحب امتياز جريدة المحروسة .. ولكن .. لأن هذه الدار .. هي دار مي ..

وفجَّر أنطون قنبلة جديدة في صالون مي :

– مرحباً بهذا الجمع العزيز في دار مي .. مرحباً بأهل القلم وأرباب الفكر .. وأنني إذ أسعد أن نبدأ هذه الليلة بمفاجأة سارة يتحفنا بها الزميل الأستاذ سليم سركيس فليتفضل

يقول سركيس :

– إن شاء الله بعد بكرة ليلة الخميس كلنا مدعوين لحفل تكريم الأستاذ خليل مطران لأن الخديوي عباس حلمي الثاني أنعم عليه بالوسام المجيدى التالت .. والحفل ده ح يحضره شعراء وأدباء العالم العربي لتكريم الشاعر الفذ خليل مطران وده ح يكون في سراي الجامعة المصرية .. والمفاجأة الأهم هي إن الفنان الأديب الشاعر المعجزة جبران خليل جبران أرسل كلمة بالمناسبة دي من أمريكا بعنوان «الشاعر البعلبكى» وتم اختيارنا للآنسة مي زيادة وبالإجماع أن تلقى هي كلمة جبران في الحفل ده .

الليلة الموعودة في تاريخ مي

ليلة ٢٤ ابريل ١٩١٣ مقدم الحفل يؤكد :

– وقد شرف الحفل بالحضور كل من أصحاب السعادة حشمت باشا وزير المعارف .. وأحمد شفيق باشا مدير الأوقاف الخديوية وعلى أبو الفتوح وكيل وزارة المعارف وعبد الله صغير وكيل دائرة الأمن العام ومحمد توفيق رفعت اللغوي الكبير وعبد الوهاب باشا آل قرطاس مبعوث البصرة وعلى صادق وكيل محافظة القاهرة .. وإدريس بك راغب السياسي الكبير .. ونعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في حكومة السودان .. وأننا إذ نرحب بأساطين الفكر ورهبان القلم .. حملة مشاعل المعرفة من كبار الكتاب والأدباء وأهل الفكر والثقافة والصحافة والسياسة والدين من شتي بلدان العالم العربي والآن نحن على موعد مع أحد حراس الفكر ورعاة الأدب .. ليتفضل صاحب السعادة سمو الأمير محمد علي توفيق باشا نيابة عن الخديوي عباس حلمي الثاني .

يتلاشى صوت مقدم الحفل حين يتقدم سمو الأمير ليتكلم فتشرد مى :

– وجعل يعدِّد الأسماء .. تلك هي البداية .. من هنا أبدأ .. نصف كبراء رجال العالم العربي من أهل السياسة والفكر والأدب .. لفيف قلما يجتمع في مكان واحد .

ثم يستأنف مقدم الحفل مقدماً مي :

– وحين يكون عرس الليلة من أجل خليل مطران .. فلابد أن يشارك كل أحباء مطران ولابد أيضا من أن يشارك بالكلمة كل عشاق مطران ورفاق رحلته مع الكلمة الرقيقة .. والمشاركة العميقة .. و الأرجوزة الرشيقة أرسلها من المهجر ..

الشاعر الفنان .. الأديب .. المعجزة جبران خليل جبران .

« تصفيق حاد »

يستأنف مقدم الحفل :

- من بوسطن .. بأمريكا كتب جبران .. ومن هنا .. من سراي الجامعة المصرية تشدو بكلماته بيننا .. الأديبة الشابة رقراقة الكلمة .. عذبة الحديث .. آسرة الجميع .. الآنسة مي زيادة .

« تصفيق حار جداً وطويل »

« صوت ضمير مي تتفكَّر شاردة وسط التصفيق الحاد »:

- وطوقتني الأحداق إعجابا ودهشة وأنا ألقى كلمة جبران .. وهم لا يعلمون أنني أمتزج بروح جبران .. غير أنني لست أدري أيمتزج جبران بروحي أم لا !!

« صوت التصفيق » :

- وكلما أحدثت سكنة أو وقفة ارتفع صوت الأكف بالتصفيق .. وأرتج المكان بالاهتمام والثناء .. من هنا أبدأ .. من هنا تولد ميٌّ زيادة

■ ■ ■

ردود الأفعال .. بعد ليلة الميلاد

إلياس في نشوة يقلِّب الصحف :

- والله يا نزهه مي إمبارح كانت مذهلة .. شو بدك تقولي فيها قولي .

في سعادة تقرر نزهة والدة مي :

- مي تستاهل كل الخير يا إلياس .. وأنا ليل نهار عم بادعي لها

تشرأب مى شاردة :

- يهمني أعرف لطفي السيد بالذات رأيه إيه ؟

يقرأ إلياس من الصحيفة :

- إسمعوا .. إسمعوا معي الأهرام شو عم بيحكي عنها .. وكانت كلمتها غاية البلاغة وحسن التنسيق .

تقرأ نزهة :

- والمقطم شوفوا شو بتحكى عن مى .. وأردفت الخطاب بفذلكة منها هى السحر الحلال فى دقة معانيها وعذوبة ألفاظها وجمال أسلوبها فوقعت أقوالها أحسن وقع فى نفوس السامعين .

يقاطعها إلياس :

- والمؤيد عم تحكى عن مى تدروا شو بتحكى ؟ إسمعوا .. أخذت بمجامع القلوب وحركت العواطف فاستعادوا جملها البليغة وعباراتها الرقيقة

ومع صوت جرس التليفون يتناول إلياس سماعة الهاتف ليرد :

- ألو مين بيحكى ؟ نهارك سعيد يا إدريس بك .. كله من فضلك .. الله يزيد

فضلك .. أشكرك .. شو ؟

«صوت إدريس من التليفون » :

- شفت الجرايد كاتبة ايه عن مي ؟

يجيبه إلياس :

- إى .. إى والله بنتصفح الجرائد هون كلنا .. إى مى .

ترفع مي كف فيتو ذو معنى فيعتذر إلياس :

- مى بالغرفة بعد ما صحيت .. إى إى بنشوفك هون الليلة عينى مع السلامة إدريس بك .

يضع إلياس سماعة الهاتف .. تقرر نزهة وهي تقرأ :

- جريدة لانوفيل عم بتحكى عن مي .

- والله يا نزهة كل الجرايد صارت عم بتحكي عن ميٍّ أكتر ما كانت عم بتحكي عن الولدين اللي قتلوا الدبلوماسي الإنجليزي .

تتسائل نزهة :

- شو صار صحيح إلْهم ؟

تتألم ميٍّ بمرارة :

- بعد ما قبضوا عليهم .. سعد باشا زغلول لما مسك نظارة الحقانية متعطلة القضية .

يقرر إلياس بمرارة أيضاً :

- أصعب إشي علي الشعوب الاحتلال .

تهرب مي بالحديث من منطقة الأحزان وتؤكد قدرتها على تحويل مسار الأحاديث وملكاتها في توجيه الحوارات :

- بِدي أعرف لطفي السيد شو كتب ؟

يبحث إلياس :

- وينها الجريدة .. الجريدة معك .

تتناولها مى وتقرأ :

- أيوه .. لطفي السيد بيقول .. وألقت خطبه بليغة تذوب رقه لا يُعرف أيهما كان له الحظ الأكبر فى التأثير .. أبلاغة الخطبة أم فصاحة الخطيبة وحسن إلقائها .

«ثم تتوقف مي لتحدث ذاتها بأغوار ضميرها » :

- هوة ده بس اللي يهمني أعرف كتب إيه .. أحمد لطفي السيد .. أحمد لطفي السيد وبس .

■ ■ ■

لطفي السيد والعقاد

لقاء بديع بين العقاد ولطفي السيد يبحث السياسة ثم سرعان ما حدثت مفاجأة !

أكد العقاد :

- الساعة الخامسة تماماً يا أستاذ لطفي .. وهكذا مواعيد العقاد دوماً .

يبتسم لطفي السيد في سعادة :

- مواعيدك يا أستاذ عقاد ولا ساعة بج بن .

- كان نفسي أبارك لك علي عضوية مجلس الشورى .. لكن يبدو أن الإنجليز يقلقُهم أن يتبوأ الأستاذ لطفي السيد مقعد الجمعية التشريعية فأسقطوك في الدقهلية رغم شعبيتك الجارفة.

- يكفينا نجاح سعد باشا زغلول .. كده يبقي ما خرجناش م المولد من غير حُمص .. لكن والله يا عباس الوضع ما يطمنش .. محمد فريد يهاجر برة مصر .. وسعد باشا مضطهد في بلده .. وأنا بيتآمروا على إسقاطي .. وانت على رأس القائمة السوداء عند الإنجليز يا عباس .. احنا زهقنا .

- الأمر مريب يا لطفي بك .. لا بُدَ من موقف وطني موحد .. هذا في قناعاتي هو الحل.

ثم يفجر لطفي السيد فكرته المباغتة :

- وايه رأي العقاد في حفلة خليل مطران ؟

- أنا لا تروقُ لي حفلاتٌ ينظمها عِلية القوم ويتصدرونها في أبهة .. ليكال الشعر والغناء في طلعتهم السنية .. مقابل كيسٍ من دنانير الرشيد

يرميه لطفي السيد بنظرة باحثة ذات معنى :

- إذا راقتك الآنسة ميٍّ زيادة

يشرد العقاد مع ضميره ويردد خلسة :

- مي زيادة ؟ ومن هي مي زيادة حتى تروق للعقاد أو تحرك فيه ساكناً .

لتنذر سماء المستقبل بغيوم سوداء وأمطار غزيرة .

■ ■ ■

مي وجبران .. في ليلة مطيرة

مي جالسة في غرفة مكتبها تطالع رسالة لجبران خليل جبران بود وشرود عاطفي :

صوت جبران :

- عزيزتي مي .. بداية أهديكِ صورتي .. علمت أنكِ كنتِ أكثر من رائعة يا مي وأنتِ تقرأين كلمتي في حفل خليل مطران

تشرد مي فتجيبه والهة :

- جبران .. خذني إليك .

يأتها وجه جبران حين يطل إليها من الورق :

- وعلمت أيضاً يا مي أنكِ تربعتِ علي عرش القلوب في تلك الليلة .. فهلا ضمَّنا عش جميل .. بأعظم رباط مقدس ؟ ثمة رغبة تزلزل كياني وتهدهد فكرى

تجيبه مي بدلال الأنثى الأريبة :

- إننا لا نتفق فى موضوع الزواج يا جبران .. أنا أحترم فيك أفكارك وأُجِّل مبادئك لأنني أعرفك صادقا في تعزيزها مخلصا في الدفاع عنها وكلها ترمى إلى مقاصد شريفة وأشاركك أيضا في المبدأ الأساسي القائل بحرية المرأة

- إذاً لماذا تؤجلين ذلك القرار يا مي؟

- فكل رجل يجب أن تكون المرأة مطلقة الحرية بانتخاب زوجها من بين الشبان يا جبران .

- ولكنني بحاجة إليكِ يا مي .

- إنني أعترف بأنني أقدرك لأنأى مدى وأجلُّك لأبعد تصور .

- وأنا أعترف أنكِ سراج الحب الذي ينير درب حياتي .. وأنكِ تقضّين مضجعي .. وتلهبين فكري وجسدي يا أروع وأرق ميٍّ

- وأنا أعترف أيضا أنك تسبح في أوصالي وتعبث بخاطري يا جبران .. لكنني أعتقد أيضا إنه من حقي أن أنتخب زوجي من بين جميع الشبان .

فهل ستنشطر مشاعر مي زيادة في شتى القبائل ؟!

■ ■ ■

صالون مي زيادة .. كلاكيت مرة أخرى

المكان : منزل مي زيادة بشارع مظلوم بالقاهرة .

الزمان : منتصف عام ١٩١٤ « بعد نشوب الحروب العالمية الأولى » .

الحدث : صالون مي زيادة .

الضيوف : نجوم الفِكر والإبداع في حضرة مي .

***

أنطون يتحدث وهو يقدم شبلي شميل :

- وحين تكون هناك مشاكسة ومعركة تشتعل فاعلمي أن هناك شيخ المفكرين الدكتور شبلي شميل .

يدخل شبلي بضجر :

- سعيده .. حاجة آخر قرف دوشة ووجع دماغ .

ترحب به مي :

- اتفضل يا دكتور شبلي

يستأنف أنطون :

- وحين يدعون للعروبة شيخاً فليس سوى أحمد زكى .. أتفضل يا شيخنا .

تحييه مي ويتخذ موقعه ويعاود أنطون تقديم رجال الصالون الجُدد :

وحين يكون للعروبة شيخاً فبالتأكيد للقضاة شيخاً :

- معنا شيخ القضاة عبد العزيز فهمي .. وللشعراء برضه شيخا مشرفنا إسماعيل باشا صبري شيخ شعراء زمانه ..

يشعر إسماعيل صبري في سعادة :

- أهلا بنهر الشوق والفكر فداكِ نحن .. يا أرق من سارت على قدم .. من أمس وإن أوغلنا فى القِدَمِ .

تنتشي مي طرباً :

- يا الله .. يا الله متشكرة جداً يا إسماعيل باشا .. إتفضل .

يقرر أنطون :

- وكالعادة معنا شيخ الصحافة داود بركات .. وللشعر برضه رجاله فهل يغيب عنا شاعر الأقطار العربية خليل مطران ؟ فليتفضل .

يدخل خليل مطران وسط عاصفة من تصفيق الحضور .. فيستأنف أنطون قائلاً :

- وحين يأتي شاعر الأقطار العربية تفتكروا ممكن ما يشرفناش لنسعد به شاعر النيل.. حافظ إبراهيم

فيدخل حافظ إبراهيم وتعاود عواصف التصفيق ويستأنف أنطون :

- ومن أرباب الشعر وثوار القصيدة يشرفنا الشاعر الثائر الكبير ولى الدين يكن .. وكالعادة يشرفنا شيخ الخطاطين نجيب هواويني .. ولضبط الإيقاع يشرفنا الأديب المحافظ مصطفى صادق الرافعي .. فليتفضل .

يدخل الرافعي ويرفع يده بالتحية :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحييه مي باحترام وهو يرفل في زِيِّه الأزهري :

- أهلاً يا أستاذنا الجليل .. إتفضل

يعاود أنطون تقديمه للضيوف :

- وللعلم والشرع رجاله لذا لم يخلفنا الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق موعداً فليتفضل .

يدخل الشيخ الجليل مصطفى عبد الرازق :

- سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. يا مرحباً بذات الوجه الأنور والجبين الأزهر .. والفكر الذي سما فناهز الثريا .

تهرول نحوه مي لتصافحه في سعادة :

- أشكرك يا مولانا .. شكراً شكراً يا شيخ مصطفى .. اتفضل .

ثم يتهلل أنطون سعادة :

- ها قد أقبل .. وكنت أظنه تأخر عنا وتخلف .. كوكبة الشعر وجامعة الكلمة .. سيد الشعراء وحجة القصيدة أحمد شوقي .. فليتفضل .

تهرول أيضاً إليه لتصافحه رغم هدوءه :

- اتفضل يا شوقي بك

يرنم أنطون بقوله :

- شعر .. أدب .. دين .. فكر .. صحافة .. فن .. لسه إيه تانى ؟ شرفنا حالاً فارس الفلسفة فى الجامعة المصرية الأستاذ الدكتور منصور فهمي فليتفضل .. ودعوني أزفُ إليكم بشرى حضور فارس المرحلة وبؤرة التوتر الصحفي المتفجرة الكاتب الصحفي الشاب النابِه طه حسين قريباً في الصالون القادم .

يدخل منصور فهمي وسط تحية ثم يبتسم أنطون :

- ألا تكفى هذه الكوكبة العطرة لإحداث هزه أرضية فى كوكب الأرض حين يجتمعون .. نكتفي بهذا الليلة .

تتسائل مي في دلال :

- خلاص يا انطون ؟

يتراجع انطون ليتخذ موقعه وهو يشير لها :

- إتفضلي يا آنسة مي أضيئي وسط ضيوفك كالقمر بين الكواكب والأنجما .

«فجأة يعلو الأجواء صوت جرس الباب» .

ينهض أنطون ليفتح الباب مسرعاً :

- مسك الختام .. ريحانة الندوة .. وبلبل الصالون .. سهم الكلمة ساحر اللغة .. أسطورة المعنى .. سيد الحروف .. أستاذ الجيل أحمد لطفي بك السيد فليتفضل .

يطل لطفي السيد وهو يحيي الجموع الذين ينهضون جميعاً لتحيته في إجلال وود :

- مساء الخير يا آنسة مي

ثم يتدارك مصححاً :

- مساء الخير جميعاً .

وهي تتفحص عيناه باحثة في ود وتقدير وسعادة مذهلة :

- ليلتك سعيدة يا لطفي بك نورت صالون مي .. مي زيادة .

« ثم تشرد لتصغي مي لصوت ضميرها » :

- أكاد أعتصر يدك بيدي .. إن في عينيك لغة جديدة .. وسحر فريد .. وآشعة لم تكتشف بعد .. إلى أين ستصل بي ؟ لست أدري !! ولكن ها هو لطفي السيد بذاته .. لطفي السيد الذي طال انتظاري إليه .. والآن .. للصالون وضع آخر .

فجأة يدخل إلياس من الخارج وهو يحمل أكياساً في حضنه ثم يبتسم للجميع :

- مساء الخير .. أنا آسف جيتوا كلكم هون .. والله مرتي رأسها وألف سيف

لازم أجيب لها كل متطلبات المطبخ وإذا ما جبت لها .. بتسوّحكم الليلة .. لا بن .. لا شاي .. لا عصير ليمون .. لا أي مشروب .. ثواني .. باديلها طلباتها وبارجع لكم حالاً .. وبنحكى هون للصبح .

« صوت ضمير مي » :

حتماً ستتحول دارنا إلي قِبلة لأهل الفكر ومزاراً للعارفين بفنون الكلمة مساء كل ثلاثاء .

وهكذا يدخل صالون مي زيادة مرحلة متقدمة ووجوه جديدة ..

■ ■ ■

الست نزهة .. أحلام مي !!

في شرفة غرفة النوم تجلس مي ترتشف القهوة .. تدخل والدتها السيدة نزهة وهي تحمنل بعض أطباق الفاكهة على صينية ثم ترميها بنظرة ود ذات معنى :

– شو بده الجميل .. كل الكبار كانوا هون .. بمنزل إلياس زيادة .

تشرأب مي بثقة وزهز وود :

– علشان مي .. مي زيادة .. مطران .. شوقي .. حافظ .. الرافعي .. يكن .. أنطون .. لسة مش كفاية .

تتسائل والدتها نزهه :

– كل دول وغيرهم ما يكفوا يا مي ؟ ما يكفي لطفي السيد وحده ؟

– مش كفاية يا ماما .. مش كفاية .. الأميرة نازلي فاضل زوارها سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وحسن عبد الرازق وحسن عاصم .. لكن ..

– يا بنيتي .. انتي عندك أحمد شوقي ولطفي السيد وخليل مطران

تشرد مي في ود :

– وفين جبران .. أوووه .. مرة أخرى أتذكر جبران .. لكن ..

– لكن فيه حافظ إبراهيم .. والمازنى .. ومحمد التابعي .. عايزة مين تاني ؟

– فيه آخر وأخطر موضة في عالم الفكر ودنيا السياسة .. القنبلة المدوية والإعصار الرهيب المسمي بـ عباس .. عباس محمود العقاد .

يا ربي لو أشوفهم كلهم عندي في الصالون ؟!

لطفي والعقاد .. كمان .. وكمان

في مكتب لطفي السيد بجريدة « الجريدة » يتواجه والعقاد الذي يسائل أستاذ الجيل :

– إن هروب محمد فريد ليس فرار المجرم الهارب .. وإنما هو إحجامُ صاحب الحق عن الدفاع عن قضيته .. فبقدر ايمانى بقضية محمد فريد إلا أنني أستنكر خروجه من الميدان خصوصاً على ظهر الوابور الروسي الملكة أولجا في السادس والعشرين من شهر مارس الماضي .

– والله يا أستاذ عباس أنا حاولت التوسط له أكثر من مرة لدى ولاة الأمر .. لكنه للأسف ركب دماغه .

– رحيل محمد فريد إلى أزمير يا أستاذ لطفي ليس هو الحل .. يجب أن يدرك فريد أن قضيتنا لن تحل إلا من هنا .. من مصر .

– الأمر خطير يا أستاذ عباس ليس فقط على الساحة الداخلية .. وإنما الموقف ينذر بهبوب حرب عالمية كبرى .. النمسا وألمانيا وكل أوروبا على وشك الانفجار .. الواحد يقول يا لطيف .

– ولما الموقف قابل للانفجار يا أستاذ لطفي .. هل تعتقد أن جلسات السمر في صالون تلك الآنسة هو الحل لأزمات العالم الثالث ؟

يضحك لطفي السيد :

– هأ.. هأ .. هأ آه فكرتني بالمناسبة .. والله الآنسة مي سألتني .. وماذا عن ذلك الصاروخ المنطلق في دنيا الفكر والأدب الشهير بعباس محمود العقاد قلت لها .. في السكة .. زمانه جاي .

- في السكة ؟! زمانه جاي ؟! هل أخبروك يا لطفي بك أن عباس العقاد تحول إلي قطار سكة حديد ؟

- يا راجل قطار إيه .. ما رأيك تصحبني يوم الثلاثاء القادم إلي صالون الآنسة مي ؟

- بذلك تضطرني لأن أعتبر ذلك رجاءً من أستاذ أقدره خصوصاً حين يكون الأستاذُ بدرجة أحمد لطفي السيد .. آنذاك أقول لا بأس .. رغم تحفظي علي ذلك الصالون.

- الشيخ طه حسين وعدنى بالحضور .. والمازنى ومحمد التابعى .

- طه حسين ! آنذاك آن للعقاد أن يمدد قدميه فى صالون مى .. ويغبِّر حذاءه عناء المسير حين تكون حرباً في صالون الآنسة مي لا تُبقِ ولا تذر .

■ ■ ■

صالون مي .. كلاكيت آخر

صالون مي يعج بكركبته يتوالى الضيوف بالحضور ..

مع صوت جرس الباب ينهض إلياس أفندي زيادة ليفتح وهو يردد :

- هذا والله لطفي بك السيد .

فيسبقه أنطون وينهض مهرولاً ليفتح الباب قبل إلياس :

- ما في غيري يفتح هذا الباب المتسكر .. يا هلا .. والله هذا الأستاذ نجيب هواويني .. يا هلا .. والله ما هوه وحده .. معه الشمس والقمر .. ولما أقول الشمس على طول نعرف أنه أحد أعمدة الفكر المعاصر الشيخ طه حسين والقمر بدون تعليل وبدون أسباب هوه الأستاذ الموهوب محمد التابعي .

استقبال حار ..

يتمتم طه حسين :

- يا أهلاً وسهلاً بالنور الذي أضاء الأنوار بعد أن وهج الظلام بسناه

تصافحه مي في سعادة ولهفة :

- الله .. الله .. اتفضل هنا يا شيخ طه

يبحث التابعي بناظريه في أرجاء الصالون :

- الأستاذ العقاد وعدني بالحضور .. لكن يظهر إنه أخلف موعده

فجأة يظهر عباس العقاد بالباب وسط دهشة الحضور :

- لا .. فالعقاد لا يخلف موعداً .. العقاد إذا قال صدق .. وإذا وعد وفَّى .. غير أني لم أحدد في أي وقت سيأتي العقاد .. ها أنا ذا بينكم .

فتهرول إليه مي وتلتزمه مصافحة :

- الأستاذ عباس العقاد ؟! مش ممكن .. أهلاً يا أستاذ .

يتسائل طه حسين وهو يهمس لجاره إسماعيل باشا صبري :

- العقاد وصل فعلاً ؟

يجيبه إسماعيل صبري بضجر وحيرة مع شعورٍ بالغيرة :

- نعم .. العقاد بنفسه يا شيخ طه .

«صوت ضمير طه حسين »:

- بذلك يصبح في حكم المؤكد الذي لا مرية فيه أن الليلة لن تمر بسلام .. وهذا هو الغالب على ظني .. الأمر لله .. له الأمر من قبل ومن بعد .. إنا لله وإنا إليه راجعون

أنطون يقرر :

- وأبى التاريخ إلا أن يقذف لنا بكبده فأرسل لنا الأستاذ الكبير إبراهيم عبد القادر المازنى يا ميت هلا

تمسك مي بيد عباس وتذهب به إلى جوارها ليصبح لطفي السيد عن يمينها والعقاد عن يسارها .. ثم تبتسم في سعادة ونسمع صوت ضميرها " :

- كلهم هنا ..لم يتخلف من الكبار أحداً .. إلا جبران .. فمتى يأتي جبران ؟ جبران .. متى تأتي حتى تكتمل حبَّاتُ العقدِ الذي أزين به صدري .. من هنا يا جبران تحدثنا في كل شيء .. في الشعر .. في الأدب.. في الفن .. في السياسة .. في الحب .. في جبران .. تغنينا بك .. تألمنا معك .. تعذبنا مثلك من هنا .. وهنا يا جبران اجتمع جهابزة الفكر وسدنةُ الكلمة .. من فرسان الشعر وأساطينِ الأدب .. وأهلِ السلطة ورجالِ الدين .. جميعهم يا جبران تشببوا بى .. اشرأبت أعناقهم إلىّ في غير هوادة ..

وهللوا نشوة حين أسكرتهم كلماتي وعباراتي التي تعلمت منك فنون الغزل .

ثم تنبري مي بالحديث :

- بداية أحب أرحب بضيوف الصالون الجدد .. الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني والأستاذ الكبير محمد التابعي .. وترحيب خاص بشمس هذا الصالون الشيخ طه حسين .. وترحيب أشد خصوصية بجبل الفكر وجلمود الرأي المشاكس الأكبر الأستاذ عباس محمود العقاد .

هنا يشخص طه حسين برأسه لأعلى في تساؤل صامت لذاته معترضاً :

- واشمعنى يعني الترحيب بالعقاد أشد خصوصية من طه حسين ؟!

تردف مي زيادة :

- إحنا في الحقيقة جلستنا مفتوحة في أي شيء في الجد في المزاح .. في الفرفشة في السياسة .. يعنى ما فيش تقيد زي ما اتعودنا في الصالون قبل كده .. ومافيش حد بيبتدى الكلام أو بيقدم الكلمة أو المتكلم .. يعنى إحنا مش في مدرسة .. وكلنا أصحاب المكان .

ثم تلتفت للعقاد :

- يا ترى بقى إيه رأي الأستاذ عباس العقاد ؟

بثقة الأريب الهادئ وسط ترقُّب الجميع وشخوصهم نحوه :

- في الحقيقة أنا أسعد لوجودِ هذا الجمعِ الغفيرِ من أرباب الكلمة والفكر إلا أنني أهيب بناديكم الموقر ألا أبدأ بالكلمة في حضور أمثال شوقي وحافظ وغيرهما .. من كل ذلك الجمع البارز

«هنا يعترض ضمير صوت طه حسين صامتاً »:

- وماله طه حسين .. مش داخل دماغك ؟

يستأنف العقاد حديثه :

- فإن كان لامحيصَ بالسيف مقتول .. فلا يسعني إلا أن أضع زهرة من عبق فكر كل هؤلاء ثم أوقع عليها وحدي وأقدمها لك وحدك .. لا تكاد تغادر ناظريكِ أبد الدهر

يقاطعه طه حسين :

- يا سيدى .. يا سيدى .. وأنا وددت لو أنني قطعت لكِ ذلك الأنفَ الجميلَ حتى لا تتشممي وردة العقادِ الصناعيةَ مستعيضاً لك عن أنفك بحبتين من الكريز أو زهرتين يانعتين .

ينتبه أنطون لشوقي فيتسائل :

- شوقي بك.. سيد شعراء العصر .. سرحان في إيه ؟

يقرر شوقي بهدوء وثقة حين يتفوّه شعراً :

أسائل خاطري عما سباني ... أحسن الخلق أم حسن البيان
رأيت تنافس الحسنيين فيها ... كأنهما لمية عاشقان
إذا نطقت صبا عقلي إليها ... وإذا بسمت إليَّ صبا جناني
وما أدري أتبسم عن حنين ... إليَّ بقلبها أم عن حنان
أم أن شبابها راث لشيبي ... وما أوهى زماني من كياني

تنتفض مي طرباً ونشوة :

- يا الله .. يا الله .. يا الله

فيهيج إسماعيل صبري ويقرر :

- أنا كتبت بيتين من الشعر أمس .. كنت مريضًا وخفت أتأخر عن الصالون

فكتبت :

روحي على بعض دور الحق هائمةٌ　　كظامىء الطير حواماً على الماء
إن لم أمتع بمي ناظري غداً　　أنكرت صبحَك يا يوم الثلاثاء

تعاود مي الانتفاض بهيام وإعجاب شديد :

- يا الله .. عظيم .. عظيم يا إسماعيل باشا .

هنا تتدخل نزهة هانم بالحديث :

- يا الله هدا الشعر ولا بلاش

بتعقُلٍ وتؤدة يقرر لطفي بك السيد :

- أنا أنصح الآنسة مي بدخول الجامعة المصرية .

تومئ باهتمام واقتناع وود :

- والله فكرت من زمان يا لطفي بك .. لكني اتشغلت .

يؤكد لطفي السيد :

- وأشد ما أنصح به هو أن تقرأي في القرآن الكريم .. وتدرسيه .. لأنه سيقويّ لغتك العربية .. واضح أن اهتمامك باللغات الأجنبية في السنوات الماضية حال دون إحكامك علي قواعد العربية .

- والله نصيحة مهمة جداً يا لطفي بك .. وأوعدك إني ح أدخل الجامعة عن قريب .. وح أدرس علوم القرآن .. بس أنا عايزة أتخصص في دراسة الأدب والفلسفة .

يحاول طه حسين أن يغيّر الحديث فيتوجه صوب إسماعيل باشا صبري جاره :

- هلاّ أعاد شاعرنا الفذ إسماعيل باشا صبري معزوفته السالفة ؟

فيقطاطعه عباس العقاد ضجراً :

- عجباً لهذه الحرب التي دارت رَحاها فى أوروبا من سويعات وإن أخشى ما أخشاه أن تمتد لظاها إلينا عن طريق طرابلس الغرب .

يقرِّعه طه حسين بدهاء :

- بل عجباً للأستاذ العقاد ! كأنه يجلس وحده ليعلِّم صغاراً في إحدى كتاتيب القرية .. يريدُ أن يستأثر بالحديث .. فيهمل من يشاءُ ويتحدث فيها يشاء ؟!

يبتسم له لطفي السيد في ود :

- لا يا شيخ طه .. انت اللي شديد الحساسية شوية .. وبالنسبة للحرب يا سيدي .. سواء عن طريق طرابلس الغرب .. أو طرابلس الشرق ماذا تظن أنا له فاعلون .. سيبها لله يا مولانا .. قول يا كريم .. ربنا موجود .

تؤكد مي زيادة :

- ربنا موجود يا أستاذ عباس

يعترض شبلي شميل بقوة وغضب مما يسترعي الإنتباه عجباً :

- الطبيعة موجودة .. الطبيعة موجودة .

يتأفف الشيخ مصطفى عبد الرازق :

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. الراجل ده لسه ملحد برضه ؟

يتجاهله شبلي ثم يتوجه صوب إسماعيل صبري باشا :

- أعد .. أعد يا إسماعيل .. فالطبيعة موجودة .

تتعجب مي بابتسامة وتقول لـ«د. شبلي» :

- أنا باستغرب إزاي تكفر بالله وتؤمن بداروين ؟ إنت متعصب للإلحاد يا دكتور شبلي

يعترض شبلي بإصرار :

- داروين صاحب نظرية علمية مقنعة.. إسمها النشوء والإرتقاء .. إنتوا بقى فين النظرية بتاعتكوا .. الطبيعة .. أنا أؤمن بالطبيعة .

يتأفف حافظ إبراهيم غضباً :

- أعوذ بالله ..

يبتسم طه حسين بدهاء :

- مع تسليمنا بحرية الاعتقاد .. وبغض النظر عن مناقشة دروس العقيدة في هذه المسألة .. نري أنها معركة شيقة بين الدكتور شبلي وأخوانا من معارضيه النشامى .

لطفي السيد يحاول تهدأة الأجواء :

- يا إخوانا دعونا من التطرف ... ليؤمن كل إنسان بما يرى .. المهم دلوقتي نسمع خليل مطران

يعترض مطران بحسم :

- مطران مش ح يتكلم في حضرة الدكتور شبلي شميل .. لأنني أحبه لكنه يحب تشارلز داروين .

بينما نجيب هواويني غاضباً :

- أنت بتحب الدكتور شبلي وهوه بيحب داروين وربنا لا بيحبه ولا بيحب داروين بتاعه

ينهض شبلي شميل وهو يضرب هواويني بعصاه :

- أقول له الطبيعة يقول إيه ؟ طيب تعالى بقى ..

هواويني مازحاً : هأ .. هأ .. هأ .. آه .. آه أبعدوا الراجل ده .. هأ .. هأ

بدهاء الأريب :

- طه حسين : إن للدكتور شبلي لشطحات .. لكنها على غرابتها تبدو مسلية.

يعترض العقاد وينهض حاسماً جاداً :

- مسلية ؟ والله لأقاطعن مجلسَكم هذا حتى يتوب ذلك الشبلي أو يهلك وإن شئتم أن تتسلوا .. فها هو تلميذُ داروين .. يعبدُ القرد ولا يؤمن بالله .. لبئس ما تفعلون .

ثم لمي دون أن يصافحها :

- لتأذن لي الآنسة مي .. وليعذرنا جمعكم الموقر إلا ذلك الشبليَ عابدَ القرد وداروين .

فتهرول خلفه :

- عباس ..

لكنه خرج بالفعل ..

■ ■ ■

محاولات لطفي السيد

في مكتبه بجريدة "الجريدة" يحاول لطفي السيد استمالة العقاد الغاضب الحاسم :

– يا أستاذ عباس الأمر أهون مما تتصور .. سبلي ده راجل عجوز .. وأنت عارف الجماعة بتوع العلم لما مخهم يضرب

-- أنا أقسمت يا أستاذ لطفي ولا راد لقسمي

– كفّارة القسم صيام ثلاث أيام متتالية يا أخي .

– إنني أعتذر يا أستاذ لطفي بك .. ولا أحب أن يؤخذ عني أنني رجّاع فيما أذهب إليه

– والآنسة مي !

– مي ؟ .. الآنسة مي ؟! مالها الآنسة مي ؟

– ماذا لو أغضبها انقطاعك عن الصالون .. ثم ماذا أنت فاعل يا فتى بفعلتك المهببة وأنت الأستاذ عباس العقاد الذي لا تفوته شارده ولا واردة .. تروح خارج كده لا إحم ولا دستور اسمح لي يا أستاذ .. لقد أسأت التصرف ..

– إن ما صنعتُه كان عن قناعة لا مرية فيها .. وما سيحدثُ هو قرارٌ يا أستاذ لطفي

– الأمر فيه فسحة كبيرة يا أستاذ .. والدين يسر لا عسر .. والله مصيبة الحرب اللي شغَّالة دى عواقبها بالنسبة لنا تنذر بمصيبة مستخبية يا عباس .

– ربنا يستر يا أستاذ لطفي لقد قلنا ذلك من قبل فقلتم لا يعنينا طرابلس الغرب ولا طرابلس الشرق .. والآن حين تصطلون نار الوغى تقولون ساورتنا المخاوف !

– ربنا يستر يا أستاذ عباس .

خلع الخديوي عباس

الأحداث السياسية تشتعل مع الحرب العالمية الأولى .. خلع الخديوي عباس حلمي التانى وتولية حسين كامل .. وفرض الحماية على مصر .

في قصر القبة وتحديداً جناح الخديوي عباس .. تتأجج الأمور لحظة وداع الخديوي .. إنها مشاعر اللحظات الأخيرة .

يحدث الخديوي عباس رجاله بثقة وإيمان صادقين :

– انتوا زعلانين علشان انتوا يمشوا من قصر؟ آه .. انتوا كمان لازم يمشي .. شوفوا أي حد يجلس على الكرسي دي .. لازم ينسى اسمه ويفتكر اتنين حاجة بس .. أول حاجة .. لحظة دخوله .. والحاجة التاني لحظة خروجه .. هوه دي أصعب لحظات عمره .. لحظة الدخول بتكون راس مرفوع لفوق والكل حواليك .. خدم خراسيس رهن إشارات.. وبرقيات تهاني .. ومكالمات وتربيطات .. زمان .. في واحد دولة كبير .. فيه مُشكل كبير .. نظام سياسي فيها ح يتغير .. رئيس دولة تاني أمر رجالته كتبة بيكتبولوا جوابات ..خطابات يكتبوا اتنين جواب .. واحد للملك الحالي لو نجح في سيطرة على موقف متمردين .. يقولوا فيها حمداً لله على سلامتك .. نحن دائماً مع شرعية دولية .. ألا فليخسأ المتمردين الذين أرادوا أن يسلبوك ملكك .. وكتبوا في رسالة تاني .. ألف مبروك وصولكم للسلطة .. نحن معكم ونتعشم عهداً جديداً لدولتكم .. وعلاقات طيبات بين بلدين .. ونجح متمردين في الوصول للسلطات .. اتلخبط جوابات .. كتبة ملك .. أرسلوا جواب تاني .. اللي فيه ألا فليخسأ المتمردين .. واستمرت الحرب بين الدولتين عشرين سنة ناشد باشا .. بسبب خطاب خطأ .. هي دي السياسة .. انك لازم تبقي عينك في وسط راسك

.. وأنـا الآن أعـيش اللحظـة التانيـة .. نلملـم حاجـات .. وخـارجين زي الحُرمـات المسكينات ..ولايا ناشد باشا .. ولايا .. أنا حبيت هذا البلد .. وحافظت عليه كتير .. لكن فيه مشكل كبير ناشد باشا .... أي خـديوي أو سـلطان أو حـاكم اقعـد عـلى الكرسي هذا .. فيه حاجات كتير مش يقدر يعملهـا كـويس .. فيـه ضرورات دوليـة .. وموازيين قوى .. ورؤى مصلحية .. وفيه كمان نظرية فقهيـة تقـول .. درأ مفاسـد مُقدم على جلب مصالح .. يعني ممكن فيـه ضرورة مـش يعجـب النـاس انـت يبعـد بيها واحد مفسدة كبير .. زي حكاية ولاد قتلوا دبلوماسي إنجليزي .. في بلاد كتـير لعبة سياسة بقاء فيها للأقوى .. وأنا مش أقـدر يواجـه بريطانيـا العظمـى .. سـلامو عليكوا .. ربنـا يـولِّي مـن يصـلح .. ربنـا يكـون في عونـك سـلطان حسـين مسئولية صعب كبير .. جدي محمد عـلي باشـا الكبـير عليـه رحمـات كثـيرات قـال : البلـد دي صعب .. مش ممكن أي نفر يقدر يحكمه.

«تتعالى أصوات الجموع يرددون بالخارج» :

الله حي عباس جي

الله حي عباس جي

الله حي عباس جي

الله حي عباس جي

تغرورق عيني الخديوي عباس بالدموع فيحاول إخفاء عيناه ويقرر :

– والله زمان فريد بك .. سلمولي علي محمد بك فريـد .. قولـوا لـه : عبـاس .. اللي كان خديوي البلد دي .. يسلم عليك .

■ ■ ■

سجن رموز الوطنية .. من زبائن صالون مي !

في مكتب أمين الرافعي بجريدة الشعب أمين الرافعي وعبد الرحمن الرافعي وعبد الله طلعت يتواجهون في ود حين يقرر أمين :

- شوف يا عبد الرحمن .. احنا قرارنا واضح .. سلطات الاحتلال عايزانا ننشر بيانها بخصوص فرض الحماية علي مصر .

- هوه ده المستحيل بعينه يا أمين .

- يا عبد الرحمن يا اخويا أنا عارف انه مستحيل .. لكن احنا عايزين قرار ثلاثي حالاً .. ح نبقي مسئولين عنه قدام التاريخ .

- يا تري عبد الله بك طلعت شايف ايه ؟

يجيب عبد الله طلعت بود :

- يا أمين بك سعادتك رئيس التحرير .. وحضرتك والأستاذ عبد الرحمن الرافعي وأنا .. كلنا وطنيين .. وتهمنا مصلحة مصر .. والحزب الوطني قام علي أسس نضالية ووطنية ما فيش قوة ممكن تهزها .

يؤكد عبد الرحمن :

- حتى لو كانت بريطانيا العظمى نفسها .. مصر فوق كل الدنيا .

يتسائل أمين باحثاً بيقين :

- يعني أقدر آخد القرار وأنا مش قلقان م البوليس الإنجليزي اللي واقف لنا برة في الشارع

ثم يتوجه نحو عبد الله طلعت آمراً بود :

- اكتب يا عبد الله بك .. قررنا نحن أمين وعبد الرحمن الرافعي وعبد الله بك

طلعت .. قررنا احتجاب جريدة الشعب جريدة الحزب الوطني ابتداء من اليوم ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ وذلك لعدم نشر بيان الحماية المشئوم وذلك احتجاجاً من جريدة الشعب علي الحماية البريطانية وعلي ذلك نوقع .

في هذه اللحظة يقوم جنود الإنجليز بكسر الباب والقبض على أمين وعبد الرحمن الرافعي وقودهما !!

■ ■ ■

الصالون .. يتألم .. ويعترك !

عن يمين مي يجلس لطفي السيد بينما مكان العقاد خالياً عن يسارها .. في حين يجلس طه حسين وإسماعيل صبري وبقية الروّاد على الجانبين خليل مطران وأحمد زكي شيخ العروبة وولي الدين يكن يقابلهم مصطفى صادق الرافعي والشيخ مصطفى عبد الرازق وأنطون الجميل .

تنتفض مي حزناً :

– اعتقال صحفي بسبب رأيه مشكلة عايزة مواجهة قبل ما تتفشى وتبقى عادة زي نزلة البرد .. اعتقال أمين وعبد الرحمن الرافعي بسبب رأي حر .. أكبر جريمة تهدد أهل الفكر .

يؤكد لطفي السيد :

– وهي دي أول مرة ! الحكومة دي أدمنت سجن الصحفيين علشان رأي حر .. انتوا نسيتوا أحمد حلمي وعبد العزيز جاويش وغيرهم ..

بحزن وأسى يؤكد ولي الدين يكن :

– أنا شايف اننا نروح نزورهم كلنا .. بكده يبقي أحرجنا السلطان

لطفي السيد يقرر :

– زيارتنا لهم شئ جميل .. وشعور نبيل ..لكن ما سيعقب تلك الزيارة للأسف ح يكون شئ وبيل .. وبيل جداً .. أولاً سلطة الاحتلال ح تعتبره إعلان من صفوة أهل الفكر عن التحدي الصارخ لوجودها

ومطران يؤكد :

– ثانياً برضه سلطات الاحتلال ح تعتبره تأييد فاضح من وجهة نظرها

لجريمة آل الرافعي .. وقد يؤدي ذلك إلى إغلاق كثيرٍ من الصحف بفرمانات بريطانية .

معترضاً أحمد زكي حين يقول :

- هذا إذا أعتُبرت جريمة يا سيد مطران .. آل الرافعي لما يرتكبا جريمة .. وإن ما حدث يعد عملاً وطنياً بالدرجة الأولي .

يوضح مطران بقوله :

- يا أحمد بك زكي .. أنا أعلم أن آل الرافعي لم يرتكبوا جريمة لا قدر الله .. وكلنا عندنا قناعة بذلك .. كما أننا نشجب

يعترض ولي الدين يكن بحزن وكمد غاضباً :

- بنشجب .. بنشجب !! لغة الشجب ما تنفعش يا أستاذ مطران .. الشجب والنواح ياما ضيع أوطان .. احنا عايزين عمل جماعي من أهل المسئولية ومن حرّاس الكلمة

مستسلماً مطران إذ يقول :

- يعني نعمل ايه ؟ نطلع كلنا بكرة الصبح لحد قصر السلطان ونهتف يسقط الاستعمار .. يعيش آل الرافعي ؟

الشيخ مصطفى عبد الرازق متأففاً بحذر :

- علشان ياخدونا كلنا نشرّف معاهم .

بأدب المعارضة تعترض مي :

- حلمك يا شيخ مصطفى .. ياخدونا ازاي ؟ بريطانيا العظمى بجلالة قدرها لا تجرؤ على ذلك .

وجدها طه حسين فرصة للزهو فشد عنقه معترضاً وسط قلق شيخ الأزهر :

- خوف العلماء من علامات الساعة يا شيخنا الجليل .. وأنتم ردء الأمة وكاشفو البلاء .

بتساؤل مهذب قال الشيخ مصطفى عبد الرازق :

- يعني نعمل إيه يا شيخ طه ؟

يتبرع أحمد زكي بالحديث :

- هل بلغ الخوف منا هذا المبلغ .

يعاود أحمد لطفي السيد تهدأة الأجواء كقائد حكيم :

- يا اخوانا .. الأمر لا يحتاج لكل هذه المعمعة .. بالتأكيد كلنا مع موقف آل الرافعي .

يهتف مصطفى صادق الرافعي حانقاً :

- آل الرافعي مثالاً للوطنية المصرية الأصلية نعم يا شيخ مصطفى .. حاضر .. آه .. آه .

يكتب له لطفي السيد في ورقة ثم يناولها له :

- « نعم يا شيخ مصطفى .. نتحدث عن موقف آل الرافعي وهل تحب زيارتهم في المعتقل أم لا ؟ ».

شبلي شميل باحثاً في تساؤل وهو يخطف الورقة من يدي الرافعي :

- هوه فيه ايه .. كاتبين ايه ؟

ثم يطالعها ويناولها له :

- آه .. ماشي .. كل الدوشة دي علشان ما بيسمعش

في حين يؤكد الرافعي أيضاً :

- لأ .. آل الرافعي عمرهم ما كانوا جبناء .. ما نزورهمش ليه .. عاملين ايه ..



أنا من بكرة .. من الفجر .. من النجمة ح أروح أزورهم لوحدي في سجن طرة .. اللي عايز ييجي معايا يتفضل .. واللي مش عايز هوه حر .. أمين وعبد الرحمن الرافعي شهداء الوطنية في حب مصر .. انهم رجال الحزب الوطني .

بهدوء يقرر لطفي السيد :

– يا حضرات بلغني من مصادر عليا وموثوق منها إن فيه قرار إفراج تحت الصياغة بالنسبة لأمين وعبد الرحمن الرافعي وقريب جداً بإذن الله ح يخرجوا ..

ثم يقرر :

– حد يكتبها في ورقة ويعطيها للشيخ مصطفى صادق الرافعي علشان يطمأن على آل الرافعي .

يشرع أنطون بتناول ورقةوقلم ويكتب :

– بسيطة .. والله خبر مبشر بكل خير .. أنا أتشرف بكتابته .

في حين مي شاردة متفكرة مع ضميرها :

– ووجدنا في بشرى أحمد لطفي السيد خير سلوى على فقدنا المؤقت لرجلين من خيرة من حملوا أمانة القلم ولواء الوطنية .

ثم ينتبه لطفي السيد في دعابة :

– وبعدين تعالوا هنا .. انتوا من أول الليلة وانتوا قاعدين تتكلموا في السياسة .. ايه الحكاية ؟ هوه احنا خلية سياسية ولا ايه ؟ فين الشعر والموسيقى والغناء ؟

ثم لمي :

– اطربينا بأغنية جميلة بصوتك العذب يا آنسة مي .

يشرأب طه حسين في سعادة :

– تطربنا ؟ أيجدي الطرب في مثل هذه الأحيان يا لطفي بك ؟ لا ريب أننا



عيال عليك في فن المواضع والأمكنة واختيار الكلمات المناسبة في مواطنها الأنسب .. إلا أنني أري رغم شوقنا لصوت الآنسة مي الرقراق إلا أنه لمن المؤسف أن تغنينا حتى يخرج آل الرافعي من محبسهما .

ثم تتفكر مي في سعادة وهي تصغي لضميرها يحدثها :

– ها هو طه حسين .. أشعل الدنيا وأقامها وأقعدها .. والغريب أن لطفي السيد غير آبه .. أو لعله يخيل إليَّ ذلك .

بابتسامة دهاء ذات معنى يقرر لطفي السيد :

– يا شيخ طه .. ان ما فعله آل الرافعي بحاجة إلى احتفال شعبي تغني فيه القيان وتُعزف فيه الألحان وتقرع فيه الدفوف .. حتى يعلم الجميع على أرض مصر أن آل الرافعي بررة لهذه الأرض .. وفرسان من فوارس الحزب الوطني .. وسيكون ذلك العرس أعظم صفعة على وجه سلطات الاحتلال .. إن المقاتل المظفّر الشجاع ..إذا ما سقط عن جواده لا ينبغي أن تقام له سرادقات العزاء .. أو أن تُردد له عبارات الرثاء .. المقاتل الشجاع يبقى بطلاً يا شيخ طه .. ولا يجوز النواح عليه .

يتعجب طه حسين :

– والشعب الأحمق يا أستاذ لطفي هو الذي يسرف في الطبل والزمر إذا ما فقد مقاتلاً شجاعاً.

لطفي السيد يداعب طه حسين :

– ونحن لن نسرف في الطبل والزمر يا شيخ طه .. ح نطبل من غير إسراف .. وبعدين يا شيخ طه نحن لم نفقد آل الرافعي كمقاتلين .. حتى لو طبلنا وزمرنا فاحنا ح نطبل ونزمر بمناسبة قرار الإفراج عنهم .

يعترض طه حسين بدهاء الأريب :

- ولكن القرار لم يخرج بعد يا لطفي بك .. ولقد أفصحت منذ قليل أنه تنامى إلى سمعك من مصادر موثوق بها .. لكنك لم تذكر لنا أنك رأيت القرار بنفسك .. فهل تريدنا أن نطبل ونزمر احتفالاً بقرارٍ تنامى إلى سمعك عن طريق الأُذن ؟ كنت أحسبك يا أستاذ لطفي تقيم الاحتفالات بناء علي رأي العين .. عفواً يا أستاذ لطفي .. إقامة الاحتفالات لا تصح بناء علي حاسة السمع إلا لمثلي ممن فقدوا حاسة البصر .. أما إذا جازت في حق من هم دوننا .. فهذا يعني وبكل أسف أنه فقدان للبصيرة .

يتصغي مي لضميرها يخاطبها بتفكُر :

- طه حسين مصيبة في الحجة .. ضليع في فنون الحديث .. مقاتل شرس .. له في كل يوم معركة أو أكثر يحمي فيها الوطيس .. لا يؤمن بالخطوط المستقيمة .. هو دائماً عكس السير .. لكن في وجود العقاد .. لا فالأمر يختلف كثيراً جداً .. يمسي الشيخ طه وديعاً مستأنساً .. لكنه بين الفينة والأخرى لا يفتأ حتى يفجر قنبلة .. تحول قِبلة الأعناق إليه وتدور الرؤوس صوب وجهته أينما حل أو وطأ ..

بابتسامة ود يؤكد لطفي السيد :

- الدكتور طه حسين جاء ليودعنا ..

تصغي مي بانتباه :

- يودعنا ؟ يعني إيه .. رايح الحجاز ؟ ولاّ ح يتجوز ؟

بدهاء يقرر لطفي السيد :

- لا هذه ولا تلك .. أتركه يبلغكم النبأ بنفسه

بهدوء يقرر طه حسين :

- بالنسبة لسفري إلى الحجاز الأمر فيه سعة وقد يكون في العمر بقية ..

وبالنسبة للزواج إن حدث وولِدَ القرار فستكونين أول من يعلمه لا محيص .. بقدر ما يسعدني أن تختارني الجامعة المصرية بفضل أستاذنا لطفي بك السيد أن أسافر في بعثة دراسية لإعداد رسالة عن ابن خلدون .. بقدر ما يحزنني أن أرتحل وأترك هنا مشاعري وخواطري وقِبلة إلهامي .. وصحبة جميلة عبث فيها من عبث ودندن فيها الكثيرون أعظم ترانيم البلاغة والشعر .

مع شعورٍ بالراحة يقرر ولي الدين يكن :

- على خيرة الله .. ألف مبروك يا دكتور طه .. ولا تنس أن في السفر سبع فوائد .

ثم يصغي ولي الدين يكن لضميره يحدثه صامتاً :

- هكذا تخلصنا من العقاد وطه حسين معاً في دفعة واحدة .. الحمد لله .. بقي لطفي السيد أسأل الله أن يقطع دابره من صالون ميٍّ .

كمن قرأ مكنون ولي الدين يبتسم طه حسين بدهاء وهو يشرأب برأسه :

- ولعل لك في سفري مآربَ أخرى يا أستاذ يكن ..

يتدخل لطفي السيد :

- مآربنا أن توفق في رحلتك يا دكتور طه .. ولا تشغلك حِسان عاصمة النور والضباب عن رسالتك .

يصغي طه حسين لصوت ضميره صامتاً :

- إن الذي يسمع هنا تراتيل مي لا تشغله شياطينُ باريس أو ملائكةُ مرسيليا

ترقبه مي في محاولة استقراء وهيام ود وحُرقة المفارقة والهجر مقدماً :

- رحت فين يا شيخ طه ؟

كمن يستشعر مشاعرها يجيبها طه حسين بدهاء ووعي :

- رحت ؟ أيملكُ من يجلسُ في حضرتكم أن يروح أو يجيء ؟

تتشبب مي :

- والله ح نفتكرك على طول يا دكتور طه .. ح توحشنا كتير .

صم تصغي مي لصوت صميرها يخاطبها :

- لِمَ يتركنا العقاد للشيخ طه ويرحل عن الصالون ؟ .. وها هو الدكتور طه يرحل هو الآخر ؟ لا مناص من عودة العقاد مهما كان الثمن .

■ ■ ■

مكالمة نارية بين العقاد ومي

حينما تتحرَّق الأشواق تتحرر الأبواق .. عنوة !!

حينما تشتعل المشاعر تُغتصب السرائر فتفضح العاشقين .. فماذا يحدث حين تطلب مي زيادة هذا الجبل هاتفياً لتطلب عودته للصالون ؟! صالون مي زيادة ؟!

- يا آنسة مي يذبحني أن أفارق صالون مي .. لكنه يقتلني أن يكفر ذلك الدكتور في جلسة أنا أحد شهودها .

- يا أستاذ عباس يا عقاد علشان خاطري .. عايز مي تزعل منك ؟

- لقد طلبها الأستاذ لطفي بك السيد ورفضت أن أجيبه إلى طلبه يا آنسة مي .. الأمر أعظم وأجّل .

- أنا مي زيادة مش لطفي بك السيد.

- وأنا عباس محمود العقاد ولست شبلي شميل يا .. آنسة مي .. ثم ماذا يعني أنكِ مي زيادة ؟!

- يعني أنني أتوَّق لأن أراك في الصالون بالقرب من مي .. مي زيادة .

- ولو .. نعم .. لكن .. صدقيني يا آنسة مي .. الأمر فيه قسم وليس عندي سوى احترامي لنفسي وقسمي .. هكذا تعودت.

- حتى لو اعتبرته رجاء يا أستاذ عباس ؟ رجاء من مي زيادة لعباس محمود العقاد.

- كنت آمل لو ترجوني الآنسة مي في غزو الفيافي أو قطفِ الكواكبِ والأنجمِ .. كي أسعد وأنا أقدم لها أوراق اعتمادي لديها كفارس أوحد .. يغزو من أجلها الكواكب والعناكب .. مهما سقتُ من جندٍ في شتي المواكب .. ومهما كابد

الشراع والمراكب من رياح عاتية .. لكن هذا المطلب .. عفواً غير مقبول آنستي

- لأ .. بلاش محاربة الكواكب والعناكب وبلاش غرق المراكب .. أنا ح أنتظرك التلات اللي جاي في الصالون ؟ أوكيه ؟

- يعز عليَّ آنستي .. فهل تاب ذلك الشبليُ وأناب ؟

- يا أستاذ عباس انت لسة فاكر ؟ وبعدين أنا لازم أشوفك ..

لحظة صمت .. تقطعها مي باحثة :

- عباس .. قصدي أستاذ عباس .. ما تكسفنيش .. عايزة أشوفك .. ممكن ؟

- إن كان لا مناص من اللقاء فدعيني أفكر .. الأمر إذا بحاجة إلى بحث وتمحيص ودراسة حتى يتبين لي الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .. وحيث أن الصالون الآن لا يصلُحُ للقاء حتى يستتاب ذلك الدكتور أو يبرحه .. فعلينا أن نبحث عن طريق غيره

- إزاي يا أستاذ عباس ؟ قول لي

- والتليفون أيضاً مثل الصالون .. لا يصلح .. لي عليه مآخذ .. وملاحظات

- والتليفون برضه لأ ليه ؟ انت بتتكلم منين ؟ شكلك كده بتتكلم من أوضة النوم ؟ صح؟

صوت العقاد عبر سماعة الهاتف :

- لا ريب أنه الصوابُ حقاً .. إنها غرفةُ النوم .

- أوصفها لي .

- ألا يكفي جدران أربعة وسقف وعباس العقاد ؟ هي كذلك .. غرفة نوم .. بشقة رحيبة .. من عمارة شاهقة يقبع العقاد على قمتها في طابقها الأخير .. هكذا أنا .. حين أطِّل من الشرفة .. أواجه الهرم الأكبر .. وأتلقى تحية من أجدادي

الفراعنة في منطقة الأهرامات .. وعليك أن تستحضري ما تشائين وفقاً لخيالك الرحيب الذي لا يعرف كبح الجماح .

- طيب أعمل ايه معاك ؟

- إذاً لنلتقِ يوم الأحد القادم ندرس ونبحث ونفحص القضية برمتها .

صوت مي عبر الهاتف :

- هنا عندي في البيت ؟

- عندك يعني البيت .. وبيتُكِ يعني الصالون .. وذلك يعني أنني أحنث في قسمي حتى ولو لم يكن به ذلك الشبلي المتذكتر .. اللقاء في مكتبي يا آنسة مي إن شئتِ .. على أن أتحمل رائحة بارفانك الفَرنسي التي تفجر في الرجال براكين الشر

- يبدو أن الدخول في مناقشة مع الأستاذ العقاد هو معركة خاسرة للطرف الآخر .. أوافق يا أستاذ عقاد .. أوكيه .. معادنا يوم الحد الساعه اتناشر الضهر .

صوت العقاد من السماعة :

- لا .. لا تناسبُني الساعةُ الثانيةُ عشرة .. يناسبني الساعة الرابعةُ والنصفُ تماماً .. بعد العصر . ويلغي الموعد إذا تأخر أو تقدم دقيقة .. أيناسبك ؟

- أوكيه أنا موافقة أربعة ونص بالظبط .

صوت العقاد عبر السماعة :

- إذا موعدنا الأحد .. تصبحين على خير ..

- وانت من أهل الخير .. مع السلامة

ثم يشرد العقاد بعد أن وضع سماعة الهاتف ليصغي لصوت ضميره :

- بيد أنه ستكونُ هناك قصةٌ نُسجت خيوطُها بين العقاد والآنسة مي .

في حين مي زيادة تحادث نفسها بغرفة نومها :

- ازاي ده حصل ؟ .. معقول أقابله في مكتبه ؟ الراجل ده عمل فيَّ إيه ؟! إزاي يدخل حياتي ويحيرني ويقطّع شهادة ميلادي .. ويكتبها من جديد ؟ إزاي ده ؟! فين جبران ؟ ولطفي السيد ؟ وفين مازن ويوسف ؟ مش فاهمة ؟ لكن .. فيه إيه في الراجل المفرد العجيب اللي شدني ليه بالشكل ده !! فيه إيه عباس محمود العقاد ؟!

■ ■ ■

لقاء السحاب بين العقاد ومي

مي تقود سيارتها .. على الكورنيش .. العقاد يجلس بجوارها متأملاً مي الشاردة في ود وتري السعادة علي وجه العقاد .. ثم تنتبه للعقاد الذي يرمقها بنظرة باحثة فتقول دون أن تنظر إليه :

- الله محبة .. وأنا أحب فريدريك ماكس موللر أول من تعلمت القراءة في مؤلفاته .. وأحب برادا .. ولباحثة البادية ملك حفني ناصف لديَّ مشاعر خاصة .. وكذلك عائشة التيمورية ..

بادرها العقاد بدهاء دون أن ينر إليها أيضاً :

- لا ريب أنها مشاعر لذيذة تلك التي تحتبس في أعماق المرء فيجيش بها صدره وتعتمل بها نفسه .

أرادت أن تشعله فقالت :

- إلا أن جبران يحرك فيَّ نوازع غريبة فيشدني نحوه .

اضطرمت النار بداخله رُكناً رُكناً فحاول السيطرة على مشاعره حين قال :

- جبران ؟ جبران هذا متفلسف فاشل .. وفنان سقط سهواً من جعبة المبدعين .. وكاتب تخونه كلماته لا يزال يحبو في عالم الرفع والجر .

عاندته بدلال الأنثى :

- لكنني كثيراً ما أفكر معه بصوت مرتفع .

حاول أن يغير الحديث :

- آنسة مي .. ماذا فعلتم في قضية شبلي المدكتر ؟

عاندته أكثر وهي تشعله تماماً :

- آه .. بمناسبة الدكترة .. الدكتور طه حسين سافر باريس .
- لِمَ ؟ يحج أم يعتمر ؟
- والله وأنا كمان قلت له نفس الكلمة .. إيه ده .. إحنا بنفكر سوا .
- لا بل أنتِ وجبران تفكران معاً بصوتٍ مرتفع .. هه .. ماذا عن طه حسين ؟
- سافر يعمل بحث .
- أعتقد أن الأستاذ لطفي السيد وراء تلك السفرة .. فهو الذي رعاه في المهد حتى حبا وشب وهب .. إنني أكاد أتصور طه حسين بعد عودته من باريز وهو ينهش في لحوم أهل الفكر .. إن سمة الالتهام والذئبية من أعظم خبايا سيكولوجية طه حسين .
- من حقه يا أستاذ عقاد .. الدكتوراه وأحوالها .
- أن هؤلاء معشر الورقيون الذين يلوِّحون بالورق يجاهدون لأن يثبتون ذاتهم بيننا ..
- على فكرة .. أنا بافكر أدرس في الجامعة
- حتى أنتِ تبحثين عن ورقة ! وماذا تدرسين فيها ؟
- الحب .

انتبه إليها باحثاً في قسماتها جاداً :

- الحب !
- طبعاً .. الفكر حب .. والشعر حب .. والشعور هو أرقى أنواع الحب .. ونحن في كل الحالات نحب .. مش كده ؟

« أصغى العقاد لصوت ضميره » :

- ما هذه الأنثى ؟! أصحبتني إلى هذا المكان لتعبث بأعصابي وتزلزل كياني وتفكِّك أوصالي ؟!

« ثم ابتسمت مي زيادةوهي تصغي لصوت ضميرها » :

- حاضر يا عباس يا عقاد .. إن ما وريتك .. أنا توقفني سبع دقايق على بابك عند السكرتارية !

ثم عاجلته :

- هه سرحت في إيه يا أستاذ ؟

- أفكر في جمال الطبيعة وروعة النيل

- طيب تعالي أفرجك ع النيل من مكان قريب

ثم تنتحي جانباً بالسيارة لتتوقف وينزل العقاد ومي يترجلان صوب النيل العظيم .. فحملت حصاة صغيرة وألقتها في النهر وسألته :

- ما رأيك في الزواج يا عباس ؟!

عاجلها رغم هدوءه :

- الزواج قرار .. والحب قدر .. ولا أحب أن يصطدم القرار لديَّ بالقدر أو يشق كل منهما طريقه في اتجاه معاكس للآخر .

- أنا أرى الحب أروع من الزواج .

- والزواج .. ماذا تراه آنستي ؟

تفكرت مي ثم أجابته :

- الزواج .. الزواج في بلاد الشرق مقبرة الحب .

- وفي بلاد الفرنجة أترينه جنة الحب ؟ الزواج والحب لا يختلفان باختلاف الشرق والغرب .. لكنهما يختلفان باختلاف الإنسان .. باختلاف التجربة والموقف وذلك المكتسب والمعتقد والموروث الجاثم على صدورنا جميعاً بفلسفة افعل ولا تفعل.

- تقصد الحلال والحرام ؟

- لذلك لا أحب أن يصطدم عندي القرار والقدر .
- معنى كده إنك عايش القرار دلوقتي ؟
- قلت لا أحب أن يصطدم القرار بالقدر .. ورغم ذلك فكل صبح تبزغ فيه الشمس كلنا يعيش فيه الحب إن لم يكن لرفيق درب .. فهو لله الذي خلق فسوى
- الله محبة .
- لذلك أخشى أن يصطدم القرار بالقدر آنستي .. هيا بنا .. أفضل العودة يا آنستي الرقيقة المتوحشة .

ضحكت مي ثم بحثت في عينيه :

- مستعجل كده ؟
- وعدتك أن نحتسي القهوة خارج مكتبي وللآن لم أوفِ بها وعدت ..
- مش عايزة أشرب قهوة .
- ماذا ترغبين آنستي ؟
- بَحِبْ ..

بانتباه ورغبة باحثة تسائل في عجالة :

- ماذا ؟!

ضحكت بدهاء الأريبة التي تضغط على جراح الفريسة تعذيباً :

- بحب النيل .. البحر دايماً بيشدني ..

« أصغى العقاد لصوت ضميره مجدداً » :

- يبدو أن الآنسة مي ستتلاعب بالألفاظ .. لكنها لن تتلاعب بأعصابي مطلقاً .

انتبهت له فبادرته بدهاء :

- رحت، فين يا عباس ؟

- في مكتبي .. أفكر في مقالتي الجديدة عن الحرب في أوروبا .

« أصغت مي لصوت ضميرها أيضاً » :

- ما هذا .. أيجلس معي ويفكر ما مقالته ؟! عجباً لهذا العقاد الذي لا يتحرك كهذه الصخرة الجامدة ..

ثم بادرته :

- إيه رأيك في إدريس بك راغب ؟ راجل لطيف قوي .. مهتم بيا جداً .. تصور ما بيرفعش عينيه من عليا خالص ودايماً يطاردني بعبارات الغزل والإعجاب .

- لعله يرغب في رفع معنويات الآنسة مي فخلتيه يبحث عن غرام مشبوب معظم الرجال مجاملون .

- يعني إيه ؟ أنا مش مرغوبة ؟

- القضية ليست في الرغبة من عدمها ولكنها في الثقة ذاتها .. يجب أن يثق المرء أنه محط رغبة أولاً .

« عادت مي تصغي لصوت ضميرها » :

- ما الذي يريده العقاد على وجه الدقة .. أيرغب في معشوقة أم يمارس هواية عنيفة في الغلو بذاته مترفعاً على خلق الله ؟!

بدهاء الأريب عاود التفوق بدهاء حين ابتسم بثقة وسادية مقصودة فقال :

- لن أقل لكِ أين ذهبتِ .. آنستي ؟ لكنني سأقول لكِ .. أما يجدر بنا العودة الآن؟

- آه طبعاً .. ياللا بينا ..

ثم أصغت لصوت ضميرها :

- أنا وانت والزمن طويل يا عباس يا عقاد !!

نزيف المشاعر وخيال الحبيب بين مي والعقاد

عاد العقاد لمنزله مساءً وبدَّل ملابسه .. يرى بالبيجامة المخططة والطاقية يحمل جريدة في يده وسيجارة ينفث دخانها في الهواء متوجهاً نحو الشرفة بغرفة نومه ليجلس علي أحد المقاعد فيري الظلام علي البعد يخيم في الأرجاء باستثناء بعض الأنوار علي البعد ثم تمتم :

- أنا لا أرى سوى حقيقة واحدة يا ابنة إلياس أفندي زيادة .. وهي أنكِ مجنونة .. نعم مجنونة من تفعل ذلك .. مجنونة .. إن ما تفعلينه ضرب من ضروب الجنون أو دروشة من هوس العبقرية .. لكن عجباً لتلك المّي كيف تأتي إليَّ وذلك الجبران يعبث في خاطرها ؟! تباً لها وملعونة في كل كتاب وصحيفة وكراسة وكشكول .. فقد خطفت وقتي وسرقت مشاعري ونهبت أفكاري !!

■ ■ ■

وأوشك الصالون على الإنهيار

حدثت فجوة .. وهزة مشاعرية في حياة مي ..

- «لقد رحل لطفي السيد إلي قريته .. وانقطعت رسائل جبران بنشوب الحرب .. وسافر طه حسين بحثاً عن الدرجات العُلا في باريس .. وأقسم عباس العقاد ألا يعود للصالون طالما به ذلك الشبلي المتدكتر .. ما هذا .. أقُوِّضت أركان الصالون ؟! ».

هكذا شردت مي وهي تتسائل !!

ثم تناولت الهاتف وضربت رقم العقاد المباشر في الصحيفة فأجاب العملاق :

- أفندم يا سيدي نعم .. أنا عباس العقاد بنفسه .

جاءه صوت مي عبر سماعة الهاتف متهدجاً كسيراً :

- أنا آسفة لو بازعجك دلوقتي .. مشغول ؟

- من حيث مشغول فللحقيقة نعم مشغول جداً .. لكن حين تكون المتحدثة هي الآنسة مي .. فالحديث معها أولى .. خصوصاً حين أنشد التماس الراحة من عناء الكتابة.

- أخاف أكون قطعت حبل إلهامك .

- وهل ثبت لديكِ أن الإلهام يوثق أو يقاس بالحبال ؟ وعلى كُلٍ .. يقولون أن المرأة أحياناً هي أعظم مصادر الإلهام .. فما بالك حين تكون هي مي ؟

- هل أسميه رغبة لدى الأستاذ عباس العقاد في تفريغ شحنات إعجاب لأنثى؟

- حتى لو وافقتك على منطوق كلمة لأنثى وليست بأنثى .. لأن شبهة بـ قد تنسب لأنثى معلومة بذاتها .. أما منطوق لأنثى فباليقين معمم على كل أنثى .. فرغم

ذلك ليس العقاد ممن يرغب أو يحتاج لتفريغ شحنات غرام لأنثى.. يا آنسة مي.

- بدون دخول في تفصيل فلسفية معقدة أشوفك بكرة الساعة أربعة بعد الضهر .. ح أمر آخدك بعربيتي .. وحشتني الصخرة اللي قعدنا عليها المرة اللي فاتت .. ومش عايزة تعليق .. مع السلامة .. تصبح على خير يا عباس

ووضعت سماعة الهاتف حتى لا تمنحه فرصة للرد أو الهروب !!

وفي اليوم التالي وفقاً للموعد المضروب كان العقاد يجاور مي على نفس الصخرة على نيل مصر العظيم .. حيث تجالسه مي بينما هو يشرد متفكراً بابتسامة الواثق .. وسط انفعالات متباينة من الشوق والغرام والشرود والذوبان والحيرة والهيام والسعادة والانتباه .. سألته والهة باحثة :

- ماذا يعني أن العقاد ليس ممن يرغب أو يحتاج لتفريغ شحنات غرام لأنثى ؟ أيعني هذا أن عباس العقاد لا يحب ؟

بهدوء الأريب المعلِّم أجابها العقاد :

- الحب يا آنسة ليس حكراً علي علاقة بين رجلٍ وامرأة وبينهما عناق أو أسلاك هاتف .. أو وريقات مشاعر مؤججة .. إن مفهوم الحب لديَّ يا آنستي قد يختلف كثيراً .. فحب الرجل لامرأة مليحة المحيا وضاءة الجبين كغصن البان تشعل مشاعره وتصهر جوارحه .. هو حب .. وشغوف الرجل بامرأة بليغة .. رقيقة العبارة لمّاحة الإشارة كمرجع بحثي تسيل خواطره وتسكُن خاطره .. هو حب .. العقاد : وعزوف الرجل عن امرأة قبيحة .. هو أيضاً قمة الحب .. هامت واهتاجت جوارحت غراماً فقالت :

- وعشق المرأة لرجل وسيم حتى لو كان بعيداً عنها في بلدٍ بعيدٍ .. هو أروع أنواع الحب .

فقرر :

- واعتناق الرجل لمذهب أو عقيدة يرفعها فوق اهتمامه بامرأة حقيرة .. فدافع عن مذهبه وغالى فيه ولازمه حتى يهلك دونه .. فهو أيضاً أحلي أنواع الحب ..

فغاظته بإصرار :

- وعشق الجمال حب .. وغرام امرأة بفنان بوهيمي ألا تسميه حبًا ؟

انتبه لتلميحها وتعريضها بجبران فقال :

- قد أسميه أكذوبة .. لكن حب الأوطان يا آنسة مي هو أسمي معانِ الحب .. فتذوب فينا ونسكن فيها ونهجع إليها وننهل منها .. لعمرك هذا أرقي أنواع الحب .. فالحب يا آنستي يختلف باختلاف مآربنا وغاياتنا .

بادرته مي بدهاء مكشوف :

- وما رأيك في حب المراسلة ؟

- هو أعظم أنواع المجون والجنون والتوتر والجنوح الفكري .. أراه علاقة مبتورة طرفيها مرضى .. كل يسكب مشاعره جبناً مثل أولئك الذين يعيشون الحب الكامل عبر أسلاك الهاتف خلسة ..

- ليه بقى بتسميه مجون وجنون وجنوح فكري يا عباس ؟

- لأن روعة النظرة وتفحص العين لم تتوافران فيه

- معني هذا أن أبي العلاء المعري لم يدرك الحب ؟ فهل المكفوفين مش من حقهم يحبوا يا عباس ؟ أنا أري أن أعظم من يعيشون الحب هم أولئك الذين فقدوا حاسة البصر .. فأنعم الله عليهم بنعمة البصيرة .. عارف ليه يا عباس ؟ لأنهم بيحبوا من أعماقهم بصدقهم .. بيحبوا الأصل حتى ولو كان باهت .. أفضل من أن ينخدعوا بالصورة الزاهية لو كانوا مبصرين .

- قد يكون .. لكن حب المراسلة بالقطع عندي حالة مرضية بائسة .

- المكفوفين يا عباس تكفيهم لهفة اللمسة ورهافة الحس وعبق الأنفاس

بدهاء الأريب رمقها بنظرة انتصار ثم سألها :

- وهل يتوافر هذا في غرام المراسلة المهيض الجناح ؟ ولو توافر ذلك في كل عشاق المراسلة .. لبات ذلك مفقوداً في علاقتك بذلك الجبران .. أأدركتِ ؟

شردت مي وهي تشعر بانتكاسة وهزيمة من العملاق فلملمت حروفها قائلة :

- هه ؟ آه .. أنا معاك .. أنا هنا .. طبعاً .. طبعاً ..

- جئت تلبية لرغبتك وقرارك المسبق أن تلك الصخرة لها بداخلك حنين من نوع خاص .. لذا لم أمانع في زيارتها .

واجهته مي في تساؤل :

- يعني أقدر أقول ان ده غرام الكبار بس ؟

- أنا ضد مصطلحات التكبير والتصغير بين البشر .. فكبير اليوم كان صغيراً أمس .. وسواء علي المستوى السني أم المستوى المهني .. وخلافه من شتى المستويات ..

- يعني نحذف من القاموس كلمتي كبار وصغار ؟

- القضية ليست في الحذف من عدمه .. لكن الأعمق هو .. هل توقف الصغير عند حلمه الصغير .. فبقي صغيراً .. أم وائم نواميس الطبيعة وقوانين الخليقة في التطور فنال حقه الطبيعي في النمو والتحول من عدمه .. تلك هي المشكلة .. فلو توقفت الدول الصغرى عند حدود الصغير والكبير ما تحررت ولرسخت في أغلالها دوماً .. ولو اقتنعت الدول الكبرى بوقوفها عند حدٍ بلغته لتخلفت عن ركب المدنية والتحضر ولهوت في أسفل سافلين .

- كل ده من سؤالي عن الحب ؟! لكن قوللي قبل ما تنسيني .. ح تيجي الصالون الليلة اللي جاية ؟

– هل أذاعوا الليلة أنباء تؤكد أن عباس العقاد رجّاعاً فيما يذهب إليه ؟ أعلنتها قبلاً آنستي .. لن أزور صالون الآنسة مي حتى يستتاب ذلك الشبلي المتدكتر أو يهلك .. أما وقد ذكرتني بالصالون فقد هاتفني اليوم من الاسكندرية أخي وصديقي الحميم الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب الأهالي .. وأكد زيارته لصالون الآنسة مي غداً بصحبة مصطفى صادق الرافعي .. ولست أذيع سراً آنستي أنني أحب صالون الآنسة مي .. لكنني أحترم قرارات عباس العقاد .

■ ■ ■

صالون الحب والجراح والأتراح

يجتمع رجال مي بالصالون حول تلك الفاتنة الساحرة الأخاذة التي أهاجها شعر بيرم التونسي فقالت :

- سامح الله بيرم التونسي هذا .. لقد أهاج الشعر بداخلي

ثم تهدجت شعراً فرددت :

فـــديتك يـــا هـــاجري	فهـــل تـــرتضي بالفـــدا
ســـهرت عليـــك الـــدجا	ونحـــت ولكـــن سُـــدي

فالتاع إسماعيل صبري قائلاً :

- الله . الله .. الله .

فصاح شبلي شميل :

- يا عيني ع الشعر .. يا عيني .. إيه ده .. احنا عايزين نبعت برقية شكر للجدع اللي اسمه بيرم اللي حرك في الآنسة بحار الشعر .. إيه ده .. مش ممكن !

تسائل الرافعي فقال لعبد القادر حمزة :

- همه بيقولوا إيه يا عبد القادر ؟

تناول عبد القادر حمزة ورقة وقلماً وشرع في الكتابة

- حاضر يا سيدي .. لحظة واحدة .

غمز إسماعيل صبري لمي وهو يهتاج شعراً :

- أرد أنا بقي علي الكلام الحلو ده .. تقول هي :

فـــديتك يـــا هـــاجري	فهـــل تـــرتضي بالفـــدا

سـهرت عليـك الـدجا ... ونحـت ولكـن سُـدي

وأقول :

أهـاجرتي اطفئـى ... لـواعج لا تنتهـي
مضـت في هـواكِ السـنون ... ومـا نلـت مـا اشـتهي
إذا قيـل مـات الأديـب ... بفاتنـة انـت هـي

يبتسم إلياس أفندي سعادة ويردد :

- الله الله ع الكلام الحلو

فيؤكد شبلي شميل :

- كلام حلو .. إيه اللي حلو فيه ؟ ده راجل بصباص .. ده شعر فاضح .

يعترض إسماعيل صبري بود :

- إيه اللي فضحه يا دكتور شبلي ؟

تهتاج مي شعراً مرة أخرى فتقاطعهما قائلة :

- طيب استنوني بقي ..

زمانـك قـبلي انتهـي ... ولا يرجـع المنتهـي
فحسـبي أن أزدهـي ... وحسـبك أن تشـتهي

يعاود شبلي السعادة والإعجاب :

- يا عيني .. أيوه كده عرفي كل واحد مقامه .. والعصاية أهي .. موجودة

ثم ينتبه لأنطون الجميل الصامت :

- أنطون ماله كده الليلة مسهم ومخروس زي اللي دخل دار غلط .

يتهدج أنطون ثم يتأوه :

- آه .. دخلت دار غلط ؟ إن للغرف أرواحاً لو تكلمت الجدران لكانت أفصح من هوجو وفولتير يا دكتور شبلي .. وصدق الشاعر العربي حين قال :

واستعجمت دار هند ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

والدار تملكني - ويلي - وصاحبها فلي مليكان رب الدار ، والدار

بإعجاب تردد مي :

- الله الله يا أستاذ أنطون ..

يستأنف أنطون قائلاً :

- ورحم الله المتنبي حين قال :

ما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

لكن المتنبي كان فكره أكثر اكتمالاً حين قال :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت .. وهن منك أواهل

ينتبه شبلي ثم يواجه أنطون :

- انت بتلقح علي إيه بالظبط يا سي أنطون ؟ دار إيه وشغف إيه .. انت كنت مقفول واتفتحت ؟ لأ ارجع اسرح واتلم يا اخويا .

ثم ينتبه شبلي لأحمد شوقي قائلاً :

- إيه ده .. لأ والله ما حد فاتح بقه ببنت شفه إلا بعد ما نشوف أمير الشعراء أحمد بك شوقي سرحان في إيه ؟ هوه علي طول سرحان كده ؟

ينطق أحمد شوقي شعراً :

إذا نطقت صبا عقلي إليها وان بسمت إليَّ صبا جناني

وما أدري أتبسم عن حنين إليَّ بقلبها أم عن حنانِ

أم أن شبابها راثٍ لشيبي وما أوهي زماني من كياني

يتعجب الشبلي إعجاباً في سعادة :

- إيه ده .. هوه إيه حكايتكم الليلة دي .. إيه يا اخوانا .. الخلق كلها ضربت النهاردة ولاّ إيه ؟

ثم يتوجه شبلي نحو خليل مطران في تساؤل :

- ما فيش بقي غير الراجل العاقل المتزن الطيب ده .. يرضيك الكلام ده يا أستاذ خليل يا مطران ؟

ينطق خليل مطران شعراً هو الآخر :

صفوة المشرقين نبلاً وفضلاً ... في دارك الرحب يعتمرونا
فتساق البحوث فيه ضروبا ... ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهي غراث ... من ثمار العقول ما يشتهينا

تبتسم نزهة هانم في سعادة :

- حلو كتير يا أستاذ مطران

في حين يتدخل ولي الدين يكن :

- بس .. اسمعوا

طال البعاد جداً فمن لي ... بسبيل تدني إليكِ قليلاً
كلما قلت : في غد نتلاقي ... حلف الدهر صادقاً أن يحولا
عجباً كيف لا تكونين مثلي ... عجباً كيف تصبرين طويلاً
كل ذي لوعة يريد مثيلا ... وأنا في الهوي أريد مثيلا
اسهري الليل وازرفي مثل دمعي ... واذكريني إذا ذكرتِ عليلا
لكِ يا ميِّ خاطري ولساني ... فاجعلي منهما رضاكِ بديلا



قـد علمـت الوفـاء فيـكِ ولكـن ... لـيس يرتـاح مـن أحـب جمـيلا

تتمايل مي بإعجاب :

- الله جميل

يؤكد إلياس أفندي بإعجاب :

- **الله الله شعر قوي يا أستاذ يكن**

ينتفض شبلي غاضباً في دعابة :

- قوي إيه ونيلة إيه .. صراحة كده عيني عينك .. طب اختشي .. والله لو انك بتكح وحالتك بالبلا الازرق كنت قمت لسوعتك بالعصاية دي .

ثم ينتبه لنجيب هواويني :

- هي وانت كمان يا نجيب يا هواويني .. ما عندكش بيتين تفقعهم .. ما هي بقت سيبة .. الليلة بقت مشعرة .

فيقول هواويني :

- مشعرة ؟ والله انت راجل مشخرة خالص

فيضحك الجميع !!



لن يهتاج شِعْر العقاد بسهولة

العقاد في الهول يتكلم في الهاتف وهو يجر خلفه السلك الطويل ليتمكن من التجول قبل أن يجلس علي أحد المقاعد :

- بلغني أن صالون الآنسة مي الليلة تحول إلى سوق عكاظ أو كرمة بن هانئ .. وأن الكبار اهتاجوا شعراً فذلَّت قدمٍ بعد ثبوتها .. لكنني أتسائل .. أمنحتهم الآنسة مي أكياساً من عطايا الرشيد أو هبات السلاطين ؟

يأتي صوت مي بدهاء أنثوي واثق وتدلل :

- وما يثير عجب الأستاذ العقاد في ذلك .. أهذا تشفٍّي في الكبار أم ندم علي عدم مشاركة ؟

يجيب العقاد :

- لا هذا ولا ذاك آنستي .. لكنه مدعاة للعجب .. فحين يتناطح الكبار في صالون مي .. أو بالأحرى في غرام ميٍّ أنا أعتبرها ملهاة تدعو للرثاء على أساطين القلم وأرباب الشعر ونحاة اللغة وسدنة الفكر وفطاحل المجتمع .. أستأذنك الآن .. وأنتظرك غداً في مكتبي .. في مكتبي في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر .. لا تعليق .. ولا تقدم سبع دقائق حتى لا أدعك بالخارج عند الساعي .. مع السلامة يا آنستي .

■ ■ ■

حدث في مكتب العقاد بجريدة البيان

مي تجلس أمام العقاد علي المقعد بابتسامة ودهاء أنثوي وهي ترمقه بنظرة تعجب فينهض نحو شباك المكتب فيفتحه فتدخل أشعة الشمس فيعود للجلوس وهو يشعل سيجارة بثقة وهدوء

يضرب الجرس .. فيدخل الساعي :

- شوف الآنسة .. ماذا تشرب
- قهوة مظبوط .
- وأنا أفضلها سادة !!

يخرج الساعي ممتثلاً فتتعجب مي من العقاد :

- سادة ليه يا عباس .. إيه الفأل السيء ده .
- أتخشين أن تصلك أنباء غير سارة من بوسطن بالولايات المتحدة .
- أنت تعرف أنني لا أريد غير عباس العقاد بديلاً .

يصمت ثم يتعجب فيشيح بوجهه بعيداً مقرراً :

- هراء .. وعبث يسمونه ضحك على اللِحي في رواية وفي رواية أخرى ضحك على الذقون .
- ممكن تقوللي ماذا كان العقاد قائل لو كان في حضرة صالون مي ليلة أمس ؟

حاسماً :

- كنت سأكتفي برفع يديَّ للسماء وقراءة الفاتحة علي أرواح الجميع طلباً للرحمة داعياً الله أن يسكنهم فسيح جناته طالما أصبح علاجهم مستحيلاً

- هذه مكابرة يا أستاذ عباس .
- القهوة أم الحديث ؟
- الغرور .
- لو كان ولا محيص بيننا مكابر لكان الآنسة مي .. فالعقاد لا يجيد المكابرة
- أنا لا أكابر يا أستاذ عقاد .
- من حقك أن تدافعين عن كونك تكابرين أم لا .. لكن ليس من حقك اتهام غيرك بالمكابرة .. فعلامَ يكابر العقاد ؟
- انت مغرور يا أستاذ .
- اتهام لا أنفيه .. لكنني أحب أن أفسره .. وقد سبق وأوضحته .. لكن بيد أن في التكرار تذكار .. فرق شاسع آنستي بين الثقة وإن أفرطت وبين الغرور .. الغرور صَغار .. والثقة فخار .. وبينهما أمداً بعيدا .
- يعني لو كنت موجود معانا الليلة دي ما كنتش ح تقول فيَّ شعر ؟
- الشعر شعور .. والشعور صدق .. والصدق لا يمكن لمخلوق مهما أوتي من بلاغة أن يدّعيه زوراً .. فهل ترغبين في زرع ذلك الشعور بداخلي عنوة .. أنا لا أكذب في مشاعري آنستي .
- أنت مكابر .. مغرور .. مجنون يا عباس .. ومي ستكسب في النهاية .
- أبعدتِ النجعة آنسيتي .. وتوهمتِ ما خِلتِه صواباً ..
- طيب طلبتني ليه ؟
- وهل سألتك لِمَ أتيت إلي عباس العقاد قبل ذلك ؟ أو لِمَ طلبتيه لضرورة مُلِّحة ؟
- مش قلت لك انت مجنون .

- لتبرأين أنتِ منه أولاً ثم نناقش صحة ما تدعين في العقاد .

- انت اللي مجنون يا عباس .. أنا مش مجنونة .. أنا مش مجنونة .. انت اللي منفصل عن الدنيا مش عايز تعرف إيه اللي بيحصل فيها دلوقتي .. انت عايش في برج عالي عاجي .. وبتبص من فوق شايف صور مشوشة لأنك مش عايز تنزل لأرض الواقع .. الواقع حاجة واللي انت عايشه حاجة تانية يا عباس فاهم ؟

ينهض عباس العقاد ليمسك بيدها ويشدها :

- بيد أننا لن نتمكن من احتساء القهوة في هذا المكتب قط .. لنشربها في مكان خارج هذا المكان .

تنهض مبتسمة في ود ودلال :

- لأ .. أنا بقي مصممة أشربها هنا .. سيب إيدي يا عباس .

■ ■ ■

وداعاً للكَرى

عاد العقاد لبيته وعادت مي بعد قضاء يوم الأحد الدامي على نيل مصر بين الساحرة اللبنانية والعملاق المصري وأوشك الليل أن ينقضي وهو جالس يكتب خلف مكتبه غارق في أفكاره .. يرن جرس الهاتف .. يتناول السماعة ويتحدث حاسماً شبه غاضب :

- العقاد بنفسه .. أفندم .

يأتِه صوت مي حالماً متهدجاً ساهراً :

- ومين اللي قال لك إني عايزة غيره ؟!
- مَنْ .. مي ؟! طاب مساؤك يا سيدتي .
- يا ترى أتكلم ولاّ الأستاذ العقاد زعلان منِّي .. مشغول ؟
- في الحقيقة نعم .. كنت أكتب مقالة في الوضع الراهن .
- وما هو الوضع الراهن ؟
- حال مصر تحت الاحتلال والزج بالشرفاء في غياهب المعتقلات وجورج فلبيدس ودولته المستقلة التي يمارس فيها هوايته في مجازر المكتب السياسي .. ولست أدري مبرر لتلك المدرسة التي افتتحها فلبيدس لترويع الآمنين تحت ستار الحفاظ على سلامة الحكومة وأمن الدولة .
- عايزة أشوفك بأي شكل .
- ألم يكفكِ أن كان عباساً بين يديكِ طوال اليوم المنصرم ؟!
- أنا حُرة يا عباس .. عايزة أشوفك .
- هل هي سياسة الرقيق والإمتلاك إذن يا مي ؟!

- باقولك وحشتني وعايزة أشوفك .. ممكن تنزل دلوقتي تيجي ع البيت حالاً .

- لا أحنث في قسمي يا آنستي .. فانتظري حتى الصباح .

- أشوفك امتى يا عباس ؟!

- لا بأس كي أشغل وقتي .. ألستُ منفصلاً عن قضايا العالم ؟ ألم تقولي لي هذا ؟!

- عباس .. أنا محتاجة أتكلم معاك بأي شكل .. باقول إيه .. إيه رأيك نروح الكنيسة ؟

- أدعوة هي لهدايتي وتحويل قِبلة صلاتي إلى بيت لحم والناصرة ؟

- مش قصدي

- لست من سدنة الكنائس أو كهنة المعابد .. أو صاحب عامود في صحن الأزهر .. رغم أنني قديس للكلمة .

- لأ برضه مش قصدي .. أنا عايزة أقول إننا ممكن نتقابل في مكان بعيد عن العيون .

- وهل النيل في المرة السابقة كان مدعاة للفرجة ؟

- ما اعرفش .. المهم عايزة أشوفك وبس .

- نعم .. فقد قُطعت رسائل جبران واعتقلت مشاعره في فيافي بوسطن .. ورحل طه حسين إلى بلاد الفرنجة وابتعد لطفي السيد إلى أدغال الفلاحين وحتى إدريس بك شغل بأحراش السياسة عن ذرف مشاعر الإعجاب .. وأضرب العقاد عن الحضور .. وبقى في الصالون حفنة صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون .. فلِمَ لا تقابلين العقاد؟ عزيزتي مي .. لقد قطعت على نفسي عهداً أن أبرئكِ من الجنون .

- أتراني مجنونة

- هو أروع وأخطر أنواع الجنون .. الجنون بالذات .. وهو أن يعشق المرء نفسه .. ويتعبد في صورته .. وللأسف هذا العقار لا يوجد بالصيدليات .. لكنه صنع لدي عباس العقاد فحسب ..

- انت مجنون

- ليس كجنون مي .

- ومغرور .

- ومستعد لعلاجك مجاناً .. لكن ليس اليوم .. فعندي ما يشغلني .

- عن مي ؟

- نتحدث غداً أيتها الـ

- الإيه يا عباس

- الـ ميِّ .

■ ■ ■



ألو .. لطفي السيد ع الخَط !

في قرية برقين بمحافظة الدقهلية توارى أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد هرباً من ضغوط صديقه رشدي باشا رئيس الوزراء في مكتب لطفي السيد في القرية .. لكنه لم يهرب من مي .. فهي تسكن خاطره وتهدج مشاعره وتؤرق ليله وتملك نهاره وتاسر وقته وتشغل لحظات وتحرق أعصابه !!

ها هو يسطِّر رسالة خاصة لمي زيادة !!

حيث يجلس لطفي السيد مرتدياً جلباباً جميلاً وعباءة فلاّحي أنيقة وجالسًا خلف مكتبه الرحيب يسطّر رسالته لمي زيادة قبيل فجر ليلة عاصفة .

عزيزتي .. مي ..

لستُ في حاجة إلى العنوان .. لأني لا أريد أن يقرأ كتابي من عنوانه .. ولست في حاجة إلى ندائك من بعيد أو قريب .. فأنتِ من نفسي أقرب من أن تناديكِ يا أحلى مي .. جائني كتابك فشممته ملياً وقرأته هنيئاً مريئاً .. وأني مقتنع نهائياً عن أن أشرح لكِ العواطف التي تعاقبت علي نفسي بتلاوة هذه الرسالة الفيحاء .

أجناية عليّ أن أتحدث بهذه النغمة السابغة ؟ ألا أن للأرواح أيضاً غذاء يتنزل عليها من مكان أسمى من مكانها العادي .. وهزة تأخذها حين تتقابل جاذبيتها .. لعل ذلك هو سر السعادة الانسانية التي يلتمسها الناس فلا يعرفون طريقها .. ان روحاً تغترف قوتها من ذلك المعنى الرفيع لسعيدة لا محالة .. قلب يخفق .. وعين تنديها دمعة الفرح الباردة ونفس تتخلى ولو مؤقتاً عن هذه الرتبة الدنيئة – رتبة الزحف في حمأة المنافع المادية – إلى السبح في بحور الخيال .. واستطعام اللذة المعنوية .. ذلك أجمل ما في معاني الحياة الإنسانية .. أفٍ لقيود الاصطلاح .. إني

كاسرها .. وملقٍ بها عني لأقول ماذا ؟ لا شيء .. بل لأقول أنه لا ذنب عليَّ أن صرّحت بأني اليوم سعيد .. وربما كنت بعد اليوم .. هذا ما لا أعرفه .. ولو علمت أني يسرني أن أظل أكتب لكِ .. أكتب طول وقتي لما نفدت مادة أنتِ ينبوعها العذب .. وأرجوكِ ألا ترثي لحال ملكي المسكين الذي يحمل صلواتي .. فإن لي ملكاً آخر من ملائكة الرحمة تغبطه الملائكة أنا أحبه .. ودمتي لي دوماً .

أحمد لطفي السيد

ألو يا عِبِسْ .. سلم لي على مي

في غرفة تليفون عمدة برقين سالم شقيق أحمد لطفي السيد ناوله سماعة الهاتف :

- مصرع التلفون يا لطفي يا أخويا .

فاكتشف لطفي بك أنه عباس العقاد :

- أهلاً يا عباس .. والله ليك وحشة يا راجل .. أنا جاي أردع التليفون ومتغصّب وأقول يمكن يكون رشدي ولاَّ عدلي الحمد لله انه طلع انت .. وحشتني يا عباس .. هه إيه الأخبار ؟ شوف بقى قبل ما تتكلم نص كلمة .. طمني على أخبار ميِّ

يأته صوت عباس العقاد عبر الهاتف :

- أي أخبار تبغِ يا لطفي بك .. أصالون الآنسة مي أم مطبخ السياسة أم مهازل السلطان حسين .. أم مذابح جورج فلبيدس ؟ اسمع يا لطفي بك .. انتظرني سآتِ إليك في برقين اليوم لنتناول وجبة الفطير الدسمة عند حضرة العمدة .

- يا عباس باقوللك كلمني عن ميِّ .. وحشتني يا أخي .

« يصغي العقاد لصوت ضميره يتسائل »:

- حتى أنت يا لطفي .وحشتك الآنسة ميِّ ؟! لابد أن أتخذ قراراً حاسماً وفورياً معكِ أيتها الميِّ .

■ ■ ■

العقاد في برقين لطفي السيد وثالثهما طيف مي !

وصل العقاد في اليوم التالي إلى قرية برقين ليكون في صالون الضيافة بدوار العمدة والد صديقه أحمد لطفي السيد .. رُفعت لتوها مائدة حفل الطعام تكريماً للضيف الكبير يمسح العقاد يده بالفوطة ثم يبتسم للطفي :

– بعد هذه الوجبة الدسمة يمكنني أن أقول .. الآن أدركت لماذا يؤثر الأستاذ لطفي سكون القرية على معارك سعد باشا وعدلي يكن ورشدي باشا .

– يا عباس ريحني يرحمك الله .. أنا ما صدقت أشوفك .. أنا باهرب من رشدي وعدلي علشان بيقعدوا يوجعوا قلبي ويحرقوا في أعصابي .. أنا كده مستريح البال .. أنا سيبت السياسة والصحافة لأهلها .

يرمقه العقاد بنظرة دهاء :

– لا أعتقد أن لطفي بك يمكن له أن يستريح أو يهنأ .. حتى تتحرر مصر من أغلالها .

– يا سيدي سيبت لكم الكلام الحلو ده .. هه أخبارك إيه .. ؟ روحت الصالون ولاّ لسة ؟

– لقد أقسم العقاد ولا راد لقسمه ؟

– وأخبار الآنسة مي إيه يا عباس ؟ بتشوفها .. صحتها كويسة .. قصدي يعني عاملة إيه ؟

– أما الصالون فلا .. ولكن دعنا من هذا الآن يا لطفي بك ..

– إيه .. دعنا من هذا ليه بس يا أخي؟

– بصراحة جئتُ إليك بِناءً على طلب سعد باشا زغلول .. يجب أن تعود يا



لطفي بك .

- هوه اللي قالك كده ؟

- وهكذا تقول الأحداث .

- يعني ح توقف لي المراكب السايرة يا عباس .. وهوه لطفي اللي ح يمشيها ؟ أنا جيت قريتي برقين باختياري بعد ما فشلت كل المحاولات في تحرير مصر .

- أفي هذا الوقت يترك الأستاذ مصر؟

بحزن وأسى يقرر لطفي السيد :

- يا عباس انت عارف ان مصر في دمنا .. احنا عايشين بيها وهي عايشة فينا .. وعارف أننا لا يمكن أن نغرب عنها وجوهنا مهما دفعنا غالٍ أو نفيس .. لكن أنا تعبان يا عباس .. محتاج أستريح شوية .

- ولكنني أقسمت ألا أعود إلى قاهرة المعز بدون الأستاذ لطفي السيد .

- شوف أي لطفي السيد تاني يروح معاك بقى يا عباس يا عقاد .. أنا يا أخي مش عايز أشوف حد .

يرميه العقاد بنظرة دهاء ذات معنى :

- ولا حتى صالون .. الآنسة مي ؟!

مع شعور بالخجل :

- ولا أيتها حاجة في الدنيا واطلع بقى من دماغي يا عباس يا عقاد .

- ألا يكفي ما مكث الأستاذ لكي يستريح ويعود إلينا .. كلنا شوق إليك يا أستاذ ما زلت يحذونني الرجاء في أن لطفي بك السيد الذي رافق مصطفى كامل .. وعلّم الخديوي عباس فنون الغزل السياسي ودافع عن أحمد حلمي والشيخ جاويش وإبراهيم الورداني في قضية الدبلوماسي الإنجليزي .. سيبقي لدينا الأمل



في عودته لحظيرة السياسة قريباً .

ثم يرميه بنظرة فاحصة وهو يقطِّع حروفه بدهاء الأريب :

- غداً الثلاثاء .. ألم تفتقد صالون الآنسة مي؟

« يصغي لطفي السيد لصوت ضميره »:

- لا .. لم أفتقد الصالون .. لكنني أتحرق شوقاً للآنسة مي بذاتها

« في حين يصغي العقاد لضميره أيضاً »:

- وهكذا آثر لطفي بك الخضرة والماء والهواء الطلق .. ورفض العودة لأحضان القاهرة .. والوجه الحسن .

■ ■ ■

نيران غرام مي .. في الصالون

لم تشتعل شجون الهوى في مي زيادة في برقين ولا في مصر الجديدة حيث بيت عباس العقاد فحسب وإنما التاع الصالون بمَنْ فيه حول مي في هذا الثلاثاء الناري .. فماذا حدث فيها ؟!

في الصالون تجلس مي وحولها إسماعيل صبري وولي الدين يكن ومصطفي صادق الرافعي وعبد القادر حمزة وبجواره الشاب بيرم التونسي وشبلي شميل وخليل مطران وإلياس زيادة وزوجته نزهة تدخل وهي تدفع أمامها عربة صغيرة عليها المشاريب فينهض أنطون الجميل ليعاونها في توزيعها علي الحضور .

ثم مي مبتسمة وهي تناول الرافعي قصاصة ورق صغيرة :

- اتفضل يا أستاذ رافعي جاوب لنا على السؤال ده .

ينتفض شبلي معترضاً :

- إيه .. هوه احنا في مدرسة ح يجاوب لنا .. وما فيش غير الجدع ده هوه اللي ح يجاوب ؟

فيجيب الرافعي في سعادة :

- سؤال جميل حقاً .. رأيي في الحب قلته في كتابي حديث القمر .. فالدين والحب خرجا من الجنة مع آدم وحواء .. فكان الدين في تقوى آدم وتوبته .. وكان الحب في جمال حواء ودموعها .. ورأيي أن النابغة في الأدب لا يتم تمامه إلا إذا أحب وعشق.

يغتاظ شبلي ويداعبه :

- يا فرحتى بيك يا اخويا .. لا يتم تمامه ؟ ماشي يا سيدي .. السؤال اللي بعده

في النحو اعرب ما فوق الخط ! مين اللي ح يتسأل يا ست مي ؟!

يضحك الجميع :

- هأ هأ هأ هأ

فتنبري مي في الحديث :

- الحقيقة أن الحب في نظري هو الحرية .. وأعني بها كسر جميع القيود والحواجز .. إن زندي اليمني يضايقها سوار دار حول معصمها .. فحمل هذه القيود متوارث في النساء حتى ولو كانت في أشكال الزينة .

يلتاع ولي الدين يكن ويقول :

- السلاسل والقيود أقل رموز العبودية هولاً .. القيود في دمائنا وفي مطامعنا وحاجاتنا .

تردف مي :

- لا عبودية في القرن العشرين .. هذا هو الحب عندي .

« صوت جرس الباب »

يتسائل أنطون :

- ومين ده اللي ح ييجي دلوقتي ؟

يتعجب إلياس افندي وينهض ليفتح الباب :

- تلاقيه جورج فلبيدس رئيس القلم السياسي جاي يتمم علينا .. يشوفنا شربنا اللبن ولاّ لأ !!

يسخر شبلي :

- ولاّ يقول لنا إلزموا الجانب الأيمن من الطريق .. اليسار خطر .

يفاجأ إلياس بالضيف فيتمتم :

- مش ممكن .. الأستاذ لطفي بك السيد ؟!
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تنتفض مي وتنهض مسرعة لتلتزمه :

- مش ممكن .. لطفي .. !!

ثم تنتبه للحضور فتتراجع :

- لطفي بك .. حمد لله ع السلامة ..اتفضل .

يعترض شبلي متأففاً من لطفي بك :

- تانح قوي ؟ ما كنا مستريحين منك .. وده وقته !

يتخذ لطفي السيد مكانه عن يمين مي :

- كنتوا بتقولوا إيه ؟ قطعت كلامكم ؟

شبلي معترضاً في تأفف مجدداً :

- لأ يا سيدي لا قطعت ولا وصلت .. كنا بنسأل كام سؤال في الحب .. تتفضل ويانا ؟ استني شوية لما دورك ييجي

ثم يوجه شبلي حديثه لمي زيادة :

- أيوة يا آنسة مي اتفضلي كملي .

كمن يحاول أن يتأكد من وجوده بين الحضور يتسائل لطفي السيد :

- هوه العقاد لسة ما بيجشيش ؟

يتبرع خليل مطران بالجواب :

- البركة في الدكتور شبلي .. قطع رجله .

يعترض شبلي ويرفع ضوته متحدياً :

- هوه انا ح اقطع رجله بس .. ده أنا ح اقطع خبره .. وح اكسر دماغه

بالعصاية دي لو جه .. قال يقول لك لما يهلك شبلي أبقى آجي .. مش ح اهلك يا اخويا .. أما أعوذ أهلك أبقى اهلك بمزاجي .. أنا حر .

يلتفت لطفي لمي بتشبُب :

- عاملة إيه يا آنسة مي ؟

- بخير .. وحشتنا كتير يا لطفي بيه ..

يحاول الرافعي تحويل دفة المشاعر التي يقرؤها في نظرات متبادلة بين مي ولطفي وإن كان لا يستمع للحديث ولكنه يجيد قراءة كل شيء ما عدا أُذنه فهي لا تستقبل شيئاً فيلقي شعراً مباشرة كنوعٍ من الرفض وامتلاك الحديث ونحر مشاعر مي ولطفي فيقول :

حسناء خالقها أتم جمالها   سألته معجزة الهوى فأنا لها

كادت تقول :

رضيت عنه فأمسكت   ومضت على عجل لتخفي حالها
أواه لو مرآتها نجحت .. ولو   فمُها تبسَّم عند ذاك وقالها

تنتشي مي طرباً :

- الله .. الله .. يا رافعي .. ما أروعك .

يغتاظ ولي الدين يكن فيقرِّع الرافعي بقوله :

- العجيب أن الرافعي هو نفسه القائل بعنوان التبرج ..

دلالك في التبرج من ضلالك   وما عاب الدلال سوي دلالك
لمن تتبرجين وذي سبيل   وما هي أفق شمسك أو هلالك
أما تخشين أنكِ في طريقٍ   يوف به الحرام علي حلالك

وأن ذئـــاب أهـــل الحســـن تمشي   مســـعرة اللحـــاظ عـــلي غزالـــك

يضحك لطفي بدهاء :

- هذه نقرة وهذه نقرة يا أستاذ يكن ..

تخرج مي صورة لها من كتاب بين يديها وترفعها لأعلى فيراها الجميع متسائلة :

- إيه رأيكم في الصورة دي ؟ اتصورتها النهاردة ..

يتناولها لطفي السيد من مي وينتشي وهو يرقبها في سعادة :

- جميلة هذه الصورة يا آنسة مي .. فعلاً جميلة .. لكن مياً أجمل بكثير .

يتسائل الرافعي :

- إيه ده ؟

يداعبه شبلي وهو يخطفها من بين أصابع لطفي السيد ويلقي عليها نظرة سريعة :

- وريهاله يا سيدي يحسن ينط له عِرق .. وريهاله خليه يعمل عليها شوية شربة .

يضحك الجميع في حين الرافعي يتناول الصورة ويتفحصها بعشق .. بينما إسماعيل صبري يترنم شِعراً في الصورة :

أرسلي الشعر خلف ظهرك ليلاً   واعقديه من فوق رأسك تاجاً

أنـــتِ في الحـــالتين بـــدر نـــراه   صـــادعاً آيـــة الدجـــى وهاجـــا

ينتشي لطفي السيد بسعادة من الإبداع الرائع :

- الله يا عيني ع الكلام الجميل .. الله الله يا إسماعيل صبري باشا يا عيني

فتهتاج قريحة ولي الدين يكن الشعرية فيقول :

أوحـــي إليهـــا ربهـــا وحـــيه   ألا تراهـــا وهـــي تستمـــع

رقـــت معانيهـــا وألفاظهـــا   كـــأنها ألفاظهـــا أدمـــع

يـا مـيَّ مـا في الكـون مـن بهجـة   إلا ومـــن عينيـــك تســـطع

تتمايل مي طرباً في سعادة :

- يا ربي .. معقول كل هذا جمال .. ما هذا الشعر .. لا يمكن .

يعترض شبلي في مداعبة :

- احنا ح نفتحها مشعرة تاني ؟ طيب ممنوع أي حد يتكلم غير الآنسة مي .. ح نسمعها هي بس وهي بتسمعنا الشعر الجميل بتاعها .. اتفضلي والعصايا أهي .

بأدب تقرر مي :

- لا يمكن أن أقول الشعر في حضرة جهابذته .. لكن أنا ح أقول شعر جميل كتبه إسماعيل باشا صبري وسمعهولي وعجبني قوي :

يـا ظبيـة مـن ظبـاء الإنـس راتعـة   بـين القصـور تعـالي الله باريـكِ

هـل النعـيم سـوي يومـاً أراكِ بـه   أو سـاعة بِـتُّ أقضـيها بناديـكِ

وهـل يعـد علـيَّ العمـر واهبـه   إن لم يجملـه نظـم الـدر مـن فيـكِ

إن قابلتـك الصـبا في مصر عـاطرة   فـأيقني أنهـا عـني تناديـكِ

وأنهـا حملـت في طـي بردتهـا   قلبـاً بعثـتُ بـه كـيما يحييـكِ

يُطرب إلياس افندي :

- يا الله .. يا الله

ثم يترنم ولي الدين يكن شعراً فيقول :

أعلمـت الهـوى الـذي أخفيـه   أي سر يـا مـي لم تعلميـه

مي كمن تجيبه في دلال جَلِّي :

مظلومـــة تشـــكو إلي مظلـــوم هـذه همومـك هـل عرفـت همـومي

مـــا في الزمـــان ولا بنيـــه كرامـــة فيصـــان قـــدر كريمـــة وكـــريم

ترنم نزهة هانم بإعجاب :

- الله .. يا الله على هالشعر الرائع .

■ ■ ■

يا دلالي ويا جمالي

التاريخ : ٩ يونيو سنة ١٩١٥

الوقت : بعد انتصاف الليل بسويعات ..

المكان : غرفة نوم مي .

الصورة : مي أمام الدولاب ترتدي ملابس المنزل بينما والدتها نزهة تجلس علي السرير تقلب صفحات مجلة في سعادة ودهاء تحدث مي ويبدو أن جسراً من التفاهم أقيم بينهما حين تتسائل الأم السيدة نزهة هانم :

- إدريس بك إختفى يعني .. ما عدناش بنشوفه .
- أحسن يريحنا .. بس لو أحب أجيبه بتليفون .. أجيبه في أي وقت يا ماما .
- شفتي لطفي بك جاي من بلده ويرى عليه آثار السفر ..

تتدلل بإعجاب :

- لطفي بك طلق السياسة والصحافة ورجع لمسقط رأسه .. لكن مايقدرش يبعد عن صالون مي .

بدهاء الأنثى الفطري ونظرة ذات معنى تتسائل نزهة هانم :

- مي ولاّ صالون مي .
- مش ح تفرق يا ماما .. المهم مي مع مين .
- طيب مي مع مين ؟
- مش عارفة حقيقي مش عارفة يا ماما .. أحياناً بيشدني عباس العقاد .. وأحياناً بتحرك مشاعري عذوبة شعر إسماعيل صبري .. وبيصعب عليا ولي الدين يكن والرافعي .. لكن لطفي السيد بيخطفني بسحره .. وإدريس بك بطموحه

ونجاحه .. وحتى خفة دم الدكتور شبلي بتعجبني ..

- وأنطون الجميل ومطران وشوقي ؟!
- بيدوبوني .. لكن .. !
- لكن إيه ؟
- لكن جبران حاجة تانية .. مش عارفة ليه يا ماما .
- يا بنتي فيه واحدة بتتعلق بواحد عمرها ما شافته ؟!
- الأعماق والمشاعر يا ماما أقوى من العين ..

ثم تتحرَّق شوقاً :

- آه وحشني قوي .. يا تري عامل إيه مع بنات باريس .
- هوه جبران في أمريكا ولاّ في باريس يا بنتي ؟!
- طه حسين يا ماما .. الدكتور طه حسين .. وحشني .
- والله تعبتيني يا مي كتير .. عايزاكي تتجوزي انتي كبرت .
- أنا لازم انتخب عريسي من بين جميع الشبان .. مي مش بسهولة تتجوز يا ماما

تنهض الأم وتبقى مي .. ثم تتقدم خطوات إلى مكتبها لتجلس وتداعب أوراقها ثم تتناول ورقة وقلماً لتكتب ...!!

■ ■ ■

مراسيل جبران أم مكاتيب لطفي السيد ؟!

تتحرَّق مي شوقًا متسائلة :

– ألا تصلني مراسيل جبران ؟! ربي كيف خلقت جبران جميلاً بهذه الخلقة .. فأصبح كل الرجال في ناظري جبران .. إني أشتاق إليك كثيراً .. كثيراً يا جبران .. لكن العقاد فارس أوحد في مضمار الحديث .. لا يلجمه مع من يعترك .. يتطاول ويشد عنقه حتى يبلغ الثريا شموخاً .

فجأة يطل لها وجه لطفي السيد من الورقة يحدثها مبتسماً وهي شاردة هائمة بغرام محموم ووجد مشبوب وقلب مكلوم .

صوت لطفي السيد في رسالته :

– اكتبي لي .. واكتبي كثيراً .. وثقي بأن كتابك لي أقرأه خير عندي من أكبر لذائذي في الدنيا وهي الطعام .. ألا ترين أن بني إسرائيل من قبل عيسي لم يشاءوا أن يعجزوا الله إلا بالمائدة .. وإن الحواريين لم يجدوا ما تطمئن به نفوسهم إلي تصديق عيسي إلا بالمائدة .. فالمائدة هي صوت الموسيقى .. وهي خطوط الجمال .. وهي قوائم الشعر ولباب النثر .. وهي كل شئ .. كتابك عندي خير من هذا كله يا أحلي مي .. ودمتي دوماً لـ لطفي السيد

تترنم مي عشقاً ثم تتمتم برومانسية :

– معقول يا لطفي ؟! كل ده حب ؟! مش ممكن يا لطفي !!

■ ■ ■

يحدث في حديقة الأسماك كثيراً بين مي والعقاد

العقاد ومي يتجاوران في المسير بين الأشجار في حديقة الأسماك تتأوه مي غراماً :

- عباس .. نفسي أطير معاك لآخر الدنيا .
- وأنا أود أن أختصر اللغة إلى كلمة واحدة .. لست أدري كيف أجمع حروفها .. وأود أيضاً أن أختصر رجال العالمين إلي رجلٍ واحد .. أنا أعلمه جيداً .. بعد أن اختصرتُ النساء إلى امرأة واحدة .. أود أن تعرفيها جيداً .
- تقصد إيه يا عباس ؟
- أقصد أن أسائلك آنستي .. هل سأبقى أؤذن في مالطة كثيراً ؟

تتدلل مي في سعادة فطرية أنثوية :

- وإيه اللي وداك مالطة ؟
- كثيرون يذهبون إليها مكرهين .. واخترت وحدي أن أدخلها طواعية .. لست أدري لماذا ؟!
- طالما لست تدري لماذا يا عباس .. تبقى دخلتها مُكرَه زي بقيت خلق الله .
- لا .. إني أحتج يا آنستي .. فليس العقاد ممن يُكرهون على فعل شئ أبدا .

تدلل أكثر ثم تواجهه :

- بتغير عليَّ يا عباس ؟!
- أنا ؟!

«تجاهلت سؤاله وباغتته»

- باقول إيه يا عباس .. نفسي اسألك سؤال .
- والعقاد كله آذان صاغية ..



- يعني إيه لما راجل يحتفظ بهدية ست حتى في أصعب وأقسى وأحلك لحظات حياته ؟
- دعيني أسألك أولاً ولماذا تهدي هذه الست هدية لرجل ؟
- أي حد ممكن يهدي لأي حد هدية .. فيها إيه يا عباس ؟
- فهل يمكنك مثلاً أن تهدين هذا العقد لعابر سبيل يطلب منكِ رغيفاً من الخبز ؟
- طبعاً لأ ..
- إذاً ما معني أن تهدين سلسلة مذيلة بإسمك لولي الدين يكن ؟

تتعجب بدهشة من هول المفاجأة :

- مش قلت لك انت مصيبة .. انت طلعتلي منين يا عباس ؟
- من غياهب المجهول المبهم .
- وتفتكر طلعتلي ليه يا عباس يا عقاد ؟
- كي أعلمك فنون الغزل في دروس مجانية من أجل الحقيقة .. وأبقي الوخز الحقيقي الدائم الذي يؤلمك ويقض مضجعك .. ويلقي بصفيحة من ماء النار علي تلك اللوحة الزائفة التي ترسمينها زوراً للآنسة مي
- عباس ..
- لا تكذبين .. فالعقاد أكبر وأعظم من أن تكْذبه امرأة ..
- حتى ..
- حتى لو كانت الآنسة مي .
- صدقني يا عباس .. أنا باحس إن انت جزء من كياني ..
- صدقتِ فيما ذهبتِ إليه .. فأنا أخبرك ببقية كيانك الجريح ..

- كفاية تجريح يا عقاد .

- إني أعرفك حين تكونين عني راضية .. تقولين يا عباس ..

- ولما أكون زعلانة باقول إيه ؟

- حين تشعرين بخذلان جندك تقولين يا عقاد ..

بسعادة وذهول تواجهه وهو تتفحص ملامحه بشاعرية :

- معقول ؟ معقول دخلت جوه كياني بالشكل ده يا يا عباس ؟ صدقني انت فعلاً جزء من كياني .

- دعيني أخبرك بحقيقة كيانك الذي تتحدثين عنه .. افتراضاً تقولين أن عباساً جزء من كيانك .. ولي تحفظي الشديد على تلك المقولة فيما يخصني .. فليس العقاد ممن يسعد أن يكون جزءًا فحسب من كيان امرأة .. خصوصاً لو فرضنا أن تلك المرأة هي كل كيانه .. قضيتك يا آنستي أنكِ تشعرين بكيانك من وجود تلك الكوكبة التي تزينين بها معصمك في مساء كل ثلاثاء فلديكِ يكن .

بإعجاب لتغيظ العقاد :

- أووووه .. شاعر الحضرة السلطانية الكبير .

- يصفق للسلطان من أجل موائده لكنني العقاد

- إيه بتغير منه ؟

- أنا ؟! أغار .. ممن ؟ من رجال صالونك ؟! أنا أغار منهم .. من هذا الأحمد شوقي الذي يحرص أن يوقع للتاريخ في دفتر تشريفات صالون مي .. ويقارعه خصمه العنيد حافظ في التوقيع .. وتسعدين حين يأتي ابن الرافعي باشكاتب محكمة طنطا ليبيت في القاهرة في لوكاندة تطل على دار مي أو تقترب ليدرك الصالون كل ثلاثاء .. ثم يسافر حضرة الباشكاتب إلي عمله صبيحة يوم الأربعاء .. ويعود سريعاً



ليمكث الخميس والجمعة في حضرتك مرتلاً تسابيح الهوى على أوراقه البالية ..

تغيظه :

- مصطفي صادق الرافعي أبلغ من كتب العربية في العصر الحديث .

- شائعات مصدرها فكرك المريض فقط .. فلا يعدو عن كونه باشكاتب هُذَيِّل في محكمة .. يكتب في البيان التي يمتلكها صهره البرقوقي

- لا يا عقاد .. بل حقيقة واقعة ..الرافعي يدرسون كتابه « تاريخ آداب العرب » في الجامعة المصرية .

- بل هو مجرد كُتيِّب هذيل كصاحبه .. انتقده طه حسين قبل سفره

- للدرجة دي بتغيروا من الرافعي ؟ طيب ولطفي بك ؟

بهدوء وحسرة يقرر العقاد :

- أعلم أنه يسعدك منطق لطفي .. وفلسفة ذلك الشبلي المتدكتر .. وتبهرك سعة معارف أحمد زكي .. وتذيبك رقة مشاعر إسماعيل صبري .. وتهيمين بطلاقة لسان مطران إذا ما تكلم فأوجز .. ويزعجك أن يرتحل طه حسين أو يجبن جبرانك عن القدوم إلى مصر لرؤيتك .. ويقض مضجعك أن يشمخ العقاد على صالون مي بمن فيه .. فلا بأس لديك من تزيين مائدة ندوتك ببعض كبار المجتمع ..

- عقاد وبعدين معاك .. انت بتتخيل أشياء مش صحيحة بالمرة .

- لا أنكر عليكِ أن ندوتك التي يعتمر إليها الخاصة كل ثلاثاء .. تذكرني بندوة سكينة بنت الحسين في عصر الأمويين .. ودارة ولاّدة بنت المستكفي في عصر العباسيين ..

بزهو تسائله :

- بس ؟

- أعلم أنكِ ترغبين أن أشبهك بـ روكاميه ودوستال ودونيل .. لكنك تعلمين أن ندوتك ستبقى قفراً جدباء حين يتبعثر في أرجائها ضيوفك الكومبارس في غياب عباس العقاد .. وهم يرتجلون دون ضابط أو رابط .

- جاوبني يا عباس يا عقاد ح تيجي الصالون ولاّ لأ ؟!

- لِمَ ؟ وفاء لنذر قديم .. أم برًا بوصية والدتي

- لا نذر ولا بر يمين .. انت لازم تحضر علشان جورج فلبيدس ما يقولش عليك جبان.

- دعابة هزلية آنستي .. وهل يملك جورج أن يقولها ؟ فزيارتي له خير شاهد مي : عباس .. محتاجاك جنبي .

- حين تتخلصين من عقدك ورواسبك ..

- يعني ايه يا عباس ؟

- عندي سؤال يا مي ..

- اتفضل يا عباس بس بأدب وكفاية تجريح .

- بعد انتهاء الحرب وعودة حركة الاتصال بين بلدان العالم .. ماذا ستفعلين مع مكاتيب ذلك الجبران .. وكم من مراسيل الهوى ستطيرين له ؟ آنئذ يمكن للعقاد أن يجيبك

« تصغي مي لصوت ضميرها » :

- جبران .. ياله من بعيد يقض مضجعي .. ويا لك من عقاد تحمل في عباراتك جسارة كل المصريين

يواجهها بفهم وكأنه يقرأ أفكارها :

- حائرة أنتِ .. هذا هو الخلاف بيننا .. التردد والحيرة .. أنا أو ذلك الجبران



يا مي ؟!

- افهمني يا عباس .

- هيا يا آنسيتي .. هيا بنا نعود فالوقت يمضي ولا يحسن بفتاة مثلك أن تمكث كثيراً خارج البيت .

- أنا مي زيادة يا عباس

- والناس لا تعترف بذلك المفهوم المجترئ على الواقع المتمرد على العادات والتقاليد .

- عباس .. انت عايز مني إيه بالظبط ؟

- ما يحتاجه البعير من الناقة

تتعجب منتبهة مصغية :

- إيه ؟

بهدوء ويقين وثقة يقرر العقاد :

- وهل يحتاج البعير الصغير من الناقة لغير الحنان والرعاية ورضعة من اللبن الصافي تسكن عواء معدته وتطفئ ظمئه ؟!

- وتفتكر انت عطشان للدرجة دي ؟

- أما إليكِ فلا .. وأما للبعير فمن ذلك المجنون الذي يرفض للبعير عطاء ؟

- على فكرة .. تصور .. لولا ولي الدين يكن كان زمانك في الأودة التانية عند جورج فلبيدس في مكتب البوليس السياسي بيقطعوك ويبيعوك بالوِّقَّة .. والقطعية مجاني جُملة وقطَّاعي ..

- تخدعك صيحات الضعفاء وتسويفات الدجاجلة

- ولي الدين يكن عمل اتصالاته .. اللي كنت بتقول عليه شاعر بالقطعة

للحضرة السلطانية .. علاقاته كبيرة .. حقيقي راجل فرصة لأي ست تعرفه .

- هذا ان كانت هناك ست أساساً .

تغيظه بدلال وحسم :

- لأ ولطفي بك .. ساحر .. هوه كمان كلم السلطان حسين .. لولا همه كنا عملنا لك حفلة تأبين بكره في الصالون .

- ولي الدين يكن رجل مهذب ومريض ولا أحب أن أذكره بسوء .. ولطفي بك صديقي وأنا رجل لا يقدح في أصدقاءه .. وأسلحة المرأة الواهية لا تجدي مع عباس العقاد يا آنسة مي .

- ياللا نرجع .. انت ح تنقطني

- أمنية .. ليست كثيرة على رب العالمين .

- ده أنا ح اعمل فيك عمايل يا عباس

- إنَّا لله وإنا إليه راجعون يا آنسة مي .

- ح أفرَّجك يا عباس

يتمر لحظة صمت تقطعها مي متسائلة :

- عباس ..

فيجيبها العقاد :

- نعم .

- سامعني كويس .

- يقيناً .

- أوعدك اني ح اجننك .

- وأنا لن أعدك بمثل ذلك .



- ليه ؟

- لأنكِ جُننتِ فعلاً .. أود العودة .. فقد جلسنا أكثر مما ينبغي .. خصوصاً أنني سأودع شقة الهرم غداً وسأقيم في شقة جديدة .. بمصر الجديدة .. وإن كنت أرى أن علاقة حميمة تربطني والأهرامات .. فباليقين سيحن كلانا إلى الآخر دوماً .

- أنا وانت ؟

- أنا .. والهرم الأكبر يا آنسة مي .

- ح تيجي الصالون خلاص يا عباس ؟

- لستُ سواراً تزينين به معصمك .. أو سلسلة نادرة نقشتِ عليها اسمك تلفين بها عنقك المرمري وتقدمينها هدية للعاكف والباد أو للباعة السرِّيحة يا آنسة مي .

تنتفض وهي تحطم آخر معاقل الشوق رغم غيظها منه :

- عباس .. عباس أنا تعبت حرام عليك .. تعبت أعصابي .

- هذا غيض من فيض يا آنستي .. والله أسأل أن يثبتّكِ لتشربي من فيوض العقاد التي لم يُخلَق مثلها في البلاد .

- أنا ح اتجنن يا عباس .. ح تجنني ؟!

- أعدك أن تفقدي عقلك على يديَّ عباس العقاد يا آنسة مي .. فابحثي لنفسِك من الآن على مصحة نفسية تنزلين بها .. وقُضي الأمر الذي فيه تستفيان .

■ ■ ■

ثم ..

تعليق واعتذار

وهكذا يتناطح الكبار في صالون مي زيادة ..

صالون العجائب ..

صالون مجزرة غرام الأكابر ..

فاسمحوا لي أن أتوقف معكم بهذا القدر من صالون مي زيادة ورحلة غرام الكبار ..

فماذا حدث في معركة مشاعر الكبار في مندوحة غرام مي ؟!

هذا ما سنتوقف معه تفصيلاً في روايتي القادمة :

« شُهداء الغرام » .

■ ■ ■


غرام الكبار
مي ...
الأديبة الساحرة

هل يمكن لامرأة واحدة أن تسحر كل رموز المرحلة من كبار نجوم الفِكر والسياسة والدين والشعر والمجتمع ؟!

ما هي أسلحتها وما هي مفرداتها ؟!

بإيجازٍ شديد مَنْ هي تلك الساحرة ؟!

***

هي .. مَنْ هي ؟!

مارى الياس زيادة أطلت إلى الدنيا في فبراير ١٨٨٦ المنحدرة من أب لبنانى وأم فلسطينية ، المولودة فى مدينة الناصرة بفلسطين حين رزقت بها السيدة نزهة معمر ، وهي فلسطينة أرثوذكسية من الجليل ، سبقت بنات جيلها وبلدتها الى الوعي والثقافة بالدراسة الخاصة والمطالعة ، وقد حفظت مئات الابيات الشعرية وخاصة شعر «ابن الفارض» وغيره من شعراء التصوف الاسلامي ، وزوجها «الياس زيادة» وهو مدرس ماروني من قضاء كسروان في لبنان ، وحل في مدينة الناصرة واستقر بها ، ورزقا بوحيدتها «ماري» التي بدأت رحلتها التعليمية وهي صبية في مدارس الراهبات في الناصرة ومن ثم في لبنان ، فهامت في قراءة كل ما تصل اليه يداها وأجادت بضعة لغات اجنبية كالفرنسية والانكليزية والالمانية وكتبت خواطرها ونظمت الشعر بالفرنسية ، وتسلت بأصابع البيانو وأوتار العد وركوب الخيل وهكذا كانت المرحلة الاولى من حياتها بين ربوع لبنان وأزقة الناصرة القديمة وكنائسها ومبانيها الحجرية ولم تتحيز لمارونية والدها ولا ارثوذكسية والدتها بل التزمت بافضل سجاياها السمحة «اللاطائفية».

كانت مى فى الربع الأول من القرن الماضى نجمة الحياة الثقافية والأدبية فى مصر ولم تتخلف أيضا عن القيام بدور اجتماعى يتمثل فى اسهاماتها فى النهضة النسائية

تلقت مى علومها الاولية فى مدرسة للراهبات بعين الطورة فى لبنان وفى تلك المدرسة تعلمت اللغة الفرنسية وأجادتها ثم انتقلت الى مصر مع والديها بحثا عن حياة ورزق أفضل وأصدر والدها فى القاهرة صحيفة المحروسة ، وبدأ اختلاطها بالبيئة الثقافية والفكرية والأدبية مما أسهم فى تفجر ينابيع الموهبة الكامنة داخلها وصدر أول ديوان شعرى لها باللغة الفرنسية يحمل اسم أزاهير حلم ووقعته باسم مستعار هو ايزيس كوبيا ، وفعلت الشئ ذاتة فى مذكراتها حين جعلتها باسم مستعار عائدة وفى هذه المذكرات يبدو تأثرها واضحاً بأسلوب الشاعر الرومانسى الأنجليزى الشهير بيرون .

حطت العائلة رحالها في القاهرة عام ١٩٠٨ وكان ذلك العام عام وفاة الأستاذ «قاسم أمين» والزعيم الوطني «مصطفى كامل» ، إلا أنَّ مصر «المحروسة» بصورة عامة والقاهرة التي لن تقهر خاصة كانتا تموجان بنهضة تحررية للإصلاح الديني والاجتماعي ورفض الهيمنة الأجنبية على شؤون البلاد والعباد فدعاوى «الأفغاني ومحمد عبده» لها صداها وأفكار «قاسم امين» لها أنصارها وتحقيق التراث وترجمة آداب وعلوم الغب لها محترفيها كما فتحت أبواب أول جامعة مصرية أهلية في هذا الوسط استطاع «إلياس زيادة» أن يجد فرصته في التدريس والصحافة أما ابنته فعهد اليها بتعليم بنات ذوي النفوذ والثراء اللغة الفرنسية . ولما سمحت الجامعة المصرية في خلال الحرب العالمية الأولى وبجهود الأستاذ «أحمد لطفي السيد» بانتساب الطالبات إليها سارعت إلى دراسة الأدب والفلسفة وحقق والدها رغبتها في نشر باكورة قصائدها «أزاهير حلم» بالفرنسية وباسم «ايزيس كوبيا» استقبلته الصحافة والقراء بحفاوة وتساءل عن صاحبته فكان كتابها الثاني «ابتسامات ودموع» ترجمته عن الألمانية وأخذت تنشر مقالاتها في جريدة والدها «المحروسة» وبأسماء مستعارة فتارة «عائدة» وأخرى «خالد رأفت» واقترحت عليها أمها أن تقتصر اسمها إلى

«مي» فاخذت تنشر مقالاتها بهذا الاسم وعرفت به «مي زيادة» فكانت تكتب افتتاحية جريدة «الاهرام» وفي صحف اخرى.

وفى عام ١٩١٥ جاءت نقلة مهمة في حياتها أسهمت فى اندماجها فى المجتمع المصرى حيث تعلمت العربية على يد أستاذ الجيل احمد لطفى السيد والشيخ مصطفى عبد الرازق وأتاح لها هذا أن تكتب بلغتها القومية فى صحيفة والدها المحروسة وفى مجلة الزهور التى كان يصدرها مواطنها أنطوان الجميل وانكبت على دراسة لغات اخرى ولم يمر وقت طويل حتى كانت قد أجادت الإنجليزية والألمانية والإيطالية إلى جانب العربية والفرنسية.

تأسس صالون مى زيادة عام ١٩١٣ واستمر لربع قرن من الزمن يضئ القناديل لدنيا الثقافة والفكر الأدب ولم يكن يخضع لمنهج أو برنامج معين بل كان مفتوحا لكل المناقشات وكل المجالات فكرية وأدبية وفنية لتنوع مذاهب ومشارب مرتادية الذين يجئ فى مقدمتهم إسماعيل صبرى وأحمد لطفى السيد وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم وخليل مطران وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعى وأحمد زكى ورشيد رضا ومصطفى عبد الرازق وسلامة موسى وشلبى شميل وإسماعيل مظهر وأسماء أخرى عديدة حتى لقد قال العقاد فى وصف أهمية وتأثير صالونها الأدبى « لو جمعت الأحاديث التى دارت في ندوة مي لتألف منها مكتبة مصرية تقابل مكتبة العقد الفريد والأغاني فى الثقافتين الأندلسية والعباسية » .

وإجادة مى لأكثر من لغة أتاحت لها أن تنهل من بحور الثقافة والمعرفة الإنسانية وان ترى فى تعدد الثقافات ثراء للفكر الانسانى فكانت من أوائل الذين دعوا إلى إقامة جسور من الحوار والتفاهم والتبادل بين الثقافات الإنسانية .

كان لديها كما قالت عن نفسها جوع فكرى لايكتفى وعطش روحى لايرتوى



فأغرقت ذاتها فى كتب الأدب والفلسفة والفكر والتاريخ والفن والموسيقى وأسهمت فى الكتابة الصحفية عبر باب ثابت كانت تكتبة باسم مستعار تحت عنوان « يوميات فتاة » يضم خواطر ودراسات أدبية وفلسفية وتأملات فى الأدب والحياة كما أنشأت عام ١٩٢٦ بابا فى صحيفة السياسة الأسبوعية أسمتة «حلية النحل» وكان عبارة عن أسئلة وأجوبة يتناوب قراء الصحيفة طرحها والأجابة عليها وكان دور مى صياغة ذلك بأسلوبها هى.

ولم تنس مى أنوثتها فى سعيها المحموم لطلب العلم والثقافة وإنما وظفت هذا السعى لصالح جانب المرأة فيها إذ كانت ترى المرأة الشرقية مغبونة وأنها أسهمت فى صنع واقعها الذى تشكو منة بسلبيتها وعدم محاولتها الاستفادة من علوم عصرها وفنونة . لهذا كان انخراط مى فى العمل النسائى وعلاقتها برائدة النهضة النسائية العربية هدى شعراوى التى وصفت مى « بأنها كانت تعرف قدر نفسها فى تواضع جميل» واهتمام مى بالمرأة هو ما دفع بها إلى الإعجاب بشدة بالأديبة عائشة التيمورية وإصدار كتاب عنها كما كان دافعها الى محاولة تحليل كتابات الرجال عن المرأة فى كتابها « كلمات وإشارات » لمعرفة كيف ينظر الرجال إلى النساء وكيف يرونهن من زاوية رجالية.

بمثل هذه الروح الطموح الوثابة كانت مى زيادة تواجه عصرها متحدية كل الظروف التى تسهم فى تأخر المرأة واقفة على قدم المساواة مع رجال فطاحل فى زمن اعتادت فية النساء على الاكتفاء بالمقاعد الخلفية والبقاء خلف المشربيات ينظرن من بعيد إلى العالم المحيط بهن وكان فى هذه الجرأة وتلك الثقافة وذاك الذكاء ما شد أعناق الرجال إلى مى فاجتذبت عقولهم قبل افئدتهم إذا رأوا مى فيها نموذجا لم يألفوة من قبل نموذجا يرى فى علاقة الرجل والمراة ندية متساوية وزاد من إعجابهم

بها إنها برغم سفاياتها المتعددة وتنوع ثقافاتها وتحررها الفكرى ظلت متمسكة بشرقيتها لا تبتذل نفسها بل تسلح أنوثتها وذكاءها المتوقد بالخلق والحياء

لا عجب إذن أن يقع معظم رجال الفكر والأدب والسياسة فى هوى امرأة بهذه المواصفات امرأة كان صوتها على حد تعبير عميد الأدب العربى د. طه حسين عذباً لا يكاد يبلغ الأذن حتى يصل إلى القلب فتهاوى أمامها رجال كبار ينشدون وصلها وهى بذكاء المرأة تردهم عنها بلطف لا يخيب رجاءهم ولا يحققه ووصل التنافس بين الرجال على قلبها إلى حد أن زعم أن معركة «على السفود» الشهيرة بين الأديبين الكبيرين عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعى كان سببها تنافس العملاقين على شد انتباة مى فكانت معركتهم الأدبية صدى لصراعهم العاطفى لنيل قلب الأديبة النابهة أما مى نفسها فكان قلبها فيما يبدو معلقاً ببلدياتها الأديب والشاعر المهجرى الكبير جبران خليل جبران وكانت بينهما رسائل مشبوبة بالعاطفة مستعرة بالفكر وفى أحدى الرسائل كتب لها

«حبيبتى مى .. خاطبت الناس جميعاً باسم الحب فقلت لهم : فلتكن هناك فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض فى حياتكم المشتركة ولتدعو رياح السماء تتراقص فيما بينكم .. أجل فليحب أحدكم الأخر ولكن لا تقيدوا الحب بالقيود ...بل يكن الحب بحرا متموجا بين شواطئ نفوسكم .. وكذلك الحب الذى يؤلف بين قلبينا .. يا مى يا نسمة روحى وعطر حياتى .. ودنيا أشواقى »

ولكن مى أحست من رسائل جبران أن علاقتها به لن تصل إلى نهايتها الطبيعية ولن تكلل بالزواج فأغلقت قلبها دونه ودون الرجال جميعاً نأت عنهم بالقلب وإن ظلت مرتبطة بهم بالفكر وظلت عزباء إلى أن توفاها الله.

وبرغم ذلك ظل الأمل يداعب قلوب الأدباء فى نيل قلبها وكسب يدها وكتبت

عنه وفيها أشعار لم تكتب لأمرأة قبلها أو بعدها إذ لا يكاد شاعر من معاصريها لم يتغزل فيها ونرى شاعر يبلغ من العمر عتيا مثل اسماعيل صبرى لا يمنعة كبر سنة من أن يكتب متغزلا فيها وملمحا إلى ندواتها كل ثلاثاء :

روحى على دور بعض الحى حائمة   كظامى الطير تواقا إلى ماء

إن لم أمتع بمى ناظرى غدا   انكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

ويصف شاعر الرومانسية الكبير إبراهيم ناجى هيامة بمى فى قوله :

أحببت مية حبا لايعادلة

حب وأفنيت فيها العمر أجمعة

قد مر من دونها ما كنت أقطعة

لقد أثرت مى زيادة الحياة الفكرية والثقافية والأدبية من خلال اللقاء الثقافى الكبير الذى يعد أهم صالون أدبى عرفة الوطن العربى خلال القرن العشرين كما أثرتها بما قدمت من مؤلفات قيمة تناولت وتوزعت بتنوع ينابيع ثقافتها حيث تناولت الفن بعامة فى « المد والجزر» وتحدثت فى « الصحائف » عن شخصيات عرفتها ونادت فى المساواة بتحقيق العدالة والمساواة بين الرجال والنساء وكتبت أيضاً » باحثة البادية » «وردة اليازجى » «الرسائل » «ظلمات وإشعاع » «ابتسامات ودموع » ورواية «رجوع الموجة ».

ولم تكن مي تقتصر موهبتها على كتابة المقالة التي أثبتت بها جدارتها بحق في زمن كان كاتب المقالة في مصر عمالقة الأدب العربي كالعقاد والمازني وطه حسين بل نظمت الشعر بالفرنسية ونشرت قصتين «الحب في المدرسة» و«الشمعة تحترق» وقيل أنها كتبت المسرحية ورسائلها إلى جبران والعقاد والأب العلامة أنستاس الكرملي واستاذها أحمد لطفي السيد والشاعر أحمد الصافي النجفي وغيرهم تعد

بالمئات وتملأ مجلدات وهي قطع في الأدب واللغة والشعر والسياسة منها «رجوع الموجة ـ الحب العذري ـ ظلمات بائعة بين المد والجزر ـ باحثة البادية ـ سوائح فتاة ـ كلمات وإشارات» وهي خطيبة في وقت كان خطباء مصر زعماء الحركة الوطنية أمثال سعد زغلول ومكرم عبيد ويشهد لها مقدرتها الخطابية الدكتور طه حسين إذ يصف أول لقاء له بها وكان حفل تكريم «مطران» فلم يعجبه إلا صوتها الذي كان لايبلغ السمع كما قال: حتى ينفذ منه في خفة إلى القلب فيفعل فيه الأفاعيل وهي ايضا محاضرة يغبطها على قدرتها في استعراض أفكارها وتسلسلها ودقة وبساطة ووضوح كلماتها الكثير من الأساتذة وجمعت محاضراتها في كتاب «كلمات واشارات» وكانت آخر محاضرتاتها عام ١٩٣٩ بعنوان «رسالة الأديب للحياة العربية » .

وهي محدثة لبقة تجيد الإنصات وتقول آرائها بشجاعة وقوة حجة ولطافة فهي المحاورة الرئيسة في صالونها الأدبي الذي يعقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع واستمر يعقد زهاء عشرين عاما يحضره خيرة الأساتذة والأدباء والشعراء يومذاك أمثال أستاذ أحمد لطفي السيد والدكتور طه حسين والشيخ مصطفى عبدالرزاق والعقاد وسلامة موسى وشبلي شميل وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري وغيرهم ومن النساء : ملك حنفي ناصف وهدى شعراوي وإحسان قوصي ونظلة الحكيم وغيرهن كما شهد ندوتها الكثير من العرب مثل علامة الشام الأمير مصطفى الشهابي والأساتذة أمين الريحاني أمين معلوف وانطوان الجميل وشاعر القطرين مصر والشام خليل مطران وغيرهم.

ولم يكن صالون مي بدعة ابتدعتها بل هناك من عاصرها وسبقها في ذلك ففي دمشق أقامت ماري عجمي مجلسا أدبيا في دارها وفي حلب لم تتحرج مريانا مراش في إنشاء حلقة أدبية في بيتها وللأميرة المصرية نظلة في ندوتها الأدبية إلا أنّ ندوة مي

أضفت عليها من حلاوتها وصفاء نفسها وتألق نبوغها ووسامتها وتحضرها وسحر ولطف حديثها الكثير فمثلا تقول للدكتور شبلي شميل وهي تحاوره عن نظرية التطور التي نقلها للعربية.

عجبت أنْ رأيتك كافرا بالله مؤمنا بداروين فيضحك الشيخ «شبلي» لحوارها وتقول «مي» لـ «طه حسين» عندما طلب موعدًا للّقاء إذا كنت قسيسا فلا بأس بلقائك فضحك الدكتور وقال:

- عزيزتي مي يؤسفني أن لا أكون قسيسا !!

فأجابت مي :

- ولماذا لاتكون قسيساً ؟!

وضحك طه حسين ثانية وقال لها :

- إنك تطلبين المستحيل !!

وربما بهذا الحوار عاد الدكتور «طه حسين» بذكرياته للأيام التي كان فيها طالبا أزهريا يرتدي الجبة والعمة لهذا يقول الأستاذ سلامة موسى: لم تكن مي جميلة ولكنها كانت حلوة عاشت عمرها قبل ميعادها بخمسين سنة !

ولم يقتصر نشاط «مي» على الثقافة فحسب بل كانت من حملة المبادئ التي لابد من النضال لترسيخها وتجسيدها والدفاع عنها فهي امرأة عربية مثقفة أدركت رسالتها وواجبها في عصرها لهذا نجدها تدعو بكتاباتها وخطبها ومحاضراتها لحرية المرأة في نيل حقوقها الإنسانية ولحرية مصر فساهمت في ثورة ١٩١٩ وبالتظاهر والخطابة وحرية المرأة والرأي والوطن هي انطلاقة في الإبداع والحياة ومثلما وجدت الوطنية طريقها إلى قلب وعقل «مي».. وجدت القومية والإنسانية سبيلها إلى قلبها وعقلها أيضا.. فهي فلسطينية المولد ولبنانية الأصل ومصرية المنشأ لذا غالت في حب العربية وتهكمت على

دعاة العامية متحشمة في ملبسها وزينتها وتقدم في ندوتها فنجانين من القهوة على الطريقة البدوية وتشيد بحضارة الرق وقيمها وكتابها «المساواة» هو دراسة في الاشتراكية تختمها بالجزم عام ١٩٢٣ بكلمة بل «بصرخة» الغد للاشتراكية وفي حديث لها مع «سلامة موسى» نشر في مجلة الهلال عام ١٩٢٨ قالت لعل معرفتي بتسع لغات قد زادت في حدود وطنيتي وجعلتني انظر الى العالم كأنه وطني الأكبر.

لهذا كله كتب عن «مي» عشرات الكتب والدراسات ومئات المقالات كما نظمت بحقها عشرات القصائد فاذا كان المتنبي مالئ وشاغل الناس فهي مالئة الدنيا وشاغلة الناس فمن الذين كتبوا عنها «الدكتور طه حسين والعقاد وسلامة موسى وأمين الريحاني وأحمد حسن الزيات ومارون عبود وداود سكاكيني».. وغيرهم كثر.

وآنسة بكل هذه المؤهلات لابد أن تستهوي العديد من الذين عرفوها إلا أنها أُعجبت بأدب «جبران خليل جبران» فكتبت له رسالة عام ١٩١٢ عبرت فيها عن إعجابها بمواهبه وأسلوبه ولم تتحرج من تعريفه باسمها وأصلها وما نشر لها ويومها كانت في بداية الطريق و«جبران» في قمة شهرته إلا أنّه لم يهمل الإجابة على رسالتها بل شكر لها ثناء على أدبه ثم حدثها عن نفسه واستمرت الرسائل بينهم لتكون صداقة ادبية سرعان ما تطورت إلى أنْ تقع في هواه ومن بعيد وتؤثره على الكثير وهم قريبون منها وقد قيل الكثير في حب جبران لـ«مي» وعلاقته بغيرها حتى سماه بعضهم الحب العظيم إلى الحب الملهم المتسامي عام ١٩٣٠

مرضها

كان لوفاة والد مي عام ١٩٢٩ ثم وفاة حبيبها الروحي جبران خليل جبران عام١٩٣١ وأخيراً وفاة والدتها عام ١٩٣٢ أثرٌ في تردي صحتها النفسية والجسدية فاعتزلت الناس وتوقفت عن الكتابة .



فآثرت «مي» العزلة وتجافت عن لقاء الصدقاء والمعارف بل حتى المرأة «هيام المرأة الاول» هجرتها واصبحت لاتريد ان ترى وجهها المحزون إلا أنه استمرت في القراءة والكتابة حتى عام ١٩٣٥ فنشرت سلسلة من المقالات عن أدباء الغرب المعاصرين كما نشرت قصة «الشمعة تحترق» ونشرت أيضا قصيدة وجدانية بالفرنسية بعنوان «ارتياب» وفي هذه الفترة ظهرت مقالتها فضل المرأة على الحضارة الإنسانية وهي محاضرة القتها في الجامعة الأمريكية في القاهرة وكان الدكتور طه حسين في طليعة المستمعين لهذه المحاضرة فاحب أن يخالف رأيها في فضل المرأة على الحضارة الإنسانية زاعما أن الحضارة نفسها هي صاحبة الفضل على المرأة والرجل كما نشرت مقالة «كلمات في صداقة» وفي ظل ظروفها هذه استطاع أحد أقاربها أنْ يفرض نفسه عليها وكيلا على أموالها وبعد ذلك عاد بها الى لبنان لتغيير الهواء كما ادعى على أمل العودة بعد أسبوع إلى القاهرة إلا أنَّ هذا الأسبوع امتد لأكثر من شهرين وعلى بغض منها لينقلها عنوة إلى العصفورية وهي مصحة للأمراض النفسية والعقلية على مقربة من بيروت ويحجز مالها وينهب دارها كانت مؤامرة وحشية قذرة لاغتيال أديبة العصر ومن رائدات النهضة الحديثة طمعا بمالها ليس إلا !! وبتدخل بعض الأصدقاء نقلت «مية» إلى مستشفى خاص وبعد عامين من هذه المحنة خرجت لتسكن بيتا ريفيا صغير في رأس بيروت إلا أنها ظلت تعاني من مشكلة الحجر القضائي الذي فرض عليها وبحصولها على تقرير من كبير الأطباء في ذلك الحين الجنرال «مارتان» يؤكد فيه أنها سليمة الفكر والإحساس وأنَّ الذي تشكوه لم يكن إلا ظلما وقع عليها واي ظلم هذا وممن كان؟! فعادت الى مصر بمعاونة بعض الأصدقاء فأجرت منزلا صغيرا وكتبت بعض الرسائل للأوفياء الذين وقفوا إلى جانبها في محنتها ولم تنقطع عن المطالعة وحدثت زوارها عن كتاب اسمته «ليالي العصفورية» ولكن زوارها قل عددهم وأخذ يتناقص فمزقتها الوحدة والكآبة ثم

عصفت بها اللوعة والفجيعة بوفاة الأديب «فيلكس فارس وأمين الريحاني» وهما من خير من وقف إلى جانبها في محنتها فأخذت تحتضر ببطء .

نعم .. لقد تفاقمت أحوالها إلى أن انهارت نفسياً وجسدياً وخلال صيف عام ١٩٣٢ قررت السفر إلى أوربا من أجل الترويح عن النفس ولكنها رجعت إلى مصر دون أن تظفر بطائل فأرسلت رسالة إلى أقاربها في لبنان تبدي فيها رغبتها بالرجوع إلى وطنها الأم وفي مطلع عام ١٩٣٦ حضر ابن عمها «د. جوزيف زيادة» إلى القاهرة ووجدها هزيلة الجسم ومنعزلة عن الناس وأقنعها بالذهاب إلى لبنان بعد أن أخذ منها توكيلاً عامّاً لإدارة ممتلكاتها ووصلت بيروت في شهر آذار١٩٣٦ وطمع أبناء عمومتها في ممتلكات ابنة عمهم «مي» ومن أجل الحصول على ثروتها الكبيرة قرروا اتهامها بالجنون وإدخالها مشفى الأمراض العقلية المعروف بـ«العصفورية» القريبة من بيروت وفي هذا المشفى تعرضت ماري لشتى أنواع العذاب والحرمان فقررت الإضراب عن الطعام إذا لم تُنقل إلى مشفى طبي آخر واعتلت صحتها وأصبح وزنها حوالي ٢٨ كغ فرضخ الأطباء المسؤولون عندها وقرروا نقلها إلى مستشفى د. نقولا ربيز في آذار ١٩٣٧ في بيروت وهناك عولجت من قبل الأطباء فتحسنت صحتها وأثناء وجودها في تلك المستشفى جيء بمريضة من «آل الجزائري» من دمشق وبعد إجراء عملية جراحية لها وضعت في غرفة ملاصقة لغرفة مي وأثناء الليل سمعت «مي» أصوات أنين وصراخ فانسلّت إلى غرفة جارتها الدمشقية فواستها وخففت عنها وأصبحت رفيقة دائمة لتلك المريضة وبعد شفائها شكرتها وأرادت المريضة الاستفسار عن حالة «مي» فقصّت عليها «مي» ماعانته في مشفى العصفورية وما صدر من أقربائها فحزنت عليها السيدة «الجزائري» وقررت مساعدتها.

■ ■ ■

فارس الخوري ومحنة مي زيادة

وقبل أن نتحدث عن مساعدة فارس الخوري لمي زيادة لتتخطى محنتها نستعرض فيما يلي نبذة مختصرة لسيرته: فهو فارس بن يعقوب الخوري «١٨٧٧-١٩٦٢» من رجال السياسة والأدب والقانون والاقتصاد ومن أبرز رجال الحركة الوطنية السورية بدأ حياته العملية مدرساً للرياضيات في لبنان ودمشق وعمل مترجماً لدى القنصلية الانكليزية بدمشق ودرس القانون بمفرده ثم انتخب نائباً في مجلس «المبعوثان» وعند تشكيل الحكومة العربية بزعامة الأمير فيصل عين وزيراً للمالية وبعد احتلال الفرنسيين لدمشق عاد لمزاولة مهنة المحاماة وأسس أول نقابة للمحامين وانتخب رئيساً لها ثم عين أستاذاً في معهد الحقوق وشارك في الانتخابات النيابية عام ١٩٣٦ وفاز بمقعد نيابي ثم انتخبه الأعضاء رئيسا لمجلس النواب وقد كلف الخوري بتشكيل الوزارة أربع مرات «١٩٤٤-١٩٥٥» ومثّل سورية في المحافل الدولية وفي عام ١٩٥٥ اعتزل الحياة السياسية ثم أقعده المرض حتى وفاته عام ١٩٦٢.

ما إن علم الناس بمحنة مي زيادة حتى توافدوا إليها يواسونها ويعرضون عليها مساعدتهم وخاصة معارفها آل الجزائري والأيوبي من دمشق ومن رجال الأدب والفكر والسياسة وكان منهم فارس الخوري «رئيس المجلس النيابي السوري» آنذاك وزوجته أسماء عيد الخوري وبعد زيارة قام بها فارس الخوري للأديبة مي زيادة حضر مندوب أكبر صحيفة يومية لبنانية ونقل تصريحاً لفارس الخوري يصف فيه حالة «مي» ومما جاء فيه:

«يمكنني أن أقول بكل صراحة إنني تحدثت إلى أناس كثيرين في بيروت فلم أرَ

فيهم مَن هو أعقل من الآنسة «مي» وأزيد على ذلك أنني سمعت من بعضهم أخطاءً لم تفه «مي» بواحدة منها فهي بحالة عقلية تامة ولكن صحتها الجسدية ضعيفة جداً. ومما قالته لي والألم ينبعث من عينيها: تصوَّر مي زيادة على بعد عشرين دقيقة من بيروت قلب الشرق العربي وعاصمة لبنان الجميل الخالد ومهد الحضارة والنور وأم الجامعات والمؤسسات العلمية ودار الجمعيات الأدبية والخيرية ومركز جمعية النهضة النسائية أجل تصوَّر «مي» سجينة على بعد عشرين دقيقة من البلد الذي ذكرت».

وأثناء تلك الزيارة تلتفت مي زيادة إلى زوجة فارس الخوري لتقول لها: «أهذا ما كنت أنتظره يا سيدتي؟ أهذه هي المكافأة التي أعدتها لي المرأة الشرقية بعد جهاد طويل؟ أهذا ما تلقاه الأديبة في الشرق ؟».

■ ■ ■

فارس الخوري يعرض حالة مي أمام المجلس

لم يكتف فارس الخوري بالإدلاء بتصريحات إلى الصحافة اللبنانية بل ذهب إلى ندوة المجلس النيابي اللبناني واجتمع بعدد من أعضاء المجلس المذكور تحدث فارس الخوري عن زيارته لمي زيادة وعن معاناتها نتيجة اتهامها بالجنون والجور الذي حاق بها من أقرب الناس إليها ومعاملتهم السيئة لها وقد نشرت جريدة بيروت في عددها الصادر بتاريخ ١٢ شباط ١٩٣٨ حديث فارس الخوري أمام أعضاء المجلس ومما جاء فيه: كيف لا تهتمون بهذه النابغة اللبنانية؟ وكيف تسجن «مي» بين جدران مستشفى المجانين ولا يثور الرأي العام اللبناني ويظل هذا الخبر سراً مكتوماً؟ لقد كان حديثها لي حلواً لا إبهام فيه ولا تعقيد لقد وجدت فيها «مي» الكاتبة الشاعرة التي عرفناها في الماضي فكيف دُبّرت هذه المؤامرة الدنيئة على نابغة النابغات؟ أنقذوا مي وابذلوا جهدكم في الترفيه عنها وحرام أن تعامل الأنوثة التامة والنبوغ والعبقرية هذه المعاملة التي عوملت بها - مي -.

كان للتصريحات التي أدلى بها الزعيم فارس الخوري للصحافة اللبنانية ومقابلته لبعض أعضاء المجلس النيابي صدى لدى الرأي العام اللبناني فسارع عدد كبير من الزعماء السياسيين والأدباء للدفاع عنها كان منهم: انطون سعادة وأمين الريحاني وقد تطوع الوزير السابق المحامي حبيب أبي شهلا للدفاع عنها أمام المحاكم اللبنانية واستطاع إعادة حقوق مي زيادة المغتصبة وقد شُكلت هيئة طبية قررت بأن حالة «مي» جيدة وأنها بحاجة إلى راحة جسدية.

■ ■ ■

النهاية .. وعودتها إلى مصر .. الوفاة بلا وفاء ؟!

عادت مي زيادة إلى مصر متعبة ومهيضة الجناح ومعتلة الصحة .. وكان يمكن لهذه الأديبة أن تستمر اشعاعاً متألقاً فى سماء الفكر والأدب لو لم يطمع أقاربها فى ثروتها ويغدروا بها اذ استطاعوا بالحيلة والغدر أن يودعوها فى مستشفى الأمراض النفسية « بالعصفورية» فى لبنان حيث أمضت سنوات من العزلة والمعاناة وحين تمكنت من الهرب والخروج من المستشفى والعودة إلى مصر كانت قد تحولت إلى شيء أخر إذ انطفأ فى داخلها بريق الحياة وغرقت فى بحور الكآبة والضياع وانعزلت عن الناس جميعاً .

وفي ليلة السبت ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) أصيبت بخفقان وضيق في التنفس وتوفيت في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الأحد ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤١ فى مصحة بالمعادى .. ولم يعرف خبر وفاتها إلا قلة من معارفها ولم يمش في جنازتها إلا أفراد قلائل منهم خليل مطران وأنطون جميل وأحمد لطفي السيد وبعد التشييع دفنت إلى جانب قبر والديها وهكذا ذبلت تلك الوردة التي انتشر أريجها كنسمة الربيع في سماء الأدب العربي ومكثت ذكرى حياتها الحزينة مأساة يرتاع لها الضمير ويلتاع بها القلب .

فأين نجوم صالونها من جنازتها ؟!

وأين من زرفوا فيها قصائد الحب ورسائل المديح وبحور المشاعر ؟!

هل كانوا كذبة ؟! وأين الوفاء لمي زيادة ؟!

والآن ..

مَنْ هُم أشهر نجوم صالون رحلة غرام مي زيادة ؟!


غرام الكبار
أنطون الجميل
مؤسس صالون مي

أنطون الجميل صحفي ومفكر لبناني كبير ولد عام ١٨٨٧ من أبرع صحفيي عصر النهضة. ولد في بيروت ودرس في الجامعة اليسوعية حيث بدأ ممارسته الصحفية في مجلتها البشير١٩٠٦ م.

سافر إلى مصر عام ١٩٠٧م وبدأ حياته المهنية أمينًا لوزارة المال في القاهرة .غير أن الصحافة كانت تستهويه أكثر من الوظيفة فأسس عام ١٩٠٧م مجلة الزهور بالاشتراك مع أمين تقي الدين. وكانت منبرًا لكبار أقلام العصر من الشعراء والكتاب من أمثال: شوقي وحافظ ومطران والمنفلوطي وولي الدين ومي زيادة والزهاوي وشبلي شميل وآخرين وقد عرفت بمستوى فكري عال ومناخ صحفي راق. في عام ١٩٠٩م أسس حزب الاتحاد اللبناني ليناهض الحكم العثماني في بلاده وجعل الزهور منبرًا له .كان يكتب فيها الموضوعات السياسية والاقتصادية والثقافية وظل يصدرها حتى عام١٩١١ م.

انتخب عضوًا في مجلس الشيوخ في مصر ١٩٣٤- ١٩٤٥م. وخلف داود بركات في رئاسة تحرير الأهرام عام ١٩٣٣م وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام ١٩٤٨ م .

قال عنه ناصر الدين النشاشيبي :

ولم تشغله الأهرام انطون الجميّل عن الوقوع في هوى الكاتبة اللبنانية –المصرية- الفلسطينية الآنسة ميّ زيادة وراح يمطرها برسائل الحب والشوق . وهو القريب من افراد عائلتها المقيمين يومذاك في مصر. وكان عمره لا يزيد على خمس وعشرين سنة وكانت هي تكتب في جريدة والدها «المحروسة» يوميات أدبية وكان هو أول قرائها والمعجبين بها كثيراً.

وعندما طفح الكيل واستبد الهوى بالشاب الأديب المولّه انطون الجميّل كتب إلى «مي» في ربيع عام ١٩١٢ رسالة يبدي فيها إعجابه الفائق بكل ما تكتبه ويقول لها

مخاطباً: «يا وليدة جبل الزيتون ويا ربيبة جبل الأرز ويا فتاة وادي النيل ما أجمل أن تنشر مآثر عظماء أبناء السين بلغة سكان المضارب انه خلود الفكر وهو أجمل من خلود النفس. وأنت لست بالغريبة عن هذه الأرواح الخالدة كما انها ليست بالغريبة عنك فمحبو الجمال كمحبي الحقيقة أولاد طين واحد بل أبناء أسرة واحدة..».

ثم يقول لها:

«.. أنا لا أكتب إليك فرطاً فلقد طالما عرفك المعجبون بأدبك الزاهر وعلمك الوافر كاتبة تستولد فؤادها الرقيق أسمى العواطف فتلبسها مما تحكيه مخيلتها الفنية حلّة قشيبة وتجمّلها بجواهر عقلها السليم.. لا! أنا لا أكتب لأقرظ تلك التي تقرظها أعمالها وحياتها الفكرية بل لأدون خواطر جالت في الصدر لدى تلاوتي لتلك الصفحات من يومياتك..».

ونقل لها عن إعجابه الشديد بإشارتها للغرفة التي كانت تضم صور المفكرين الكبار والتي وصفتها الأديبة ميّ في يومياتها قائلاً لها:

لقد صدق الشاعر العربي - يا ميّ - حين قال:

واستجمعت دار هند ما تكلمنا   والدار لو كلّمتنا ذات أخبار

ألم يدرك شعراء العرب هذه العاطفة أحسن من سواهم حينما كانوا يستهلون قصائدهم بتحية الاطلال البالية وندب الربوع الدارسة؟

ثم ينهي قائلا لها في رسالته:

«.. لعل تلك الأرواح تطل علينا من عالمها الثاني وتشاركنا في دموعنا وابتساماتنا ولا شك أنها ترثي لحالنا بل تضحك منا. تضحك من أفراحنا ونحن نعتقد أنه لم يعرف الفرح أحد قبلنا وتضحك من احزاننا ونحن نتوهم أنه لم يشعر بالحزن في قلب غير قلوبنا وتضحك من حبنا ونحن نتصور اننا دون سوانا قد اخترعنا «الحب». هذه

السطور يا ميّ علّقيها على حاشية يومياتك بحرف ضئيل ولعلك فاعلة فينعكس عليها شيء من نور فكرك الثاقب يجعل لها بعض الرونق في عينك المتأملة..».

التوقيع: انطون الجميّل! ثم عاد وكتب إليها بعد عام واحد من تاريخ الرسالة الأولى رسالة ثانية في عام ١٩٢٦ قال لها فيها:

«.. يلذ لي يا ميّ أن أخاطبك باسمك مجرداً من الوصف واللقب لأن كل وصف قليل إذا قيس بصفاتك وكل لقب ضئيل إذا ما اقترن باسمك فاسم «ميّ» وكفاك به من اسم ولقب قد أصبح في هذا الجيل ليرادف حسن البيان وفصاحة اللسان ونبوغ العقل وكبر القلب».

ويصف أسلوب خطّها فيقول لها:

«.. والله ما رسم خطك إلا كل بديع طريف ولا عبرت حروفك إلا عن كل سام ظريف..».

ثم يشير إلى ما أصاب عينها من التهاب طارئ فيقول لها:

«.. ساءني جداً ما أصاب عينك اليمنى سلمت عينك اليمنى واليسرى بل سلمت فيّ كلياتك وجزئياتك وقد تجدين في هذا الدعاء الخالص وهذا التمني الصادق شيئاً من الأنانية ما دمت تعتقدين أن الأنانية أساس جميع أعمالنا وعواطفنا فليكن ذلك أليس ورم جفنك الذي أخّرك عن الكتابة فحرمني التمتع بكتابك قبل اليوم؟..».

وكان يدللها ويوقّع خطاباته الغرامية لها باسم «لوتر بيبي»..بالفرنسية وتعني «الطفل الآخر». ويقول لها وهو مسافر إلى الاسكندرية ولم يستطع أن يقابلها لكي يودعها:

«.. لقد بلّغت البحر ما زودتني له من سلام وتحيات.. الساعة الآن متأخرة من الليل ولا يسعني إلا الانتقال بالفكر إلى تلك الشرفة الشاهقة ـ أي شرفة منزل ميّ ـ

ذات الفضل العميم عليّ في مثل هذه الساعة فأقف طويلاً عن الكتابة ضائعاً في بحار الذكريات بل ان الكلمات تعصاني فأبحث عنها ولا اجدها استودعك الله يا «بيبي» على أمل أن ألقاك بخير وعافية وقد أصبحت أنا «فوتر بيبي»...».

التوقيع: انطون الجميّل

وكنت أقرأ هذه الرسائل العاطفية وأشعر بأن هذا الرجل الرقيق الجنتلمان ـ أعني انطون الجميّل ـ كان مجرد ضحية غرامية أخرى من ضحايا مي زيادة التي أحبها العشرات من قبله وأحبت هي العشرات من قبله ومن بعده ...

مثله مثل: عباس العقاد وجبران خليل جبران وغيرهما.

وكنت أتصور هذا الشاب الأنيق المهذب وعمره يومذاك ٢٥ سنة فقط وهو يقع في حب مي عن طريق الأدب وهو الضائع في غربته عن بلده وفي ظروفه المتواضعة ابان وصوله إلى مصر قادماً من لبنان..

ان الحب يبقى فاكهة ومتعة ورفاهية عند الأغنياء لكنه يتحول إلى شعور باليأس والألم والوحدة والتشرد والفقر عندما يصيب الفقراء والغرباء! وعندما عرفت انطون باشا الجميّل في الأربعينات كان في الذروة اسماً وثروة وسمعة. لكنه عندما أحب مي في العشرينات كان مجرد راكب في قطار مسافر الى المجهول.

ولا شك أنه أحب ميّ ولا شك أنه كان يطمع ويتمنى الزواج منها ولا شك أن مركزها الاجتماعي والأدبي كان مشجعاً له على أن يواظب المراسلة ويستمر في طرح الهوى إلى أن يحقق مناه.

ولكن..عاش انطون الجميّل ـ بعد ميّ ـ وحيداً .. ومات وحيداً.

وقيل ـ والعهدة على الراوي ـ أن أرملة تقلا باشا صاحب «الأهرام» كانت تتمنى الزواج منه لو طلب يدها.


غرام الكبار
أحمد
لطفي السيد
أستاذ الجيل



هو زهرة صالون مي زيادة وريحانته ..

قائد أوركسترا الصالون وبروفيسور الأجيال حقاً ..

وهو صاحب المقولة الشهيرة: «الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية». أستاذ الجيل بل كل الأجيال. مفكر وفيلسوف ومربى وكاتب وسياسى ومناضل من الطراز الأول. وأحد رواد التنوير وأبو الليبرالية المصرية. شارك فى مؤتمر السلام فى فرساى للمطالبة بإستقلال مصر عن بريطانيا العظمى. ومن أوائل المنادين بتعليم المرأة. تخرجت أول دفعة جامعية من الطالبات أثناء رئاسته للجامعة عام ١٩٣٢م.

ولد المرحوم أحمد لطفى السيد في ١٥ يناير ١٨٧٢ فى قرية برقين مركز السنبلاوين فى محافظة الدقهلية بمصر. وكان جده عمدة وأبوه عمدة وباشا. بدأ تعليمه بكتاب القرية ثم بالمدرسة الإبتدائية. وبعد ذلك إنتقل إلى القاهرة للدراسة فى المرحلة الثانوية.

فى عام ١٨٨٩م التحق بمدرسة الحقوق التى كانت فى ذلك الوقت مركزا للحركات والأفكار السياسية والوطنية. فكانت تجمع بين طلبتها شخصيات لعبت دورا خطيرا فى مستقبل مصر السياسى والوطنى. مثل مصطفى كامل وعبد الخالق ثروت وإسماعيل صدقى. وأثناء دراسة أحمد لطفى السيد فى مدرسة الحقوق تعرف على الإمام محمد عبده وأصبح من تلامذته. وخلال زيارة قصيرة للقسطنطينية أثناء العطلة الصيفية قابل جمال الدين الأفغانى وأعجب بأفكاره. وأثناء هذه الفترة قرأ كتاب أصل الأنواع لدارون. وقام بكتابة عدة مقالات سياسية فى جريدة المؤيد.

بدأ لطفى السيد نشاطه مع الزعيم الوطنى مصطفى كامل. وفى عام ١٨٩٧م عندما كان مصطفى كامل يخطط لتأسيس الحزب الوطنى بمساعدة الخديوى عرض على لطفى السيد رئاسة تحرير جريدة الحزب. بعد أن يقضى عاما كاملا فى سويسرا

ليحصل على الجنسية السويسرية. لأن ذلك كان يعطيه حصانة تمنع إعتقاله. وتقف ضد مصادرة كتاباته والحجر على أفكاره. مثل الحصانة التى كان يتمتع بها الأجانب فى مصر فى ذلك الوقت.

عندما ذهب لطفى السيد إلى جنيف قابل هناك الإمام محمد عبده. مما أغضب الخديوى وجعل صداقة أحمد لطفى السيد بمصطفى كامل تفتر. وعند عودته التحق بالعمل مديرا لدار الكتب عدة سنوات. أتاحت له الوقت للإطلاع على الفكر الأوروبى. فكان يقرأ لروسو وكومتيه وميللر وسبنسر. وقام بدراسة علم الأخلاق لأرسطو. وكان معجبا بكتابات تولستوى الأخيرة.

فى عام ١٩٠٧م انضم أحمد لطفى السيد إلى مجموعة من المثقفين الوطنيين لتكوين حزب الأمة. للوقوف أمام التيار الذى يتزعمه الخديوى ومصطفى كامل الخاص بالتقرب إلى تركيا. وكان ينتمى إلى الحزب الجديد مجموعة من كبار الملاك وأصحاب القلم والفكر والسياسة. منهم محمود سليمان وحسن عبد الرازق وحمد الباسل وسليمان أباظه وعلى شعراوى وفتحى زغلول وقاسم أمين وعبد العزيز فهمى وعبد الخالق ثروت وسعد زغلول. وكان لطفى السيد هو سكرتير عام الحزب ورئيس تحرير جريدته «الجريدة».

خصص أحمد لطفى السيد فى الجريدة مساحة كبيرة لمناقشة قضايا الوطن الاجتماعية والسياسية والثقافية. وجعلها مدرسة لتدريب الكتاب الصغار على الكتابة الحرة تحت إشرافه وتوجيهه. وهذا عمل نادر لا تراه فى صحافتنا اليوم. ومن هنا جاءت تسميته عن جدارة بأستاذ الجيل. وهو اللقب الذى ظل يلازمه طيلة حياته.

كان أحمد لطفى السيد وكتاب الجريدة وحزب الأمة وراء حملة التبرعات التى



قام بها الأهالى لإنشاء أول جامعة مصرية عام ١٩٠٨م والتى أصبحت جامعة حكومية عام ١٩٢٤م (جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة حاليا).

عندما بدأت الجامعة فى التوسع فى برامجها الطموحة كان أحمد لطفى السيد هو مديرها الأول. ومن خلال منصبه الجديد استمر فى تعليم وتثقيف الجيل. ولم يترك منصب مدير الجامعة إلا ثلاث مرات. الأولى فى عام ١٩٢٨م عندما أختير وزيرا للمعارف. والثانية عام ١٩٣٢م عندما إستقال إحتجاجا على فصل حكومة إسماعيل صدقى للدكتور طه حسين. بسبب كتابه فى الشعر الجاهلى. والثالثة عندما اقتحمت الشرطة حرم الجامعة عام ١٩٣٧م. وفى عام ١٩٤١م ترك الجامعة لكى يصبح عضوا فى مجلس الشيوخ. وبعد حركة الجيش المباركة عام ١٩٥٢م عرض عليه الضباط الأحرار أن يكون رئيسا لمصر. لكنه رفض واعتزل الحياة العامة. وإقتصر نشاطه على رئاسة مجمع اللغة العربية. وهو المنصب الذى ظل يشغله حتى وفاته رحمه الله عام ١٩٦٣م.

كانت معظم كتابات أحمد لطفى السيد مقالات فى جريدة «الجريدة». جمعت فى عدة كتب فيما بعد. وقام لطفى السيد بترجمة كتاب الأخلاق لأرسطو من اللغة الفرنسية عام ١٩٢٢م. وترجم ثمانية كتب أخرى لأرسطو عام ١٩٣٢م وعام ١٩٣٥م وعام ١٩٤٠م. وكانت كتاباته فى الجريدة تهدف إلى وضع إطار سياسى واجتماعى للنضال المصرى مبنى على فلسفات أرسطو وروسو ولوك وبتهام وسبنسر. فالإنسان ولد لكى يكون حرا وبإرادة حرة.

حر فى اختياره أو رفضه.

لكن لطفى السيد يختلف مع روسو فى أن الإنسان ليس بمعزل عن المجتمع. فالمجتمع هو أيضا كائن حى. وحرية الإنسان لا تتعارض مع القوانين التى تنظم

المجتمع. إذا بنى هذا المجتمع وصيغت تلك القوانين بحيث تسمح للإنسان الحر تلقائيا بأداء واجبه نحو مجتمعه دون ضغوط خارجية.

حرية الإنسان تصبح عديمة الفائدة إذا لم تصاحبها حرية التعبير. لذلك يجب أن تكون حرية التعبير حقا من الحقوق المدنية للمواطن. ولكى نحمى الحقوق المدنية لابد أن يكون الفرد ممثلا فى إدارة شئون مجتمعه.

الشعب يجب أن يكون الحاكم الحقيقى. أى العصمة يجب أن تكون فى يد ممثلى الشعب. لذلك لابد من وجود دستور يفصل بين السلطات. الشعب يجب أن يحذر كل الحذر من إعطاء السلطة التنفيذية حقوقا أكثر من الحقوق اللازمة لحفظ النظام. حتى لا تتحول الحكومة إلى سلطة طاغية يصعب التخلص منها. لأن السلطة مفسدة والسلطة المطلقة فساد مطلق.

السبب فى تخلفنا هو أننا وثقنا فى الطغاة. وإمتثلنا للتعاليم الجامدة المشوهة التى تتعارض مع روح الإسلام وقوانين التطور. الطغيان وحكم الفرد هما المسئولان عن تدمير القيم النبيلة فى المجتمع. إنهما يعوقان نمو الأخلاق السليمة. ويؤديان إلى مجتمعات مشوهة أخلاقيا. لذلك فالحرية السياسية شرط ضرورى لقيام أى نوع من الحريات. لأن الحكم الإستبدادى يخلق علاقة خاطئة بين الحاكم والمحكوم. علاقة أمر وطاعة. علاقة سيد وعبد. وهذا يسبب فقدان الثقة بين المواطنين. ويفتت وحدة الأمة من الداخل. الوهم بأن بعض الأفراد وحدهم لهم الحق فى الحكم والثروة. وللآخرين الذل والعبودية. هو تصور يخالف طبيعة الأشياء. ويتعارض مع العلم والمنطق.

الحكومة الصالحة هى التى تنبع من اتفاق أو عقد اجتماعى حر. يتواءم مع بديهيات العدالة والحق. هذا العقد الاجتماعى هو أساس القوانين. والقوانين هى

التى تلزم الحاكم قبل المحكوم. الحكومات المحددة السلطات والمقيدة بالقانون هى وسيلة الحكم الطبيعى الذى يوافق النفس البشرية. وكل المجتمعات لها الحق فى أن تحكم بمثل هذه الحكومات. ومنطق الطغاة والجهلة فقط هو الذى يقول بأنه هناك شعوب تصلح لها الحرية وشعوب أخرى لا تصلح لها. وهذا عكس ما يقوله ساستنا اليوم.

هنا يختلف أحمد لطفى السيد عن الإمام محمد عبده الذى يؤمن بحكم الفرد بشرط أن يكون عادلا. لكن لطفى السيد يقول بأن حكم الفرد يصلح فقط للمجتمعات البدائية جدا. أما مجتمعنا فقد تعدى هذه المرحلة منذ آلاف السنين. فحق الأمة فى أن تحكم نفسها بنفسها ليس له علاقة بدرجة حضارتها وتقدمها الاجتماعى والسياسى والثقافى. لأن أسلوب الحكم هو الذى يبنى الحضارة. والحرية هى التى تخلق روح الحرية. أما الحكم الشمولى فلن يعلم الناس كيف تحكم نفسها. ولن يقدمهم خطوة واحدة نحو الحرية والديموقراطية. وهذا يتضح من تجربتنا وتجربة الهند فى الحكم. فقد بدأنا ميسورى الحال فى بداية الخمسينيات ونظام حكم شمولى. وبدأت الهند فى نفس الوقت كدولة فقيرة مع نظام حكم ديموقراطى. نجحت الهند فى ديموقراطيتها. ولا زلنا نعانى من ويلات الحكم الشمولى. ووصلنا إلى حالة تصعب على الكافر.

رفض أحمد لطفى السيد الحركات السياسية المبنية على أساس دينى. ورفض أيضا ربط مصر بالعالم العربى أو تركيا أو العالم الإسلامى سياسيا. فهو يقول بأن الوطن ورباط الأرض فقط يجب أن يكونا أساس كل الجهود السياسية والفكرية. فآلاف السنين من عبق التاريخ المصرى القديم مزجت مع أحداث التاريخ المصرى الحديث. لتكون شخصية مصر الفريدة. لذلك ليس هناك أى خطر أو خوف على

شخصية مصر من الانفتاح على الغرب. فمصر لها ماضيها الفرعونى العريق. ودراسة تاريخها يفيد المصريين فى إكتشاف القوانين التى تحكم التطور والتقدم بالنسبة للأمم. كل من يعيش على تراب مصر بمن فيهم الأجانب هم مصريون. صهروا فى بودقة المكان الذى حافظ على شخصية مصر عبر آلاف السنين. وأصبحوا مصريين بكل معنى الكلمة. وتربطهم جميعا بتراب مصر روابط أشد وأقوى من رابطة الدين.

وقد كان يعنى بذلك الأوربيين والشوام الذين تركوا أوطانهم وعاشوا فى مصر وتجنسوا بجنسيتها وساهموا فى إستقلالها وبعث حضارتها. وكتب يقول: الإدعاء بأن أرض الإسلام هى وطن لكل من هو مسلم. هى فكرة تركية تصلح للدول الإستعمارية التى تبغى فرض سلطانها على باقى الدول الإسلامية بإسم الدين. ولم يكن يؤمن أيضا بالوحدات السياسية بين الدول الضعيفة والفقيرة. فهى بالنسبة له وحدات مصطنعة. خلقها الإستعمار البريطانى لتعبئة الشعوب الأوروبية ضد الحركات الوطنية داخل مصر وباقى الدول العربية والإسلامية.

لأن الحركات الوطنية هى الخطر الحقيقى على مصالح الدول الاستعمارية فى المنطقة. وقد أثبت التاريخ صدق حس أحمد لطفى السيد. فقد قامت جامعة الدول العربية تحت رعاية وإشراف بريطانيا. وفى ظلها ضاعت فلسطين وبددت ثروات الشعوب العربية ودمر العراق ولبنان والسودان والصومال. وحكمت الدول العربية بدون إستثناء بالسوط. وقيدت شعوبها مثل البعير. وتحت شعار المد الإسلامى والوحدة الإسلامية والخوف من إنتشار الإسلام نرى ما قد حدث فى فى البوسنة والشيشان وأفغانستان.

لا يعنى هذا أن الدول العربية والإسلامية لا يجب أن تتعاون وتتكاتف مع

بعضها لمصلحة شعوبها. لكن يعنى أن الشعوب لا يجب أن تنخدع بالوحدات السياسية المصطنعة السابقة لأوانها. حتى لا تغفل كفاحها للتحر من قبضة الإستعمار ومن نير الحكم الشمولى. ومحاربة الفقر والتخلف وبناء دعائم الديموقراطية الصحيحة فى بلادها.

الإستقلال السياسى والحرية السياسية لا تكفى بدون إقتصاد قوى مستقل. لذلك يحذر لطفى السيد من مغبة الدين الأجنبى. فبسببه أحتلت مصر وفقدت إستقلالها. فعلى مصر أن تبنى تجارتها وصناعتها الوطنية المستقلة. لذلك نجد فى الفترة بين عامى ١٩٢٠م و ١٩٣٠م تأسس بنك مصر والشركات التابعة له. فطلعت حرب وحافظ عفيفى وغيرهم من الإقتصاديين الوطنيين كانت لهم علاقات وطيدة بأحمد لطفى السيد وبأفكاره وآرائه. فبنك مصر لم ينشأ لأسباب اقتصادية فقط ولكن لكى يكون دعامة أساسية لاستقلال مصر السياسى .

أما آراء أحمد لطفى السيد فى التعليم فهو ضد تقسيم التعليم إلى تعليم دينى وآخر مدنى. وضد إنشاء المدارس الدينية سواء كانت إسلامية أو إرساليات مسيحية. وضد إنشاء المدارس الأجنبية. لأن هذا التنوع فى التعليم لن يثرى التجربة الثقافية فى مصر بقدر ما يقوم به من تمزيق وإضعاف لوحدة الوطن ثقافيا وفكريا وإجتماعيا. الهدف من التعليم هو خلق أجيالا من الأمة متجانسة فكريا وخلقيا. متحدة حول مبادئ الأخلاق السامية والعلوم الحديثة.

مثل هذا النوع من التعليم لا يجب أن يكون تحت الإشراف المطلق للحكومة بدون رقابة شعبية. لأن الحكومات تستخدم التعليم والمدارس لخدمة أغراضها ومصالحها السياسية. المدارس والجامعات يجب أن تكون حرة. حرة لخدمة العلوم والفكر والثقافة والمجتمع. ولا يجب أن تكون أداة لتأليه الحاكم أو أسلوبا لتوطيد

وترسيخ مفهوم العبودية للمحكوم.

هذا هو أستاذ الجيل وكل الأجيال. ونختم مقالنا برأى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى أستاذ الجيل فيقول: «أريد أن أعلم إلى أى كاتب أو إلى أى مفكر فى مصر أو فى الشرق العربى كله إننا لا نستطيع أن نقرن الأستاذ أحمد لطفى السيد. أما أنا فلست أعرف له نظيرا فى الكتابة ولا فى التفكير ولا فى الترجمة. وأزعم أن ليس بين المصريين وغير المصريين من يستطيع أن يجد له نظيرا فى هذه الوجوه الثلاث. وليشهدن التاريخ بأن مصر مدينة بالشئ الكثير جدا للأستاذ لطفى السيد فى نهضتها العقلية والسياسية والإجتماعية. وحين أسمع الاستقلال التام والحرية الدستورية وسلطة الأمة وأشياء كثيرة أبتسم إبتساما فيه حزن وأمل. لأن هذه الألفاظ وهذه المعانى هى ألفاظ ومعانى لطفى السيد. ليس فى ذلك نزاع ولا جدال. ولنقارن بين نوعية هؤلاء الرجال ونوعية أكياس الدهن التى تحكمنا وتحكم العالم العربى الآن. ونطلب من الله اللطف ومن شعوبنا الصبر والسلوان .

■ ■ ■



رجل المناصب والإستقالات

يخطئ من يتصور أن استقالة أحمد لطفى السيد من رئاسة جامعة القاهرة كانت الأولى من نوعها فضلاً عن أنها لم تكن الأخيرة .

فالرجل الذى شغل عدة مناصب مهمة خلال سنوات عمره التى تجاوزت التسعين لم يستمر فى منصب منها سوى لسنوات معدودة .. لم يكن يضيق بالمنصب قدر ضيقه من المساس بكرامته ولو من بعيد .. كان رد فعله يتجلى فى ورقة بيضاء يكتب عليها استقالته المسببة ويترك المنصب ويرحل طابعاً بذلك بصمات مضيئة ليس على حياته فقط وإنما على حياة كثيرين جاءوا بعده وتأثروا به

أحمد لطفى السيد هو الابن الأكبر للسيد باشا أبو على عمدة قرية برقين مركز السنبلاوين بالدقهلية ولد فى ١٥ يناير ١٨٧٢ وفتح عيناه للمرة الأولى داخل القرية التى يقول عنها فى كتابه «قصة حياتى» إن تعدادها فى ذلك الوقت «لم يكن يزيد على مائة نفس». حفظ لطفى القرآن فى كتاب القرية ولما أتم عامه العاشر ألحقه والده بالقسم الداخلى لمدرسة المنصورة الابتدائية

على أن لطفى لم يمكث طويلاً فى مدرسة المنصورة إذ سرعان ما تركها بعد ٣ سنوات ليلتحق بالمدرسة الخديوية فى القاهرة ولم يتركها إلا فى عام ١٨٨٩ بعد حصوله على شهادة البكالوريا ولما كان لطفى مختاراً أى مدرسة عليا يلتحق بها فقد أجرى مع والده قرعة خرجت مرتين على كلية الحقوق فالتحق بها

وبمجرد حصول لطفى على ليسانس الحقوق فى عام ١٨٩٤ عين كاتباً فى النيابة براتب ٥ جنيهات شهرياً وما لبث أن ارتفع راتبه للضعف فى عام ١٨٩٦ بعد تعيينه وكيلاً للنيابة

وفى نفس العام قام بتأليف جمعية سرية مكونة من جماعة من زملائه على رأسهم عبدالعزيز فهمى وكان غرض الجمعية كما يقول لطفى هو «تحرير مصر» ولم يكن غريباً أن يتسرب أمر الجمعية إلى الخديو الشاب عباس حلمى الذى أرسل يدعوه عن طريق مصطفى كامل باشا للاشتراك فى «حزب وطنى» تحت رئاسته .

وهكذا كما يروى لطفى تأسس «الحزب الوطنى » كجمعية سرية رئيسها الخديو وأعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد سعيد الشيمى «ياور الخديو» ومحمد عثمان والد أمين باشا عثمان ولبيب محرم ولطفى السيد .

وكانت الأسماء الحركية تطلق على الأعضاء والرئيس فكان اسم الخديو فى الحزب هو «الشيخ» بينما كان مصطفى كامل هو «أبو الفداء» ولطفى السيد «أبو مسلم» غير أن ارتباط لطفى السيد بالحزب انحل سريعاً خصوصاً بعد أن غضب عليه الخديو إثر معلومات وصلته عنه بأنه كان متصلاً بالشيخ محمد عبده أثناء إقامته فى سويسرا ولما كان الخديو «لا يميل إلى الشيخ» فقد غضب على لطفى .

عاد لطفى السيد إلى وظيفته كوكيل نيابة غير أنه لم يلبث أن تركها مقدماً استقالته لخلاف فى الرأى القانونى بينه وبين النائب العمومى «كوربت باشا» ويقول لطفى عن تلك الاستقالة إنها لم تكن الأولى فقد سبقتها استقالة أخرى لخلاف قانونى أيضاً لكنه لم ينجح فى الإصرار عليها فلما وقع الخلاف مرة أخرى مع النائب العمومى أصر على الاستقالة لأنه على حد تعبيره : «ضقت باحتمال جو خانق بالنيابة» .

وكان صديقه عبدالعزيز فهمى قد استقال من وظيفته هو الآخر واشتغل بالمحاماة وعرض عليه الاشتغال معه فوافقه وعمل بها لفترة قال إنها «قصيرة» ثم اعتزلها بعد ضيقه بها هى الأخرى .

ومن المحاماة إلى الصحافة التى أسس بها جريدة «الجريدة» مع مجموعة من أصدقائه وانتخب مديراً لها ورئيساً لتحريرها وبعد شهور قليلة من إصدار «الجريدة» ألف «حزب الأمة» فى ديسمبر ١٩٠٧ وكان هدف الحزب الرئيسى هو «المطالبة بالاستقلال التام والدستور» وعلى الرغم من أن لطفى السيد كما يرى فى مذكراته كان أول من دعا إلى إنشاء نقابة للصحفيين قامت بالفعل فى عام ١٩١٢ إلا إنها «لم تعمر طويلاً لأن الحرب العالمية الأولى أتت عليها ».

وبقيام الحرب العالمية الأولى أصيب لطفى بالإحباط فأعلن أنه «كسر قلمه واعتزل السياسة» وبالفعل عاد إلى قريته بالدقهلية قبل أن يتم عزل الخديو عباس وإعلان الحماية على مصر وتنصيب الأمير حسين كامل سلطاناً عليها ويقول لطفى إن ثمة شائعات انتشرت فى مصر فى ذلك الوقت تردد أن تركيا حكمت بالإعدام على السلطان حسين وأعضاء وزارة رشدى باشا على اعتبار أنهم قبلوا الحماية وكذلك عليه هو أيضاً باعتباره صاحب موقف معاد للأتراك ولهذا نصحه والده كما يروى أن يقبل منصب مدير دار الكتب المصرية الذى عرضه عليه الخديو فى ذلك الوقت حتى لا يقبض عليه الإنجليز فقبل المنصب.

وإثر تأليف الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول استقال لطفى من دار الكتب والتحق بالوفد ثم أعلن مرة أخرى اعتزاله السياسة بعد الخلاف الذى نشب بين سعد وعدلى حول رئاسة المفاوضات ليعود مرة أخرى لدار الكتب وليشغل فى الوقت نفسه وكالة الجامعة المصرية القديمة التى أنشئت فى ١٩٠٨ كجامعة أهلية ثم تحولت فى ١٩٢٣ إلى جامعة حكومية بعد عقد وقعته الحكومة ممثلة فى وزارة المعارف مع حسين رشدى باشا رئيس الجامعة وتم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمبانيها الحالية فى فبراير ١٩٢٨ .

وبعد شهور قليلة من الاحتفال بتأسيس الجامعة دخل أحمد لطفى السيد ضمن تشكيل حكومة محمد محمود باشا كوزير للمعارف ثم ترك المنصب مع تقديم الحكومة لاستقالتها فى أكتوبر ١٩٢٩ وعاد إلى رئاسة الجامعة فى ١٩٣٠ ليقدم استقالته من منصبه للمرة الأولى فى ٩ مارس ١٩٣٢ احتجاجاً على نقل طه حسين من الجامعة إلى ديوان الوزارة دون موافقته وهو الأمر الذى اعتبره لطفى نقضاً من الدولة للعقد الذى تم توقيعه معها عام ١٩٢٣ عند تحويل الجامعة من أهلية إلى أميرية وكانت أهم بنود ذلك العقد «أن تكون الجامعة المصرية معهداً عاماً محتفظة بشخصيتها المعنوية وتدير شؤونها بنفسها بكيفية مستقلة تحت إشراف وزارة المعارف العمومية كما هى الحال فى جامعات أوروبا» .

عاد لطفى مرة أخرى إلى الجامعة فى إبريل ١٩٣٥ وشارك فى وزارة محمد محمود للمرة الثانية فى ديسمبر ١٩٣٧ كوزير دولة أولاً ووزير داخلية فيها بعد ونظراً للخلاف الذى نشب بين عدد من الأحزاب وقتها أصر لطفى على الخروج من الوزارة وإفساح الفرصة لغيره من الأحزاب الأخرى ومن الوزارة إلى الجامعة التى قدم استقالته منها للمرة الثانية فى ١٩٤١ احتجاجاً على اتصال الأمن بالطلبة وانتهى به المطاف كعضو فى مجلس الشيوخ ورئيساً لمجمع اللغة العربية قبل أن يلقى ربه فى ٥ مارس عام ١٩٦٣ .

■ ■ ■

لطفي السيد ومي زيادة

كان أستاذ الجيل أحمد لطفي شغوفاً بالأدب العربي وكان محامياً وتولى رئاسة تحرير جريدة « الجريدة» لعدة سنوات وكانت بداية معرفته بمي في لبنان كان يقضي أجازة الصيف في بيروت وكانت هي هناك مصادفة وبينما كان يتناول عشاءه في الفندق لمح بالغرب منه فتاة شرقية الملامح تتحدث بفرنسية طلقة مع قنصل فرنسا في مصر وتدافع عن المرأة الشرقية وحقوقها بحماس.

لفتت نظره هذه الفتاة فسأل صديقه الذي كان بصحبته

من هذه الفتاة ؟

فأجابه خليل سركيس :

إنها ماري زيادة بنت الصحفي المعروف إلياس زيادة صاحب جريدة « المحروسة » .. وبعد أن انتهت مقابلة مي مع القنصل تقدم إليها خليل سركيس الذي كان يعرفها شخصياً وقدمها إلى أحمد لطفي السيد .

وبدأ اهتمام أحمد لطفي السيد بمي كما قدرت مي هذا الاهتمام وتلك الرعاية تقديراً كبيراً فأهدت إليه كتابها « ابتسامات ودموع» عندما عادت إلى مصر وعاد هو كذلك وكان الكتاب ترجمة لرواية ألمانية .

وتابع أحمد لطفي السيد مقالاتها التي كانت تكتبها في جريدة والدها « المحروسة» تحت عنوان « يوميات فتاة» . ولاحظ لطفي السيد أن أسلوب مي تأثراً كثيراً بثقافتها الغربية فوجهها إلى الاهتمام باللغة العربية ونصحها بقراءة الأدب العربي .

وذات يوم التقت به في إحدى الجلسات فقال لها :



لا بد لك يا آنسة من تلاوة القرآن الكريم لكي تستفيدي من بلاغة معانيه وفصاحة أسلوبه .

فقالت له مي :

ليس عندي نسخة من القرآن .

فقال لها :

أنا أهدي لك نسخة منه !

وبعث إليها الاستاذ لطفي السيد في اليوم التالي نسخة من القرآن الكريم مع كتب أخرى في الأدب العربي.

وتعترف مي بفضل لطفي السيد عليها فتقول :

ابتدأت أفهم من لطفي السيد اتجاه الإسلوب العربي وما في القرآن من روعة جذابة ساعدتني على تنسيق كتابتي ورقي أسلوبي.

وتبادلت مي مع أستاذها لطفي السيد الرسائل الأدبية التي احتوت آراء وخواطر وأشجان كل منهما .. كما تخللتها الكثير من العواطف النبيلة والمشاركة الوجدانية الحقيقية .

في ١٥ مايو ١٩١٣ كتب إليها من مصيفه بالإسكندرية خطاباً جاء فيه :

جاءني كتابك فتشممته ملياً وقرأته هنيئاً مريئاً وإني ممتنع نهائياً عن أشرح لك العواطف. وكل ما يأذن لي تهيبك أن أبوح به هو أني من الصباح إلى هذا المساء وأنا وحدي فلم أستطع أن أمسك القلم لأجيب عليه بصراحتي العادية فما وجدت بدأ من الركون إلى أسلم الطرق وهو أن أحفظ لنفسي وصف الاغتباط الذي نالني من هذا الكتاب.

اعترفي بأنك كنت في ساعة من ساعات تجلياتك حين كتبت لي هذه الرسالة ان



فيها أفكاراً ومرامي ذات وزن كبير وفيها مقاصد ومعان تكاد تطير من خفتها أو تذوب من رقتها .

أجناية أن أتحدث بهذه السابغة ؟!! إلا أن للأرواح أيضاً غذاء يتنزل عليها من مكان أسمى من مكانها العادي وهزة تأخذها حين تتقابل جاذبيتها . لعل ذلك هو سر السعادة الإنسانية التي يلتمسها الناس فلا يعرفون طريقها .

وكانت مي سعيدة باهتمام أستاذها أحمد لطفي السيد فحافظت على علاقتها به ودعمتها بكل المودة والاحترام والاهتمام وكانت تستقبله مع أصدقائها المقربين في غير أوقات الصالون.

ودامت هذه العلاقة قوية حقيقية تجمع بين أستاذ وأديبة موهوبة تحمل له العرفان بالجميل والاحترام والمحبة .

ويبقى السؤال الأحمر القاني الناري :

لماذا قال لطفي السيد للعقاد وطه حسين حين كان لطفي مسئولاً عن المجمع اللغوي وطالبه العقاد وطه بنشر الرسائل المتبادلة بين مي زيادة ورجال صالونها لماذا قال :

لو تعارضت الفضيلة مع رذائلنا التي فعلناها في صالون مي أننشر رذائلنا ونناقض الفضيلة ؟!

إن هذه العبارة لا ريب تخفي ورائها الكثير والكثير من أسرار صالون مي زيادة !!

بل وتخفي ورائها أقنعة ووجوه الكبار لدينا !!

فأي رذائل مورست في صالون مي ؟!

وأي أسرار حمراء تعارضت مع الفضائل خشي أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد أن ينشرها للعامة لم يتحرَّج أباطرة رجال صالون مي في ممارستها يوماً باسم الحرية



والحب والصداقة والفِكر ؟!

إن هذه العبارة لو توقفنا أمامها لصُفِعَ الجميع على وجوههم حتماً !!

كما أننا لو توقفنا أمام عبرات ودموع وعبارة مي زيادة عن إدريس راغب :

«رب لِما كانت الخطيئة » !

لرحمنا الآنسة مي !!

ربما .. وربما لا !!

إن الكبار يعشقون على طريقتهم الخاصة !!

ويمارسون الرذائل أيضاً على طريقتهم الأكثر خصوصية !!

■ ■ ■


غرام الكبار
إسماعيل
باشا صبري
شاعر مي

أحب مي حتى الثمالة .. فهل أحبته مي زيادة ؟!

هو أحد فرسان سباق الكبار في غرامها ..

سفحها الشعر والشعور والعشق فماذا منحته ؟!

فمَنْ هو هذا العاشق الصبّ ؟!

هو .. أحد فرسان مدرسة الإحياء والبعث في تاريخ الشعر العربي في العصر الحديث و يُلقب بـ (شيخ الشعراء)

ولد إسماعيل صبري باشا في مصر بمدينة القاهرة في يوم الأحد ١٦ فبراير ١٨٥٤م

والتحق بمدرسة المبتديان ثم التجهيزية (الثانوية) حتى عام ١٨٧٤م ثم ذهب إلى فرنسا لدراسة الحقوق ونال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية مدينة إكس في فرنسا سنة ١٨٧٨م حيث وصلها مع إحدى البعثات الفرنسية .. ولما عاد إلى مصر انتظم في السلك القضائي فتنقل في العديد من مناصب القضاء والإدارة حيث شغل وظائف القضائيين بما كان يعرف بالأهلية أي في الخلافات بين السكان والمواطنين المصريين والمختلط والتي كانت بين السكان والأجانب كما عين رئيساً لمحكمة الإسكندرية الأهلية ثم محافظاً على الإسكندرية ثم وكيلاً لوزارة العدلية «الحقانية» ولما بلغ الستين أحيل على التقاعد ففتح داره التي صارت منتدى الشعراء والأدباء . ثم عُين محافظاً للإسكندرية وأحيل إلى المعاش مبكراً عام ١٩٠٧م .

امتاز شعر إسماعيل صبري بسمو الخيال وحب الفن والجمال وخفة الروح ورقة التسبيب وله مقطوعات قصيرة وقصائد طويلة وكان شعره رقيقاً ناعماً يحفل بالموسيقى والذوق وليس شاعر القوة وكان أستاذ الشعراء وشيخهم في الصناعة ومراعاة الدقة في الربط بين المعنى وبين النفس ويمتاز شعره بعاطفته القومية

الصادقة وهذه العاطفة متجلية في غزله الرقيق الفاتن. له في شعره كذلك مسحة الترف الحضري واللين والجلاء وكانت ألفاظه سهلة ولكن تحضن معاني كثيرة جليلة .

كان ديمقراطي الروح ويقدس حرية الرأي وقال في المديح والتهاني والتقاريض والهجاء وقال في الوصف والاجتماعات والسياسات والآلهيات والمراثي والأناشيد. فقد كان وطنياً ومثالياً. فمثلاً لم يزر أي انكليزي قط وكانت له في السياسة مواقف مشرفة مثل وقعة حادثة دنشواي المؤلمة فنظم فيها قصيدة عامرة .

كان نثره أشد تأثيراً في النفس وأثبت أثراً. وقد نظم الكثير من الشعر الغنائي والأدوار والمواويل. كما تجد في قصيدته بعنوان «راحة في القبر» حول ما عاناه في أواخر حياته من الآلام ولكنه كان صابراً على أوجاعه ولم يشك ألم العلة في صدره .

انتقل إلى رحمته تعالى في ٢١ آذار ١٩٢٣م ودفن في مقبرة الإمام الشافعي في القاهرة وأقيم له حفل تأبين كبير تبارى فيه الشعراء والخطباء لمواقفه النزيهة .

ارتبط اسم صبري دائماً بأسماء أرباب الإحياء و البعث في الشعر العربي أمثال محمود سامي البارودي و أحمد شوقي و حافظ إبراهيم . و يتميز شعره بالرقة والعاطفة الحساسة و كان صبري مقلاً و لم يكن يهتم بجمع شعره إنما كان ينشره أصدقائه خلسة و نشر ديوانه بعد رحيله بخمسة عشر عاماً عام ١٩٣٨م و يعود الفضل في جمعه بعد الله إلى صهره حسن باشا رفعت .

■ ■ ■

إسماعيل صبري ومي زيادة :

كان شيخ الشعراء إسماعيل صبري من أكثر رواد صالون مي حرصاً على حضور كل أمسياته ، وفي إحدى هذه الأمسيات مرض ولم يستطع الحضور فإذا به ينظم أبياتاً تدل على حب وتتيم بمي ، وبكم إحساسه بالندم والحزن لأنه سيخسر ليلة من لياليها التي تروي روحه وتمتع نظره وتشبع فكره ووجدانه ، فيقول الشاعر إسماعيل صبري :

روحي على بعض دور الحي حائمة

كظامئ الطير حواماً على الماء

إن لم أمتع بمي ناظري غداً

أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

ولا تعليق بعد ذلك !!





غرام الكبار
عباس
محمود العقاد
هل جننها العملاق حقا

هو صاحب مفاتيح أسرار مي زيادة التي لا يعرفها سواه ؟!

فهل فقدت عقلها بسببه ؟!

جرت خلفه وطاردها ووقع كل منهما في شِباك الآخر فماذا حدث ؟!

كيف ترك صالونها يوم الثلاثاء ليستأثر وحده بيوم الأحد ؟!

ماذا قدَّم العقاد لمي حتى تمنحه وحده يوماً مستقلاً في حين تمنح كل رجالها جماعة يوماً واحداً ؟!

إنه الرجل الخبطة والحدث الأخطر في تاريخ مي زيادة قاطبة .. فماذا عن هذا الإعصار البشري المسمى بعباس محمود العقاد ؟!

***

يُعد العقاد من أهم إن لم يكن أهم الأدباء المصريين في العصر الحديث فقد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من المواهب والملَكَات فهو كاتب كبير وشاعر لامع وناقد بصير ومؤرخ حصيف ولغوي بصير وسياسي حاذق وصحفي نابه .

وقد تبوأ العقاد مكانة عالية في النهضة الأدبية الحديثة ندر من نافسه فيها فهو يقف بين أعلامها وكلهم هامات سامقة علمًا شامخًا وقمة باذخة يبدو لمن يقترب منه كالبحر العظيم من أي الجهات أتيته راعك اتساعه وعمقه أو كقمة الهرم الراسخ لا ترقى إليه إلا من قاعدته الواسعة واجتمع له ما لم يجتمع لغيره من المواهب والملَكَات فهو كاتب كبير وشاعر لامع وناقد بصير ومؤرخ حصيف ولغوي بصير وسياسي حاذق وصحفي نابه ولم ينل منزلته الرفيعة بجاه أو سلطان أو بدرجات وشهادات بل نالها بمواهبه المتعددة وهمته العالية ودأبه المتصل عاش من قلمه وكتبه وترفع عن الوظائف والمناصب لا كرها فيها بل صونًا لحريته واعتزازًا بها وخوفًا من أن تنازعه الوظائف عشقه للمعرفة.

وحياة العقاد سلسلة طويلة من الكفاح المتصل والعمل الدءوب صارع الحياة والأحداث وتسامى على الصعاب وعرف حياة السجن وشظف العيش واضطهاد الحكام لكن ذلك كله لم يُوهِنْ عزمه أو يصرفه عما نذر نفسه له خلص للأدب والفكر مخلصًا له وترهب في محراب العلم فأعطاه ما يستحق من مكانة وتقدير.

مولد العملاق :

في مدينة أسوان بصعيد مصر وُلِدَ عباس محمود العقاد في يوم الجمعة الموافق (٢٩ من شوال ١٣٠٦هـ= ٢٨ من يونيو ١٨٨٩) ونشأ في أسرة كريمة وتلقى تعليمه الابتدائي وحصل منها على الشهادة الابتدائية وهو في الرابعة عشرة من عمره.

أرسله والده وهو في عمر السادسة إلى الكُتاب لتعلم القران الكريم ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الابتدائية « مدرسة أسوان الأميرية » التي قضى فيها أربع سنوات فقط وكانت تلك السنوات هي ختام دراسته التعليمية حيث تركها سنة (١٣٢١هـ= ١٩٠٣م) وبدأت رحلته الطويلة من التثقيف الذاتي .

وفي أثناء دراسته كان يتردد مع أبيه على مجلس الشيخ أحمد الجداوي وهو من علماء الأزهر الذين لزموا جمال الدين الأفغاني وكان مجلسه مجلس أدب وعلم فأحب الفتى الصغير القراءة والاطلاع فكان مما قرأه في هذه الفترة «المُسْتَطْرَف في كل فن مستظرف» للأبشيهي و«قصص ألف ليلة وليلة» وديوان البهاء زهير وغيرها وصادف هذا هوى في نفسه ما زاد إقباله على مطالعة الكتب العربية والإفرنجية وبدأ في نظم الشعر.

حياته ومعاناته :

ورغم أن العقاد لم يكمل تعليمه بالحصول على الشهادة الابتدائية عمل موظفًا في



الحكومة بمدينة قنا سنة (١٣٢٣هـ= ١٩٠٥م) ثم نُقِلَ إلى الزقازيق سنة (١٣٢٥هـ= ١٩٠٧م) وعمل في القسم المالي بمديرية الشرقية وفي هذه السنة توفي أبوه فانتقل إلى القاهرة واستقر بها.

وأثناء رحلته الباحثة عن ذاته ومعاناته مع الحياة عمل العقاد بمصنع للحرير في مدينة دمياط وعمل بالسكك الحديدية لأنه لم ينل من التعليم حظا وافرا حيث حصل على الشهادة الابتدائية فقط لكنه في الوقت نفسه كان مولعا بالقراءة في مختلف المجالات وقد أنفق معظم نقوده على شراء الكتب .

مارَسَ العقاد العمل الروتيني فعمل بمصلحة البرق ولكنه لم يعمر فيها كسابقتها فاتجه إلى العمل بالصحافة مستعينا بثقافته وسعة إطلاعه فاشترك مع «محمد فريد وجدي» في إصدار صحيفة الدستور وكان إصدار هذه الصحيفة فرصة لكي يتعرف العقاد بسعد زغلول ويؤمن بمبادئه وتوقفت الصحيفة بعد فترة وهو ما جعل العقاد يبحث عن عمل يقتات منه فاضطر إلى إعطاء بعض الدروس ليحصل على قوت يومه .

صناعة القلم وحرفة الكتابة .. والسياسة :

ضاق العقاد بحياة الوظيفة وقيودها ولم يكن له أمل في الحياة غير صناعة القلم وهذه الصناعة ميدانها الصحافة فاتجه إليها وكان أول اتصاله بها في سنة (١٣٢٥هـ= ١٩٠٧م) حين عمل مع العلامة محمد فريد وجدي في جريدة الدستور اليومية التي كان يصدرها وتحمل معه أعباء التحرير والترجمة والتصحيح من العدد الأول حتى العدد الأخير فلم يكن معهما أحد يساعدهما في التحرير.

وبعد توقف الجريدة عاد العقاد سنة (١٣٣١هـ= ١٩١٢م) إلى الوظيفة بديوان الأوقاف لكنه ضاق بها فتركها واشترك في تحرير جريدة المؤيد التي كان يصدرها

الشيخ علي يوسف .

وسرعان ما اصطدم بسياسة الجريدة التي كانت تؤيد الخديوي عباس حلمي فتركها وعمل بالتدريس فترة مع الكاتب الكبير إبراهيم عبد القادر المازني ثم عاد إلى الاشتغال بالصحافة في جريدة الأهالي سنة (١٣٣٦هـ= ١٩١٧م) وكانت تَصْدُر بالإسكندرية ثم تركها وعمل بجريدة الأهرام سنة (١٣٣٨هـ= ١٩١٩م) واشتغل بالحركة الوطنية التي اشتغلت بعد ثورة ١٩١٩م وصار من كُتَّابها الكبار مدافعًا عن حقوق الوطن في الحرية والاستقلال وأصبح الكاتب الأول لحزب الوفد المدافع عنه أمام خصومه من الأحزاب الأخرى ودخل في معارك حامية مع منتقدي سعد زغلول زعيم الأمة حول سياسة المفاوضات مع الإنجليز بعد الثورة.

وبعد فترة انتقل للعمل مع عبد القادر حمزة سنة (١٣٤٢هـ= ١٩٢٣م) في جريدة البلاغ وارتبط اسمه بتلك الجريدة وملحقها الأدبي الأسبوعي لسنوات طويلة ولمع اسمه وذاع صيته وأُنتخب عضوا بمجلس النواب ولن يَنسى له التاريخ وقفته الشجاعة حين أراد الملك فؤاد إسقاط عبارتين من الدستور تنص إحداهما على أن الأمة مصدر السلطات والأخرى أن الوزارة مسئولة أمام البرلمان فارتفع صوت العقاد من تحت قبة البرلمان على رؤوس الأشهاد من أعضائه قائلا: «إن الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس في البلاد يخون الدستور ولا يصونه» وقد كلفته هذه الكلمة الشجاعة تسعة أشهر من السجن سنة (١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م) بتهمة العيب في الذات الملكية.

وظل العقاد منتميًا لحزب الوفد حتى اصطدم بسياسته تحت زعامة مصطفى النحاس باشا في سنة (١٣٥٤هـ= ١٩٣٥م) فانسحب من العمل السياسي وبدأ نشاطُه الصحفي يقل بالتدريج وينتقل إلى مجال التأليف وإن كانت مساهماته بالمقالات لم تنقطع إلى الصحف فشارك في تحرير صحف روزاليوسف والهلال



وأخبار اليوم ومجلة الأزهر.

ولم يتوقف إنتاجه الأدبي أبدا رغم ما مر به من ظروف قاسية حيث كان يكتب المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول كما كان يترجم لها بعض الموضوعات.

أما عن أعماله الفكرية الأدبية فهي كثيرة للغاية ويصعب حصرها لكن بداية ظهوره قي الإنتاج الأدبي كان في سنة ١٩١٦ مع ديوانه الشعري الأول وصدر له بعد ذلك مجموعات شعرية مثل: هداية الكروان وأعاصير المغرب وحي الأربعين وعابر سبيل.

أدت استقالة العقاد من وظيفته الحكومية إلى اشتعال مهنته الأدبية وبدأ بالكتابة في الصحافة مدافعاً عن الديمقراطية ثم عمل محرراً في جريدتي «الدستور» و«البيان» وقام أيضاً بكتابة مقالات نقدية في جريدة «عكاظ».

أسس بالتعاون مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري «مدرسة الديوان» وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر والخروج به عن القالب التقليدي العتيق.

عمل العقاد بمصنع للحرير في مدينة دمياط وعمل بالسكك الحديدية لأنه لم ينل من التعليم حظا وافرا حيث حصل على الشهادة الإبتدائية فقط لكنه في الوقت نفسه كان مولعا بالقراءة في مختلف المجالات وقد أنفق معظم نقوده على شراء الكتب والتحق بعمل كتابي بمحافظة قنا ثم نقل إلى محافظة الشرقية مل العقاد العمل الروتيني فعمل بمصلحة البرق ولكنه لم يعمر فيها كسابقتها فاتجه إلى العمل بالصحافة مستعينا بثقافته وسعة إطلاعه فاشترك مع محمد فريد وجدي في إصدار صحيفة الدستور وكان إصدار هذه الصحيفة فرصة لكي يتعرف العقاد بسعد زغلول ويؤمن بمبادئه. وتوقفت الصحيفة بعد فترة وهو ماجعل العقاد يبحث عن عمل يقتات منه فاضطر إلى إعطاء بعض الدروس ليحصل على قوت يومه .

لم يتوقف إنتاجه الأدبي أبدا رغم ما مر به من ظروف قاسية حيث كان يكتب

المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول كما كان يترجم لها بعض الموضوعات.

أما عن أعماله الفكرية الأدبية فهي كثيرة للغاية ويصعب حصرها لكن بداية ظهوره في الإنتاج الأدبي كان في سنة ١٩١٦ يتمثل ديوانه في عشرة أجزاء هي : [هداية الكروان – أعاصير مغرب – وحي الأربعين – عابر السبيل – يقظة الصباح – وهج الظهيرة – أشباح الأصيل – أشجان الليل – وحي الأربعين – بعد الأعاصير – ما بعد البعد] .

من أشهر أعمال العقاد سلسلة العبقريات الاسلامية التي تناولت بالتفصيل سير أعلام الإسلام مثل: [عبقرية محمد – عبقرية عمر – عبقرية خالد – عبقرية الإمام – عبقرية الصديق ، وغيرها].

ولم يكتب إلا رواية واحدة هي «سارة» ومن أهم مؤلفاته أيضا: الفلسفة القرآنية والله وإبليس والإنسان في القران الكريم ومراجعات في الأدب والفنون.

منحه الرئيس المصري جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية في الآداب غير أنه رفض تسلمها كما رفض الدكتوراة الفخرية من جامعة القاهرة.

اشتهر بمعاركه الفكرية مع الدكتور زكي مبارك والأستاذ محمود شاكر والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وكان الأستاذ سيد قطب يقف في صف العقاد.

التفكير فريضة إسلامية :

يواصل العقاد حديثه عن العقل وموقعه في الاسلام فيقول أن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع اليه ولا تأتي الاشارة اليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر

والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه. ويضيف العقاد: أنه لا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع أي الذي يحول بين صاحبه وما يشتهيه على أساس أخلاقي ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة أو وظيفة وهي كثيرة لا موجب لتفصيلها في هذا المقام المجمل إذ هي جميعا مما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر الذي يتولى الموازنة والحكم على المعاني والأشياء.

محطات في حياة العقاد :

ألف العقاد أكثر من ١٠٢ كتاباً تغطى قضايا فكرية وأدبية وأثناء الفترة من ١٩١٦ وحتى ١٩٥٨ قام بتأليف ١١ جزءاً من الشعر حيث يعتبر أحد رواد الإبداع الشعري الذين يؤمنون بأن الشاعر لابد أن يظهر خصائصه الفردية.

قام بتأليف رواية واحده تسمى «سارة» بالرغم من كونه شاعراً ذو إنتاج وافر وفيها يحكى العقاد تجربته الشخصية في حياته مع المرأة الوحيدة التي أحبها كما كان يقدر المرأة كثيراً ويحترمها فكتب ثلاثة كتب دعا فيهما إلى المشاركة الكاملة للمرأة في المجتمع.

في عام ١٩٣١ كتب العقاد قصته الوحيدة لفيلم «أغنية القلب» وفى عام ١٩٣٢ كتب ١٥ سيرة ذاتية عن شخصيات بارزة كثيرة مثل الزعيم المصري سعد زغلول

والفيلسوف العربي ابن رشد وبنيامين فرانكلين وفرانسيس باكون وآخرون موضحاً في كتاباته أسباب عظمة هؤلاء الشخصيات.

كما قام في عام ١٩٥٤ بترجمة الكثير من روائع الأدب العالمي في جزأين وخصص إحداهما إلى القصص القصيرة الأمريكية.

اتسم العقاد كفيلسوف بعدم التأثر بأي اتجاه فكانت فلسفته الفردية تقوم على العقل وبتناسق كامل مع الوعي الروحي والشعور فكان يؤمن بحرية النقد الأدبي فألف ١١ جزءاً في هذا المجال منهم «مقدمة إلى شكسبير» في عام ١٩٥٨ .

في عام ١٩٤٠ تم اختياره كعضو في مجمع اللغة العربية وأصبح أيضاً عضواً في المجلس الأعلى للأدب والفنون في عام ١٩٥٦ وتقديراً لإسهاماته الأدبية مُنح العقاد جائزة الدولة التقديرية في عام ١٩٦٠.

كتب العقاد عشرات الكتب في موضوعات مختلفة فكتب في الأدب والتاريخ والاجتماع مثل: مطالعات في الكتب والحياة ومراجعات في الأدب والفنون وأشتات مجتمعة في اللغة والأدب وساعات بين الكتب وعقائد المفكرين في القرن العشرين وجحا الضاحك المضحك وبين الكتب والناس والفصول واليد القوية في مصر.

ووضع في الدراسات النقدية واللغوية مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب «الديوان في النقد والأدب» بالاشتراك مع المازني وأصبح اسم الكتاب عنوانًا على مدرسة شعرية عُرفت بمدرسة الديوان وكتاب «ابن الرومي حياته من شعره» وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ورجعة أبي العلاء وأبو نواس الحسن بن هانئ واللغة الشاعرية والتعريف بشكسبير.

كما له في السياسة عدة كتب يأتي في مقدمتها: «الحكم المطلق في القرن العشرين»



و«هتلر في الميزان» و«أفيون الشعوب» و«فلاسفة الحكم في العصر الحديث» و«الشيوعية والإسلام» و«النازية والأديان» و«لا شيوعية ولا استعمار».

أسهم عباس العقاد في الترجمة عن الإنجليزية بكتابين هما «عرائس وشياطين وألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي».

في ١٢ مارس ١٩٦٤ توفى المفكر المصري البارز عباس محمود العقاد الذي كان كاتباً وشاعراً ومؤرخاً وفيلسوفاً وصحفياً ومترجماً.

■ ■ ■

عباس محمود العقاد ومي زيادة

كان الكاتب المفكر عباس محمود العقاد وهو من ألمع مفكري عصره لا ينكر حبه لمي وقد لمح له كثيراً في روايته سارة وأعطى مي اسماً مستعاراً هو هند وعرفها العقاد في البداية عن طريق مقالاتها في الصحف ثم من كتبها وبدأت علاقتهما بالخطابات هو من أسوان بلدته التي يقيم بها قبل استقراره في القاهرة وهي من القاهرة حيث استوطنت مصر بعد قدومها من لبنان بصحبة والديها.

وعندما عاد العقاد من أسوان سارع بزيارة مي يملؤه الشوق والحنين إلى تلك الشخصية التي فتنته قبل أن يراها !

وتقارب الأديبان : العقلان والقلبان لكن حب العقاد لمي كان مختلفاً عن حب مي للعقاد كان العقاد يؤمن بطوفان المشاعر وتوحد الحبيبين نفساً وروحاً وجسداً وكانت مي تؤمن بالحب الصافي السامي العفيف الذي يرتفع عن رغبات الجسد ويسمو إلى عالم الروحانيات وصداقة الفكر. ولا شك أن العقاد احترق بحب مي في صمت والدليل على ذلك قصائده الكثيرة إليها التي تحمل كل مشاعر الحب والتتيم بها .

ويصف العقاد في روايته «سارة» طبيعة علاقته بمي دون التصريح باسمها .. بل اختار لها اسماً مستعاراً هو : هند . فيقول : كان يحبها الحب الذي جعله ينتظر الرسالة أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء وكانا كثيراً ما يتراسلان أو يتحدثان وكثيراً ما يتباعدان ويلتزمان الصمت الطويل إيثاراً للتقية واجتناباً للقال والقيل وتهدئة من جماح العاطفة وإذا خافا عليها الانقطاع.

كانت الخطابات المتبادلة بين مي والعقاد ثروة أدبية .. فكرية .. إنسانية ودليل في نفس الوقت على رابطة متينة قوية بين الطرفين .

وفي كتاب : « غرام مي وجبران بين الحقيقة والخيال » .. الملاحظ في رسائلها الغرامية إلى جبران أنها كانت تعيش شبه حالة حب مع عباس محمود العقاد استناداً إلى رسائل اكتشفها طاهر الطناحي وتقول في إحداها ، وكانت مؤرخة في ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٢٥ : إنني لا أستطيع أن أصف لك شعوري حين قرأت القصيدة التي أرسلتها لي وحسبي أن أقول لك أن ما تشعر به نحوي هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان .

بل إنني خشيت أن أفاتحك بشعوري نحوك منذ زمن بعيد منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة « المحروسة» .

إن الحياء منعني وقد ظننت أن اختلاطي بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والآن عرفت شعورك وعرفت لماذا لا تميل إلى جبران خليل جبران .. لا تحسب إنني اتهمك بالغيرة من جبران فهو في نيويورك لم يرني ولعله لن يراني كما أنني لم أراه إلا في تلك الصور التي تنشرها الصحف .

سأعود قريباً إلى مصر وستجمعنا زيارات وجلسات أفضي فيها لك بما تدخره نفسي ويضمه وجداني فعندي أشياء كثيرة أقولها لك .

وفي قصة «سارة» التي كتبها العقاد .. وروى فيها حبه لامرأتين هما « سارة » و«هند» .. وصفها فقال : إحداهما حولها نهر يساعد على الوصول إليها .. والأخرى حولها نهر يمنع من الوصول إليها وكان يقصد بالأخرى مي .

وقال العقاد عن مي ذات مرة : لقد كانت متدينة تؤمن بالبعث .. وأنها ستقف بين يدي الله يوماً ويحاسبها على آثامها فكانت برغم شعورها بالحياة وإحساسها العمق الصادق وذكائها الوضاء وروحها الشفافة ورقتها وأنوثتها تحرص على أن تمارس هذه الحياة بعفة واتزان .



المستقبل في عيون مفكر

عُرف العقاد منذ صغره بنهمه الشديد في القراءة وإنفاقه الساعات الطوال في البحث والدرس وقدرته الفائقة على الفهم والاستيعاب وشملت قراءاته الأدب العربي والآداب العالمية فلم ينقطع يومًا عن الاتصال بهما لا يحوله مانع عن قراءة عيونهما ومتابعة الجديد الذي يصدر منهما وبلغ من شغفه بالقراءة أنه يطالع كتبًا كثيرة لا ينوي الكتابة في موضوعاتها حتى إن أديبًا زاره يومًا فوجد على مكتبه بعض المجلدات في غرائز الحشرات وسلوكها فسأله عنها فأجابه بأنه يقرأ ذلك توسيعًا لنهمه وإدراكه حتى ينفذ إلى بواطن الطبائع وأصولها الأولى ويقيس عليها دنيا الناس والسياسة.

وكتب العقاد عشرات الكتب في موضوعات مختلفة فكتب في الأدب والتاريخ والاجتماع مثل: مطالعات في الكتب والحياة ومراجعات في الأدب والفنون وأشتات مجتمعة في اللغة والأدب وساعات بين الكتب وعقائد المفكرين في القرن العشرين وجحا الضاحك المضحك وبين الكتب والناس والفصول واليد القوية في مصر.

ووضع في الدراسات النقدية واللغوية مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب «الديوان في النقد والأدب» بالاشتراك مع المازني وأصبح اسم الكتاب عنوانًا على مدرسة شعرية عُرفت بمدرسة الديوان وكتاب «ابن الرومي حياته من شعره» وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ورجعة أبي العلاء وأبو نواس الحسن بن هانئ واللغة الشاعرية والتعريف بشكسبير.

وله في السياسة عدة كتب يأتي في مقدمتها: «الحكم المطلق في القرن العشرين»

و«هتلر في الميزان» و«أفيون الشعوب» و«فلاسفة الحكم في العصر الحديث» و«الشيوعية والإسلام» و«النازية والأديان» و«لا شيوعية ولا استعمار».

وهو في هذه الكتب يحارب الشيوعية والنظم الاستبدادية ويمجد الديمقراطية التي تكفل حرية الفرد الذي يشعر بأنه صاحب رأي في حكومة بلاده وبغير ذلك لا تتحقق له مزية وهو يُعِدُّ الشيوعية مذهبًا هدَّامًا يقضي على جهود الإنسانية في تاريخها القديم والحديث ولا سيما الجهود التي بذلها الإنسان للارتفاع بنفسه من الإباحية الحيوانية إلى مرتبة المخلوق الذي يعرف حرية الفكر وحرية الضمير.

وله تراجم عميقة لأعلام من الشرق والغرب مثل «سعد زغلول وغاندي وبنيامين فرانكلين ومحمد علي جناح وعبد الرحمن الكواكبي وابن رشد والفارابي ومحمد عبده وبرناردشو والشيخ الرئيس ابن سينا».

وأسهم في الترجمة عن الإنجليزية بكتابين هما «عرائس وشياطين وألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي».

■ ■ ■

إسلاميات العقاد

تجاوزت مؤلفات العقاد الإسلامية أربعين كتابًا شملت جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية فتناول أعلام الإسلام في كتب ذائعة عرف كثير منها باسم العبقريات استهلها بعبقرية محمد ثم توالت باقي السلسلة التي ضمت عبقرية الصديق وعبقرية عمر وعبقرية علي وعبقرية خالد وداعي السماء بلال وذو النورين عثمان والصديقة بنت الصديق وأبو الشهداء وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وفاطمة الزهراء والفاطميون.

وهو في هذه الكتب لا يهتم بسرد الحوادث وترتيب الوقائع وإنما يعني برسم صورة للشخصية تُعرِّفنا به وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله مثلما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين.

وقد ذاعت عبقرياته وأُشتهرت بين الناس وكان بعضها موضوع دراسة الطلاب في المدارس الثانوية في مصر وحظيت من التقدير والاحتفاء بها لم تحظ به كتب العقاد الأخرى.

وألّف العقاد في مجال الدفاع عن الإسلام عدة كتب يأتي في مقدمتها: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه والفلسفة القرآنية والتفكير فريضة إسلامية ومطلع النور والديمقراطية في الإسلام والإنسان في القرآن الكريم والإسلام في القرن العشرين وما يقال عن الإسلام.

وهو في هذه الكتب يدافع عن الإسلام أمام الشبهات التي يرميه بها خصومه وأعداؤه مستخدمًا علمه الواسع وقدرته على المحاجاة والجدل وإفحام الخصوم بالمنطق السديد فوازن بين الإسلام وغيره وانتهى من الموازنة إلى شمول حقائق



الإسلام وخلوص عبادته وشعائره من شوائب الملل الغابرة حين حُرِّفت عن مسارها الصحيح وعرض للنبوة في القديم والحديث وخلص إلى أن النبوة في الإسلام كانت كمال النبوات وختام الرسالات وهو يهاجم الذين يدعون أن الإسلام يدعو إلى الانقياد والتسليم دون تفكير وتأمل ويقدم ما يؤكد على أن التفكير فريضة إسلامية وأن مزية القرآن الأولى هي التنويه بالعقل وإعماله ويكثر من النصوص القرآنية التي تؤيد ذلك ليصل إلى أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء.

وقد رد العقاد في بعض هذه الكتب ما يثيره أعداء الإسلام من شبهات ظالمة يحاولون ترويجها بشتى الوسائل مثل انتشار الإسلام بالسيف وتحبيذ الإسلام للرق وقد فنَّد الكاتب هذه التهم بالحجج المقنعة والأدلة القاطعة في كتابه «ما يقال عن الإسلام».

■ ■ ■

شاعرية العقاد :

لم يكن العقاد كاتبًا فذا وباحثًا دؤوبًا ومفكرًا عميقًا ومؤرخًا دقيقًا فحسب بل كان شاعرًا مجددًا له عشرة دواوين هي:

[يقظة الصباح ووهج الظهيرة وأشباح الأصيل وأعاصير مغرب وبعد الأعاصير وأشجان الليل ووحي الأربعين وهدية الكروان وعابر سبيل] وديوان من دواوين وهذه الدواوين العشرة هي ثمرة ما يزيد على خمسين عامًا من التجربة الشعرية منها :

١ - ديوان من دواوين .

٢ - وحى الاربعين .

٣ - هدية الكروان .

٤ - عابر سبيل .

والأخير من أطرف دواوينه حيث أراد به أن يبتدع طريقة في الشعر العربي ولا يجعل الشعر مقصورًا على غرض دون غرض فأمور الحياة كلها تصلح موضوعًا للشعر ولذا جعل هذا الديوان بموضوعات مستمدة من الحياة ومن الموضوعات التي ضمها الديوان قصيدة عن «عسكري المرور» جاء فيها :

متحكم في الراكبين ... وما له أبدًا ركوبة
لهم المثوبة من بنانك ... حين تأمر والعقوبة
مُر ما بدا لك في الطريق ... ورض على مهل شعوبه

أنـــا ثـــائر أبـــدًا ومـــا فـــي ثـــورتي أبـــدًا صعـــوبة
أنـــا راكـــب رجـــلي فـــلا أمْـــرٌ عـــليَّ ولا ضريبـــة

■ ■ ■

تقدير العقاد

لقي العقاد تقديرا وحفاوة في حياته من مصر والعالم العربي فاخْتير عضوًا في مجمع اللغة العربية بمصر سنة (١٣٥٩هـ= ١٩٤٠م) فهو من الرعيل الأول من أبناء المجمع واخْتير عضوًا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق ونظيره في العراق وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة (١٣٧٩هـ= ١٩٥٩م).

وتُرجمت بعض كتبه إلى اللغات الأخرى فتُرجم كتابه المعروف «الله» إلى الفارسية ونُقلت عبقرية محمد وعبقرية الإمام علي وأبو الشهداء إلى الفارسية والأردية والملاوية كما تُرجمت بعض كتبه إلى الألمانية والفرنسية والروسية.

وكان أدب العقاد وفكره ميدانًا لأطروحات جامعية تناولته شاعرًا وناقدًا ومؤرخًا وكاتبًا وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها وبايعه طه حسين بإمارة الشعر بعد موت شوقي وحافظ إبراهيم قائلا: «ضعوا لواء الشعر في يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه».

وقد أصدرت دار الكتب نشرة بيلوجرافية وافية عن مؤلفات العقاد وأصدر الدكتور حمدي السكوت أستاذ الأدب العربي بالجامعة الأمريكية كتابًا شاملا عن العقاد اشتمل على بيلوجرافية لكل إنتاج العقاد الأدبي والفكري ولا تخلو دراسة عن الأدب العربي الحديث عن تناول كتاباته الشعرية والنثرية.

واشْتُهر العقاد بصالونه الأدبي الذي كان يعقد في صباح كل جمعة يؤمه تلامذته ومحبوه يلتقون حول أساتذتهم ويعرضون لمسائل من العلم والأدب والتاريخ دون الإعداد لها أو ترتيب وإنما كانت تُطْرح بينهم ويُدلي كل منهم بدلوه وعن هذه

الجلسات الشهيرة أخرج أنيس منصور كتابه « في صالون العقاد».

وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها وسمي بأسمه أحد أشهر شوارع القاهرة وهو شارع عباس العقاد الذي يقع في مدينة نصر .

وفاته :

ظل العقاد عظيم الإنتاج لا يمر عام دون أن يسهم فيه بكتاب أو عدة كتب حتى تجاوزت كتُبُه مائةَ كتاب بالإضافة إلى مقالاته العديدة التي تبلغ الآلاف في بطون الصحف والدوريات ووقف حياته كلها على خدمة الفكر الأدبي حتى لقي الله في (٢٦ من شوال ١٣٨٣هـ= ١٢ من مارس ١٩٦٤م).

■ ■ ■

أربع نساء في حياة العقاد

عـرف الكاتـب والأديـب والشـاعر عبـاس محمـود العقـاد بمحاربتـه للمـرأة ومعارضتها في حق المساواة مع الرجل فهي بنظره خلقت لخدمة الرجل وتربية الأولاد و طهي الطعام ...ولكن رغم مواقفه السلبية تلك كان معجباً بجمال المرأة متتبعاً له واصفاً إياه وقد نعم بحبها واكتوى بنيران هجرانها وصدها مراراً عدة .

يقول في وصف إحداهن مشبهاً إياها بكوكب يسري في الماء :

وحبيبـــــة مـــــنهن تحســـــبها ... في المـــاء صـــورة كوكـــب يسري
فضـــــية الأوصـــــال مفرغـــــة ... في الحســـن مـــن فـــرع إلى ظفـــر
لـــو ذاب جســـم مـــن نعومتـــه ... في المـــاء ذابـــت وهـــي لاتـــدري

وكثيراً ما وصل في شعره إلى تقديس هذا الجمال :

أيهـــا النـــاظروه بـــل تنظـــرون الله ... جهـــــراً في نـــــور ذاك الجبـــــين

هذا الحب الذي كان يوزعه العقاد على الوجوه الجميلة التي تصادفه تحول أخـيراً إلى حب خالص لنساء معينات كان لهن الأثر الكبير في حياتـه..ومـن النسـاء اللـواتي عشقهن العقاد وهام بهن : مي زيادة سارة المصلية الممثلة .

ويبدو أن مي زيادة الكاتبة والأديبة المعروفة بصالونها الأدبي الذي كانـت تفتحـه لعشاق الأدب يوم الثلاثاء قد حازت على حب العقـاد الـذي كـان أصـغر المترددين سناً على هذا الصالون إذ كان عمره آنذاك أربعًا وعشريـن عامـاً بينهما لم يتجـاوز سـن مي السابعة والعشرين ...وهناك العديد من الرسـائل المتبادلـة مـا بـين العقـاد ومـي والتي تؤكد حبه لهذه الأديبة المتميزة ولم تنقطع الرسائل بينهما إلا خلال الفـترة التـي

شغل بها العقاد بالمعارك السياسية التي دارت بين حزب الوفد برئاسة سعدزغلول وخصوم الوفد إذ كان العقاد كاتب الوفد الأول آنذاك .

وعندما سافرت مي زيادة في صيف ١٩٢٥ إلى إيطاليا ومن ثم إلى ألمانيا أرسلت له رسالة تصف فيها رحلتها و الأماكن التي زارتها وعندما قرأ هذه الرسالة اشتاقت نفس العقاد إلى مي وكتب لها هذه القصيدة التي استقاها من وحي رسالتها :

آل روما لكم منا الولاء ... و ثناء عاطر بعد ثناء
وسلام كلما ضاء لنا ... شارق الصبح أو أظلم المساء

كما وصف مي بأنها كعبته التي تشتاق روحه للحج إليها :

في حماكم كعبة ترمقها ... مهج منا وآماق ظماء

ويتابع في القصيدة نفسها مؤكداً أن مي مازالت حلمه المشتهى :

أنت يا حسن وهل أنت سوى ... حلم في يقظة القلب أضاء

وترد عليه مي برسالة تصف فيها مشاعرها نحوه مبينة أن هذه المشاعر هي نفسها مشاعر الشاعر وهذه إشارة إلى تبادل الحب بينهما .

كما كانت في تصوره معبداً للحب على حين كان هذا الهيكل القديم وهو الهوى معبداً للمجد فلأيهما يسجد العقاد ياترى لها أم له:

معبد أنت للهوى ... وهو للمجد معبد
هيكل فيه هيكل ... أين يا حسن أسجد

ونراه يتلهف لتقبيل الحبيبة ويعتبر ممانعتها له في تقبيل يدها غضباً أو نوعاً من الدلال أو خوفاً من الرقيب :

صافحيني ألا مصافحة اليوم ... ولا قبلة على الكف عجلى
أغضاباً تحمينها أم دلالاً ... أم حذار الرقيب تنأين خجلى

وكثيرة هي القصائد التي أرسلها لمي خصوصاً عندما كان السفر يفرق بينهما... ولكن جذوة الحب لمي خفتت عند العقاد ويعود السبب في ذلك لتعرفه بسارة التي أعطته كل ما منعته عنه مي زيادة حتى صار مصير هذا الحب إلى الزوال كما يقول:

ولـــد الحـــب لنـــا وافرحتـــاه   و قضى في مهـــــده وا أســـــفاه
مـــات لم يــــدرج ولم يلعـــب   يشــــهد الـــدنيا ولم يعـــرف أبـــاه

وانقطع العقاد عن لقاء مي وعاش حياة لاهية مع سارة التي سقته كؤوس الحب مترعة .وعندما ألمت النوازل بمي بدءاً من موت الأب إلى موت الأم إلى الضائقة الاقتصادية وأخيراً دخولها إلى العصفورية في لبنان حزن عليها العقاد لكنه لم يستطع أن يقدم لها شيئاً إلا أنه رثاها بعد موتها أجمل رثاء:

رحمـــة الله عـــلى مـــي خصـــالا   رحمـــة الله عـــلى مـــي فعـــالا
رحمـــة الله عـــلى مـــي جمـــالا   رحمـــة الله عـــلى مـــي ســـجالا

كلما سجل في الطرس كتاب

ويتابع قائلاً:

تلكـــم الطلعـــة مازلـــت أراهـــا   غضـــة تـــنشر ألـــوان حلاهـــا
بـــين آراء أضـــاءت في ســـناها   وفــــروع تتهـــادى في دجاهـــا

ثم شاب الفرع والأصل وغاب

أما سارة وكما أسلفنا فقد قطف العقاد من شجرتها كل ما اشتهته نفسه على عكس مي التي لم تعطه إلا الغذاء الروحي .. ومن العجيب أن يفتن العقاد بامرأة تختلف عنه في الصفات والمنازع والأهواء لكن كما يبدو أن سارة التي التقاها صدفة قد قضت على الضياع والتدمير النفسي الذي كان يحس به لهذا فقد نعم بحبها و لم يترك ساعة واحدة تضيع منه دون أن يتمتع بهذا الحب وكان لايعد في حسابه اليوم



الذي يمر دون أن يرى فيه سارة ويسميه يوماً مزيفاً:

لـــك وجــه كأنــه طــابع الصــدق ... عـــلى صـــفحة الزمـــان المـــألوف
إن يومـــــــاً يمـــــــــر بي لا أراه ... هـــو يـــوم أعـــده في الزيـــوف

وكثيراً ما وصف حياته اللاهية مع سارة قائلاً:

قـــبلات كـــل يـــوم وعنـــاق ... و وداع كـــل يـــوم ولقـــاء
واشـــتياق كلـــما حـــان الفـــراق ... وعهـــود كلـــما جـــن المســـاء

ويبدو أن العقاد خاف أن يصبح ألعوبة في يد سارة أو تنصرف إلى غيره فاستبق الأمور وأنهى حبه لها بعد انقضاء عامين متعرفاً إلى حب جديد أنساه سارة:

مكانـــــك فـــانظري فيـــه ... هنـــــاك نزيلـــــة أخـــــرى
لقـــــد أســـــليتني حبـــــاً ... حســــبت هـــواه لا يســـلى

إذن العقاد على على مشارف حب جديد حيث التقى بمحبوبته الجديدة في إحدى مدن الصعيد وكانت تقيم بضاحية من ضواحي مصر على مقربة من الحقول الخضراء ..وكان طائر الكروان صلة الوصل بينهما و قد ألف العقاد ديواناً في هذا الحب سماه «هدية الكروان» أهداه إليها

إلا أن حبيبته التي كان يتلهف للقائها كانت من المصليات اللواتي يؤدين فروضهن المكتوبة وكثيراً ما تغزل في ماء و ضوئها هذا الوضوء الذي يحكي جمال روحها في الماء:

هنا -وياحسن ما ضمت هنا- قدح ... تغوي قلوب العطاش أي إغواء
في كـــل قطـــرة مـــاء ههنـــا أثـــر ... من قالب الحسن في روح و أعضاء

وقد اصطرع الدين والغي في نفس العقاد إزاء هذه المصلية وأصبح بين نارين فهو لايستطيع مغالبة سكر الهوى ولامقاومة عطشه النفسي :

هذي خلاصة إنسان مقدسة ليست ... خلاصـــة أعنـــاب و صـــهباء
أخطـئ أنـا إن أحسســت في كبـدي ... شـــوقين مـــن نشـــوة فيهـــا وإرواء
تنـازع الـدين والغـي الهيـام بهـا ... وقربـــت بـــين إســـعاد وإشـــقاء

لكن عندما وصل في حبه للمصلية إلى الذروة تركها ربما لأنه لم يستطع أن يقطف من شجرتها الثمار المشتهاة .

وتعرف إلى حب جديد هي «الممثلة» (م.ي) التي زارته في جريدة الجهاد كي يساعدها في الوصول إلى ما تريد ويشع نور الحب في قلبه من جديد رغم الفارق العمري بينهما فهو على أبواب الستين و هي مازالت في العشرينات ..وعندما كانت تظهر له و لعها به يشبه العقاد هذا الحب السخي بأنه مثل عودة الربيع في يوم خريفي لأنه يأتي بجديد المتاع:

مـن جديـد المتـاع يـوم خريـف ... تحـت وهـج السـماء عـاد ربيعـاً
ومحيـــا في الأربعـــين وديـــع ... تحـت بـث الغـرام شـب سريعـاً
نضــج القلــب بــالجمال فســوى ... مـن ثنايـا الغصـون وجهـاً بـديعاً

ويعتبر أن الحب في الشيخوخة أحلى و أعمق و يقضي العقاد مع هذه الممثلة عامين وكله أمل بأن يتجدد بعام ثالث.... وعندما سافر إلى السودان عاد إليها وهو على أحر من الجمر قائلاً أن سبب رجوعه إلى مصر هو المحبوبة :

التقينا
والتقينا
عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعدما فرق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا

ويطمئن حبيبته بأنه لن يفارقها بعد اليوم و تنذر هي نذراً لإحدى القديسات كي لا يفرق الدهر بينهما.. على أن هذا الحب لم يستمر لأنه لم يكن متكافئاً ...إذ ساءت العلاقة بينهما إلى حد كانت ترحب بكل الناس إلا العقاد... و هكذا غدا حب العقاد لهذه الممثلة جزءاً من الذكرى

و بانتهاء هذا الحب للممثلة نستطيع القول أن حب العقاد انتهى باستثناء حبه لشخصيات هزيلة لم يقصد منها العقاد سوى الحصول على الملذات أو المنفعة .... أما النساء الأربع اللواتي ورد ذكرهن سابقاً فقدكن بارزات في حياة هذا الأديب الكبير ويبدو أن لكل واحدة منهن طعمها و مذاقها لهذا أرخ لحبه معهن بأروع القصائد التي تفيض بالشعور الإنساني المتدفق .

■ ■ ■


رسائل غرام الكبار
بين
مي والعقاد

من العقاد إلى مي

أول يوليو عام ١٩٢٥

سيدتي الآنسة مي ..

أشكركي على الأبيات التي تفضلت بقبولها نعمة من نعم السماء وابتسامة في فم الحياة . أتمنى لك من السعادة بقدر ما بعثته في نفسي وبثته في جوانب قلبي .. ولست بخيلا بالدعاء لو تعلمين حين أتمنى لك «بقدر» ما شعرت به .

وإني أبصرك الساعة بين الماء والسماء فأشعر بوجود الله حقا وأحس بمحضره قريبا لأنني لا أستطيع أن أعرف قوة غيره تحمل ذلك المهد السابح الذي أتمثلك فيه طفلة وادعة في أحضان ذلك الحنان السرمدي العظيم...

وهلا أحدثك بما أشعر به وأنا أكتب إليك من القاهرة وأنت في طريقك إلى مدينة غريبة بعيدة بموقعها بعيدة بتاريخها القديم وذكرياتها الخالدة ؟ . إني على ما بي من الشوق إلى رؤيتك وسماع صوتك لست أشعر البتة ـ وهذا ما أستغربه ـ لأنني أخط هذه السطور لتصل إليك على البعد حيث لم أكن ولم تكوني قط قبل الآن ولا أحس فضاء بين نفسينا تتنقل فيه الرسائل ويقاس بمسافات البحار والآفاق وظلام الليل وبياض النهار . فلا مثالك بعيد مني لأنه أقرب قريب إلى حيث هو حاضر أبدا أراه ولا أرى شيئا سواه .

وليست هذه أول مرة أذكرك فيها بين معاهد البلاد الغائبة وظلال الأزمنة القديمة . فقد ذكرتك في أسوان وذكرتك عند عرش إله النيل ومعبد إيزيس .

فهل ستذكرينني ؟ إنني آمل وأتوسل . بل إنني واثق أنك ستذكرين ! واثق كل الثقة وسعيد كل السعادة بهذه الثقة الغالية . فلا تنسي يا آنسة .. واعذري ولا تشتدي علي ! .. ولك مني أعز وأصفى ما ترسله نفسي إلى نفس من تحيات الشوق والرجاء والعطف والشكر والاحترام.

من مي إلى العقاد

برلين ٣٠ أغسطس ١٩٢٥

أكتب إليك من بلد كنت دائما تعجب بشعبه كما أعجب به أنا أيضا ولكن إعجابي بقصيدتك البليغة في معناها ومبناها فاق كل إعجاب . وقد اغتبطت بها غبطة لا حد لها واحتفظت بها في مكان بين أوراقي الخاصة خوفا عليها من الضياع !

إنني لا أستطيع أن أصف لك شعوري حين قرأت هذه القصيدة . وحسبي أن أقول لك إن ما تشعر به نحوي هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان .

بل إنني خشيت أن أفاتحك بشعوري نحوك منذ زمن بعيد .. منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة المحروسة . الحياء منعني وقد ظننت أن اختلاطي بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والآن عرفت شعورك وعرفت لماذا لا تميل إلى جبران خليل جبران .

لا تحسب أنني أتهمك بالغيرة من جبران فإنه في نيويورك لم يرني ولعله لن يراني كما أني لم أره إلا في تلك الصور التي تنشرها الصحف . ولكن طبيعة الأنثى يلذ لها أن يتغاير فيها الرجال وتشعر بالازدهاء حين تراهم يتنافسون عليها ! .. أليس كذلك ؟ .. !

معذرة .. فقد أردت أن أحتفي بهذه الغيرة لا لأضايقك ولكن لأزداد شعورا بأن لي مكانة في نفسك أهنئ بها نفسي وأمتع بها وجداني . فقد عشت في أبيات قصيدتك الجميلة وفي كلماتها العذبة وشعرت من معانيها الشائقة وموسيقاها الروحية ما جعلني أراك معي في ألمانيا على بعد الشقة وتنائي الديار .

سأعود قريبا إلى مصر وستضمنا زيارات وجلسات أفضي فيها لك بما تدخره نفسي ويضمه وجداني فعندي أشياء كثيرة سأقولها لك في خلوة من خلوات مصر الجديدة فإني أعرف أنك تفضل السير في الصحراء وأنا أجد فيك الإنسان الذي أراه أهلا للثقة به والاعتماد عليه.

مي زيادة

آه من التراب

العقاد يرثي مي زيادة وقد ألقيت بمناسبة وفاة الأديبة مي زيادة قال فيها :

أيـن في المحفـل «مـي» يـا صـحابْ ؟ عودتنـــا هـــا هنـــا فصـــل الخطـــاب
عرشـــها المنـــبر مرفـــوع الجنـــاب مســتجيب حــين يُــدعى مســتجاب

أين في المحفل «مي» يا صحاب ؟

***

ســائلوا النخبــة مــن رهــط النــديّ أين ميَ؟ هل علمتم أين الندى مـي؟
الحــديث الحلــو واللحــن الشــجي والجبــين الحــر والوجــه الســني

أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

***

أســف الفــن عــلى تلــك الفنــون حصــدتها وهــي خضراء الســنون
كــل مــا ضــمته مــنهن المنــون غصــصٌ ماهــان منهــا لا يهــون

جراحات ويأس وعذاب

***

شــيم غــرّ رضــيات عِــذاب وحجــي ينفــذ بــالرأي الصــواب
وذكـــاء ألمعـــي كالشـــهاب وجمـــال قـــدسي لا يعـــاب

كل هذا في التراب .. آه من هذا التراب

***

كـل هـذا خالـدٌ في صـفحات عطـرات في رباهـا مثمـرات
إن ذوت في الـروض أوراق النبـات رفرفـت أوراقهـا مزدهـرات
وقطفنا من جناها المستطاب

***

مـن جناهـا كـل حسـن نشـتهيه متعـه الألبـاب والأرواح فيـه
سـائغ ميـز مـن كـل شـبيه لم يـزل يحسـبه مـن يجتنيـه
مفرد المنبت معزول السحاب

***

الأقـاليم التـي تنميـه شـتى كـل نبـت يـانع ينجـب نبتـا
مـن لغـات طوفـت في الأرض حتـى لم تـدع في الشرق أو في الغـرب سـمتا
وحواها كلها اللب العجاب

***

يـا لـذات اللـب مـن ثـروة خصـبِ نـير يقـبس مـن حـس وقلـبِ
بين مرعـى مـن ذوي الألبـاب رحـبِ وغنـى فيـه وجـود مسـتحبِ
كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

***

طلعـه النـاضر مـن شـعر ونثـر كرحيـق النحـل في مطلـع فجـر
قابـل النـور عـلى شـاطئ نهـر فلـه في العـين سـحر أي سـحر
وصدى في كل نفس وجواب

***

حـــي «ميـــاً» إن مـــن شـــيّع ميـــا منصـــفاً حيـــا اللســـان العربيـــا
وجـــزى حـــواء حقـــاً سرمـــديا وجـــزى ميـــا جـــزاء أريحيـــا
للذي أسدت إلى أم الكتاب[1] !

■ ■ ■

(١) يقصد هنا بأُمِّ الكتاب اللغة العربية وليس فاتحة الكتاب الكريم .


غرام الكبار
مصطفى
صادق الرافعي
الأصم العاشق

لم يمنعه الصمم من عشق مي زيادة ..

ولم تمنعه المسافة الطويلة من طنطا للقاهرة من صالون مي فكان يعتمر إليها كل ثلاثاء ولم يتخلف يوماً عن الندوة !!

وكله في غرام مي يهون !!

إنه الحب الرائع والعشق الأبدي من عبقري كبير بحجم الشيخ مصطفى صادق الرافعي لمي زيادة وهو علامة مضيئة في تاريخ الأدب ولحظة فارقة في عُمر الفِكر ومفردات متوهجة في حرفة العربية ..

فمَنْ هو هذا العاشق الرائع ؟

هو .. رائدٌ للأدب العربي في الثلاثين عاماً الأولى من هذا القرن وهو من عظماء الكُتاب الذين خلفوا ورائهم روائع من الأدب العربي وكانت أعماله عاملاً رئيسياً في تطور النثر الحديث وكتابة المقال.

وُلد مصطفى صادق الرافعي في يناير عام ١٨٨٠ من أبوين لبنانيين هاجروا إلى سوريا ثم إلى مصر في قرية بهتيم بمحافظة القليوبية وينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

أتم حفظ القرآن الكريم بمساعدة والده قبل بلوغه العاشرة من عمره انتسب إلى مدرسة دمنهور الابتدائية ثم انتقل إلى مدرسة المنصورة الأميرية التي حصل منها على الشهادة الابتدائية وعمره آنذاك سبع عشرة سنة .

وأصله من مدينة طرابلس في لبنان ومازالت أسرة الرافعى موجودة فيها حتى الآن أما الفرع الذى جاء إلى مصر من اسرة الرافعى فإن الذى اسمه هو الشيخ محمد الطاهر الرافعى الذى وفد إلى مصر سنة ١٨٢٧ ليتولى قضاء المذهب الحنفي أى مذهب أبي حنيفة النعمان بأمر من السلطان العثمانى حيث كانت مصر حتى ذلك

الحين ولاية عثمانية .

وكان العمل الرئيسى لرجال أسرة الرافعى هو القضاء الشرعى حتى وصل الامر إلى الحد الذى اجتمع فيه من آل الرافعى أربعون قاضيا في مختلف المحاكم الشرعية المصرية في وقت واحد وأوشكت وظائف القضاء والفتوى ان تكون مقصورة على آل الرافعى وقد تنبه اللورد كرومر إلى هذه الملاحظة فأثبتها في بعض تقاريره إلى وزارة الخارجية الإنجليزية لأنها كانت ظاهرة ملفتة للنظر وتحتاج إلى تفكير وتأمل .

كان والد الرافعى هو الشيخ عبد الرازق الرافعى الذى تولى منصب القضاء الشرعى في كثير من أقاليم مصر وكان آخر عمل له هو رئاسة محكمة طنطا الشرعية . أما والدة الرافعى فكانت سورية الاصل كأبيه وكان أبوها الشيخ الطوخى وهو تاجر تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام وأصله من حلب وكانت إقامته في بهتيم من قرى محافظة القليوبية وكان له فيها ضيعة .

وآثرت أمه أن تكون ولادته في بيت أبيها. دخل الرافعى المدرسة الابتدائية ونال شهادتها ثم أصيب بمرض يقال انه التيفود اقعده عدة شهور في سريره وخرج من هذا المرض مصابا في أذنيه وظل المرض يزيد عليه عاما بعد عام حتى وصل إلى الثلاثين من عمره وقد فقد سمعه بصورة نهائية. ولم يحصل الرافعى في تعليمه النظامى على أكثر من الشهادة الابتدائية. معنى ذلك أن الرافعى كان مثل العقاد في تعليمه فكلاهما لم يحصل على شهادة غير الشهادة الابتدائية. كذلك كان الرافعى مثل طه حسين صاحب عاهة دائمة هي فقدان البصر عند طه حسين وفقدان السمع عند الرافعى ومع ذلك فقد كان الرافعى مثل زميليه العقاد وطه حسين من أصحاب الإرادة الحازمة القوية فلم يعبأ بالعقبات التي وضعتها الحياة في طريقه

وانما اشتد عزمه وأخذ نفسه بالجد والاجتهاد وعلم نفسه بنفسه حتى استطاع ان يكتسب ثقافة رفيعة وضعته في الصف الأول من أدباء عصره ومفكريه .

تزوج الرافعى في الرابعة والعشرين من أخت صديقه الأديب الأستاذ عبدالرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان وصاحب أفضل شرح لديوان المتنبى وأنجب الرافعى من زواجه عشرة أبناء. اضطره المرض إلى ترك التعليم الرسمي واستعاض عنه بمكتبة أبيه الزاخرة إذ عكف عليها حتى استوعبها وأحاط بما فيها. عمل في عام ١٨٩٩ ككاتب محكمة في محكمة طلخا ثم انتقل إلى محكمة طنطا الشرعية ثم إلى المحكمة الأهلية وبقي فيها حتى لقي وجه ربه الكريم

في يوم الاثنين العاشر من مايو لعام ١٩٣٧ استيقظ فيلسوف القرآن لصلاة الفجر ثم جلس يتلو القرآن فشعر بحرقة في معدته تناول لها دواء ثم عاد إلى مصلاه ومضت ساعة ثم نهض وسار فلما كان بالبهو سقط على الأرض ولما هب له أهل الدار وجدوه قد فاضت روحه الطيبة إلى بارئها وحمل جثمانه ودفن بعد صلاة الظهر إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطا.

ونظراً لموهبته الرفيعة فقد كتب الرافعي الشعر منذ سن مراهقته فتبع الاتجاه المحافظ الذي قاده الشاعر العظيم البارودي حيث أصدر ديوانه الأول عام ١٩٠٣ قبل بلوغه العشرين من عمره والذي كان له صدى عظيماً بين كبار شعراء مصر وأعجب بشعره البارودي وحافظ إبراهيم.

ظهرت موهبة الرافعي في ثلاث اتجاهات رئيسية:

النثر الشعري: وكتب فيه أعمالاً رائعة مثل «حديث القمر» و «أوراق وزهرة» و«السحابة الحمراء» و«الفقير» وفى هذه الأعمال ظهرت رغبته في استعمال الشعر المقفى والشعر الحر.

الدراسات الأدبية: وكان أهم كتاب له في هذا الاتجاه هو «تاريخ اللغة العربية» ومهد هذا الكتاب غير المسبوق الطريق أمام الرافعي ليعلو درجات المجتمع الأدبي.

المقال: كانت عبقرية الرافعي واضحة في مجال كتابة المقال وفى سنواته الأخيرة كرس حياته لكتابة المقال فكتب كثير من المقالات القيمة والتي تم جمعها في كتابه المشهور «وحى القلم».

في عام ١٩١٢ رحل إلى لبنان حيث ألف كتابه حديث القمر وصف فيه مشاعر الشباب وعواطفهم وخواطر العشاق في أسلوب رمزي على ضرب من النثر الشعري البارع. وبعد وقوع الحرب العالمية الأولى نظر الرافعي حوله فرأى بؤساً متعدد الألوان مختلف الصور والأشكال فانعكس ذلك كله في كتابه «كتاب المساكين» وفي عام ١٩٢٤ أخرج كتاب «رسائل الأحزان» عن خواطر في الحب ثم أتبعه بكتاب و«السحاب الأحمر» والذي تحدث فيه عن فلسفة البُغض وطيش الحب تلي ذلك كتابه «أوراق الورد».. أسمعنا فيه حنين العاشق المهجور ومنية المتمني وذكريات السالي وفن الأديب وشعر الشاعر.

وجد الرافعي دعوة التجديد قناعاً للنيل من اللغة العربية يقصد منه الطعن في القرآن الكريم والتشكيك في إعجازه لذا ما أنفتأ يقاوم هذه الدعوة جهاداً تحت راية القرآن فجمع في كتابه «تحت راية القرآن» كل ما كتب عن المعارك التي دارت بين القديم وكل ما هو جديد ما جعله أفضل الكتب العربية في النقد ومكافحة الرأي بالرأي ما جعله أعلى كتبه مكانة بعد رائعته «وحي القلم».

في عام ١٩٣٤ بدأ الرافعي يكتب كل أسبوع مقالة أو قصة ليتم نشرها أسبوعياً في مجلة الرسالة والتي أجمع الأدباء والنقاد على أن ما نشرته الرسالة لهو أبدع ما كتب في الأدب العربي الحديث والقديم جمع أكثرها في كتاب وحي القلم.

على أن الرافعى لم يستمر طويلا في ميدان الشعر فقد انصرف عن الشعر إلى الكتابة النثرية وعندما نتوقف أمام ظاهرة انصرافه عن الشعر نجد انه كان على حق في هذا الموقف فرغم ما انجزه في هذا الميدان الادبى من نجاح ورغم أنَّه استطاع أن يلفت الانظار إلا أنَّه في الواقع لم يكن يستطيع أنْ يتجاوز المكانة التي وصل إليها الشعراء الكبار في عصره و خاصة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم فقد أعطى هذا الشاعران التعبير عن مشاعر الناس وهمومهم في هذا الجيل .

تميز شعر حافظ إبراهيم وأحمد شوقي بالسهولة والغزارة مما اتاح لهما القدرة على الانتشار بين القراء حتى لو كان هولاء القراء متوسطين في ثقافتهم فأين يذهب الرافعى في هذه المعركة الكبيرة وشعره لم يكن شعرًا سهلًا بل كان شعرا صعبا يحتاج إلى ثقافة ادبية ولغوية عالية لكى يفهمه من يقرأه ولكى يتذوقه بعد ذلك ويستمتع به .

لعل الرافعى هو من اطلق أول صرخة اعتراض على الشعر العربى التقليدى في أدبنا فقد كان يقول: «إنّ في الشعر العربى قيودا لا تتيح للشاعر أنْ ينظم بالشعر كل ما يريد ان يعبر به عن نفسه» وهذه القيود بالفعل هي الوزن والقافية

كانت وقفة الرافعى ضد قيود الشعر التقليدية اخطر وأول وقفة عرفها الأدب العربى في تاريخه الطويل واهمية هذه الوقفة أنَّها كانت حوالي سنة ١٩١٠ أى في أوائل هذا القرن وقبل ظهور معظم الدعوات الادبية الأخرى التي دعت إلى تحرير الشعر العربى جزئيا أو كليا من الوزن والقافية

الميدان الأول الذى انتقل إليه الرافعى الذى كان مقيدا بالوزن والقافية هو ميدان النثر الشعرى الحر في التعبير عن عواطفه العتيقة التي كانت تملأ قلبه ولا يتعداها إلى تصرفات تخرج به عن حدود الالتزام الاخلاقى والدينى كما كان يتصوره

– أما الميدان الثانى الذى خرج إليه الرافعى فهو ميدان الدراسات الادبية وأهمها

كان كتابه عن «تاريخ أداب اللغة العربية» وهـو كتـاب بـالغ القيمـة ولعلـه كـان أول كتـب في موضـوعه يظهـر في الـعصر الحـديث لانـه ظهـر في اوائـل القـرن العشريـن وبالتحديـد سـنة ١٩١١ . ثـم كتـب الرافعـي بعـد ذلـك كتابـه المشـهور «تحـت رايـة القرآن» وفيه يتحدث عن اعجاز القرآن. و يرد على آراء الدكتور طه حسين في كتابـه المعروف باسم «في الشعر الجاهلى»

- ثم يأتى الميدان الأخير الذى تجلت فيه عبقرية الرافعى ووصـل فيـه إلى مكانتـه العاليـة في الأدب العربـى المعـاصر والقـديم وهـو مجـال المقـال والـذى اخلـص لـه الرافعى في الجزء الأخير مـن حياتـه وأبـدع فيـه إبـداعا عجيبـا وهـذه المقـالات التي جمعها الرافعى في كتابه «وحى القلم»

■ ■ ■

الرافعي ومي زيادة

عاش الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي قصة حب كبيرة مع مي زيادة لكنها كانت قصة حب من طرف واحد هو مصطفى الرافعي !

فقد احترق الرافعي حباً وهياماً بمي وتوهم أن مياً تحبه وهو مالم يكن صحيحاً.

ولكن هذا الحب الكبير أنتج كذلك أدباً غزيراً وجميلاً فكتب الرافعي لـ مي مجموعة كبيرة من الرسائل تشكل وثائق أدبية وشخصية هامة حول حياة كل منهما .

ورغم أن الرافعي كان يفهم شخصية مي جيداً وقال ذات يوم في وصفها :

إن كل من حادثها ظن أنها تحبه وما بها إلا أنها تفتنه.

وكانت مي تراسل الرافعي كما كانت تفعل مع معظم أدباء صالونها المقربين ولكن رسالة من رسائلها كانت توحي بشيء خاص بينهما قالت فيها :

أتذكر إذ التقينا وليس بنا شابكة فجلسنا مع الجالسين لم نقل شيئاً في أساليب الحديث غير أننا قلنا ما شئنا بالإسلوب الخاص باثنين فيما بين قلبيهما ! وشعرنا أول اللقاء بما لا يكون مثله إلا في التلاقي بعد فراق طويل كأن في كلينا قلباً ينتظر قلباً من زمن بعيد .. ولم تكد العين تكتحل بالعين حتى أخذت كلتاهما أسلحتها . وقلت لي بعينيك .. أنا .. وقلت لك بعيني : وأنا .. وتكاشفنا بأن تكاتمنا وتعارفنا بأحزاننا كأن كلينا شكوى تهم أن تفيض ببثها .. وجذبتني سحنتك الفكرية النبيلة التي تصنع الحزن في نفس من يراها .. فإذا هو إعجاب ، فإذا هو إكبار ، فإذا هو حب .

وهذه الرسالة شكك بعض النقاد في أن مي زيادة أرسلتها فعلاً إلى الرافعي .. بل قالوا إنه هو الذي تلبس أسلوب مي وكتب الرسالة إلى نفسه !

وعن مي كتب الرافعي ثلاثة كتب من أروع ما كتب هي : « رسائل الأحزان » .. « أوراق الورد » .. و « السحاب الأحمر » .

وكان الرافعي يعيش – الذي يكبر مي بأكثر من ثلاثين عاماً – في طنطا مع زوجته وأولاده العشرة وكان يحضر صالون الثلاثاء الأسبوعي في بيت مي قبل الجميع وهو في كامل أناقته وكانت مي تستقبله بحفاوة واحترام وتوليه عناية خاصة ولكن رغم كل ذلك لم يكن هو الحبيب الذي ملك قلبها .

إنتاجه الأدبي :

– «تاريخ آداب العرب» (ثلاثة أجزاء) صدرت طبعته الأولى في جزأين عام ١٣٢٩هـ١٩١١م.

وصدر الجزء الثالث بعد وفاته بتحقيق محمد سعيد العريان وذلك عام ١٣٥٩هـ الموافق لعام ١٩٤٠م.

– «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» (وهو الجزء الثاني من كتابه تاريخ آداب العرب) وقد صدرت طبعته الأولى باسم إعجاز القرآن والبلاغة النبوية عام ١٩٢٨م :

– «المساكين» صدرت طبعته الأولى عام ١٩١٧م.

– «السحاب الأحمر» .

– «حديث القمر».

– « رسائل الرافعي » وهي مجموعة رسائل خاصة كان يبعث بها إلى محمود أبي رية وقد اشتملت على كثير من آرائه في الأدب والسياسة ورجالها.

– « تحت راية القرآن » مقالات الأدب العربي في الجامعة والرد على كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين.

- «على السفود» وهو رد على عباس محمود العقاد

- «وحي القلم» (ثلاثة أجزاء) وهو مجموعة فصول ومقالات وقصص كتب المؤلف أكثره لمجلة الرسالة القاهرية بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٧م

- «أوراق الورد»

- «رسائل الأحزان»

- «ديوان الرافعي» (ثلاثة أجزاء) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠م

- «ديوان النظرات» (شعر) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٨م

يذكر انه الف النشيد الرسمي التونسي الذي لا يزال معمولا به إلى يومنا هذا وهو النشيد المعروف بحماة الحمى .

وفاته :

توفي رائد الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي في ١٠ مايو ١٩٣٧ حيث دُفن إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطا عن عمر يناهز ٥٧ عاماً .

■ ■ ■


غرام الكبار
أحمد شوقي
هل صنع إمارته من صالون مي؟

هو : سوبر ستار الشعر العربي من الطراز الفريد جداً إذ بلغ نتاجه الشعري ما يتجاوز ثلاثة وعشرين ألف بيت وخمسمائة بيت ولعل هذا الرقم لم يبلغه شاعر عربي قديم أو حديث في تاريخ الإنسانية جمعاء .

وهو سياسي فلتة من العيار الثقيل .. وعضو في مجلس الشيوخ .. رفيق الخديوي توفيق وصديق الخديوي عباس حلمي ونفاه السلطان حسين إلى عالَم المجهول والمعاناة !! وحين عاد أصبح صانع قرار سيادي في غرفة عمليات الملك فؤاد .

وهو أيضاً صانع أمجاد أم كلثوم وعبد الوهاب والسنباطي .

هو قيثارة الشعر وأرجوزة القصيدة وفاكهة الكلمة وأغنية الشعور .. هو متنبي عصره وشاعر الأجيال وجبرتي تاريخ الشعر وأمير القوافي .

ولِدَ في القصر والتصق بالشعب والتحم بالشارع المصري والعربي .. قالوا : أنه صديق الملوك والأمراء وشاعر الصفوة فاستحق وبجدارة لقب : « أمير الشعراء » .. فكيف كانت رحلة حياته الغرَّاء ؟! حين تتناغم ملاحم السياسة وبلاغة الشعور وفصاحة الكلمة مع فطاحل الساسة و جهابزة اللُغة ورموز الوطنية في مرحلة من أغزر وأعنف وأعظم مراحل النضال الوطني والثراء الفِكري والفتوة السياسية .. حيث يتلاقى وفي عصرٍ واحد رجال السياسة أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول والسلطان حسين ومصطفى النحاس مع جهابزة الفِكر في عصر النهضة والتنوير أمثال : أحمد شوقي أمير الشعراء ولطفي السيد أستاذ الجيل وجبل الفِكر العربي عباس العقاد وعميد الأدب العربي طه حسين والعبقري مصطفى صادق الرافعي والفيلسوف جبران خليل جبران وحافظ إبراهيم شاعر النيل وفنان الشعب سيد درويش وشاعر الألم والغُربة بيرم التونسي وشاعر الشباب أحمد رامي وموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وست الكُل أم كلثوم وقيثارة الصحافة وأم

الجرأة الصحفية السيدة فاطمة اليوسف ورائدة النهضة النسائية الأولى نبوية موسى وحاملة لواء الحرية هدى شعراوي وأجمل قلب وأروع صالون مي زيادة .. كيف يلتقي كل هؤلاء وغيرهم من الجهابزة حول مائدة واحدة .. وفي عصرٍ واحد ؟!

فكيف كانت رحلة حياة أمير الشعراء أحمد شوقي عنوان تلك المرحلة والمانشيت الرئيسي لأزهى وأروع حقبة سياسية وفِكرية وفنية وشعرية في تارخ مصر والعالم العربي ؟!

***

كان الشعر العربي على موعد مع القدر ينتظر من يأخذ بيده ويبعث فيه روحًا جديدة تبث فيه الحركة والحياة وتعيد له الدماء في الأوصال فتتورد وجنتاه نضرة وجمالاً بعد أن ظل قرونًا عديدة واهن البدن خامل الحركة كليل البصر .

وشاء الله أن يكون « البارودي » هو الذي يعيد الروح إلى الشعر العربي ويلبسه أثوابًا قشيبة زاهية اللون بديعة الشكل والصورة ويوصله بماضيه التليد بفضل موهبته الفذة وثقافته الواسعة وتجاربه الغنية .

ولم يشأ الله تعالى أن يكون البارودي هو وحده فارس الحلبة ونجم عصره- وإن كان له فضل السبق والريادة- فلقيت روحه الشعرية الوثابة نفوسًا تعلقت بها فملأت الدنيا شعرًا بكوكبة من الشعراء من أمثال : إسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وأحمد نسيم وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصري. وكان أحمد شوقي هو نجم هذه الكوكبة وأميرها بلا منازع عن رضى واختيار فقد ملأ الدنيا بشعره وشغل الناس وأشجى القلوب.

من هنا تبدأ رحلة تميز الأمير شوقي وتفرده .

كانت لحظة ميلاد أحمد شوقي بحي الحنفي بالقاهرة في (٢٠ من رجب ١٢٨٧

هـ - ١٦ من أكتوبر ١٨٧٠م) لأب شركسي وأم من أصول يونانية وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل وعلى جانب من الغنى والثراء فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر ولما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح فحفظ قدرًا من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة ثم التحق بمدرسة المبتديان الابتدائية وأظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظًا واستظهارًا فبدأ الشعر يجري على لسانه .

قد تسأل عن صفات شوقي ؟

فأجيبك:

« كان شوقي أميل إلى القصر منه إلى الطول وكان ممتلئًا مستدير الرأس مرتفع الجبهة كث الحاجبين وسيم الطلعة في عينه اختلاج وتألق وكان وديعًا رقيقًا هادئًا عف اللسان يبتعد بنفسه عن الخصومات وكان شديد الحياء لا يتكلم إلا بصوت خفيض بل لقد كان يغلب عليه الصمت حتى يخيل إلى جلسائه كأنه ليس معهم أو كأنه يتحدث إلى عالم الأشباح أو يتحدث إلى نفسه» .

ومن طفولته الفتية : دخلت جدته يوما بحفيدها - وكان فى الثالثة من عمره - على الخديو اسماعيل وكان شوقى مصابا فى أعصاب عينيه بحيث ينظر دائما إلى أعلى و لا يخفض من بصره .. فما أن رآه اسماعيل و علم بذلك أمر فأحضر له كيس من الذهب فنثره على الأرض فتحول شوقى إليه و أخذ بجمعه و يلعب به . فقال اسماعيل لجدته اصنعى معه ذلك حتى يتعود النظر إلى الأرض فأجابت :« هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاى » . فقال: «جيئى به إلىّ متى شئت حتى أنثر الذهب تحت عينيه فإنى آخر من ينثر الذهب فى مصر».

بعد أن أنهى تعليمه بالمدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره التحق بمدرسة الحقوق سنة (١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م) وانتسب إلى قسم الترجمة الذي قد أنشئ بها حديثًا كيف بدأت موهبته الشعرية تلفت نظر أستاذه الشيخ «محمد البسيوني» ورأى فيه مشروع شاعر كبير فشجّعه وكان الشيخ بسيوني يُدّرس البلاغة في مدرسة الحقوق ويُنظِّم الشعر في مدح الخديوي توفيق في المناسبات وبلغ من إعجابه بموهبة تلميذه أنه كان يعرض عليه قصائده قبل أن ينشرها في جريدة الوقائع المصرية وأنه أثنى عليه في حضرة الخديوي وأفهمه أنه جدير بالرعاية وهو ما جعل الخديوي يدعوه لمقابلته . لتبدأ فصولاً جديدة في قصة حياة شوقي مع الصعود والصمود والنجاح والتحدي .

بعد عامين من الدراسة تخرّج من المدرسة والتحق بقصر الخديوي توفيق الذي ما لبث أن أرسله على نفقته الخاصة إلى فرنسا فالتحق بجامعة «مونبلييه» لمدة عامين لدراسة القانون ثم انتقل إلى جامعة باريس لاستكمال دراسته حتى حصل على إجازة الحقوق سنة (١٣١١هـ = ١٨٩٣م) ثم مكث أربعة أشهر قبل أن يغادر فرنسا في دراسة الأدب الفرنسي دراسة جيدة ومطالعة إنتاج كبار الكتاب والشعر .

ثم عاد شوقي إلى مصر فوجد الخديوي عباس حلمي يجلس على عرش مصر فعيّنه بقسم الترجمة في القصر ثم ما لم لبث أن توثَّقت علاقته بالخديوي الذي رأى في شعره عونًا له في صراعه مع الإنجليز فقرَّبه إليه بعد أن ارتفعت منزلته عنده وخصّه الشاعر العظيم بمدائحه في غدوه ورواحه وظل شوقي يعمل في القصر حتى خلع الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر وأعلنوا الحماية عليها سنة (١٩٤١م) وولّوا حسين كامل سلطنة مصر وهنا تشتاط إنجلترا غضباً من شاعرالملاحم النضالية ومقاومة الإحتلال أحمد شوقي فيأمروا السلطان حسين

بحسم القضية وبالفعل طلبوا من الشاعر مغادرة البلاد فاختار النفي إلى برشلونة في إسبانيا وأقام مع أسرته في دار جميلة تطل على البحر المتوسط .

وعاش شوقي حياة الغُربة ومناطق المعاناة والحنين إلى الوطن في شِعره ومحطاته الدرامية ومناطق حياته المأساوية في برشلونة .. حيث عاش فترة في إسبانيا في منفاه حيث تعلم لغتها وأنفق وقته في قراءة كتب التاريخ خاصة تاريخ الأندلس وعكف على قراءة عيون الأدب العربي قراءة متأنية وزار آثار المسلمين وحضارتهم في إشبيلية وقرطبة وغرناطة .

وأثمرت هذه القراءات أن نظم شوقي أرجوزته «دول العرب وعظماء الإسلام» وهي تضم ١٤٠٠ بيت موزعة على (٢٤) قصيدة تحكي تاريخ المسلمين منذ عهد النبوة والخلافة الراشدة على أنها رغم ضخامتها أقرب إلى الشعر التعليمي وقد نُشرت بعد وفاته .

وفي المنفى اشتد به الحنين إلى الوطن وطال به الاشتياق وملك عليه جوارحه وأنفاسه. ولم يجد من سلوى سوى شعره يبثه لواعج نفسه وخطرات قلبه وظفر الشعر العربي بقصائد تعد من روائع الشعر صدقًا في العاطفة وجمالاً في التصوير لعل أشهرها قصيدته التي بعنوان «الرحلة إلى الأندلس» وهي معارضة لقصيدة البحتري التي يصف فيها إيوان كسرى ومطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي ... وترفعت عن جدا كل جبسِ

وقد بلغت قصيدة شوقي (١١٠) بيتًا تحدّث فيها عن مصر ومعالمها وبثَّ حنينه وشوقه إلى رؤيتها كما تناول الأندلس وآثارها الخالدة وزوال دول المسلمين بها ومن أبيات القصيدة التي تعبر عن ذروة حنينه إلى مصر قوله :

أحرام على بلابله الدوح ... حلال للطير من كل جنسِ

وطنـي لـو شُـغلت بالخلـد عنـه نـازعتني إليـه في الخلـد نـفسي
شـهد الله لم يغـب عـن جفـوني شخصـه سـاعة ولم يخـل حسي

وكتب شوقي في غربته القسرية قصيدة دلت في روعة معانيها على حنينه لوطنه الحبيب فقال:

يـا سـاكني مصر إنـا لا نـزال عـلى عهـد الوفـاء وإن غبنـا مقيمينـا
هـلا بعثـتم لنـا مـن مـاء نهـركم شـيئاً نبـلّ بـه أحشـاء صـادينا
كـل المناهـل بعـد النيـل آسـنة مـا أبعـد النيـل إلا عـن أمانينـا

ودار شعر شوقي في هذه الفترة التي سبقت نفيه حول المديح حيث غمر الخديوي عباس حلمي بمدائحه والدفاع عنه وهجاء أعدائه ولم يترك مناسبة إلا قدَّم فيها مدحه وتهنئته له منذ أن جلس على عرش مصر حتى خُلع من الحكم ويمتلئ الديوان بقصائد كثيرة من هذا الغرض.

ووقف شوقي مع الخديوي عباس حلمي في صراعه مع الإنجليز ومع من يوالونهم لا نقمة على المحتلين فحسب بل رعاية ودفاعًا عن ولي نعمته كذلك فهاجم رياض باشا رئيس النُظّار حين ألقى خطابًا أثنى فيه على الإنجليز وأشاد بفضلهم على مصر وقد هجاه شوقي بقصيدة عنيفة جاء فيها:

غمـرت القـوم إطـراءً وحمـدًا وهـم غمـروك بـالنعم الجسـام
خطبـت فكنـت خطبًـا لا خطيبًـا أضـيف إلى مصـائبنا العظـام
لهجـت بـالاحتلال ومـا أتـاه وجرحـك منـه لـو أحسسـت دام

ورغم وطنية شوقي التي لا مرية فيها وعشقه لوطنه إلا أنه انحاز لصداقته للخديوي والسلطان أكثر من القضايا أحياناً .

وقد بلغ من تشيعه للقصر وارتباطه بالخديوي أنه ذمَّ أحمد عرابي وهجاه بقصيدة موجعة ولم يرث صديقه مصطفى كامل إلا بعد فترة وكانت قد انقطعت علاقته بالخديوي بعد أن رفع الأخير يده عن مساندة الحركة الوطنية بعد سياسة الوفاق بين الإنجليز والقصر الملكي ولذلك تأخر رثاء شوقي بعد أن استوثق من عدم إغضاب الخديوي إلا أن نزعة وطنية شوقي كانت أقوى من إيمانه بصداقة الخديوي وغرامه بالوطنية المصرية كان أعظم من ولاءه للقصر فجاء رثاؤه لمصطفى كامل شديد اللوعة صادق الأحزان قوي الرنين بديع السبك والنظم وإن خلت قصيدته من الحديث عن زعامة مصطفى كامل وجهاده ضد المستعمر ومطلع القصيدة :

المشرقان عليك ينتحبان ... قاصيهما في مأتم والدان

يا خادم الإسلام أجر مجاهد ... في الله من خلد ومن رضوان

لمّا نُعيت إلى الحجاز مشى الأسى ... في الزائرين وروّع الحرمان

ومن أبيات هذه القصيدة :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق و ثواني

وارتبط شوقي بدولة الخلافة العثمانية ارتباطًا وثيقًا وكانت مصر تابعة لها فأكثر من مدح سلطانها عبد الحميد الثاني داعيًا المسلمين إلى الالتفات حولها لأنها الرابطة التي تربطهم وتشد من أزرهم فيقول :

أما الخلافة فهي حائط بيتكم ... حتى يبين الحشر عن أهواله

لا تسمعوا للمرجفين وجهلهم ... فمصيبة الإسلام من جُهّاله

ولما انتصرت الدولة العثمانية في حربها مع اليونان سنة (١٣١٥هـ = ١٩٨٧م) كتب مطولة عظيمة بعنوان «صدى الحرب» أشاد فيها بانتصارات السلطان العثماني واستهلها بقوله:

بسيفك يعلو والحق أغلب ... وينصر دين الله أيان تضرب

وهي مطولة تشبه الملاحم وقد قسمها إلى أجزاء كأنها الأناشيد في ملحمة فجزء تحت عنوان «أبوة أمير المؤمنين» وآخر عن «الجلوس الأسعد» وثالث بعنوان «حلم عظيم وبطش أعظم». ويبكي سقوط عبد الحميد الثاني في انقلاب قام به جماعة الاتحاد والترقي فينظم رائعة من روائعه العثمانية التي بعنوان «الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد» وقد استهلها بقوله :

سل يلدزا ذات القصور ... هل جاءها نبأ البدور

لو تستطيع إجابة ... لبكتك بالدمع الغزير

ولم تكن صلة شوقي بالترك صلة رحم ولا ممالأة لأميره فحسب وإنما كانت صلة في الله فقد كان السلطان العثماني خليفة المسلمين ووجوده يكفل وحدة البلاد الإسلامية ويلم شتاتها ولم يكن هذا إيمان شوقي وحده بل كان إيمان كثير من الزعماء المصريين .

وفي هذه الفترة نظم إسلامياته الرائعة وتعد قصائده في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أبدع شعره قوة في النظم وصدقًا في العاطفة وجمالاً في التصوير وتجديدًا في الموضوع ومن أشهر قصائده «نهج البردة» التي عارض فيها البوصيري في بردته وحسبك أن يعجب بها شيخ الجامع الأزهر آنذاك محدث العصر الشيخ «سليم البشري» فينهض لشرحها وبيانها. يقول في مطلع القصيدة :

ريم على القاع بين البان والعلم ... أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

ومن أبياتها في الرد على مزاعم المستشرقين الذين يدعون أن الإسلام انتشر بحد السيف :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

جهـل وتضـليل أحـلام وسفسـطة　　فتحـت بالسـيف بعـد الفـتح بـالقلم

ويلحق بنهج البردة قصائد أخرى مثل: الهمزية النبوية وهي معارضة أيضًا للبوصيري وقصيدة ذكرى المولد التي مطلعها :

سـلوا قلبـي غـداة سـلا وتابـا　　لعـل عـلى الجـمال لـه عتابًـا

ومن عبقرية شوقي أنه اتجه إلى الحكاية على لسان الحيوان وبدأ في نظم هذا الجنس الأدبي منذ أن كان طالبًا في فرنسا ليتخذ منه وسيلة فنية يبث من خلالها نوازعه الأخلاقية والوطنية والاجتماعية ويوقظ الإحساس بين مواطنيه بمآسي الاستعمار ومكائده .

وقد صاغ شوقي هذه الحكايات بأسلوب سهل جذاب وبلغ عدد تلك الحكايات ٥٦ حكاية نُشرت أول واحدة منها في جريدة «الأهرام» سنة (١٣١٠هـ = ١٨٩٢م) وكانت بعنوان «الهندي والدجاج» وفيها يرمز بالهندي لقوات الاحتلال وبالدجاج لمصر .

وأخيراً بعد معاناة شاعر ولوعة عاشق وشجون وطني عاد شوقي إلى الوطن في سنة (١٣٣٩هـ = ١٩٢٠م) واستقبله الشعب استقبالاً رائعًا واحتشد الآلاف لتحيته وكان على رأس مستقبليه الشاعر الكبير « حافظ إبراهيم » وجاءت عودته بعد أن قويت الحركة الوطنية واشتد عودها بعد ثورة ١٩١٩م وتخضبت أرض الوطن بدماء الشهداء بعد ثورة ١٩١٩ فمال شوقي إلى جانب الشعب وتغنَّى في شعره بعواطف قومه وعبّر عن آمالهم في التحرر والاستقلال والنظام النيابي والتعليم ولم يترك مناسبة وطنية إلا سجّل فيها مشاعر الوطن وما يجيش في صدور أبنائه من آمال .

ليبدأ شوقي صفحة جديدة مع الطبقة الكادحة والوسطة من الشعب وينزل إلى

سفح الأرض وهموم الناس وأتراح العامة منهم .

وانقطعت علاقة أحمد شوقي بالقصر واسترد الطائر المغرد حريته وخرج من القفص الذهبي وأصبح شاعر الشعب المصري وترجمانه الأمين فحين يرى زعماء الأحزاب و[illegible] يتنا[illegible] بينهم وا[illegible] الإنجليزي لا يزال جاثم على صد[illegible] :

إلام الخلف بينكم إلاما ؟ … وهذي الضجة الكبرى علاما ؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض … وتبدون العداوة والخصاما ؟
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت … على حال ولا السودان داما

ورأى شوقي في التاريخ المصري القديم وأمجاده ما يثير أبناء الشعب ويدفعهم إلى الأمام والتحرر فنظم قصائد عن النيل والأهرام وأبي الهول . ولما اكتشفت مقبرة توت عنخ أمون وقف العالم مندهشًا أمام آثارها المبهرة ورأى شوقي في ذلك فرصة للتغني بأمجاد مصر حتى يحرِّك في النفوس الأس ويدفعها إلى الرقي والطموح فنظم قصيدة رائعة مطلعها :

قفي يا أخت يوشع خبرينا … أحاديث القرون الغابرينا
وقصي من مصارعهم علينا … ومن دولاتهم ما تعلمينا

ولقد توقف شوقي أمام المد العربي الذي لم تحده حدود مصر فحسب بل قفزت خلف ستور الحواجز وتخوم الفواصل الجغرافية فضم الوطن العربي الكبير بجناحيه وامتد شعر شوقي بأجنحته ليعبر عن آمال العرب وقضاياهم ومعاركهم ضد المستعمر فنظم في «نكبة دمشق» وفي «نكبة بيروت» وفي ذكرى استقلال سوريا وذكرى شهدائها ومن أبدع شعره قصيدته في «نكبة دمشق» التي سجّل فيها أحداث الثورة التي اشتعلت في دمشق ضد الاحتلال الفرنسي ومنها :

بنـي سـوريّة اطرحـوا الأمـاني ... وألقـوا عـنكم الأحـلام ألقـوا
وقفـتم بـين مـوت أو حيـاة ... فـإن رمـتم نعـيم الـدهر فاشـقوا
وللأوطـان في دم كـل حـرٍّ ... يـد سـلفت وديـن مسـتحقُّ
وللحريـة الحمـراء بـاب ... بكـل يـد مضرجـة يُـدَقُّ

ولم تشغله قضايا وطنه عن متابعة أخبار دولة الخلافة العثمانية فقد كان لها محبًا عن شعور صادق وإيمان جازم بأهميتها في حفظ رابطة العالم الإسلامي وتقوية الأواصر بين شعوبه حتى إذا أعلن «مصطفى كمال أتاتورك» إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ وقع الخبر عليه كالصاعقة ورثاها رثاءً صادقًا في قصيدة مبكية مطلعها :

عـادت أغـاني العـرس رجـع نـواح ... ونعيـت بـين معـالم الأفـراح
كُفنـت في ليـل الزفـاف بثوبـه ... ودفنـت عنـد تـبلج الإصـباح
ضـجت عليـك مـآذن ومنـابر ... وبكـت عليـك ممالـك ونـواح
الهنـد والهـة ومصر حزينـة ... تبكـي عليـك بمـدمع سـحَّاح

ويبقى السؤال :

كيف نال شوقي إمارة الشِعر عن جدارة وتفرد واستحقاق فتربع على دولته وحده ؟!

أصبح شوقي بعد عودته من المنفى شاعر الأمة المُعبر عن قضاياها لا تفوته مناسبة وطنية إلا شارك فيها بشعره وقابلته الأمة بكل تقدير وأنزلته منزلة عالية وبايعه شعراؤها بإمارة الشعر سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) في مشهد من أروع وأهم مشاهد حياة شوقي حين يحضر كل رموز الإبداع والفِكر والسياسة والفن والشِعر ليبايعوه أميراً للشعراء بلا منازع في حفل أقيم بدار الأوبرا بمناسبة اختياره عضوًا في مجلس الشيوخ وقيامه بإعادة طبع ديوانه «الشوقيات». وقد حضر الحفل وفود من

أدباء العالم العربي وشعرائه وأعلن حافظ إبراهيم باسمهم مبايعته بإمارة الشعر قائلاً :

بلابل وادي النيل بالشرق اسجعي   بشعر أمير الدولتين ورجِّعي
أعيدي على الأسماع ما غردت به   براعة شوقي في ابتداء ومقطع
أمير القوافي قد أتيت مبايعًا   وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

ويتبارى كبار نجوم الشِعر والفِكر في العالم العربي في حفل العُمر بمبايعة شوقي أميراً للشعراء .

بعد اختياره أميرا للشعراء سنة ١٩٢٧ اختير عضوا بمجلس الشيوخ وأقيم له حفل شاركت فيه الدول العربية جميعا بمندوبين و كان من بينهم محمد كرد على عن المجمع العلمى العربى بدمشق و شبلى ملاط عن لبنا و أمين الحسينى عن فلسطين و شكيب أرسلان وفندنبرج عن بلجيكا- ثم أقيم فى زحلة بلبنان حفل تكريم له غنى فيها محمد عبد الوهاب قصيدة شوقى : « يا جارة الوادى ».

ولعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين رأي حين يصف التحول الذي قلب استراتيجية شوقي الشعرية بعد المنفى الإسباني قائلاً :

« إنه قد تحوّل تحولاً خطيرًا حقًا لا نكاد نعرف له نظيرًا عند غيره من الشعراء الذين سبقوه في أدبنا العربي إن شعره التقليدي قد تحرر من التقيد بظروف السياسة واستكشف نفسه وإذا هو شاعر قد خلق ليكون مجدّدًا). كما يرى طه حسين أن (شوقي) في كثير من قصائده الأخيرة قد أخذ يحقق النموذج الجمالي والفكري للإنسان المصري والعربي »

ولشوقي قصص غفيرة مع أمجاد مسرحه الشعري فحين بلغ قمة مجده وأحس أنه قد حقق كل أمانيه بعد أن بايعه شعراء العرب بإمارة الشعر فبدأ يتجه إلى فن

المسرحية الشعرية وكان قد بدأ في ذلك أثناء إقامته في فرنسا لكنه عدل عنه إلى فن القصيد .

وأخذ ينشر على الناس مسرحياته الشعرية الرائعة استمد اثنتين منها من التاريخ المصري القديم وهما: «مصرع كليوباترا» و«قمبيز» والأولى منهما هي أولى مسرحياته ظهورًا وواحدة من التاريخ الإسلامي هي «مجنون ليلى» ومثلها من التاريخ العربي القديم هي «عنترة» وأخرى من التاريخ المصري العثماني وهي «علي بك الكبير» وله مسرحيتان هزليتان هما: «الست هدي» و«البخيلة».

وحين يأتِ ذِكر أحمد شوقي لا بُد أن تجد حافظ إبراهيم معه .. وعلاقة الصداقة الوطيدة بين شوقي وحافظ والتي لم تتغير قيد أنملة بين الصديقين وهذا درس عملي في فنون الصداقة المفقودة أو المجروحة في هذا العصر .. فماذا عن علاقة صداقة شوقي وحافظ ؟!

يطيب للشاعرين المصريين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي أن يتمازحا أحياناً. وكان شوقي جارحا في رده على الدعابة. ففي إحدى ليالي السمر أنشد حافظ إبراهيم هذا البيت ليستحث شوقي على الخروج عن رزانته المعهودة :

يقولون إن الشوق نار ولوعة … فما بال شوقي أصبح اليوم باردا

فرد عليه أحمد شوقي بأبيات قارصة قال في نهايتها :

أودعت إنسانا وكلبا وديعة … فضيعها الإنسان والكلب حافظ

وعن أطرف مناطق الطرفة والدعابة بين الصديقين الحميمين وبين كل منهما مع غيره .. ففي ذات مرة كان حافظ إبراهيم جالساً في حديقة داره بحلوان ودخل عليه الأديب الساخر عبد العزيز البشري وبادره قائلاً : شفتك من بعيد فتصورتك واحدة سِت .

فقال حافظ إبراهيم : والله يظهر انه نظرنا ضعف أنا كمان شفتك وانته جاي افتكرتك رجُل!

وماذا عن الخصمين اللدودين شوقي والعقاد ؟!

فالأديب العملاق عباس محمود العقاد دخل في معارك أدبية مع أدباء عصره ومن بينهم طه حسين والرافعي فكانت تربطه صداقة حميمية بالأديب إبراهيم عبد القادر المازني وكان الصديقان يختلفان في طول القامة مما تسبب لهما في العديد من المفارقات حتى أن بعض الأشخاص ظنوا أن العقاد يسير في صحبة ابنه ! .

واكتشف الناس أن العقاد والمازني كان يعدان لقنبلة مدوية حين نزل كتابهما « الديوان » الذي ينسف تاريخ وشخصية أحمد شوقي أميرالشعراء فانتفض شوقي واشتعلت معركة لم تبقِ ولم تزر بين أساطين الإبداع وجهابزة الفِكر .

وللعقاد شهادة حين سُئل العملاق ذات مرّة : إن من يقرأ رأيك في شوقي الشاعر منشوراً في كتاب «الديوان» ثم مُدرجاً في العدد الخاص من مجلة «الكتاب» عن الشاعرين حافظ وشوقي ـ وهي المجلة التي كان يُحررها عادل الغضبان ـ يستقر في رأيه أنك لم تجد في شعر شوقي فضيلة واحدة. فهل أنت مازلت على رأيك فيه وهو أنه عارٍ عن الشاعرية لا يعرف التجديد ولا يُحسن اللغة ولا يتبصّر رسالة الشعر؟ لقد ندم المازني على ما كتبه في «الديوان» وكان ذلك في فصول أذاعها ثم نشرتها مجلة «الإذاعة المصرية» قبيل وفاته فهل اعتراك شيء من مثل هذا الندم ؟

فقال العقاد بصوته الجهوري : « لقد كرهت شوقي لأنه رجل بلا خلق ! كنت أتصدّى له في العلن ولكنه كان يُحاربني بما يوزعه على المجلات الصفراء من مال وبما يستأجره من الأقلام والكتاب لمهاجمتي فهو رجل دسّاس تعلّم التآمر والغدر من وظائفه بباب إسماعيل وأمثال هؤلاء لا أرحمهم. وقد أصبح شوقي تاريخاً

ولكنه بالنسبة لي لم ينطو بعد. ورأيي فيه هو الذي أملى عليَّ رأيي في شعره. فمن كانت هذه أخلاقه فلا بد أن يكون رأيي في شعره سيئاً » !

لم يكن العقاد يحب محمد عبد الوهاب وكان في ندوته يوم الجمعة يسخر منه كلما سنحت الفرصة ويقول توثيقا لرأيه : بأن عبد الوهاب مغن ضعيف لا يفهم ما يغني : اسمعوا أغنيته «مين زيك عندي يا خضرا في الرقة يا غصن البان ما تجودي علي بنظرة وأنا رايح للميدان...» بذمتكم هل يليق هذا اللحن المترقق بموضوع حماسي : ده رايح الميدان وللا رايح ينام ؟!

ولشوقي علاقة وطيدة بعباس العقاد رغم الإنتقاد والمعارك أحياناً .. وكيف كان يحرص علي المواعيد والالتزام ولا يسمح لأحد بحضور صالونه الأدبي إن جاء متأخرا مهما كانت درجة صداقته به .

وكان العقاد يعرف قيمة الوقت ويحترم الذين يحفظون المواعيد. فإن تواعد مع أحد وأخلف الميعاد ولو بدقيقة واحدة رفض العقاد مقابلته أيا كان. وحدث مرة أن دعي أعضاء المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون إلى الاجتماع فانتظم الأعضاء جميعاً في الموعد المحدد ومنهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وإبراهيم بيومي مدكور وغيرهم. وكانت هذه المجالس تنعقد برياسة الوزير وهي رياسة شكلية تقليدية لا تؤثر في عمل المجس. ودقّت الساعة مُعلنة السادسة والوزير لم يحضر. فقال العقاد لطه حسين : سرّ أنت الجلسة ! فأجفل طه حسين من هذا الاقتراح وقال : لننتظره ربع ساعة . فقال العقاد : « إذن أرأس أنا اللجنة. فُتِحت الجلسة » ومضى يُصرِّف أمور المجلس دون انتظار أحد ولما جاء الوزير خاطبه العقاد قائلاً : لدينا أعمال عاجلة لا تحتمل الانتظار فانصرفنا إلى إنجازها . ثم أخلى مكانه للوزير ! .

وعلاقة طيبة ضاربة جذورها ضربت لا ريب بين الزعيم مصطفى النحاس وشوقي :

يروى أن زعيم حزب الوفد - قبل الثورة - مصطفى النحاس الذي اشتهر بخفة ظله وتغلبه علي أصعب المواقف بالضحك والسخرية أنه في أحد الأيام كان النحاس جالسا مع أحمد شوقي وفؤاد سراج الدين وكان شوقي ينتقد بعض الأشخاص الذين يتنقلون من حزب إلى آخر وأيده سراج الدين في ذلك عاتباً عليهم ذلك وأنهم يغيرون مبادئهم مع التيار الغالب .. فقال النحاس : أنا أرى أنهم من أصحاب المبادئ النظيفة. وانزعج سراج الدين وتساءل : كيف ؟ .

فأجاب النحاس : لأنهم دائما يغيرون مبادئهم حتى لا تتسخ .

* ومن إنسانيات شوقي وغرائبه وطرائفه ومكنون نفسه ومخزون ذاته وكيف كان شوقي يخشى الموت ويفزع منه شديد الفزع كان يخاف ركوب الطائرة ويرفض أن يضع ربطة العنق لأنها تذكره بالمشنقة وكان ينتظر طويلا قبل أن يقرر عبور الشارع لأنه كان يشعر أن سيارة ستصدمه فى يوم من الأيام وتحققت نبوءته وصدمته سيارة فى لبنان وهو جالس فى سيارته ونجا من الموت بأعجوبة . كما كان يخاف المرض ولا يرى صيفا أو شتاءا إلا مرتديا ملابسه الكاملة وكان يرتدى الملابس الصوفية فى الشتاء والصيف على السواء .

* وعندما مات الإمام الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥ م وقف على القبر سبعة من الشعراء يلقون قصائدهم أرسل شوقي ثلاثة أبيات لتلقى على قبر الإمام يقول فيها :

مفسر أي الله بالأمس بيننا	قم اليوم فسر للورى آية الموت
رحمت مصير العالمين كما ترى	وكل هناء أو عزاء إلى فوت

هــو الدهــر مــيلاد فشــغل فماتــم   فذكر كما اتقى الصدى ذاهب الصوت

* وكان أول الشعراء الذين القوا قصائدهم حفني ناصف وآخرهم حافظ إبراهيم ثم أنشدت أبيات شوقي بعد ذلك .

* وفي مفاجأة غريبة تنبأ أحد الأدباء : بان هؤلاء الشعراء سيموتون بحسب ترتيب إلقائهم لقصائدهم وبالفعل كان حفني ناصف أول من فقد من هؤلاء الشعراء ثم تتابع رحيلهم بحسب ترتيب إلقاء قصائدهم على قبر الأمام وكان حافظ آخر من مات أيقن شوقي أن أجله قد قرب فاغتنم وحزن .. وسافر إلى الإسكندرية كأنما يهرب من المصير المحتوم .. ولكن هيهات .. فقد مات شوقي فى نفس العام الذي مات فيه حافظ وكان قد نظم قبل وفاته وصيه جاء فيها :

ولا تلقوا الصخور على قبرى .

ألـم يكف هما فى الحياة حملته .

فاحمله بعد الموت صخرا على صخر .

وظل شوقي محل تقدير الناس وموضع إعجابهم ولسان حالهم حتى إن الموت فاجأه بعد فراغه من نظم قصيدة طويلة يحيي بها مشروع القرش الذي نهض به شباب مصر وفاضت روحه الكريمة في (١٣ من جمادى الآخرة = ١٤ من أكتوبر ١٩٣٢م

حين توفى شوقى .. خرجت الأمة كلها تودع شاعرها .. و بكى الشعراء و الأدباء فى كل أنحاء الأمة العربية .. قال بشارة الخوري :

إلهة الشعر قامت عن ميامنه   و ربة النثر قامت عن مياسره

و الحور قصت شذورامن غدائره   و أرسلتها بديلا من ستائره

و قال خليل مطران :

هبة بها ضن الزمان فلم تتح   إلا لأفذاذ من النبغاء

* ولا تلقوا الصخور علي قبري ألم يكف همّا في الحياة حملته فأحمله بعد الموت صخرا علي صخر؟ تلك كما يروي من أواخر كلمات أحمد شوقي بعد أن شعر ان الموت الذي اختطف منافسيه وأحبته صار يحوم حوله كذئب جريح فذهب وهو الذي كان يخشي الموت والسفر والمرض الي ملاقاته في الاسكندرية متسلحا بقصيدة أخيرة أشبه ما تكون بوصية أو بكلمات علي شاهدة ضريح.

لم يكن أحمد شوقي أمير شعراء عصره الملكي يفكر أغلب الظن عندما كتب كلماته تلك إلاّ بثقل التراب والحجارة التي ستلقي علي جثته (مع أن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها) غبَّ مواراته باطن الارض. أقول إنه لم يكن يفكر ربما إلاّ بثقل اللحد الذي يختم به عادة الجسد العائد الي منبته 'الاول لكن شوقي كان يتنبأ من حيث لا يدري بصخور أخري أشد قسوة سترمي علي قبره بل علي بيته الرمزي : الشعر .

ومن إنسانيات شوقي الرقيقة ونظرته الرؤف مع شعراء المواقف نذكر منها موقفه مع محمود أبو الوفا شاعر :

عنـــدما يـــأتى المســـاء ونجـــوم الليـــل تنثـــر
اســـألوا الليـــل عـــن نجمـــى متـــى نجمـــى يظهـــر

أغنية من أرق أغنيات الموسيقار محمد عبد الوهاب وضع كلماتها الشاعر محمود أبو الوفا .

وقد كان الشاعر محمود أبو الوفا رجلا بائسا .. فقد والده وهو طفل صغير ثم ما لبث أن فقد إحدى ساقيه فى جراحة ساقيه فى جراحة فاشلة ونزح الشاعر المسكين إلى القاهرة تلاطمه الأيام وتعيبه حرفة الأدب . وأمتلك أبو الوفا فى وقت من الأوقات نصف قهوة فى شارع عبد الخالق ثروت وكان يملك النصف الثاني

قهوجي بلدي .وحول أبو الوفا القهوة إلى صالون من صالونات الأدبش .. وحين أعلنت لجنة مهرجان تنصيب شوقي أميرا للشعراء عن مسابقة بين الشعراء لتختار قصيدة يلقيها صاحبها فى الحفل الذي يقام بهذه المناسبة – فى دار الأوبرا كتب أبو الوفا قصيدته التي مدح فيها شوقي وهو يقول فيها:

وخالد الشعر سوف يبقى مرايا   تجـتلى فى صفائهـا الأشـياء

يـا أمـير البـيان إن بيـاني فيـك   اعشـت عبرتـه الأضـواء

وقد اختارت اللجنة التي كان من أعضائها شاعر النيل حافظ إبراهيم وشاعر القطرين خليل مطران هذه القصيدة ليلقيها الشاعر فى الحفل .

وذهب محمود أبو الوفا إلى دار الأوبرا مرتديا جلبابه ومعطفه وعكازه تحت إبطه وعصاه فى يده ورآه شوقي على هذه الصورة فرفض أن يقف هذا الرجل على خشبة مسرح الأوبرا فى يوم تتويجه أميرا للشعراء .

وتدخل الموسيقار محمد عبد الوهاب لدى شوقي فسمح للشاعر أبو الوفا بإلقاء قصيدته وقد انتزع محمود أبو الوفا الإعجاب وبزغ نجمه وعلا قدره منذ هذا اليوم حتى أن شوقي نفسه قال فيه قصيدته الرائعة التى يقول فيها :

البلبـل الغـرد هـز الربـى   وشجى الغصون وحرك الأوراقا

خلف البهاء على القريض وكأسه   تـسقي بعـذب نسـيبه العشاقـا

فى القيد ممتنع الخطى وخياله   يـروى الـبلاد ويـنشر الآفـاق

سـباق غايات البيان جرى بلا   سـاق فكيف إذا استرد الساقا

وقد كان أن عهد إلى الشاعر محمود أبو الوفا بالإشراف على طبع الجزء الثالث من الشوقيات الذي صدر بعد وفاة أحمد شوقي .

وقد أرسلت الدولة محمود أبو الوفا إلى باريس لتركب له ساق صناعية وعاد من أوروبا يرتدى الساق الصناعية والبدلة الإفرنجية ولكنه سرعان ما خلع البدلة . وعاد إلى ارتداء الجلباب والمعطف بل خلع الساق أيضا وعاد إلى استخدام العكاز والعصا .

ولشوقي وقفة غرام بـ أسطورة الحب والفِكر مي زيادة وعلاقة شوقي بها فقد افتتن بـ « مي » فكتب بها قصيدة يصف فيها افتتانه بـ مي كأديبة وكامرأة :

أسائل خاطري عما سباني ... أحسن الخلق أم حسن البيان ؟
رأيت تنافس الحسنين فيها ... كأنهما لمية عاشقان
إذا نطقت صبا عقلي إليها ... وإن بسمت إليَّ صبا جناني
أم أن شبابها راث لشيبي ... وما أوهى زماني من كياني

إنها محطات نارية من معارك الكبار في صالون مي زيادة .

ولشوقي أيضاً علاقة صداقة وطيدة بتوأمه موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب ..

إذ يعتبر الموسيقار الراحل محمد عبد الوهَّاب هو الرائد الأول للسينما الغنائية في مصر والوطن العربي كمنتج وموسيقار ونجم غنائي في سبعة أفلام .

ومن تجديد شوقي في قصائده أن كتب القصيدة القصيرة التي تخرج عن عادة شعر العرب لذا سميت بالشوقيات لخصوصيتها وطرافتها ويقول في أحدها :

سقط الحمار من السفينة في الدجى ... فبكى الرفاق لفقده وترحموا
حتى إذا طلع النهار أتت به ... نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوه كما أتاني سالما ... لم ابتلعه لأنه لا يهضم

ومن شعره أيضا خدعوها بقولهم حسناء :



خـــدعوها بقـــولهم حســـناء والغـــواني يغـــرهن الثنـــاء
أتراهـا تناسـت اسـمي لما كثـرت في غرامهــــــا الأســـــماء
إن رأتنـــي تميـــل عنـــي كـــأن لم تكـــن بينـــي وبينهـــا أشـــياء
نظـــرة فابتســامة فســلام فكــلام فموعـــــــد فلقـــــــاء
يـوم كنـا ولا تسـل كيـف كنـا نتهـادى مـن الهـوا مـا نشـاء
وعلينـــا مـــن العفـــاف رقيـــب تعبـــت في مراســـه الأهـــواء
جـاذبتني ثـوب الـعصي وقالـت أنـــتم النـــاس أيهـــا الشـــعراء
فـاتقوا الله في قلـوب العـذارى فالعـــذارى قلـــوبهن هـــواء

ومن شعره : قف حى شبان الحمى: «نظمها في الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم في أوروبا» :

قـــف حــــى شـــبان الحمـــى قبـــل الرحيـــل بقافيـــه
عــــودتهم أمثالهـــــــا في الصالحـــــات الباقيـــــه
مـــن كـــل ذات إشــــارة ليســـت عليـــهم بخافيـــه
قـــل ياشـــباب نصيحـــة ممـــا يـــزود غاليــــه
هـــــل راعكـــــم أن رس في الكنــــانة خاويــــه
هجـــرت فكـــل خليـــة مـــن كـــل شهـــد خاليـــه
وتعطلـــــت هالاتهــــا منكـــم وكانـــت حاليـــه
غـــدت السياســـة وهـــى آ مـــرة عليـــها ناهيـــه
فهجرتمـــو الـــوطن العـــز يـــز إلى الـــبلاد القاصيـــه

أيضا من شعره «أحرام على بلابله الدوح» :

اختلاف النهار والليل ينسى … اذكر لى الصبا وايام أنسى
وصفا لى ملاوة من شباب … صورت من تصورات ومس
عصفت كالصبا اللعوب ومرت … سنة حلوة ولذة خلس
وسلا مصر هل سلا القلب عنها … أو أسا جرحه الزمان المؤسى
كلما مرت الليالى عليه … رق والعهد بالليالى تقسى
أحرام على بلابله الدوح … حلال للطير من كل جنس ؟
كل دار أحق بالأهل الا … في خبيث من المذاهب رجس
وطنى لو شغلت بالخلد عنه … نازعتنى اليه في الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى … شخصه ساعة ولم يخل حسى
وعظ البحترى ايوان كسرى … وشفتنى القصور من عبد شمس
لم يرعنى سوى ثرى قرطبى … لمست فيه عبرة الدهر خمسى
مرمر قامت الاسود عليه … كلة الظفر لينات المجس
اخر العهد بالجزيرة كانت … بعد عرك من الزمان وضرس
ومفاتيحها مقاليد ملك … باعها الوارث المضيع ببخس
خرج القوم في كتائب صم … عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشا وكانت … تحت آبائهم هى العرش امس
امرة الناس همة لاتأتى … لجبان ولا تسنى لحبس

ولشوقي هنَّات وسقطات شعرية ووطنية في بداية حياته أيضاً ومنها :

موقفه من مجزرة دانشوى سنة ١٩٠٦ وكرومر الإستعمارى يشنق المصريين ويمثل بجثثهم وتترك على المشانق عبرة لمن تسول له نفسه الإعتراض على سعادة المحتل المستعمر فالأرض والعرض والكرامة والكبار والصغاروالشعراء والأدباء

والوزراء وحاشية السلطان في خدمة الإحتلال وماأشبه الليلة بالبارحة ومانراه من مفكرينا الأشاوس ومثقفينا القادة أحفاد الرواد الأوائل لم يكن شوقى إلا الشاعر الأرستقراطى الذى يدور مع زعامات الأسرة العلوية وجودا وعدما مدحا وذما للمغضوب عليهم أو المقربين من سدة العرش . لم تحظ هذه المجزرة إلا بقصيدة هزيلة لاقيمة لها ولا فائدة منها .

ورغم ذلك فقد شيَّد أحمد شوقي قيماً نبيلة وأسساً عظيمة في شتى المجالات منها ما قاله في المُعلِّم :

قم للمعلم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئُ أنفسا وعقولا

وعن أحمد شوقي الزوج والأب نرى صورة قريبة لحياته حيث تزوج شوقى من السيدة خديجة شاهين ابنة حسين بك شاهين (من أصل تركى) وكانت رقيقة طيبة القلب إلى حد بعيد حتى أن شوقى كان يشبهها بقطة من أنقرة لشدة رقتها و طيبة قلبها .. ورزق بصبيين وفتاة هم (علي وحسين وامينة) .

وكما يقول نجله حسين أن والده كان دائماً يتوخى رضاه ويساير أهواءه هو وأخيه «علي» حتى أنه «كاد يبطل قرار التحاقه بالمدرسة حين علم بغضبي من هذا القرار وخوفي من الساعات الطويلة التي سأقضيها بين جدران أربعة ..» وأن ذلك كاد يتحقق بالفعل لولا تدخل مربيته التركية التي كانت تحكم البيت بيد من حديد .. والطريف في هذه الواقعة أنه بعد أن التحق الابن بالمدرسة لم يجد مناصاً من التمارض وكان شوقي يساعده على اختلاق ذلك نكاية في المربية الحديدية التي كانت لا تمر عليها مثل هذه الحيل .

وعن الشاعر الذي كان مناط احترام وتقدير شوقي نجد أنه الشاعر العباسي

أبي نواس وكان يرى أنه لم ينل حظه من الدراسة والتقييم وأنه ظلم حين صوروه على أنه «شاعر ماجن». وقد تبلور هذا الإعجاب في إطلاق شوقي اسم كرمة ابن هانئ على حديقة منزلهم الغناء الفسيحة سواء منزلهم القديم في ضاحية المطرية آنذاك أو بعد ذلك في منزلهم على نيل القاهرة بالجيزة .

وقد بدا ذلك جلياً في شهادة نجليه حسين الذي كتب كتابه : « أبي شوقي » وبكل شجاعة يهتك الابن مناطق شديدة الخصوصية في شخصية شوقي فيراه سريع التقلب كالمحيط ويذكر أن أهم عيوب أبيه أنانيته الشديدة متسائلا هنا : هل هي من لوازم الشعراء ؟.

ويذكر في هذا الخصوص أنهم لم يكونوا يستطيعون الغداء في ساعة معينة بل كان لزاماً عليهم أن ينتظروا إلى أن تحين شهية الأب وكثيراً ما كان يطول هذا الانتظار لأنه كان يصحو من نومه متأخراً وسبب هذا التأخير - كما يروي الابن - أن شوقي كان يراجع بعدما يعود من سهرته ما نظم من شعر طوال نهاره .

ويدلل الابن على أنانية أبيه المفرطة بواقعة أخرى أكثر طرافة فيروي أن والده كان يغضب منه هو وأخيه «علي» حين يختارا أصنافاً مألوفة لهما في مطاعم اوروبا وكان الأب يدفعهما إلى أن يختارا أصنافاً مجهولة كي يختار هو منها في المرة المقبلة إذا راقتهما . ويعلق الابن بأن اقتراحات الأب هذه كانت تفسد الأكلة لأن تلك الأصناف المجهولة كانت «مقالب» في معظم المرات وكان حظه منها مرة ضفدعاً سد نفسه عن تناول أي طعام آخر .

ومن مقالب شوقي تخليه عن السفر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج مع ولي نعمته الخديوي عباس حلمي وكان شوقي هو شاعر بلاطه .. ويروي حسين شوقي أن أباه لجأ إلى حيلة ماكرة للهرب من هذا المأزق حيث أقنع الخديوي بأنه ذاهب معه

إلى الحج لكن لما بلغ الركب مدينة بنها فر منه واختبأ في منزل أحد أصدقائه .. ولما عاتبه الخديوي بعد أن رجع من الحج اعتذر له شوقي قائلاً : كل شيء إلا ركوب الجمال يا أفندينا .. وعزز اعتذاره بأن نظم له قصيدته الشهيرة تهنئة بالحج وترحيباً بالعودة التي استهلها بقوله :

إلى عرفات الله يا ابن محمد   عليك سلام الله في عرفات

وعلى الرغم من احتفاء حسين شوقي بصورة أبيه واعتزازه بها إلا أنه يرى أيضاً أنه كان بوهيمي النزعة إلى حد بعيد ويدلل على ذلك بعدد من الوقائع الطريفة منها هذه الواقعة التي حدثت أثناء منفى شوقي في مدينة برشلونة بأسبانيا في الفترة من عام ١٩١٥ إلى ١٩٢٠ يقول: ركبنا الحافلة ذات يوم هو وأنا فصعد رجل عملاق بادي الترف والثراء يعلق سلسلة ذهبية بصدره وفي فمه سيجار ضخم ثم ما لبث أن استسلم للنوم في ركن من العربة وراح يغط غطيطاً يرهق الأعصاب. وصعد نشال في مقتبل العمر جميل الصورة وهمّ بأن يخطف السلسلة لكنه أدرك أن أبي يلمحه فأشار إليه إشارة برأسه مؤداها : هل آخذها ؟ فأجابه أبي برأسه «خذها» فنشلها الشاب ونزل .. بعدما حيّا أبي برفع قبعته !

ولم يكد ينزل حتى التفتّ إلى أبي وقلت : هل يصح أن تترك النشال يأخذ سلسلة الرجل وهو نائم ؟ فأجاب : شيء عجيب يا بني ! لو كنت مقسماً الحظوظ فلمن كنت تعطي السلسلة الذهبية ؟ أكنت تعطيها عملاقاً دميماً أم شاباً جميلاً ؟

فقلت : كنت أعطيها الشاب الجميل فأجاب ببساطة: ها هو ذا أخذها !

وفي سنوات المنفى الخمس التي قضاها شوقي هو وأسرته في اسبانيا بعد عزل الخديوي عباس حلمي على يد الاحتلال الإنجليزي وفرض السلطة العسكرية على مصر إبان الحرب العالمية الأولى. وعلى الرغم من قسوة المنفى وشظف العيش الذي

لم يعتده شوقي إلا أنه استطاع أن يتكيف مع هذه الأجواء وأن يجعل الحياة لذيذة مسلية ويخفف من وطأة المحنة على كاهل أسرته الكبيرة التي كانت تضم عشرة أفراد. وقد تولى شوقي تعليم أولاده الثلاثة فكان يعطيهم دروساً في اللغة العربية طيلة مدة المنفى كما وفر لهم مدرسين للغة الألمانية والفرنسية علاوة على ذلك تعلم شوقي الأسبانية لكن نطقه فيها لم يكن سليماً .

شتان ما بين مشهد الرحيل من مصر الذي لم يكن في وداع شوقي وأسرته إلا عدد قليل من الأقارب والأصدقاء تحسباً من بطش الاحتلال ومشهد العودة من المنفى الذي تجمع فيه آلاف الطلبة لتحيته في فناء محطة السكة الحديد ثم حملوه على الأعناق حتى السيارة وهم يهتفون بحياته وحياة الوطن.. يقول حسين : كانت الدموع تترقرق في عينيه طوال الطريق من المحطة إلى المطرية .

ولشوقي صداقات لعددٍ غفير من الساسة والأدباء والشعراء العرب والمصريين ويستعيد ملامح من ذكرياته في باريس أثناء دراسته في جامعة مونبلييه وتعرفه على الشاعر الفرنسي الشهير فرلين على أحد مقاهي ميدان السوربون. ويحكي شوقي أن فرلين كان لا يكف عن الشراب لحظة وكانت الخمر تتساقط على ذقنه فلا يعنى بمسحها إذ كان شاعراً بوهيمياً وكان طلبة السوربون الذين يمرون بين يديه وهو على تلك الحالة يرفعون له قبعاتهم إجلالاً له بينما هو لا يشعر بهم فهو سابح في عالم الشعر والخيال .

ونتوقف أيضاً عند الكثير عن حفلات شوقي الذي كان يقيمها في الكرمة وبخاصة في المناسبات والأعياد ومن أشهرها حفل تكريم شاعر الهند الكبير طاغور والذي حضره الكثير من الأدباء والكبراء على رأسهم الزعيم سعد زغلول الذي أخر اجتماع مجلس النواب ساعة آنذاك كي يتسنى للأعضاء المدعوين إلى

الحفل تلبية الدعوة. وفي هذا الحفل أثنى طاغور على شعر شوقي لأن قراءه هم العالم العربي كله بينما قراءه لا يتجاوز عددهم عشرة ملايين نظراً لأن كل ولاية هندية تتكلم لغة تختلف عن لغة الأخرى .. وقد غنى محمد عبد الوهاب في هذا الحفل مقطوعة من رواية «مصرع كليوباترا» لأحمد شوقي احتفاء بطاغور .

أن الفضل الأكبر في نجاح أحمد شوقي في حياته يرجع إلى أمه بسبب خلقها النبيل وطيبتها فهي لم توجه إليه لوماً في حياته مرة مع أنه كان خليقاً ـ على حد قوله ـ باللوم أحياناً وفقاً لشهادة حسين شوقي نجل أمير الشعراء .

■ ■ ■

الوداع الأخير

في يوم ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٢ خرج شوقي يتروّض بالسيارة مع سكرتيره في ضاحية مصر الجديدة وكأنه أحس بدنو أجله فأدار حوارا مع سائقه عن التوبة والغفران حسبما نص عليهما القرآن الكريم ثم زار في مساء اليوم نفسه محمد توفيق دياب بك رئيس تحرير صحيفة « الجهاد » وكان أحد أصدقائه المقربين وقد نظم له شوقي بيتاً من الشعر جعله شعار الجريدة يقول :

قـف دون رأيـك في الحيـاة مجاهـداً   إن الحــــياة عقيــــدة وجهــــاد

وفي الثانية صباحاً رحل شوقي .. وبعد عشر سنوات - يروي حسين شوقي - أنه سأل الطبيب النمساوي عن سبب موت أبيه برغم أنه لم يكن متقدماً في السن إذ توفي في الثانية والستين فقال له : نعم لم يكن مسناً لكن أعصابه مع الأسف كانت بالية كانت أعصاب شيخ في الثمانين .

ليرحل عن دنيانا أحمد شوقي أمير الشعراء أول من ابتكر الشعر المسرحي ورائده الأول ومجدد الشعر العربي مع حافظ و البارودي .

ويترك لنا أشعاره ليست قصائد مبنية وجمالية فحسب .. بل تحولت إلى حِكَم ومواعظ وأمثال وأقوال مأثورة منها :

خــــدعوها بقــــولهم حســــناء   والغــــواني يغــــرّهنّ الثنــــاء

ومــــا نيــــل المطالــــب بــــالتمني   ولكــــن تؤخــــذ الــــدنياغلابا

...

علمــتَ إن وراء الضــعف مقــدرة   و أن للحــــق لا للقــــوة الغلبــــا

...

و إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

...

و طني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

...

و للحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدقّ

...

رمضان ولّى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاق

...

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

...

و الشعر ما لم يكن ذكرى و عاطفة أو حكمة فهو تقطيعٌ و أوزان

...

دقات قلب المرء قائلةٌ له إن الحياة دقائق و ثوان

■ ■ ■


غرام الكبار
جبران خليل جبران
عشرون عامًا من غرام المراسلة

هل يمكن لرجُلٍ أن يشغل امرأة عشرون عاماً دون رؤية ؟!

أي سِحر في هذا الرجل الغامض الذي أسر مي زيادة كل هذه السنوات رغم وجود لطفي والعقاد

وطه حسين وإسماعيل صبري وثُلة من نجوم الفِكر والسياسة والدين من مشاهير في حياة مي زيادة ؟!

إنه غرام هاروت وماروت الذي ربط بين مي وجبران !!

هو نفث السِحر وسِحر النَفث بينهما !!

فمَنْ هو هذا الساحر الكبير ؟!

...

هو .. جبران خليل جبران بن ميخائيل بن سعد من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني شاعر لبناني أمريكي ولد في ٦ يناير ١٨٨٣ م في بلدة بشري شمال لبنان وتوفي في نيويورك ١٠ ابريل ١٩٣١ م بداء السل سافر مع أمه وإخوته إلى أمريكا عام١٨٩٥ فدرس فن التصوير وعاد إلى لبنان وبعد أربع سنوات قصد باريس لمدة ثلاث سنوات وهناك تعمق في فن التصوير. عاد إلى الولايات الأمريكية المتحدة مرة أخرى وتحديدا إلى نيويورك وأسس مع رفاقه «الرابطة القلمية» وكان رئيسها. جمعت بعض مقالاته في كتاب «البدائع والطرائف».

■ ■ ■



المولد ورحلة الحياه

ولد هذا الفيلسوف والأديب والشاعر والرسام من أسرة صغيرة فقيرة في بلدة بشري في ٦ كانون الثاني ١٨٨٣ . كان والده خليل جبران الزوج الثالث لوالدته كاملة رحمة التي كان لها ابن اسمه بطرس من زواج سابق ثم أنجبت جبران وشقيقتيه مريانا وسلطانة.

كان والده خليل سعد جبران الذي ينحدر من أسرة سورية الأصل يعمل راعياً للماشية ويمضي أوقاته في الشرب ولعب الورق. «كان صاحب مزاج متغطرس ولم يكن شخصاً محباً» كما يتذكر جبران الذي عانى من إغاظته وعدم تفهمه. وكانت والدته «كاملة رحمة» من عائلة محترمة وذات خلفية دينية واستطاعت ان تعتني بها ماديا ومعنويا وعاطفيا.. وكانت قد تزوجت بخليل بعد وفاة زوجها الأول وإبطال زواجها الثاني. كانت شديدة السمرة ورقيقة وصاحبة صوت جميل ورثته عن أبيها.

لم يذهب جبران إلى المدرسة لأن والده لم يعط لهذا الأمر أهمية ولذلك كان يذهب من حين إلى آخر إلى كاهن البلدة الذي سرعان ما أدرك جديته وذكاءه فانفق الساعات في تعليمه الأبجدية والقراءة والكتابة مما فتح أمامه مجال المطالعة والتعرف إلى التاريخ والعلوم والآداب.

وبفضل أمه تعلم الصغير جبران العربية وتدرب على الرسم والموسيقى. ولما لاحظت ميل الرسم لديه زودته بألبوم صور لـ «ليوناردو دافنشي» الذي بقي معجباً به بصمت. بعد وقت طويل كتب يقول: «لم أر قط عملاً لليوناردو دافنشي إلاّ وانتاب أعماقي شعور بأن جزءاً من روحه تتسلل إلى روحي .

تركت أمه بصمات عميقة في شخصيته ولم يفته أن يشيد بها في «الأجنحة المتكسرة»: إن أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة «الأم» وأجمل مناداة هي «يا أمي». كلمة صغيرة كبيرة مملوءة بالأمل والحب والانعطاف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم هي كل شيء في هذه الحياة هي التعزية في الحزن والرجاء في اليأس والقوة في الضعف هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران فالذي يفقد أمه يفقد صدراً يسند إليه رأسه ويداً تباركه وعيناً تحرسه».

سنواته الأولى أمضاها جبران لا مبالياً رغم الشجارات بين والديه والسقوط من فوق ذلك المنحدر الذي ترك فيه التواء في الكتف. تتلمذ في العربية والسريانية على يد الأب «جرمانوس». وعلمه الأب «سمعان» القراءة والكتابة في مدرسة بشري الابتدائية. ويروي صديقه الكاتب «ميخائيل نعيمة» أن الصغير جبران كان يستخدم قطعة فحم ليخط بها رسومه الأولى على الجدران. ويحكى أنه طمر يوماً وكان عمره أربع سنوات ورقة في التراب وانتظر أن تنبت.

في العاشرة من عمره وقع جبران عن إحدى صخور وادي قاديشا وأصيب بكسر في كتفه اليسرى عانى منه طوال حياته.

لم يكف العائلة ما كانت تعانيه من فقر وعدم مبالاة من الوالد حتى جاء الجنود العثمانيون عام (١٨٩١) وألقوا القبض عليه أودعوه السجن بسبب لسوء إدارته الضرائب التي كان يجبيها. أدين وجرد من كل ثرواته وباعوا منزلهم الوحيد فاضطرت العائلة إلى النزول عند بعض الأقرباء ولكن الوالدة قررت ان الحل الوحيد لمشاكل العائلة هو الهجرة إلى الولايات المتحدة الإميركية سعيا وراء حياة أفضل.

■ ■ ■

هجرة العائلة إلى أمريكا

أربك دخول خليل والد جبران الى السجن والدة جبران تماماً. كيف ستطعم أولادها الأربعة ولا تملك أي شيء. فكرت بالهجرة. ولكن أين ستجد نفقات السفر.. باعت ما تبقى لها من تركة والدها. والتمست تدخل أحد الأساقفة للحصول على إذن السفر من السلطات الأمريكية. ورحلت الأسرة بحراً عام ١٨٩٥ إلى العالم الجديد إلى بوسطن.

عام ١٨٩٤ خرج خليل جبران من السجن وكان محتارا في شأن الهجرة ولكن الوالدة كانت قد حزمت أمرها فسافرت العائلة تاركة الوالد وراءها.

حطت الأسرة الرحال في «إليس إيسلاند» نيويورك في ١٧ حزيران ١٨٩٥. ووصلوا إلى نيويورك بالتحديد في ٢٥ حزيران ١٨٩٥ ومنها انتقلوا إلى مدينة بوسطن حيث كانت تسكن أكبر جالية لبنانية في الولايات المتحدة. بعد ذلك بوقت قصير وهي المدينة التي ترتبط بها قضايا التاريخ الأمريكي الكبيرة: الثورة والاستقلال وإلغاء العبودية وتحرير النساء... . ونزلت العائلة في بوسطن في ضيافة أقارب كانوا قد جاءوا من بشري قبل سنوات قليلة وبذلك لم تشعر الوالدة بالغربة بل كانت تتكلم اللغة العربية مع جيرانها وتقاسمهم عاداتهم اللبنانية التي احتفظوا بها.

اهتمت الجمعيات الخيرية بإدخال جبران إلى المدرسة في حين قضت التقاليد بأن تبقى شقيقتاه في المنزل في حين بدأت الوالدة تعمل كبائعة متجولة في شوارع بوسطن على غرار الكثيرين من أبناء الجالية. وقد حصل خطأ في تسجيل اسم جبران في المدرسة وأعطي اسم والده وبذلك عرف في الولايات المتحدة باسم

«خليل جبران». وقد حاول جبران عدة مرات تصحيح هذا الخطأ فيما بعد إلا انه فشل.

بدأت أحوال العائلة تتحسن ماديا حيث راح الأخ البكر غير الشقيق بطرس يبحث عن عمل. ووجده في محل للمنسوجات. وكان على الأم كاملة أن تحمل على ظهرها بالة صغيرة من الشراشف والأغطية والحريريات السورية وتنتقل بها من بيت إلى بيت لبيعها. ثم عملت في الخياطة بمساعدة ابنتيها سلطانة وماريانا وعندما جمعت الأم مبلغا كافيا من المال أعطته لابنها بطرس الذي يكبر جبران بست سنوات وفتحت العائلة محلا تجاريا.

وكان معلمو جبران في ذلك الوقت يكتشفون مواهبه الأصيلة في الرسم ويعجبون بها إلى حد ان مدير المدرسة استدعى الرسام الشهير هولاند داي لإعطاء دروس خاصة لجبران مما فتح أمامه أبواب المعرفة الفنية وزيارة المعارض والاختلاط مع بيئة اجتماعية مختلفة تماما عما عرفه في السابق.

في نفس الوقت أشفقت كاملة على بطرس وهي تراه يكد لإعالة الأسرة بينما كان يمضي جبران وقته في القراءة والرسم والاستغراق في الأحلام. وطلبت منه مساعدة أخيه. لكنه رفض صراحة معلناً إن إصبع رسام صغيرة لتساوي ألف تاجر - ما عدا بطرس وإن صفحة من الشعر لتساوي كل أنسجة مخازن العالم!. في الواقع أخذ جبران يواظب على التردد إلى مؤسسة خيرية تعطي دروساً في الرسم اسمها «دنسيون هاوس» حيث لفتت موهبته انتباه مساعدة اجتماعية نافذة جداً اسمها «جسي» التي عرّفته من خلال صديق لها إلى المصور الشهير «فرد هولاند داي» الذي كان يدير داراً للنشر في بوسطن.

كان داي بحاجة لموديلات شرقية لصوره. وقد راقه جبران بوجهه المسفوع

وشعره الأسود ونظراته التأملية. ألبسه راعيه إياه ثياباً جديدة وأولمه وعرّفه إلى عالم الرسام والشاعر «وليم بليك» الذي اكتشف فيه جبران عالماً أسطورياً وتنبؤياً وبهره تنوع الينابيع التي أثرت مفرداته الشعرية وتأثر بخصوبة أعماله الرمزية الموسومة بالجدل الروحي بين الخير والشر والجنة والجحيم... . لم يكن بعد لصغر سنه بمستوى الارتقاء إلى فكر «بليك» كله غير أنه تمثل بعض أفكاره كنقد المجتمع والدولة وفضيلة الرغبة الخلاقة ووحدة الكائن وراح يخط رسوماً مشحونة بالرموز مستوحاة من رسوم الفنان والشاعر اللندني الشهير.

كان لداي فضل اطلاع جبران على الميثولوجيا اليونانية الأدب العالمي وفنون الكتابة المعاصرة والتصوير الفوتوغرافي ولكنه شدد دائما على ان جبران يجب ان يختبر كل تلك الفنون لكي يخلص إلى نهج وأسلوب خاصين به .وقد ساعده على بيع بعض إنتاجه من إحدى دور النشر كغلافات للكتب التي كانت تطبعها .وقد بدا واضحا انه قد اختط لنفسه أسلوبا وتقنية خاصين به وبدأ يحظى بالشهرة في أوساط بوسطن الأدبية والفنية.

■ ■ ■

العودة إلى لبنان

قررت عائلة جبران وخصوصا أمه أن الشهرة المبكرة ستعود عليه بالضرر وانه لا بد أن يعود إلى لبنان لمتابعة دراسته وخصوصا من أجل إتقان اللغة العربية .. وكان قد أثار تردد جبران المتزايد إلى أوساط «داي» الذي لم تكن سمعته تدعو للارتياح قلق الأسرة .وازدادت الأمور سوءاً بعد أن وقع في شراك زوجة تاجر في الثلاثين من عمرها وغيابه المتكرر عن البيت ليلاً. وكان قد فتن قبلها بامرأة أخرى... وفكرت كاملة بإعادة ابنها المراهق إلى لبنان. ولم يعترض جبران فوصل جبران إلى بيروت وهو يتكلم لغة إنكليزية ضعيفة ويكاد ينسى العربية أيضا.

رحل إلى بيروت في ٣٠ آب ١٨٩٨ . كان بين أمتعته الأناجيل وكتاب لـ «توماس بلفنيتش» في الميثولوجيا اكتشف فيه الفنان الناشئ جبران دراما «بروميثيوس» وأسطورة «أورفيوس» والنبي الفارسي «زرادشت» والفلسفة الفيثاغورسية والأساطير الهندية.

هرع جبران فوراً إلى بشري وحضن أبيه وتوافد الأقارب والأصدقاء لرؤية «الأمريكي». كان بينهم أستاذه الشاعر والطبيب «سليم الضاهر» الذي نصحه بمتابعة دروسه في «كوليج دو لا ساجيس» التي بقي فيها زهاء ثلاث سنوات. ورغم تأخره في العربية الفصحى «طلب» الفتى قبوله في صف أعلى وعدم سؤاله قبل ثلاثة أشهر. وقبل القيمون «شروط» جبران الذي أعجبتهم جرأته وقوة شخصيته. كان من بين أساتذته الأب «يوسف حداد» الشاعر والكاتب المسرحي الذي اكتشف برفقته كنوز اللغة العربية وابن خلدون والمتنبي وابن سينا والشعراء الصوفيين . وبدأ يجيد التعبير عن أفكاره بلغته الأم وكتب أولى نصوصه بالعربية.

وتعلم الفرنسية وأخذ يقرأ آدابها. ويتذكر جبران أن تلك المدرسة كانت صارمة وأنه لم يكن يمتثل لمعلميه وأنه كان أقل تعرضاً للعقاب من بقية التلاميذ لأنه كان يدرس كثيراً. كان في الصف يسرح في فكره دائماً ويرسم ويغطي كتبه ودفاتره برسوم كاريكاتورية لأساتذته. كان جبران في نظر رفاق الصف غريباً بشعره الطويل الذي يرفض قصه ومواقفه غير المألوفة.

في بداية العام ١٩٠٠ مع مطلع القرن الوليد تعرف جبران على يوسف الحويك واصدرا معا مجلة «المنارة» وكانا يحررانها سوية فيما وضع جبران رسومها وحده. وبقيا يعملان معا بها حتى أنهى جبران دروسه بتفوق واضح في العربية والفرنسية والشعر (١٩٠٢) وكان في عام ١٩٠١ تم اختيار إحدى قصائده لنيل الجائزة التقديرية وكان يتوق بحماس لنيل هذه الجائزة لأن التلميذ الممتاز في هذه المدرسة هو الأكثر موهبة في الشعر كما قال.

يقول في قصيدة جميلة من روائع ما كتب :

ترحلت عن زمني عائدا خلال القرون إلى ما وراء
وما طيتي غير أني وقفت بآثار فن عداها الفناء
هياكل شيدها للخلود نبوغ جبابرة أقوياء
فجسمي في دهره ماكث وقلبي في أول الدهر ناء
أجلت بتلك الرسوم لحاظا يغالب فيها السرور البكاء
فما ارتهن الطرف إلا مثال عتيق الجمال جديد الرواء
مثال لإيزيس في صلده تحس الحياة وتجري الدماء
يروعك من عطفه لينه ويرويك من رونق الوجه ماء
به فجر الحسن من منبع فيا عجبا للرمال الظماء

فتون الدلال وردع الجلال وأمر الحياة ونهي الحياء
فأدركت كيف استبت عابديها بسحر الجمال وسر الذكاء
وبث العيون شعاع النهى يبيح السرائر من كل راء
لقد غبرت حقب لا تعد يدول النعيم بها والشقاء
تزول البلاد وتفنى العباد وإيزيس تزهو بغير ازدهاء
إذا انتابها الدهر ما زادها وقد حسر الموج إلا جلاء
لبثت أفكر في شأنها مطيفا بها هائما في العراء
فلما براني حر الضحى وأدركني في الطواف العياء
أويت إلى السمح من ظلها وفي ظلها الروح لي والشفاء
يجول بي الفكر كل مجال إذا أقعد الجسم فرط العناء
فما أنا إلا وتلك الإلهة ذات الجلالة والكبرياء
قد اهتز جانبها وانتحت تخطر بين السنى والسناء
وترمقني بالعيون التي تفيض محاجرها بالضياء
بتلك العيون التي لم تزل يدان لعزتها من إباء
فما في الملوك سوى أعبد وما في المليكات إلا إماء
وقالت بذاك الفم الكوثري الذي رصعته نجوم السماء
أيا ناشد الحسن في كل فن رصين المعاني مكين البناء
لقد جئت من آهلات الديار تحج الجمال بهذا العراء
فلا يوحشنك فقد أنيس سوى الذكر يعمر هذا الخلاء
وإن الرسوم لحال تحول وللحسن دون الرسوم البقاء
له صور أبدا تستجد وجوهره أبدا في صفاء

بكل زمان وكل مكان ينوع في الشكل للأتقياء

فليس القديم وليس الحديث لدى قدرة الله إلا سواء

رفعت لك الحجب المسدلات وأبرحت عن ناظريك الخفاء

تيمم بفكرك أرضا لنا بها صلة من قديم الإخاء

بلاد الشآم التي لم تزل بلاد النوابغ والأنبياء

ففي سفح لبنان حورية تفنن مبدعها ما يشاء

إذا ما بدت من خباء العفاف كما تتجلى صباحا ذكاء

تبينتها وهي لي صورة أعيدت إلى الخلق بعد العفاء

فتعرفها وبها حليتاي سحر الجمال وسر الذكاء

■ ■ ■

عودته إلى أمريكا .. والمآسي في انتظاره

وقد وصلته أخبار عن مرض أفراد عائلته فيما كانت علاقته مع والده تنتقل من سيء إلى أسوأ فغادر لبنان عائدا إلى بوسطن ولكنه لسوء حظه وصل بعد وفاة شقيقته سلطانة. وخلال بضعة أشهر كانت أمه تدخل المستشفى لإجراء عملية جراحية لاستئصال بعض الخلايا السرطانية. قرر شقيقه بطرس ترك المحل التجاري والسفر إلى كوبا. وهكذا كان على جبران ان يهتم بشؤون العائلة المادية والصحية. ولكن المآسي تتابعت بأسرع مما يمكن احتماله. فما لبث بطرس ان عاد من كوبا مصابا بمرض قاتل هو (السل) وقضى نحبه بعد أيام قليلة (١٢ آذار ١٩٠٣) فيما فشلت العملية الجراحية التي أجرتها الوالدة في استئصال المرض وقضت نحبها في ٢٨ حزيران من السنة نفسها.

إضافة إلى كل ذلك كان جبران يعيش أزمة من نوع آخر فهو كان راغبا في إتقان الكتابة باللغة الإنكليزية لأنها تفتح أمامه مجالا أرحب كثيرا من مجرد الكتابة في جريدة تصدر بالعربية في أميركا (كالمهاجر) ولا يقرأها سوى عدد قليل من الناس. ولكن انكليزيته كانت ضعيفة جدا. ولم يعرف ماذا يفعل فكان يترك البيت ويهيم على وجهه هربا من صورة الموت والعذاب. وزاد من عذابه ان الفتاة الجميلة التي كانت تربطه بها صلة عاطفية وكانا على وشك الزواج في ذلك الحين (جوزيفين بيبادي) عجزت عن مساعدته عمليا فقد كانت تكتفي بنقد كتاباته الإنكليزية ثم تتركه ليحاول إيجاد حل لوحده. في حين ان صديقه الآخر الرسام هولاند داي لم يكن قادرا على مساعدته في المجال الأدبي كما ساعده في المجال الفني.

مع فجر القرن العشرين كانت بوسطن التي سميت «أثينا الأمريكية» مركزاً

فكرياً حيوياً اجتذب فنانين مشهورين وواعدين. وكان بعضهم راغباً في الخروج من معاقل المادية للبحث عن سبل فنية جديدة واستكشاف ميثولوجيا وحضارات الشرق بل وعلومه الباطنية والروحية. وغاص جبران في هذا المجتمع البوسطني الذي تزدهر فيه حركات صوفية كان أبلغها تأثيراً «الحكمة الإلهية» التي أنشأتها عام ١٨٧٥ الأرستقراطية الروسية «هيلينا بتروفنا بلافاتسكي» التي اطلعت على تراث الهند والتيبت وشجعت نهضة البوذية والهندوسية. وشيئاً فشيئاً اتضح له أن الروحانية الشرقية التي تسكنه يمكن أن تجد تربة خصبة في هذه البيئة المتعطشة للصوفية.

في ٦ كانون الثاني ١٩٠٤ عرض «داي» على جبران عرض لوحاته في الربيع القادم. لم يكن أمامه سوى أربعة أشهر. وبتأثيرات من عالم «وليم بليك» أنجز رسوماً عديدة تفيض بالرمزية. اجتذبت أعماله كثيراً من الفضوليين ولكن قليلاً من الشارين .وعبر عدد من النقاد عن إعجابهم بها.

قدمته جوزفين إلى امرأة من معارفها اسمها ماري هاسكل (١٩٠٤) فخطّت بذلك صفحات مرحلة جديدة من حياة جبران.

كانت ماري هاسكل امرأة مستقلة في حياتها الشخصية وتكبر جبران بعشر سنوات وقد لعبت دورا هاما في حياته منذ ان التقيا. فقد لاحظت ان جبران لا يحاول الكتابة بالإنكليزية بل يكتب بالعربية أولا ثم يترجم ذلك. فنصحته وشجعته كثيرا على الكتابة بالإنكليزية مباشرة. وهكذا راح جبران ينشر كتاباته العربية في الصحف أولا ثم يجمعها ويصدرها بشكل كتب ويتدرب في الوقت نفسه على الكتابة مباشرة بالإنكليزية.

عزم جبران على البحث عن عمل أكثر ربحاً من الرسم. ولما علم بأن شاباً لبنانياً

يدعى «أمين غريّب» أصدر صحيفة بالعربية في نيويورك اسمها «المهاجر» تقرب منه وأطلعه على رسومه وكتاباته وقصائده. قبل «غريب» مقابل دولارين في الأسبوع لجبران. وظهرت أول مقالة له في «المهاجر» بعنوان «رؤية». كان نصاً مفعماً بالغنائية أعطى الكلام فيه لـ «قلب الإنسان أسير المادة وضحية قوانين الأنام».

وفي ١٢ تشرين الثاني ١٩٠٤ احترق مبنى معرض «داي» وأتى على موجوداته كلها بما في ذلك رسوم جبران. وتحت صدمة الحريق الذي وصفه بأنه مشهد جديد من التراجيديا التي يعيشها منذ سنتين أصبح جبران يكتب أكثر مما يرسم. وخصه «أمين غريب» بزاوية منتظمة بعنوان «أفكار» ثم استبدله بعنوان «دمعة وابتسامة» حيث راح جبران يتحدث عن المحبة والجمال والشباب والحكمة. ونشرت له «المهاجر» عام ١٩٠٥ كتاباً بعنوان «الموسيقى».

■ ■ ■

باريس .. مرحلة جديدة

كانت باريس في بدايات القرن العشرين حلم فناني العالم كله. بعد وصوله إليها بوقت قصير أقام في «مونبارناس» وسرعان ما انتسب إلى «أكاديمية جوليان» أكثر الأكاديميات الخاصة شعبية في باريس التي تخرج منها فنانون كبار «ماتيس» و«بونار» و«ليجيه»... وانتسب كطالب مستمع إلى «كلية الفنون الجميلة» .أوقات فراغه كان جبران يقضيها ماشياً على ضفاف نهر السين ومتسكعاً ليلاً في أحياء باريس القديمة. بعد أن ترك باريس لاحقاً قال لصديقه «يوسف حويك» الذي عاش معه سنتين في مدينة النور: «كل مساء تعود روحي إلى باريس وتتيه بين بيوتها. وكل صباح أستيقظ وأنا أفكر بتلك الأيام التي أمضيناها بين معابد الفن وعالم الأحلام».

لم يستطع جبران البقاء طويلاً في «أكاديمية جوليان» حيث وجد أن نصائح أستاذه فيها لم تقدم له أية فائدة. من المؤكد أن أسلوبه لم يستطع إرضاء روح جبران الرومانسية. في بداية شباط ١٩٠٩ عثر الفنان على أستاذ جديد: «بيير مارسيل بيرونو» «الفنان الكبير والرسام الرائع والصوفي..» حسب عبارة جبران. لكنه تركه أخيراً بعد أن نصحه الفنان الفرنسي بالانتظار والتمهل حتّى ينهي كل قاموس الرسم فجبران نهم إلى المعارف والإبداع وراغب في حرق المراحل.

تردد حينذاك إلى أكاديمية «كولاروسي» المتخصصة في الرسم على النموذج والتي كانت تستقبل فنانين أجانب غير أن جبران كان يفضل العمل وحيداً وبملء الحرية في مرسمه وزيارة المعارض والمتاحف كمتحف اللوفر الذي كان يمضي ساعات طويلة في قاعاته الفسيحة. وأعطى دروساً في الرسم لبعض الطلبة. وانخرط في مشروع طموح: رسم بورتريهات شخصيات شهيرة وقد ابتدأها

بالنحات الأمريكي «برتليت» دون أن نعرف بدقة إن كان قد التقى بهؤلاء.

في هذه الأثناء توفي والده. وكتب إلى «ميري هاسكل» يقول: «فقدت والدي.. مات في البيت القديم حيث ولد قبل ٦٥ سنة.. كتب لي أصدقاؤه أنه باركني قبل أن يسلم الروح. لا أستطيع إلاّ أن أرى الظلال الحزينة للأيام الماضية عندما كان أبي وأمي وبطرس وكذلك أختي سلطانة يعيشون ويبتسمون أمام وجه الشمس.

كان جبران دائم الشك طموحاً ومثالياً متصوراً أنه يستطيع إعادة تكوين العالم وسعى إلى إقناع الآخرين بأفكاره ونظرياته حول الفن والطبيعة... وقلقاً وكثير التدخين وقارئاً نهماً وقد أعاد قراءة «جيد» و«ريلكه» و«تولوستوي» و«نيتشه» وكتب نصوصاً بالعربية وصفها المحيطون به بأنها «حزينة ووعظية».

في ذلك الوقت قدم إلى باريس عدد كبير من دعاة الاستقلال السوريين واللبنانيين المطالبين بحق تقرير المصير للبلدان العربية الواقعة تحت النير العثماني. وظهرت فيها جمعيات سرية تطالب بمنح العرب في الإمبراطورية العثمانية حقوقهم السياسية وبالاعتراف بالعربية لغة رسمية... وتردد جبران إلى هذه الأوساط وتشرب بأفكارها. ورأى أن على العرب أن يثوروا على العثمانيين وأن يتحرروا بأنفسهم.

رغب جبران في التعريف بفنه. ونجح في الوصول إلى أشهر معارض باريس السنوية معرض الربيع حيث استطاع أن يعرض لوحة عنوانها «الخريف» آملاً أن يمر بها «رودان العظيم» فيعجب بها ويثمنها. جاء الفنان الفرنسي ووقف لحظة أمامها وهز رأسه وتابع زيارته. بعد ذلك راح يهيئ اللوحات التي دعي لعرضها في معرض الاتحاد الدولي للفنون الجميلة في باريس الذي دعي إليه بشكل رسمي. إلاّ أن عدم الاستقرار أتعبه فتخلى عن المشروع ليترك باريس ولم تتسن له بعد ذلك العودة قط إلى مدينة الجمال والفنون ولا إلى مسقط رأسه لبنان. ولم تأته فرصة لرؤية إيطاليا التي طالما حلم بزيارتها!

غادر باريس ليعود إلى بوسطن

عام ١٩٠٨ غادر جبران إلى باريس لدراسة الفنون وهناك التقى مجددا بزميله في الدراسة في بيروت يوسف الحويك. ومكث في باريس ما يقارب السنتين ثم عاد إلى أميركا بعد زيارة قصيرة للندن برفقة الكاتب أمين الريحاني.

وصل جبران إلى بوسطن في كانون الأول عام ١٩١٠ حيث اقترح على ماري هاسكل الزواج والانتقال إلى نيويورك هربا من محيط الجالية اللبنانية هناك والتماسا لمجال فكري وأدبي وفني أرحب. ولكن ماري رفضت الزواج منه بسبب فارق السن وان كانت قد وعدت بالحفاظ على الصداقة بينهما ورعاية شقيقته مريانا العزباء وغير المثقفة.

وهكذا انتقل جبران إلى نيويورك ولم يغادرها حتى وفاته . وهناك عرف نوعا من الاستقرار مكنه من الانصراف إلى أعماله الأدبية والفنية فقام برسم العديد من االوحات لكبار المشاهير مثل رودان وساره برنار وغوستاف يانغ وسواهم.

ميري العزيزة :

حال وصوله إلى بوسطن في بداية تشرين الثاني هرع لرؤية أخته «مارينا». ثم مضى للقاء «ميري» التي أعلمته على الفور - حرصاً منها على إبقاء الفنان تحت رعايتها - بأنها مستعدة للاستمرار في منحه الخمسة وسبعين دولاراً التي كانت تقدمها له إبان إقامته الباريسية. ونصحته باستئجار بيت أوسع لممارسة فنه بحرية. وساعدته في تحسين لغته الإنكليزية. وتعززت صداقتهما. وفي ١٠ كانون الأول زارها في بيتها لمناسبة عيد ميلادها السابع والثلاثين وعرض عليها الزواج. لكنها رفضت بحجة أنها تكبره بعشر سنوات. وكتب لها فيما بعد أنها جرحته بهذا الرفض.

وقررت «ميري» أن تتراجع وتقبل. ثم عادت فرفضت مرة أخرى.. ربما بسبب علاقاته مع نساء أخريات أو لخوفها من الزواج بأجنبي. وسعى جبران بعد ذلك لإغراق خيبة أمله في العمل. وسرعان ما شعر بأن بوسطن مدينة باردة وضيقة وأنها أصغر من طموحاته الفنية خصوصاً بعد تلك الإقامة في باريس الرحبة والدافئة عدا الجرح الذي تركته فيه «ميري». وقرر المغادرة إلى نيويورك. حزم حقائبه غير آسف حاملاً معه مخطوطة «الأجنحة المتكسرة» ونسخة من «هكذا تكلم زرادشت» لنيتشه.

نيويورك :

قال الشاعر والكاتب الفرنسي «بول كلودل» بعد وصوله إلى نيويورك عام ١٨٣٨ : «.... بالنسبة للغريب الذي يقع هنا جاهلاً كل شيء ودواعي كل شيء تكون أيامه الأولى مذهلة..». إلاّ أن جبران فهمها فوراً: «نيويورك ليست مكاناً يمكن أن يجد فيه المرء راحة». بدأ إقامته بزيارة متحف «متروبوليتان ميوزم أف آرت» الذي خرج منه مندهشاً. تعرف إلى الجالية اللبنانية وبعض مشاهير نيويورك. في هذه الأثناء جاءت «ميري» إلى نيويورك ووجدته يرسم لوحة «إيزيس». زارا بعض المتاحف والأوابد. وبعد حين عادا معاً إلى بوسطن حيث تهيأت الصديقة لقضاء عطلة في غرب البلاد. وعرضت حينذاك على جبران مبلغ خمسة آلاف دولار دفعة واحدة بدلاً من المبالغ الصغيرة المتقطعة. قبل بالعرض وألح بأن يوصي لها بكل ما يملك عرفاناً بجميلها. وكتب وصية أدهشت أصدقاءه. أوصى بكل لوحاته ورسومه إلى «ميري» أو إن كانت متوفاة إلى «فرد هولاند داي» وبمخطوطاته الأدبية إلى أخته وبكتبه في لبنان إلى مكتبة بشري.

استغل جبران الصيف لإنهاء «الأجنحة المتكسرة» وروتشة لوحة «إيزيس» وبدأ برسم لوحات جديدة وزين بالرسوم كتاباً لأمين الريحاني وكتب مقالتين إحداهما

بعنوان «العبودية» حيث يندد بالعبودية التي تقود شعباً وفقاً لقوانين شعب آخر والأخرى بعنوان «أبناء أمي» يتمرد فيها على مواطنيه الذين لا يثورون في وجه المحتل. وحضر محاضرة للشاعر والكاتب المسرحي الإيرلندي «وليم ييتس» (جائزة نوبل ١٩٢٣) وتعارفا والتقيا مراراً.

في ١٨ تشرين الأول عاد جبران إلى نيويورك وأقام في مبنى «تنث ستريت ستوديو» المخصص للفنانين. في هذه السنة نشر روايته «الأجنحة المتكسرة» أكثر أعماله رومانسية والتي أنبأت بأسلوبه وفكره المستقبليين.

في ١٥ نيسان ١٩١٢ هزت العالم حادثة غرق الـ «تيتانيك» التي كان على متنها مئات الأشخاص بينهم ٨٥ لبنانياً غرق ٥٢ منهم. كانت الكارثة صدمة بالنسبة لجبران الذي عز عليه النوم تلك الليلة. في اليوم نفسه التقى بعبد البهاء ابن بهاء الله مؤسس حركة البهائية الروحية في إيران ودعاه لإلقاء خطاب أمام أعضاء «الحلقة الذهبية» حول وحدة الأديان.

في بداية الخريف التقى جبران بالكاتب والروائي الفرنسي «بيير لوتي» الذي جاء إلى نيويورك لحضور عرض مسرحية «بنت السماء» التي ألفها مع ابنة الأديب والشاعر الفرنسي «تيوفيل غوتيه». وقد عبر له «لوتي» عن قرفه من صخب أمريكا وقدم له نصيحة: «أنقذ روحك وعد إلى الشرق مكانك ليس هنا.«!

كيف يمكننا تصور جبران في هذه الفترة من حياته؟ كانت له ملامح أهل قريته: وجه ملوح بالسمرة وأنف بارز وشارب أسود وكثيف وحاجبان مقوسن كثان وشعر معقوص قليلاً وشفتان ممتلئتان وجبين عريض مهيب مثل قبة وعينان يقظتان تنمان عن ذكاء هذا الشخص قصير القامة ذي الابتسامة المشرقة الموحية ببراءة الأطفال «مكهرب ومتحرك كاللهب» (ميري) وطبيعة هي أقرب إلى الحزن محب للانعزال

(«الوحدة عاصفة صمت تقتلع كل أغصاننا الميتة») ويجد لذة في العمل أنوف وبالغ الحساسية ولا يتسامح مع أي نقد مستقل وثائر بطبيعته يأبى الظلم بأي شكل.

كان يدخن كثيراً: «اليوم ـ كتب إلى ميري ـ دخنت أكثر من عشرين سيجارة. التدخين بالنسبة لي هو متعة وليس عادة مستبدة...». وليلاً كي يبقى متنبهاً ويستمر في عمله كان يتناول القهوة القوية ويأخذ حماماً بارداً. إلا أن أسلوب الحياة إياه بدأ ينهك جسمه ويضفي عليه ملامح الكبر.

في العام ١٩١٣ التقى بعدد من مشاهير عالم الفن النيويوركيين مثل الشاعر «ويتر بوينر». وفي شباط تخلى لـ «ميري» عن مجموعة من لوحاته وفاء للدين متمنياً أن يتخلص من هذا الوضع الذي كان يضايقه. وعاد إلى إكمال مجموعة بورتريهاته مخصصاً إحداهاللمخترع الأمريكي «توماس إديسون» وأخرى لعالم النفس السويسري «كارل غوستاف يونغ» اللذين قبلا الجلوس ليرسمهما جبران. والتقى بالفيلسوف الفرنسي «هنري برجسون» الذي وعده بأن يسمح له برسمه في باريس معتذراً آنئذ بسبب الإنهاك من السفر وبالممثلة الفرنسية «ساره برنهاردت»: «باختصار كانت لطيفة. يؤكد جبران. حدثتني بفرح غامر عن أسفارها إلى سورية ومصر وأخبرتني أن أمها كانت تتكلم العربية وأن موسيقى هذه اللغة كانت وما تزال حية في نفسها». وقبلت أن تجلس ليرسمها ولكن عن بعد «كي لا تظهر ملامح وجهها». كانت قد أصبحت في عامها التاسع والستين.

في نيسان ١٩١٣ ظهرت في نيويورك مجلة «الفنون» التي أسسها الشاعر المهجري الحمصي «نسيب عريضة». ونشر فيها جبران مقالات متنوعة جداً وقصائد نثرية. ووقع فيها على دراسات أدبية كرسها لاثنين من كبار الصوفيين الغزالي وابن الفارض اللذين تأثر بأفكارهما.

جبران ومي زيادة

«مي» هو الاسم الذي اختارته تلك المرأة القلقة التي تبدو كالبحر تارة هادئة وشفافة وأخرى ثائرة. ولدت عام ١٨٨٦ من أب لبناني وأم فلسطينية. رحلت أسرتها عام ١٩٠٨ إلى القاهرة. أتقنت لغات عدة وأظهرت مواهب استثنائية في النقد والأدب والصحافة. حولت دارها في القاهرة إلى صالون أدبي وراحت تستقبل فيها كبار الأدباء والمثقفين كـ «طه حسين» و«عباس محمود العقاد» و«يعقوب صروف». اكتشفت جبران عام ١٩١٢ عبر مقالته «يوم مولدي» التي ظهرت في الصحافة .وأسرها أسلوبه. وقرأت «الأجنحة المتكسرة» وأعجبت بآرائه حول المرأة فيه. تراسلا وتبادلا في رسائلهما الإطراء وتحدثا عن الأدب. روى لها همومه اليومية وطفولته وأحلامه وأعماله. وانعقدت بينهما علاقة ألفة وحب. وطلب منها عام ١٩١٣ تمثيله وقراءة كلمته في حفل تكريم شاعر القطرين «خليل مطران». كانت «مي» حساسة جداً وحالمة. ولما انقطعت رسائل جبران عقب قيام الحرب العالمية الأولى تعلقت بذكرى مراسلها البعيد ورفضت كل الطامحين إلى الزواج منها. وتمنت في مقالة لها أن تكون بقرب ذلك الوجه الذي يمنع البعاد رؤيته.

لم يلتقيا قط غير أن الكاتبين شعرا أنهما قريبان أحدهما من الآخر وأحس أن «خيوطاً خفيفة» تربط بين فكرهما وأن روح «مي» ترافقه أينما اتجه.

في عام ١٩٢١ أرسلت له صورتها فأعاد رسمها بالفحم. واكتشف بسعادة أنها امرأة مليئة الوجه ذات شعر بني قصير وعينين لوزيتي الشكل يعلوهما حاجبان كثان وشفتين ممتلئتين. وجد في نظرتها البراقة شيئاً معبراً يجتذبه وفي ملامحها بعضاً

من الذكورة صرامةً كامنة تضفي عليها مزيداً من الجاذبية: «مي» تجسد الأنوثة الشرقية. كان في هذه المرأة كل ما يعجبه غير أنها بعيدة جداً. ولم يكن يشعر أنه مهيأ بعد لترك أمريكا فيتخلى عن حريته. هذا الحب الروحي الفكري أعجبه .ولكن هل فكر بمجرد ما لكلماته من وقع على قلب مراسلته؟.

في عام ١٩٢٣ كتب لها يقول دون كلفة: «أنت تعيشين فيّ وأنا أعيش فيك تعرفين ذلك وأعرفه». كانت «مي» كلما بدت عبارات مراسلها أكثر جرأة أو شابها بعض سخرية من تعبير اختارته دون قصد منها تلجأ إلى «مقاطعته» وتلوذ بصمت يستمر أشهراً أحياناً. مشاعرها الحقيقية كانت تبوح بها في مقالاتها. وإن كانت قد خصت أعماله بمقالات نقدية مدحية فقد نهرته في أخرى. وفي مقالة بعنوان «أنت الغريب» عبرت عن كل هواها نحو «ذاك الذي لا يعرف أنها تحبه» و«الذي تبحث عن صوته بين كل الأصوات التي تسمعها».

في رسالة له عام ١٩٢٤ عبرت له «مي» عن خوفها من الحب. ورد عليها جبران: «.. هل تخافين ضوء الشمس ؟ هل تخشين مد البحر وجزره ؟...». فاجأه موقفها. وبدا أنه اختار التراجع لإنقاذ حريته أو وقته مفضلاً عدم الانطلاق في علاقة قد تتطلب منه ومنها تضحيات كبيرة .أدركت «مي» حينذاك بمرارة سوء التفاهم بين رغبتها وفكرة جبران عن علاقتهما. وأسفت أنها كانت على هذا القدر من الصراحة والمباشرة. وصمتت ثمانية أشهر رآها جبران «طويلة كأنها أزل».

رغم كل شيء استمرت مراسلاتهما متباعدة حتى وفاة جبران لتبقى واحدة من الأخصب والأجمل في الأدب العربي.

■ ■ ■

الحرب الكبرى

أقلقت الحرب جبران رغم بعده عن ساحات المعارك بآلاف الكيلومترات. وجعله الوضع في لبنان مضطرباً: استولت السلطات العثمانية على كل موارد البلد وصادرت الماشية وانتشرت المجاعة وقمع المعارضون وعلق جمال باشا السفاح مشانق الوطنيين اللبنانيين والعرب في الساحات العامة. وشعر بالذنب لبعده عن «أولئك الذين يموتون بصمت». ولم يتردد في قبول منصب أمين سر لجنة مساعدة المنكوبين في سوريا وجبل لبنان. وساهم بمشاركة الجالية السورية ـ اللبنانية في بوسطن ونيويورك في إرسال باخرة مساعدات غذائية إلى مواطنيه. دفع هذا النشاط بعض الكتاب لأن يجعلوا من جبران أيديولوجياً وصاحب نظرية سياسية غير أنه لم يكن من ذلك في شيء. وقد رد على من حضه للقيام بدور الزعيم السياسي بالقول: «لست سياسياً ولا أريد أن أكون كذلك». كان دافعه هو حس المسؤولية وتلبية نداء الواجب .كان همه إنسانياً تحرير الوضع البشري من كل عبودية.

أدبه :

كان في كتاباته اتجاهين أحدهما يأخذ بالقوة ويثور على العقائد والدين والآخر يتتبع الميول ويحب الاستمتاع بالحياة.

أبطأ هذا النشاط الإنساني والأخبار المأساوية التي توافدت عليه من أوروبا والمشرق نتاجه الأدبي. صحيح أنه نشر عام ١٩١٤ مجموعته «دمعة وابتسامة» غير أنها لم تكن سوى جمع لمقالات بالعربية (٥٦ مقالة) نشرت في «المهاجر» وكان هو نفسه قد تردد في نشرها .كانت ذات نفحة إنسانية وضمت تأملات حول الحياة والمحبة والوضع في لبنان وسورية وقد اتخذت شكل القصيدة المنثورة الأسلوب

غير المعروف في الأدب العربي وقد كان رائده.

في هذه الفترة تقريباً شعر بالحاجة للكتابة بالإنكليزية هذه اللغة التي يمكن أن تفتح له الكثير من الأبواب وتمكنه من ملامسة الجمهور الأمريكي. قرأ «شكسبير» مرة أخرى وأعاد قراءة الكتاب المقدس مرات عدة بنسخة «كينغ جيمس»... كانت إنكليزيته محدودة جداً غير أنه عمل طويلاً وبجد حتى أتقن لغة شكسبير ولكن دون أن يتخلى عن لغته الأم: «بقيت أفكر بالعربية». «.. كان غنى العربية التي أولع بها يدفعه دائماً إلى سبر الكلمة التي تتوافق بأفضل شكل مع مثيلتها في الإنكليزية بأسلوب بسيط دائماً...» كما ذكرت مساعدته «بربارة يونغ».

من أين يبدأ ؟ كان أمامه مشروع «النبي» الذي نما معه منذ الطفولة. سار العمل بطيئاً جداً. أراد أخيراً أن يجد موضوعاً يستقطب أفكاره ولغته الثانية. وفكر جبران: ما الذي يمكن مع الإفلات من العقاب أن يكشف حماقة الناس وجبنهم وينتزعه حُجُب المجتمع وأقنعته ؟

المجنون. أغرته الفكرة. لم ينس «قزحيّا» في الوادي المقدس وتلك المغارة التي كانوا يقيدون فيها المجانين لإعادتهم إلى صوابهم كما كانوا يعتقدون. في «يوحنا المجنون» كان قد كتب يقول إن «المجنون هو من يجرؤ على قول الحقيقة» ذاك الذي يتخلى عن التقاليد البالية والذي «يصلب» لأنه يطمح إلى التغيير. برأيه «أن الجنون هو الخطوة الأولى نحو انعدام الأنانية... هدف الحياة هو تقريبنا من أسرارها والجنون هو الوسيلة الوحيدة لذلك». وهكذا عنوان كتابه القادم : The Madman وبقي أن يكتبه.

في هذه الأثناء شارك في مجلة جديدة ;The Seven Artsالتي كان ينشر فيها كتاب مشهورون مثل «جون دوس باسوس» و«برتراند راسل» ومن خلالها أضحى مشهوراً في الأوساط الفنية النيويوركية حيث نشر رسومه ونصوصه الأولى بالإنكليزية.

كانت فترة ١٩١٤ ـ ١٩١٦ غنية باللقاءات: تردد جبران إلى صالونات المجتمع الراقي الذي كانت تديره نساء متنفذات. تعرف إلى الفنانة الشهيرة «روز أونيل» وعمدة نيويورك والشاعرة «آمي لويل» والرسام الرمزي «ألبرت رايدر». ودعي عدة مرات إلى Poetry Society of America؛ التي ألقى فيها مقتطفات من كتاب Madman؛ الذي كان بصدد تأليفه أمام حضور منتبه.

في خريف ١٩١٦ التقى مرة أخرى بمخائيل نعيمة الذي ألف فيه كتاباً جبران خليل جبران . كان «نعيمة» يدرس في روسيا قبل أن يتوجه إلى الولايات المتحدة حيث درس أيضاً القانون والآداب. كتب كلاهما في «الفنون» وكلاهما آمنا بالتقمص وناضل كلاهما من أجل تحرير بلدهما عبر لجنة المتطوعين جبران كمسؤول عن المراسلات بالإنكليزية ونعيمة كمسؤول عن المراسلات بالعربية.

في كانون الأول ١٩١٦ التقى أخيراً بـ«رابندراناته طاغور» الشاعر الهندي الشهير المتوج بجائزة نوبل في الآداب لعام ١٩١٣ . وكتب إلى «ميري» في وصفه قائلاً: «حسن المنظر وجميل المعشر. لكن صوته مخيِّب: يفتقر إلى القوة ولا يتوافق مع إلقاء قصائده...».

بعد هذا اللقاء لم يتردد صحفي نيويوركي في عقد مقارنة بين الرجلين: كلاهما يستخدمان الأمثال في كتاباته ويتقنان الإنكليزية واللغة الأم .وكل منهما فنان في مجالات أخرى غير الشعر.

مع اقتراب الحرب من نهايتها أكب جبران أكثر على الكتابة. ألف مقاطع جديدة من «النبي» وأنهى كتابه «المجنون» التي اشتملت على أربعة وثلاثين مثلاً (قصة قصيرة رمزية) وقصيدة. أرسلها إلى عدة ناشرين لكنهم رفضوها جميعاً بحجة أن هذا الجنس الأدبي «لا يباع». لكنه وجد ناشراً أخيراً وظهر العمل عام ١٩١٨ مزيناً



بثلاثة رسوم للمؤلف.

وكان جبران قد كتب بعض نصوصه بالعربية أصلاً ثم ترجمها إلى الإنكليزية. ويروي فيه حكاية شخص حساس ولكن «مختلف» يبدأ بإخبارنا كيف أصبح مجنوناً. «... في قديم الأيام قبل ميلاد كثيرين من الآلهة نهضت من نوم عميق فوجدت أن جميع براقعي قد سرقت... فركضت سافر الوجه في الشوارع المزدحمة صارخاً بالناس: «اللصوص! اللصوص! اللصوص الملاعين!» فضحك الرجال والنساء مني وهرب بعضهم إلى بيوتهم خائفين مذعورين... هكذا صرت مجنوناً ولكني قد وجدت بجنوني هذا الحرية والنجاة معاً...». تميز أسلوب جبران في «المجنون» بالبساطة واللهجة الساخرة والمرارة وشكل هذا العمل منعطفاً في أعمال الكاتب ليس فقط لأنه أول كتاب له بالإنكليزية بل لما فيه من تأمل وسمو روحي. وأرسل نسخة منه إلى «مي زيادة» التي وجدته سوداوياً ومؤلماً. وأرسل نسخة أخرى إلى «جيرترود باري» حبيبته الخبيئة. ربما أخفى جبران هذه العلاقة كي لا يجرح «ميري» ومن أجل أن لا تمس هذه العلاقة اللاأفلاطونية صورته الروحية. كان لجبران علاقات غير محددة أفلاطونية وجسدية: «جيرترود شتيرن» التي التقاها عام ١٩٣٠ واعتبرت نفسها حبه الأخير و«ماري خواجي» و«ماري خوريط» و«هيلينا غوستين» التي أكدت كما فعلت «شارلوت» و«ميشلين» بأن جبران «زير نساء» وقد روت مازحةً ومداعبة أنه طلب منها ذات مرة أن تشتري له مظلة ليقدمها إلى شقيقته «ماريانا» لكنها اكتشفت بعد حين أنه قد أهداها لامرأة أخرى .هذه المغامرات عاشها جبران سراً إما حفاظاً على سمعة تلك العشيقات أو خوفاً من تشويه الصورة التي كان يريد أن يعطيها حول نفسه: صورة الناسك صورة الكائن العلوي عاشق الروح وليس الجسد.

في تشرين الثاني ١٩١٨ أعلن الهدنة أخيراً. وكتب جبران إلى «ميري» يقول:

«هذا أقدس يوم منذ ميلاد اليسوع.«!

في أيار ١٩١٩ نشر جبران كتابه السادس بالعربية «المواكب». كان قصيدة طويلة من مائتين وثلاثة أبيات فيها دعوة للتأمل كتبها على شكل حوار فلسفي بصوتين: يسخر أحدهما من القيم المصطنعة للحضارة ويغني الآخر الأكثر تفاؤلاً أنشودةً للطبيعة ووحدة الوجود. وقد تميز الكتاب بتعابيره البسيطة والصافية والتلقائية.

في نهاية عام ١٩١٩ نشر مجموعة من عشرين رسماً تحت عنوان Twenty Drawings. وقد أدخل الناشر إلى مقدمتها نصاً للناقدة الفنية «أليس رافائيل إكستين» حيث جاء فيها أن جبران «يقف في أعماله الفنية عند الحدود بين الشرق والغرب والرمزية والمثالية». وقد قيل إن «جبران يرسم بالكلمات» إذ يبدو رسمه في الواقع تعبيراً دقيقاً عن أفكاره.

منتدى الشعراء المنفيين :

في ليلة ٢٠ نيسان ١٩٢٠ رأى الكتاب السوريون واللبنانيون في اجتماع لهم في نيويورك أنه يجب التصرف من أجل «إخراج الأدب العربي من الموحل أي الركود والتقليد الذي غاص فيهما». يجب حقنه بدم جديد. وقرر المشاركون تأسيس تنظيم يتمحور حول الحداثة ويكرس لجمع الكتاب وتوحيد جهودهم لخدمة الأدب العربي. وجد جبران الفكرة ممتازة ودعا الأعضاء للاجتماع عنده بعد أسبوع لاحق.

اجتمعوا في ٢٨ التالي وحددوا أهداف التنظيم الذي أسموه «الرابطة القلمية» التي ضمت جبران و«إيليا أبو ماضي» و«ميخائيل نعيمة» و«عبد المسيح حداد» صاحب مجلة «السايح» وآخرين في نشر أعمال أعضائها وأعمال الكتاب العربي الآخرين وتشجيع تعريب أعمال الأدب العالمي فضلاً عن أهداف أخرى. انتخب جبران رئيساً وميخائيل نعيمة أميناً للسر.

بقيت الرابطة تجتمع دورياً تقريباً حتى وفاة جبران. نشر الأعضاء مقالات في مجلة «السايح» وكرسوا عدداً في العام للمختارات. وأضحت الرابطة بأفكارها المتمردة رمزاً لنهضة الأدب العربي... رأى جبران أنه لن يكون للغته العربية مستقبل إذا لم تتحرر من القوالب القديمة ومن «عبودية الجمل الأدبية السطحية» وإذا لم تتمكن من إرساء حوار حقيقي مع الغرب وتتمثل تأثير الحضارة الأوروبية دون أن تجعلها تهيمن عليها.

في آب ١٩٢٠ أصدرت منشورات الهلال القاهرية مجموعة تضم ٣١ مقالة لجبران كانت قد ظهرت في صحف مختلفة ناطقة بالعربية. حملت «العواصف» على عيوب الشرقيين ـ تعلقهم بالماضي بالتقاليد القديمة ـ رافضة حالة خنوع المضطهدين وضعفهم داعيةً إياهم إلى الطموح والرفعة.

بعد أسابيع لاحقة نشر جبران كتابه الثاني بالإنكليزية «السابق» الذي زينه بخمسة من رسومه. وقد جاء على شكل أمثال وحكايات صغيرة مفعمة بالحكمة والتصوف وكان بمثابة تهيئة لكتاب جبران الأهم «النبي».

سنة ١٩٢٣ نشر كتاب جبران باللغة الإنكليزية وطبع ست مرات قبل نهاية ذلك العام ثم ترجم فورا إلى عدد من اللغات الأجنبية ويحظى إلى اليوم بشهرة قل نظيرها بين الكتب.

في هذه الأثناء حينما كان يعمل بمثابرة على مخطوطة «النبي» ساءت صحته ولم يداوها الفرار إلى الطبيعة برفقة الأصدقاء. آثر البقاء في بوسطن قرب شقيقته «ماريانا» ولم يعد يطمح إلا إلى إنهاء مخطوطته والعودة إلى مسقط رأسه غير أن أمنية العودة اصطدمت بمشكلة كبيرة: ملاحقة دائني والده القضائية لاسترجاع ديونهم ممن تبقى من أفراد الأسرة جبران وماريانا.

رائعة جبران الكبيرة .. النبي

سنة ١٩٢٣ ظهرت إحدى روائع جبران وهي رائعة (النبي) ففي عام ١٩٩٦ بيعت من هذا الكتاب الرائع في الولايات المتحدة وحدها تسعة ملايين نسخة. وما فتئ هذا العمل الذي ترجم إلى أكثر من أربعين لغة يأخذ بمجامع قلوب شريحة واسعة جداً من الناس. وفي الستينيات كانت الحركات الطلابية والهيبية قد تبنت هذا المؤلف الذي يعلن بلا مواربة: «أولادكم ليسوا أولاداً لكم إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها...». وفي خطبة شهرية له كرر «جون فيتزجرالد كندي» سؤال جبران: «هل أنت سياسي يسأل نفسه ماذا يمكن أن يفعله بلده له [...]. أم أنك ذاك السياسي الهمام والمتحمس [...] الذي يسأل نفسه ماذا يمكن أن يفعله من أجل بلده؟».

حمل جبران بذور هذا الكتاب في كيانه منذ طفولته. وكان قد غير عنوانه أربع مرات قبل أن يبدأ بكتابته. وفي تشرين الثاني ١٩١٨ كتب إلى «مي زيادة» يقول «هذا الكتاب فكرت بكتابته منذ ألف عام..». ومن عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٣ كرس جبران جل وقته لهذا العمل الذي اعتبره حياته و«ولادته الثانية». وساعدته «ميري» في التصحيحات إلى أن وجد عام ١٩٢٣ أن عمله قد اكتمل فدفعه إلى النشر ليظهر في أيلول نفس العام.

«النبي» كتاب شبيه بالكتاب المقدس وبالأناجيل من حيث أسلوبه وبنيته ونغمية جمله وهو غني بالصور التلميحية والأمثال والجمل الاستفهامية الحاضة على تأكيد الفكرة نفسها «من يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله وعقيدته عن مهنته؟» «أو ليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟».

أمكن أيضاً إيجاد تشابه بين «النبي» و«هكذا تكلم زرادشت» لنيتشه. من المؤكد أن جبران قرأ كتاب المفكر الألماني وثمّنه. اختار كلاهما حكيماً ليكون لسان حاله. الموضوعات التي تطرقا إليها في كتابيهما متشابهة أحياناً: الزواج والأبناء والصداقة والحرية والموت... . كما نعثر على بعض الصور نفسها في العملين كالقوس والسهم والتائه . ....مع ذلك ففي حين تتسم الكتابة النيتشوية برمزية شديدة وفصاحة تفخيمية تمتاز كتابة «النبي» بالبساطة والجلاء وبنفحة شرقية لا يداخلها ضعف. ونيتشه أقرب بكثير إلى التحليل الفلسفي من جبران الذي يؤثر قول الأشياء ببساطة.

«النبي» هو كتاب في التفاؤل والأمل. وبطريقة شاعرية وأسلوب سلس يقدم لنا جبران فيه برسالة روحية تدعونا إلى تفتح الذات و«إلى ظمأ أعمق للحياة».

ماذا يقول لنا جبران في «النبي» على لسان حكيمه ؟. عندما طلبت منه المطرة المرأة العرافة خطبة في المحبة قال: «المحبة لا تعطي إلا نفسها ولا تأخذ إلا من نفسها. المحبة لا تملك شيئاً ولا تريد أن يملكها أحد لأن المحبة مكتفية بالمحبة». ولما طلبت رأيه في الزواج أجاب: «قد ولدتم معاً وستظلون معاً إلى الأبد. وستكونون معاً عندما تبدد أيامكم أجنحة الموت البيضاء.. أحبوا بعضكم بعضاً ولكن لا تقيدوا المحبة بالقيود ..قفوا معاً ولكن لا يقرب أحدكم من الآخر كثيراً: لأن عمودي الهيكل يقفان منفصلين والسنديانة والسروة لا تنمو الواحدة منهما في ظل رفيقتها». وفي الأبناء يقول :« أولادكم ليسوا أولاداً لكم. إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها بكم يأتون إلى العالم ولكن ليس منكم. ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم». وفي العمل :«قد طالما أُخبرتم أن العمل لعنة والشغل نكبة ومصيبة. أما أنا فأقول لكم إنكم بالعمل تحققون جزءاً من حلم الأرض البعيد

جزءاً خصص لكم عند ميلاد ذلك الحلم. فإذا واظبتم على العمل النافع تفتحون قلوبكم بالحقيقة لمحبة الحياة. لأن من أحب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة أعماقها وتدنيه من أبعد أسرارها».......

في عام ١٩٣١ كتب جبران بخصوص «النبي»: «شغل هذا الكتاب الصغير كل حياتي. كنت أريد أن أتأكد بشكل مطلق من أن كل كلمة كانت حقاً أفضل ما أستطيع تقديمه». لم تذهب جهوده عبثاً: بعد سبعين سنة على وفاته ما يزال يتداوله ملايين القراء في أنحاء العالم.

بقي جبران على علاقة وطيدة مع ماري هاسكال فيما كان يراسل أيضا الأديبة مي زيادة التي أرسلت له عام ١٩١٢ رسالة معربة عن إعجابها بكتابه « الأجنحة المتكسرة». وقد دامت مراسلتهما حتى وفاته رغم انهما لم يلتقيا أبدا.

■ ■ ■



رحيل جبران إلى الآخرة

كانت صحة جبران قد بدأت تزداد سوءاً. وفي ٩ نيسان وجدته البوابة يحتضر فتوفي جبران في ١٠ نيسان ١٩٣١ في إحدى مستشفيات نيويورك وهو في الثامنة والأربعين بعد أصابته بمرض السرطان فنقل بعد ثلاثة أيام إلى مثواه الأخير في مقبرة «مونت بنيديكت» إلى جوار أمه وشقيقته وأخيه غير الشقيق. ونظمت فوراً مآتم في نيويورك وبيونس آيرس وساوباولو حيث توجد جاليات لبنانية هامة. وبعد موافقة شقيقته «ماريانا» تقرر نقل جثمان جبران في ٢٣ تموز إلى مسقط رأسه في لبنان. واستقبلته في بيروت جموع كبيرة من الناس يتقدمها وفد رسمي. وبعد احتفال قصير حضره رئيس الدولة نقل إلى بشري التي ووري فيها الثرى على أصوات أجراس الكنائس. وإلى جوار قبره نقشت هذه العبارة: «كلمة أريد رؤيتها مكتوبة على قبري: أنا حي مثلكم وأنا الآن إلى جانبكم. أغمضوا عيونكم انظروا حولكم وستروني....». عملت شقيقته على مفاوضة الراهبات الكرمليات واشترتا منها دير مار سركيس الذي نقل إليه جثمان جبران وما يزال إلى الآن متحفا ومقصدا للزائرين.

■ ■ ■

بالحبر الأحمر السري

وقائع غرام مي وجبران

يعتبر جبران خليل جبران من الأدباء الذين أثروا فن المراسله عند العرب بما تركه من رسائل لفتت نظر الباحثين وأثارت فضولهم فولجوا عبرها إلى عالم جبران المليء بالرموز والأسرار .. لقد فتح جبران فتحاً جديداً ورائعاً في دنيا الأدب العربي عندما تحول عن التأليف بالعربيه ألى التأليف بالأنجليزيه.. حتى لمع أسمه في كثير من الدول الأجنبية .

وفي هذا الموضوع أود أن أسلّط الضوء على الحب الذي نشأ بين جبران ومي زياده حب فريد لامثيل له في تاريخ الأدب أو في سير العشاق مثال للحب النادر المتجرد عن كل ماهو مادي وسطحي .

لقد دامت تلك العاطفه بينهما زهاء عشرين عاماً دون أن يلتقيا إلاّ في عالم الفكر والروح والخيال الضبابي إذ كان جبران في مغارب الأرض مقيماً وكانت مي في مشارقها كا ن في أمريكا وكانت في القاهره. لم يكن حب جبران وليد نظره فابتسامه فسلام فكلام بل كان حباً نشأ ونما عبر مراسله أدبيه طريفه ومساجلات فكريه وروحيه ألفت بين قلبين وحيدين وروحين مغتربين .ومع ذلك كانا أقرب قريبين وأشغف حبيبين .

كان طبيعياً جداً أن يتعارف بطلا هذا الحب عن طريق الفكر والنشر في أوائل هذا القرن بعد ان أصاب كل منهما شهره كبيره .. كانت مي معجبه بمقالات جبران وافكاره فبدأت بمراسلته عقب أطلاعها على قصته (الأجنحه المتكسره) التي نشرها في المهجر عام ١٩١٢م كتبت له تعرب عن أعجابها بفكره وأسلوبه

وتناقش آراءه في الزواج وقيوده والحب وأطواره حسب رؤيته في هذه القصه التي قرأتها له .

وتعرض عليه رأيها في وجهة نظره في حرية المرأه التي طالب بها والتي اتفقت معه في أمر وعارضته في جانب آخر حيث قالت « لايصح لكل امرأة لم تجد في الزواج السعادة التي حلمت بها أن تبحث عن صديق غير زوجها فلا بد أن تتقيد المرأة بواجبات الشراكة الزوجية تقيداً تام حتى لو هي سلاسل ثقيله فلو توصل الفكر الى كسر قيود الأصطلاحات والتقاليد فلن يتوصل إلى كسر القيود الطبيعه لأن أحكام الطبيعية فوق كل شيء وهذه تعتبر خيانة ولوفي مظهرها طاهر وتخون الهيئة الاجتماعية التي هي عضو عامل فيها .

ومن هنا كانت البداية ومن ثم تواصل بالرسائل التي كان كل منهما يبحث عن روح الآخر في يقظته وأحلامه كان كل منهما يسعى لرؤية ذاته في روح صاحبه حتى لكأن تلك الروح هي المرآة التي ينعكس على صفحتها نور الأخر ... وكلما قرأنا هذه الرسائل النابضة بالحياة الناضحة بالصدق كلما أزددنا يقيناً بأن الحب الذي شد جبران الى مي وشغف مي بجبران حب عظيم بل عشق يكاد يكون صوفياً لأنه تخطى حدود الزمان والمكان والحواس الى عالم تتحد فيه قوة الوجود ..

ويتضح لنا لدى التأمل في بعض الرسائل برغم ضياع بعضها أن الصله بين جبران ومي توثقت شيئاً فشيئاً لأن لهجته في مخاطبتها تدرّجت من التحفظ الى التودد ومن الأعجاب إلى صداقه حميمه ومن ثمَ إلى حب عام ١٩١٩م ما أن بلغ ذروته حتى عكرت صفوه سلسله من الخلافات بينهما التي عبّر عنها جبران مرةً « هي معاكسات التي تحوّل عسل القلب إلى مراره » وقال« ان الغريب حقاً في هذه الصله تأرجحها بين الحب الجامح والفتور بين التفاهم التام الذي كان يضفي

عليهما شفافيه روحيه تغمرهما بالسعاده وبين سوء التفاهم الذي كان يؤلمهما ويؤدي الى القطيعه احياناً «ولكن شدة ولع كل منهما الآخر كانت تدفعهما للتصالح مجدداً.. وبرغم كل هذا الحب كان كل منهما يخشى التصريح بعواطفه فيلجأ جبران للتلميح ويرمز إليها ويضع عبارات وصور مبتكره وجميله .. فلم ينادي مي قط بقوله حبيبتي» ولم يخاطبها باللغه المألوفه للعشاق غير أنه عبّر عن حبه بما هو أبلغ عندما قال أنت تحيين فيّ وانا أحيا فيكِ ووصف علاقته بها « بأنها أصلب وأبقى بما لايقاس من الروابط الدمويه والأخلاقيه »وبعد أن باح لها رجاها ان تطعم النار رسالته اذا لم تجد لبوحه الصدى المرجوا في نفسها..

كانت مي في حياة جبران الصديقه والحبيبه الملهمه وصلة الوصل بينه وبين وطنه وأكثر ما رّغَّبه فيها هو عقلها النيّر الذى تجلى في مقالاتها وكتبها وأحب فيها حبها له .. واعجابها بشخصيته وانتاجه الأدبي والفني الذي كانت تتناوله بالتقريظ والنقد في مقالاتها في مصر .

وعلى الرغم من كل ماكُتب عن علاقات جبران الغراميه من النساء أمثال « ماري هاسكل » و«ميشلين » فإن حبه لمي كان الحب الوحيد الذي ملك قلبه وخياله ورافقه حتى نهاية حياته فقد كان حبه لها معادلاً حبه العارم لوطنه لبنان ..ولروحانية الشرق وبالدم العربي الذي يجري في عروقه وهذا مما تؤكده رسائل الشعله الزرقاء التي هي جوهر النفس الأنسانيه في أسمى صفائها ويميل المحللون للأعتقاد بأنه لم يكن يفكر في الزواج لاعتلال في صحته منذ شبابه ولا ريب ان مي احبت جبران حباً جعل المقارنه بينه وبين الذين خطبوا ودّها أمراً مستحيلاً برغم تردد مي في الأعراب عن مشاعرها وخشيتها في الأنطلاق على سجيتها في مراسلته وذلك بسبب ان جبران كان يعيش في عالم متطور تحررت نساؤه من التقاليد وحيث

أن مي كانت مغلولة القلب والقلم بتأثير البيئه التي عاشت فيها .. وبرغم انها جعلت من بيتها صالوناً أدبياً يلتقي فيه كل ثلاثاء رجال الأدب والفكر امثال احمد لطفي السيد وخليل مطران وطه حسين وعباس محمود العقاد وغيرهم من الأدباء والمفكرين .

لقد تمنى جبران أن تتحرر مي من عقدها النفسيه وشكوكها ! مي عانت صراعاً نفسياً حاداً في حبها لجبران سبّب لها الشقاء ولجبران العذاب والأرهاق وحين تجاوزت الخامسه والثلاثين من العمر لملمت كل شجاعتها وكتبت أجمل رسالة حب لجبران .. فماذا كتب كل منهما للآخر من شوق وجنون وعشق ؟

■ ■ ■

نصوص رسائل جبران خليل جبران لمي زيادة

■ نيويورك ٢ كانون الثاني

حضرة الأديبة الفاضلة.

قد فكرت بأمور كثيرة في تلك الشهور الخرساء التي مرت بدون خطاب ولا جواب ولكنه لم يخطر على بالي كونك «شريرة» أما الآن وقد صرّحت لي بوجود الشر في روحك فلا يجمل بي سوى تصديقك فأنا أصدق وأثق بكل كلمة تقولينها لي ! أنت بالطبع تفتخرين بقولك – أنا شريرة – ويحق لك الافتخار لأن الشر قوة تضارع الخير بعزمها وتأثيرها . ولكن اسمحي لي أن أقول لك مصرحاً بأنك مهما تماديت بالشر فلا تبلغين نصف ما بلغته فأنا شرير كالأشباح الساكنة في كهوف الجحيم بل أنا شرير كالروح السوداء التي تحرس أبواب الجحيم ! وأنت بالطبع ستصدقين كلامي هذا .

غير أنني للآن لم أفهم الأسباب الحقيقية التي دعتك إلى استخدام الشر ضدي فهلا تكرمت بافهامي ؟ قد أجبت على كل رسالة تكرمت بها عليّ واسترسلت متعمقاً بمعاني كل لفظة تعطفت بهمسها في أذني فهل هناك أمر آخر كان يجب عليّ أن أفعله ؟ أو لم تبدعي لي من « لا شيء» ذنباً لتبيني لي مقدرتك على الاقتصاص ؟ لقد فلحت وأحسنت البيان أما أنا فقد آمنت باقنومك الجديد الكلي المطلق الجامع بين أسياف « كالي» ربة الهند وسهام « ديانا» معبودة الأغريق.

والآن وقد فهم كل منا ما في روح الآخر من الشر والميل إلى الاقتصاص فلنعد إلى متابعة الحديث الذي ابتدأنا به منذ عامين . كيف أنت وكيف حالك ؟ هل أنت بصحة وعافية (كما يقول سكان لبنان) ؟ هل خلعت ذراعاً ثانية في الصيف الماضي

أم منعتك والدتك من ركوب الخيل فعدت إلى مصر صحيحة الذراعين ؟ أما أنا فصحتي أشبه شيء بحديث السكران وقد صرفت الصيف والخريف متنقلاً بين أعالي الجبال وشواطئ البحر ثم عدت إلى نيويورك أصفر الوجه نحيل الجسم لمتابعة الأعمال ومصارعة الأحلام – تلك الأحلام الغريبة التي تصعد بي إلى قمة الجبل ثم تهبط بي إلى أعماق الوادي.

وقد سررت باستحسانك مجلة الفنون فهي أفضل ما ظهر من نوعها في العالم العربي أما صاحبها فهو فتى عذب النفس دقيق الفكر وله كتابات لطيفة وقصائد مبتكرة ينشرها تحت اسم « ليف» ومما يستدعي الإعجاب بهذا الشاب هو أنه لم يترك شيئاً مما كتبه الافرنج إلا وعرفه حق المعرفة . أما صديقنا أمين الريحاني فقد ابتدأ بنشر رواية جديدة طويلة في مجلة فنون وقد قرأ لي أكثر فصولها فوجدتها جميلة للغاية ولقد أخبرت صاحب الفنون بأنك سوف تبعثين إليّ بمقالة ففرح وبات يترقب.

بكل أسف أقول إنني لا أحسن الضرب على آلة من آلات الطرب ولكنني أحب الموسيقى محبتي الحياة ولي ولع خاص بدرس قواعدها ومبانيها والتعمق بتاريخ نشأتها وارتقائها فان ابقتني الأيام سأكتب رسالة طويلة في الدوائر العربية والفارسية وكيفية ظهورها وتدرجها وتناسخها.

ولي ميل للموسقى الغربية يضارع ميلي للأنغام الشرقية فلا يمر أسبوع إلا وأذهب مرة أو مرتين إلى الأوبرا غير أني أفضل من البيان الموسيقي الأفرنجي تلك المعروفة بالسنفوني والسوناتا والكنتاتا على الأوبرا والسبب في ذلك خلوّ الأوبرا من البساطة الفنية التي تناسب أخلاقي وتتمايل مع أميالي . واسمحي لي الآن أن أغبط يدك على عودك وعودك على يدك وأرجوك أن تذكري اسمي مشفوعاً باستحساني

كلما ضربت نغم النهوند على الأوتار فهو نغم أحبه ولي رأي فيه يشابه رأي « كارليل في النبي محمد ». (كارلايل : أديب ومؤرخ انكليزي درس بعضا من العربية في جامعة كمبردج سنة ١٧٩٥ وكتب عن النبي محمد فصلا ضمنه إعجابه بشخصيته البطولية في مؤلفه « الأبطال عبادة الأبطال والبطولة في التاريخ» .

وهلا تكرمت بذكري أمام هيبة أبي الهول ؟ عندما كنت في مصر كنت أذهب مرتين في الأسبوع واصرف الساعات الطوال جالساً على الرمال الذهبية محدقاً بالأهرام وكنت في ذلك العهد صبياً في الثامنة عشرة ذا نفس ترتعش أمام المظاهر الفنية ارتعاش الأعشاب أمام العاصفة أما أبو الهول فكان يبتسم لي ويملأ قلبي بحزن عذب وندبات مستحبة.

أنا معجب مثلك بالدكتور شميل فهو واحد من القليلين الذين انبتهم لبنان ليقوموا بالنهضة الحديثة في الشرق الأدنى وعندي أن الشرقيين يحتاجون إلى أمثال الدكتور شميل حاجة ماسة كرد فعل للتأثير الذي أوجده الصوفيون والمتعبدون في القطرين مصر وسوريا.

هل قرأت الكتاب الفرنساوي الذي وضعه خير الله افندي خير الله ؟ أنا لم أره بعد وقد أخبرني صديق أن في الكتاب فصل عنك وفصل آخر عني فإذا كان لديك نسختان تكرمي بإرسال نسخة منهما إليّ وأجرك على الله.

ها قد انتصف الليل فليسعد الله مساءك ويبقيك للمخلص

جبران خليل جبران

■ نيويورك ٢٤ كانون الثاني ١٩١٩

حضرة الأديبة الفاضلة الآنسة ماري زيادة المحترمة.

سلام على روحك الطيبة الجميلة . وبعد فقد استلمت اليوم أعداد المقتطف التي تفضلت بإرسالها إليّ فقرأت مقالاتك الواحدة أثر الأخرى وأنا بين السرور العميق والإعجاب الشديد .

ولقد وجدت في مقالاتك سرباً من تلك الميول والمنازع التي طالما حامت حول فكرتي وتتبعت أحلامي ولكن هناك مبادئ ونظريات أخرى وددت لو كان بامكاننا البحث فيها شفاها . فلو كنت الساعة في القاهرة لاستعطفتك لتسمحي لي بزيارتك فنتحدث مليا في » أرواح الأمكنة » وفي « العقل والقلب » وفي بعض مظاهر « هنري برغسن» (هنري برغسن فيلسوف فرنسي حاز على جائزة نوبل عام ١٩٢٧ وهو صاحب نظرية الروحانية ضد هجمات المذاهب المادية . من مؤلفاته « المادية والذاكرة» و « التطور والأخلاق» .) غير أن القاهرة في مشارق الأرض ونيويورك في مغاربها وليس من سبيل إلى الحديث الذي أوده وأتمناه.

إن مقالاتك هذه تبين سحر مواهبك وغزارة إطلاعك وملاحة ذوقك في الانتقاء والانتخاب وعلاوة على ذلك فهي تبين بصورة جلية اختباراتك النفسية الخاصة – وعندي أ الاختبار أو الاقتناع النفسي يفوق كل علم وكل عمل – وهذا ما يجعل مباحثك من أفضل ما جاء من نوعها في اللغة العربية.

ولكن لي سؤال استأذنك بطرحه لديك وهو هذا : ألا يجيء يوم يا ترى تنصر فيه مواهبك السامية من البحث في مآتي الأيام إلى إظهار أسرار نفسك واختباراتها الخاصة ومخبآتها النبيلة ؟ أفليس الابتداع أبقى من البحث في المبدعين ؟ ألا ترين أن نظم قصيدة أو نثرها أفضل من رسالة في الشعر و الشعراء ؟ إني كواحد من

المعجبين بك أفضل أن اقرأ لك قصيدة في ابتسامة أبي الهول مثلا من أن أقرأ لك رسالة في تاريخ الفنون المصرية وكيفية تدرجها من عهد إلى عهد ومن دولة إلى دولة لأن بنظمك قصيدة في ابتسامة أبي الهول تهبيني شيئاً نفسياً ذاتياً أما بكتابتك رسالة في تاريخ الفنون المصرية فانك تدلينني على شيء عمومي عقلي . وكلامي هذا لا ينفي كونك تستطيعين اظهار اختباراتك النفسية الذاتية في كتابة تاريخ الفنون المصرية بيد أني أشعر بأن الفن – والفن اظهار ما يطوف ويتمايل ويتجوهر في داخل الروح– هو أحرى وأخلق بمواهبك النادرة من البحث – والبحث اظهار ما يطوف ويتمايل ويتجوهر في الاجتماع . ليس ما تقدم سوى شكل من الاستعطاف باسم الفن.

فأنا استعطفك لأني أريد أن استميلك إلى تلك الحقول السحرية حيث سافو (شاعرة اغريقية ولدت في مدينة ليزبوس في أوائل القرن السادس قبل الميلاد لها تسع دواوين من الشعر الغنائي والاناشيد لم يصلنا منها سوى بضع قصائد) وايليزبيت براوننغ) شاعرة بريطانية مبدعة تمتاز قصائدها بالعمق والرقة والنزعة الصوفية . وهي زوج الشاعر الانكليزي روبيرت براوننغ الذي أحبها من خلال قصائدها قبل أن يتعرف إليها ثم زارها في بيتها فأحبته حباً عارماً جعلها تتغلب على مرض عضال كان قد أقعدها (. وأليس شراينر (كاتبة انكليزية دعت في مؤلفاتها إلى تحرير النساء) وغيرهن من أخواتك اللواتي بنين سلّما من الذهب والعاج بين الأرض والسماء.

أرجوك أن تثقي بإعجابي وأن تتفضلي بقبول احترامي الفائق والله يحفظك للمخلص.

جبران خليل جبران

■ نيويورك في ٧ شباط ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي.

لقد أعادت رسالتك إلى نفسي ذكرى ألف ربيع وألف خريف وأوقفتني ثانية أمام تلك الأشباح التي كنا نبتدعها ونسيرها موكباً إثر موكب . تلك الأشباح التي ما ثار البركان (يقصد بذلك الحرب العالمية الأولى) في أوربا حتى انزوت محتجبة بالسكوت – وما أعمق ذلك السكوت وما أطوله.

هل تعلمين يا صديقتي أنني كنت أجد في حديثنا المتقطع التعزية والأنس والطمأنينة وهل تعلمين بأنني كنت أقول لذاتي هناك في مشارق الأرض صبية ليست كالصبايا قد دخلت الهيكل قبل ولادتها ووقفت في قدس الأقداس فعرفت السر العلوي الذي تخفره جبابرة الصباح ثم اتخذت بلادي بلاداً لها وقومي قوماً لها هل تعلمين بأنني كنت أهمس هذه الأنشودة في إذن خيالي كلما وردت عليّ رسالة منك ؟ لو علمت لما انقطعت عن الكتابة إليّ– وربما علمت فانقطعت وهذا لا يخلو من أصالة الرأي والحكمة.

أما مقالة أبي الهول فالسماء تعلم بأنني لم أطلبها منك إلا بعد إلحاح مستمر من صاحب مجلة الفنون – سامحه الله . فان من طبعي استهجان اقتراح المواضيع على الأدباء خصوصاً تلك الفئة القليلة التي لا تدون إلا ما توحيه الحياة إليها – وأنت من تلك الفئة القليلة – وفوق ذلك فأنا أعلم أن الفن يطلب ولا يطلب منه وأن في نفس اقتراح المواضيع شيئاً مانعاً عن الإجادة فيها فلو كتبت إلي في ذلك الزمن قائلة « لا ميل لي الآن إلى كتابة مقالة في أبي الهول » لقلت مترنماً:

«لتعش ميّ طويلا فهي ذات مزاج فني لا غش فيه » الخلاصة أنني سأسبقك في كتابة مقالة في ابتسامة أبي الهول ! وبعد ذلك سأنظم قصيدة في ابتسامة ميّ ولو كان

لدي صورتها مبتسمة لفعلت اليوم ولكن عليّ أن أزور مصر لأرى ميّ وابتسامتها. وماذا عسى أن يقول الكاتب في ابتسامة المرأة؟ أفلم يقل ليونردو دافنشي آخر كلمة في الموضع عندما انتهى من صورة « لا جوغندا » ؟ ولكن أليس في ابتسامة الصبية اللبنانية سر لا يستطيع ادراكه واعلانه غير اللبناني أم هي المرأة لبنانية كانت أم إيطالية تبتسم لتخفي أسرار الأبدية وراء ذلك النقاب الرقيق الذي تحوكه الشفاه.

والمجنون «أول مؤلفات جبران باللغة الانكليزية» وماذا يا ترى أقول لك عن المجنون ؟ أنت تقولين أن فيه ما يدل على « القسوة» بل وعلى » الكهوف المظلمة» . وأنا الآن لم أسمع مثل هذا الانتقاد مع انني قرأت الكثير مما نشرته جرائد ومجلات اماركا وانكلترا في هذا الكتاب الصغير . والغريب أن أكثر الأدباء الغربيين قد استحسنوا القطعتين My Minds: و The Sleep Walkers مقالتان لجبران عقلي والسائرون في نومهم واستشهدوا بهما أو ذكروهما بصورة خاصة . أما أنت يا صديقتي فقد وجدت فيهما القسوة – وماذا ينفع الانسان إذا ربح استحسان العالم وخسر استحسان ميّ ؟ وقد يكون ارتياح هؤلاء الغربيين إلى المجنون واخيلته ناتجاً عن مللهم أخيلة نفوسهم وعن ميلهم الطبيعي إلى الغريب والغير مألوف خصوصاً إذا كان شرقي المظاهر . أما تلك الأمثال والقصائد المنثورة التي نشرت في الفنون فقد ترجمها عن الأصل الانكليزي أديب محبته لي أوسع قليلا من معرفته بدقائق البيان الانكليزي .

ولقد رسمت بالحبر الأحمر دائرة حول لفظة » اشمئزاز» التي جاءت في كلامك عن المجنون فعلت ذلك لعلمي بأنك إذا وضعت كلمات

The Sleep Walkers بين شفاه الأمس والغد بدلا من وضعها على لسان أم وابنتها لأبدلت لفظة الاشمئزاز بلفظة أخرى – أليس كذلك ؟.

وماذا أقول عن كهوف روحي ؟ تلك الكهوف التي تخيفك – اني التجىء إليها عندما أتعب من سبل الناس الواسعة وحقولهم المزهرة وغاباتهم المتعرشة. إني أدخل كهوف روحي عندما لا أجد مكاناً آخر أسند إليه رأسي ولو كان لبعض من أحبهم الشجاعة لدخول تلك الكهوف لما وجدوا فيها سوى رجل راكع على ركبتيه وهو يصلي.

أما استحسانك الرسوم الثلاثة في المجنون فقد سرني ودلني على وجود عين ثالثة بين عينيك وقد طالما عرفت أن وراء أذنيك آذان خفية تسمع تلك الأصوات الدقيقة الشبيهة بالسكوت – تلك الأصوات التي لا تحدثها الشفاه والألسنة بل ما وراء الألسنة والشفاه من الوحدة العذبة والألم المفرح والشوق إلى ذلك العالم البعيد الغير معروف.

وأنت تسألين ما إذا كنت أريد أن يفهمني أحد بعد قولي:

For those who understand us enslave something in us

«لأن الذين يدركون خبايا نفوسنا يأسرون شيئا منها»

لا لا أريد أن يفهمني بشري إذا كان فهمه إياي ضرباً من العبودية المعنوية . وما أكثر الذين يتوهمون أنهم يفهموننا لأنهم وجدوا في بعض مظاهرنا شيئاً شبيهاً بما اختبروه مرة في حياتهم . وليتهم يكتفون بادعائهم ادراك أسرارنا – تلك الأسرار التي نحن ذواتنا لا ندركها – ولكنهم يصموننا بعلامات وأرقام ثم يضعوننا على رف من رفوف أفكارهم واعتقاداتهم مثلما يفعل الصيدلي بقناني الأدوية والمساحيق ! أوليس ذلك الأديب الذي يقول بأنك تقليدينني في بعض كتاباتك من هؤلاء البشر الذين يدعون فهمنا ومعرفة خفايانا؟ وهل تستطيعين اقناعه بأن الاستقلال هو محجة الأرواح وإن أشجار السنديان والصفصاف لا تنمو في ظلال بعضها البعض ؟

ها قد بلغت هذا الحد من رسالتي ولم أقل كلمة واحدة مما قصدت أن أقوله عندما ابتدأت . ولكن من يا ترى يقدر أن يحول الضباب اللطيف إلى تماثيل وانصاب ؟ ولكن الصبية اللبنانية التي تسمع ما وراء الأصوات سترى في الضباب الصور والأشباح.

والسلام على روحك الجميلة ووجدانك النبيل وقلبك الكبير والله يحرسك.

المخلص

جبران خليل جبران

■■■

■ نيويورك ١١ حزيران ١٩١٩

عزيزتي الآنسة ميّ.

رجعت اليوم من سفره مستطيلة إلى البرية فوجدت رسائلك الثلاث والمقال الجميل الذي تفضلت بنشره في جريدة المحروسة . ولقد علمت من خادمي أن هذه الرسائل بل هذه الثروة الجليلة قد وصلت معاً منذ أربعة أيام . الظاهر أن البريد المصري قد توقف عن اصدار الرسائل من القطر مثلما حجز الرسائل الواردة إليه.

ولقد انصرفت عن كل ما وجدته بانتظاري في هذا المكتب لأصرف نهاري مصغياً إلى حديثك الذي يتمايل بين العذوبة والتعنيف – أقول التعنيف لأنني وجدت في رسالتك الثانية بعض الملاحظات التي لو سمحت لنفسي الفرحة أن تتألم لتألمت منها . ولكن كيف اسمح لنفسي النظر إلى شبه سحابة في سماء صافية مرصعة بالنجوم ؟ وكيف أحول عيني عن شجرة مزهرة إلى ظلّ من أغصانها ؟ وكيف لا أقبل وخزة صغيرة من يد عطرة مفعمة بالجواهر ؟

إن حديثنا الذي أنقذناه من سكوت خمسة أعوام لا ولن يتحول إلى عتاب أو مناظرة فأنا أقبل بكل ما تقولينه لاعتقادي بأنه يجمل بنا وسبعة آلاف ميل تفصلنا ألا نضيف فتراً واحداً إلى هذه المسافة الشاسعة بل أن نحاول تقصيرها بما وضعه الله فينا من الميل إلى الجميل والشوق إلى المنبع والعطش إلى الخالد . يكفينا يا صديقتي ما في هذه الأيام وهذه الليالي من الأوجاع والتشويش والمتاعب والمصاعب . وعندي أن فكرة تستطيع الوقوف أمام المجرد المطلق لا تزعجها كلمة جاءت في كتاب أو ملاحظة أتت في رسالة. إذا فلنضع خلافاتنا وأكثرها لفظية – في صندوق من ذهب ولنرمي بها إلى بحر من الابتسامات.

ما أجمل رسائلك يا ميّ وما أشهاها فهي كنهر من الرحيق يتدفق من الأعالي

ويسير مترنماً في وادي أحلامي بل هي كقيثارة اورفيوس (شاعر وموسيقي تحدثت عنه أساطير اليونان سحر بأنغامه وحش الغاب وآلهة الجحيم .) تقرب البعيد وتبعد القريب وتحول بارتعاشاتها السحرية الحجارة إلى شعلات متقدة والأغصان اليابسة إلى أجنحة مضطربة . إن يوماً يجيئني منك برسالة واحدة لهو من الأيام بمقام القمة من الجبل فما عسى أن أقول في يوم يجيئني بثلاث رسائل ؟ ذلك يوم انتحى فيه عن سبل الزمن لأصرفه متجولا في إرم ذات العماد.

وبما أجيب على سؤالاتك ؟ وكيف أستطيع متابعة الحديث وفي النفس مالا يسيل مع الخبر ؟

ولكن لا بد من متابعة الحديث . فما بقي صامتاً ليس بالغير مفهوم لديك.

تقولين في رسالتك الأولى « لو كنت أنا في نيويورك لكنت زرت مكتبك الفني في هذه الأيام » أفلم تزوري مكتبي قط ؟ أليس رواء أثواب الذكرى الظاهرة جسد خفي للذكرى ؟ انما مكتبي هيكلي وصديقي ومتحفي وجنتي وجحيمي . هو غاب تنادي فيه الحياة الحياة وهو صحراء خالية أقف في وسطها فلا أرى سوى بحر من رمال وبحر من أثير . إن مكتبي يا صديقي هو منزل بدون جدران وبدون سقف.

ولكن في مكتبي هذا أشياء كثيرة أحبها وأحافظ عليها . أنا مولع بالآثار القديمة وفي زوايا هذا المكتب مجموعة صغيرة من طرائف الأجيال وبعض نفائسها كتماثيل وألواح مصرية ويونانية ورومانية وزجاج فينيقي وخزف فارسي وكتب قديمة العهد ورسوم ايطالية وفرنسية وآلات موسيقية تتكلم وهي صامتة . ولا بد من الحصول يوما ما على تمثال كلداني من الحجر الأسود . إني أميل بكليتي إلى كل شيء كلداني فأساطير هذا الشعب وشعره وصلواته وهندسته بل وأصغر أثر أبقاه الدهر من فنونه وصنائعه ينبّه في داخلي تذكارات غامضة بعيدة ويعود بي إلى الماضي الغابر

ويجعلني أرى الحاضر من نافذة المستقبل . أحب الآثار القديمة وأشغف بها لأنها من أثمار الفكرة البشرية السائرة بألف قدم من الظلام نحو النور – تلك الفكرة الخالدة التي تغوص بالفن إلى أعماق البحار وتصعد به إلى المجرة.

أما قولك « ما أسعدك أنت القانع بفنك » فقد جعلني أفتكر طويلاً لا يا ميّ لست بقانع ولا أنا بسعيد . في نفسي شيء لا يعرف القناعة ولكنه ليس كالطمع ولا يدري ما السعادة غير أنه لا يشابه التعاسة . في أعماقي خفقان دائم وألم مستمر ولكنني لا أريد ابدال هذا ولا تغيير ذاك – ومن كان هذا شأنه فهو لا يعرف السعادة ولا يدري ما هي القناعة ولكنه لا يشكو لأن في الشكوى ضرباً من الراحة وشكلاً من التفوق.

وهل أنت سعيدة وقانعة بمواهبك العظيمة ؟ أخبريني يا ميّ هل أنت قانعة وسعيدة ؟ أكاد أسمعك هامسة : « لا لست بقانعة ولا أنا بسعيد » إن القناعة هي الاكتفاء والاكتفاء محدود وأنت غير محدودة.

أما السعادة فهي أن يملأ المرء نفسه من خمرة الحياة ولكن من كان كأسه سبعة آلاف فرسخ بالطول و سبعة آلاف فرسخ بالعرض لا ولن يعرف السعادة حتى تنسكب الحياة بكاملها في كأسه . أفليس كأسك يا ميّ سبعة آلاف فرسخ وفرسخ ؟

وماذا أقول عن « جوي المعنوي؟» لقد كانت حياتي منذ عام أو عامين لا تخلو من الهدوء والسلامة أما اليوم فقد تبدل الهدوء بالضجيج والسلامة بالنزاع . إن البشر يلتهمون أيامي وليالِيّ ويغمرون أحلامي بمنازعهم ومراميهم فكم مرة هربت من هذه المدينة الهائمة إلى مكان قصيّ لأتخلص من الناس ومن أشباح نفسي أيضاً . إنما الشعب الأماركي جبار لا يكل ولا يمل ولا يتعب ولا ينام ولا يحلم فإذا بغض هذا الشعب رجلا قتله بالإهمال وإذا أحبه قتله بالانعطاف فمن شاء أن يحيى في

نيويورك عليه أن يكون سيفاً سنيناً ولكن في غمد من العسل : السيف لروع الراغبين في قتل الوقت والعسل لارضاء الجائعين!

وسوف يجيء يوم أهرب فيه إلى الشرق . إن شوقي إلى وطني يكاد يذيبني ولولا هذا القفص الذي حبكت قضبانه بيدي – لاعتليت متن أول سفينة سائرة شرقاً . ولكن أي رجل يستطيع أن يترك بناءً صرف عمره بنحت حجارته وصفّها ؟ حتى وإن كان ذلك البناء سجناً له فهو لا يقدر أو لا يريد أن يتخلص منه في يوم واحد.

سامحيني أيتها الصديقة العزيزة فقد أزعجتك بالكلام عن نفسي وبشكواي من أمور أدعى إلى الجهاد منها إلى التذمر.

إن استحسانك « المواكب» قد جعلها عزيزة لديّ . أما قولك بأنك ستستظهرين أبياتها فمنّة أحني أمامها رأسي غير أنني أشعر بأن حافظتك خليقة بقصائد أسمى وأبلغ وأنبل من كل ما جاء في المواكب بل ومن كل ما كتبته وأكتبه . وأما قولك في رسوم الكتاب « أنتم أهل الفن تبرزون هذه البدائع بقوى أثيرية احتفظتكم عليها ملوك الجوزاء فنأتي بغباوتنا أشقياء مظلومون ونحن بها أشقياء خاسرون » فكلام لا أقبله بل إني استميحك بالتمرد عليه و (ما أكثر تمردي) – أنت يا ميّ منا وفينا . بل وأنت بين بنات الفن وأبنائه كالوردة بين أوراقها . إن ما جاء في مقالتك التي نشرت في » المحروسة» عن رسوم المجنون لأكبر دليل على شعور فني عميق وفكرة خاصة دقيقة وبصيرة نفاذة ترى ما لا يراه غير القليل من الناس . ولست بمبالغ إذا قلت بأنك أول صبية شرقية مشت في غابة « الأخوات التسع » (إشارة إلى الآلهات التسع في الميثولوجيا الاغريقية المشرفات على الآداب والفنون وقد عرفن بأسماء عديدة في عصور التاريخ القديم .) بقدم ثانية ورأس مرفوع وملامح منفرجة كأنها في بيت أبيها . ألا فأخبريني كيف عرفت كل ما تعرفين وفي أي عالم جمعت خزائن نفسك وفي أي

عصر عاشت روحك قبل مجيئها إلى لبنان ؟ إن في النبوغ سراً أعمق من سر الحياة.

وأنت تريدين أن تسمعي ما يقوله الغربيون عني فألف شكر لك على هذه الغيرة وهذا الاهتمام القومي . لقد قالوا الشيء الكثير وكانوا مبالغين في أقوالهم متطرفين في ظنونهم متوهمين وجود الجمل في وكر الأرنب . ويعلم الله يا صديقتي بأنني ما قرأت شيئاً حسناً عني إلا ونحت في قلبي . إن الاستحسان نوع من المسؤولية يضعها الناس على عواتقنا فتجعلنا نشعر بضعفنا . ولكن لا بد من المسير حتى ولو قوّص الحمل الثقيل ظهورنا ولا بد من استنباط القوة من الضعف . أنا باعث إليك في غلاف آخر بشيء من أقوال الجرائد والمجلات وستعلمين منها أن الغربيين قد ملوا أشباح أرواحهم وضجروا من ذواتهم فأصبحوا يتمسكون بالغريب الغير مألوف خصوصاً إذا كان شرقياً . هكذا كان الشعب الأثيني بعد انقضاء عصره الذهبي . لقد بعثت منذ شهر أو أكثر بمجموعة من أقوال الصحف في المجنون إلى اميل زيدان (تولى رئاسة تحرير مجلة الهلال سنة ١٩١٤ التي أسسها والده الأديب العلامة جرجي زيدان .) وهو بالطبع من أصدقائك.

أحمد الله وأشكره على انقضاء الأزمة عندكم . ولقد كنت أقرأ أخبار تلك المظاهرات فأتخيلك هائبة فأهاب مضطربة فاضطرب . ولكنني كنت أردد في الحالين قول شكسبير:

Do not fear our person .There's such divinity doth hedge a king That treason can but peep to what it would Acts little of his will .

لا تخافي منا

فالملك تحيط به هالة من القداسة

وليس في مقدور الخيانة



أن تبلغ ما ترمي إليه

أو تحد من عزيمته

وأنت يا ميّ من المحروسين وفي نفسك مَلَكٌ يحميه الله من كل مكروه.

وتسألين ما اذا كان لكم من صديق في ربوعنا ؟

أي والحياة وما في الحياة من حلاوة جارحة ومرارة مقدسة إن لكم في ربوعنا صديقاً إرادته تدافع عنكم ونفسه ترغب في الخير لكم وابعاد السوء عنكم وتحميكم من كل أذى . وقد يكون الصديق الغائب أدنى وأقرب من الصديق الحاضر . أفليس الجبل أكثر هيبة وأشد وضوحاً وظهوراً لسائرٍ في السهل منه لساكنيه ؟

ها قد غمر المساء هذا المكتب بوشاحه فلم أعد أرى ما تخطه يدي . وألف تحية لك وألف سلام عليك والله يحفظك ويحرسك دائماً.

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

■ نيويورك ٢٥ تموز ١٩١٩

عزيزتي الآنسة ميّ

منذ كتبت إليك حتى الآن وأنتِ في خاطري . ولقد صرفت الساعات الطوال مفكراً بكِ مخاطباً إياكِ مستجوباً خفاياك مستقصياً أسرارك . والعجيب أنني شعرت مرات عديدة بوجود ذاتك الأثيرية في هذا المكتب ترقب حركاتي وتكلمني وتحاورني وتبدي رأيها في مآتيَّ وأعمالي.

أنت بالطبع تستغربين هذا الكلام وأنا أستغرب حاجتي واضطراري إلى كتابته إليك . وحبذا لو كان بامكاني معرفة ذلك السر الخفي الكائن وراء هذا الاضطراب وهذه الحاجة الماسة.

قد قلت لي مرةً « ألا إن بين العقول مساجلةً وبين الأفكار تبادلاً قد لا يتناوله الإدراك الحسي ولكن من ذا الذي يستطيع نفيه بتاتاً من بين أبناء الوطن الواحد ؟»

إن في هذه الفقرة الجميلة حقيقة أولية كنت فيما مضى أعرفها بالقياس العقلي أما الآن فإني أعرفها بالاختيار النفسي . ففي الآونة الأخيرة قد تحقق لي وجود رابطة معنوية دقيقة قوية غريبة تختلف بطبيعتها ومزاياها وتأثيرها عن كل رابطة أخرى فهي أشد وأصلب وأبقى بما لا يقاس من الروابط الدموية والجينية حتى والأخلاقية . وليس بين خيوط هذه الرابطة خيط واحد من غزل الأيام والليالي التي تمر بين المهد واللحد . وليس بين خيوطها خيط غزلته مقاصد الماضي أو رغائب الحاضر أو أماني المستقبل فقد تكون موجودة بين اثنين لم يجمعهما الماضي ولا يجمعهما الحاضر – وقد لا يجمعهما المستقبل.

وفي هذه الرابطة يا ميّ في هذه العاطفة النفسية في هذا التفاهم الخفي أحلام أغرب وأعجب من كل ما يتمايل في القلب البشري – أحلام طيّ أحلام طيّ أحلام.



وفي هذا التفاهم يا « ميّ» أغنية عميقة هادئة نسمعها في سكينة الليل فتنتقل بنا إلى ما وراء الليل إلى ما وراء النهار إلى ما وراء الزمن إلى ما وراء الأبدية.

وفي هذه العاطفة يا ميّ غصّات أليمة لا تزول ولكنها عزيزة لدينا ولو استطعنا لما أبدلناها بكل ما نعرفه ونتخيله من الملذات والأمجاد.

لقد حاولت في ما تقدم ابلاغك ما لا ولن يبلغك إياه إلا ما يشابهه في نفسك. فإن كنت قد أبنت سراً معروفاً لديك كنت من أولئك الذين قد حبتهم الحياة وأوقفتهم أمام العرش الأبيض. وإن كنت قد أبنت أمراً خاصاً بي وحدي فلكِ أن تطعمي النار هذه الرسالة.

استعطفك يا صديقتي أن تكتبي إليَّ واستعطفك أن تكتبي إليَّ بالروح المطلقة المجردة المجنحة التي تعلو فوق سبل البشر. أنت وأنا نعلم الشيء الكثير عن البشر وعن تلك الميول التي تقربهم إلى بعضهم البعض وتلك العوامل التي تبعد بعضهم عن البعض. فهلا تنحينا ولو ساعة واحدة عن تلك السبل المطروقة ووقفنا محدقين ولو مرة واحدة بما وراء الليل بما وراء النهار بما وراء الزمن بما وراء الأبدية ؟

والله يحفظك يا ميّ ويحرسك دائماً

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

■ نيويورك ٩ تشرين الثاني ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي

أنتِ حاقدة عليّ ناقمة عليّ ولك الحق ومعك الحق وما عليّ سوى الامتثال فهلا نسيت إثماً اقترفته وأنا بعيد عن عالم المقاييس والموازين ؟ هلا وضعت في « صندوق الذهب» ما لا يستحق الحفظ في الصندوق الأثيري ؟

إن ما يعرفه الحاضر يجهله الغائب وليس من العدالة أن تحسب جهل الغائب جريمة فالجرائم لا تكون الا في موضع الإدراك والمعرفة وأنا لا أريد أن أسكب سهواً قليلاً من الرصاص المذوب أو الماء الغالي على أصابع العارفين المدركين لعلمي أن الجريمة نفسها عقاب المجرمين وأن مصائب أكثر الناس في ما أسند إليهم من الأعمال.

لقد استأنست بذلك العنصر الشفاف الذي تتلاشى أمامه المسافة والحدود والحواجز والنفس المستوحشة لا تستأنس إلا بذلك العنصر ولا تستصرخ سواه ولا تستنجد غيره . وأنتِ — أنتِ التي تعيشين كثيراً في عالم المعنى تعلمين أن العنصر الشفاف فينا يتنحى عن جميع أعمالنا ويبتعد حتى وعن أجمل ميولنا البيانية وأنبل رغائبنا الفنية فهو وإن جاور الشاعرية فينا لا ينظم ذاته نشيداً غنائياً ولا يضع خفاياه في الخطوط والألوان . كل بشري يستطيع التكلف بمنازعه واللعب بمطامعه والمتاجرة بأفكاره ولكن ليس بين البشر من يستطيع التكلف بوحشته أو اللعب بألمه أو المتاجرة بجوعه وعطشه . ليس بين الناس من يقدر أن يحول أحلامه من صورة إلى صورة أو ينقل أسرار نفسه من مكان إلى مكان . وهل بإمكان الضعيف والصغير فينا أن يؤثر على القوي والعظيم فينا ؟ هل بإمكان الذات المقتبسة وهي من الأرض أن تحور وتغير الذات الوضعية وهي من السماء ؟ إن تلك

الشعلة الزرقاء تنير ولا تتغير وتحول ولا تتحول وتأمر ولا تأتمر . وهل تظنين حقيقةً وأنت أبعد الناس فكراً أن « التهكم الدقيق » ينبت في حقل يفلحه الألم وتزرعه الوحشة ويحصده الجوع والعطش ؟ هل تظنين أن «النكتة الفلسفية » تسير بجانب الميل إلى الحقيقة والرغبة في المجرد المطلق ؟ لا يا صديقتي أنت أرفع من الشك والارتياب . الشك يلازم الخائفين السلبيين والارتياب يلاحق من ليس لهم الثقة بنفوسهم أما أنت فقوية إيجابية ولكِ الثقة التامة بنفسك فهلا كنتِ مؤمنة بكل ما تضعه الأيام في راحتيك ؟ هلا حولتِ عينيكِ عن المظاهر الجميلة إلى الحقيقة الجميلة ؟

قد صرفت شهور الصيف في منزل منفرد منتصب كالحلم بين البحر والغاب فكنت كلما أضعت نفسي في الغاب أذهب إلى البحر فأجدها وكلما فقدتها بين الأمواج أعود إلى ظل الأشجار فألتقي بها . إن غابات هذه البلاد تختلف عن غابات الأرض كافةً فهي غضة كثيفة متعرشة تعود بالذكرى إلى الأزمنة الغابرة إلى البدء اذ كان الكلمة عند الله وكان الكلمة لله !

أما بحرنا فبحركم وذلك الصوت المجنح الذي تسمعونه على شواطئ مصر نسمعه نحن على هذه الشواطئ وذلك القرار الرهاوي الذي يملأ صدوركم بهيبة الحياة وهولها يملأ صدرنا بهول الحياة وهيبتها . لقد أصغيت إلى نغمة البحر في مشارق الأرض ومغاربها فكانت ولم تزل هي هي الأغنية الأزلية الأبدية التي تعلو وتهبط بالروح فتكسبها تارةً الحزن وطوراً الطمأنينة . لقد أصغيت إلى تلك النغمة حتى وعلى رمال الإسكندرية – نعم على رمال الإسكندرية – وكان ذلك في صيف ١٩٠٣ فسمعت اذ ذاك حديث الدهور من بحر المدنية القديمة مثلما سمعته بالأمس من بحر المدنية الحديثة ذلك الحديث الذي سمعته للمرة الأولى وأنا في الثامنة

فاحترت بأمري وألبست عليّ حياتي فأخذت أحارب بسؤالاتي الكثيرة صبر المرحومة أمي وجلدها ذلك الحديث الذي أسمعه اليوم فأطرح السؤالات ذاتها ولكن على الأم الكلية فتجيبني بغير الكلام وتفهمني أموراً كلما حاولت إظهارها للآخرين تحولت الألفاظ في فمي إلى سكوت عميق . أنا اليوم وقد صرت في (الثمانين؟؟؟؟) مثلما كنت وأنا في الثامنة أجلس على شط البحر وأنظر إلى أبعد نقطة من الأفق الأزرق وأسأل ألف سؤال وسؤال : «

ترى هل لنا من مجيب في ربوعكم ؟» ترى هل تتفتح الأبواب الدهرية ولو لدقيقة واحدة لنرى ما ورائها من الأسرار والخفايا ؟ أليس بامكانكم أن تقولوا لنا كلمة واحدة عن تلك الأنظمة السرية النافذة حولنا في الحياة قبل أن يضع الموت نقابه الأبيض على وجوهنا ؟« وأنت تسألين ما إذا كنت لا أستطيب الفائدة في التفكهة بلا اجهاد « إني أستطيب الفائدة أستطيبها إلى درجة قصوى ولكن بعد أن أترجم لفظها إلى لغتي الخاصة !!! أما الاجهاد فسلّم نصعد عليه لنبلغ العليّة . أنا بالطبع أفضل الصعود إلى عليتي طائراً ولكن الحياة لم تعلّم جانحيّ الرفرفة والطيران فماذا أفعل ؟ وأنا أفضل الحقيقة الخفية على الحقيقة الظاهرة وأفضل الحاسة الصامتة اكتفاءً واقتناعاً على الحاسة التي تحتاج إلى التفسير والتعليل . غير أنني وجدت أن السكوت العلوي يبتدئ دائما بكلمة علوية.

إني أستطيب الفائدة بل وأستطيب كل شيء في الحياة إلا الحيرة فإذا جاءت الفائدة وعلى منكبيها غمر من الحيرة أغمضت عينيَّ وقلت في سري » هذا صليب آخر علي أن أحمله مع المئة صليب التي أحملها « وليست الحيرة بذاتها من الأمور المكروهة ولكنني قد رافقتها حتى مللتها – قد أكلتها خبزاً وشربتها ماءً وتوسدتها فراشاً ولبستها رداءً حتى صرت أتبرم من لفظ اسمها وأهرب من ظل ظلها».



أظن أن مقالتك في « المواكب» هي الأولى من نوعها باللغة العربية . هي أول بحث في ما يرمي إليه الكاتب بوضع كتاب . حبذا لو كان بإمكان أدباء مصر وسوريا أن يتعلموا منكِ استجواب أرواح الكتب دون أجسادها واستفسار ميول الشعراء النفسية قبل استقصاء مظاهر الشعر الخارجية . يجب عليّ أن لا أحاول اظهار امتناني الشخصي على تلك المقالة النفيسة لأنني أعلم أنها كتبت وأنت منصرفة عن كل شيء شخصي . وإذا ما حاولت اظهار امتناني القومي بصورة عمومية أوجب عليّ ذلك كتابة مقالة في تلك المقالة وهذا أمر يحسبه الشرقيون في الوقت الحاضر من الأمور التي لا تجاور الذوق السليم ! ولكن سيجيء يوم أقول فيه كلمتي في « مي » ومواهبها وستكون كلمتي هائلة ! وستكون طويلة عريضة ! وستكون صادقة لأنها ستكون جميلة.

إن الكتاب الذي سيصدر في هذا الخريف هو كتاب رسوم خالٍ من « ضجيج التمرد والعصيان .» ولولا إضراب العمال في المطابع لظهر منذ ثلاثة أسابيع . وفي السنة القادمة سيصدر كتابان الأول « المستوحد » وربما دعوته باسم آخر « وهو مؤلف من قصائد وأمثال والثاني كتاب رسوم رمزية باسم « نحو الله « وبهذا الأخير انتهي من عهد وابتدئ بعهد آخر . وأما « النبي » فكتاب فكرت به منذ ألف سنة ولكنني لم أكتب فصلاً من فصوله حتى أواخر السنة الغابرة . وماذا عسى أقول لك عن هذا النبي ؟ هو ولادتي الثانية ومعموديتي الأولى . هو الفكرة الوحيدة التي تجعلني حرياً بالوقوف أمام وجه الشمس . ولقد وضعني هذا النبي قبل أن أحاول وضعه وألفني قبل أن أفكر بتألفيه وسيرني صامتاً وراءه سبعة آلاف فرسخ قبل أن يقف ليملي عليّ ميوله ومنازعه.

أرجوك أن تسألي رفيقي ومعاوني العنصر الشفاف عن هذا النبي وهو يقص

عليك حكايته . اسألي العنصر الشفاف اسأليه في سكينة الليل عندما تنعتق النفس من قيودها وتتملص من أثوابها وهو يبوح لكِ بأسرار هذا النبي وبخفايا من تقدمه من الأنبياء أجمعين.

أنا أعتقد يا صديقي أن في العنصر الشفاف من العزم ما لو وضعنا ذرةً منه تحت جبل لانتقل من مكان إلى مكان آخر واعتقد بل واعلم أننا نستطيع أن نمد ذلك العنصر سلكاً بين بلاد وبلاد فنعلم بواسطته كل ما نريد أن نعلمه ونحصل على كل ما نشوق إليه ونبتغيه.

ولدّي أمور كثيرة أريد أن أقولها عن العنصر الشفاف وغيره من العناصر ولكن عليّ أن أبقى صامتاً عنها . وسوف أبقى صامتاً حتى يضمحل الضباب وتنفتح الأبواب الدهرية ويقول لي ملاك الرب « تكلم فقد ذهب زمن الصمت وسر فقد طال وقوفك في ظلال الحيرة».

أي متى يا ترى تنفتح الأبواب الدهرية ؟ هل تعلمين ؟ هل تعلمين أي متى تتفتح الأبواب الدهرية ويضمحل الضباب ؟

والله يحفظك يا « مي» ويحرسك دائماً

المخلص

جبران خليل جبران

■ نيويورك ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩

وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩ تلقت مي زيادة رسالة يحمل مغلفها التاريخ الآنف الذكر كانت عبارة عن بطاقة دعوة لمعرض فني كبير أقيم في نيويورك لفنانين أجانب وأميركان . وقد كتب جبران على تلك البطاقة إلى مي العبارة التالية:

«هذه دعوة إلى وليمة فنية فهلا تكرمت وشرّفتينا»

■ نيويورك ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩

وبعد أسبوعين أي بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ استنادا إلى ختم البريد في مصر المسجل على المغلف تلقت مي رسالة أخرى تتضمن دعوة من نادي « ماكدويل» في نيويورك كما هو واضح في الصورة اللاحقة لحضور أمسية فنية أدبية في ٢ كانون الأول ١٩١٩ يقرأ فيها جبران بعضاً من حكاياته وأمثاله وينشد فيها « ويتر باينرز » بعضاً من أناشيده وقد كتب جبران على هامش البطاقة بالانكليزية ما يلي :

Would that you were here to lend wings to my voice and turn my mutterings into songs . Yet I shall read knowing that among the " strangers" an invisible " friend" is listening and smiling sweetly and tenderly

«حبذا لو كنت هنا لتعيري أجنحة إلى صوتي وتحيلي همهماتي إلى تراتيل . ومع ذلك فسوف أقرأ وأنا واثق أن لي بين الغرباء صديقاً لايُرى يسمعني ويبتسم لي بعذوبة وحنان ».

■ ■ ■

■ نيويورك ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠

عزيزتي الآنسة مي

تريدين أن تعلمي بالضبط معنى ندامتي وماورء طلبي المغفرة منك من الأسرار النفسية . وإليك بالضبط البسيط ما كان وسيكون وراء تلك الندامة وتلك المعاني وتلك الأسرار وتلك النفسيات.

لم أندم على كتابة تلك الرسالة المعروفة لديكِ «بالنشيد الغنائي » - ولن أندم.

لم أندم على أصغر حرف فيها لا ولا على أكبر نقطة فيها - ولن أندم.

لم أكن في ضلال لذلك لم أر داعياً للاهتداء.

وكيف يا ترى أندم على أمر موجود الآن في نفسي مثلما كان موجوداً إذ ذاك ؟

وأنا لست ممن يندمون على وضع ما في نفوسهم بين شفاههم .

ولست ممن ينفون في يقظتهم ما يثبتونه في أحلامهم لأن أحلامي هي يقظتي ويقظتي هي أحلامي لأن حياتي لا تقسم إلى خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الوراء.

أما الاثم الذي اقترفته - أو توهمت بأني اقترفته وأنا بعيد عن عالم الموازين والكمية - فهو هذا : بعد أن قرأت كلامك عن ذلك اللبناني الذي زارك قبل مغادرتك القاهرة إلى رمال الاسكندرية - أعني ذلك الرجل الذي « بكل أسف لم تسكبي سهواً بعض قطرات من الماء الغالي على يده » معاقبة له على « أمر غير محمود» - بعد أن قرأت كلامك هذا انتبهت لشيء كان من الواجب عليَّ أن أفطن له قبل أن أضع تلك الرسالة في صندوق البريد فظننت أو تخيلت أو تصورت أن تلك الرسالة قد سببت لك بعض الانزعاج من هذه الوجهة . ومن منا لا يتأفف ويتبرم إذا علم أن الأشياء المختصة به دون سواه قد مرت بين أصابع وأمام عيون من ليس لهم الحق بمعرفتها ؟

هذا هو الأمر الذي انتبهت له فندمت وهذا هو الشيء الوحيد الذي طلبت إليك وضعه في صندوق النسيان . وقد دعوت « قلم المراقبة » والأسباب التي أوجدته والنتائج التي أوجدتها « بعالم الموازين والكمية -« دعوته بهذا الاسم لبعده عن العالم الذي كان يشغل فكري حينئذ بعد الجحيم عن غابة الحق.

ولقد عرفت في العام الغابر عن « قلم المراقبة» ما يضحك البوم بين القبور ! فقد كان بعض الفتيان الموظفين في تلك الادارة النبيلة يفتحون الرسائل الواردة إليّ من الشرق ويذيلونها بالحواشي والسلامات والتحيات والملاحظات السياسية والعمرانية والأدبية وبعضهم كان يطلب مني المال لأغراض لم أسمع بمثلها.

وأغرب من هؤلاء جميعهم مراقب في دمشق وجد فسحة بيضاء واسعة في رسالة موجهة إليّ فنمقها وطرزها بقصيدة طويلة يمدحني بها! ولو أخبرتك حكاية تلك القصيدة بتمامها لغضبت عليّ.

أما تلك الرسالة المعروفة « بالنشيد الغنائي » فهي مني وبي وفيّ وهي أنا مثلما كنت ومثلما سأكون وهي الآن مثلما كانت بالأمس ومثلما ستكون في الغد فهلا آمنت وصدقت يا توما «هو القديس توما أحد رسل المسيح الاثني عشر». لم يؤمن بقيامته الا بعد أن رأى آثار جراحاته ووضع فيها اصبعه . وهو الذي أدخل المسيحية إلى الهند . أتريدين وضع اصبعك في الجرح يا ميّ ؟

واسمحي لي أن أقول ثانية أنني أكره التهكم الدقيق والغير دقيق بين الأصدقاء وأكره النكتة الفلسفية والغير فلسفية بين المتفاهمين بالروح وأكره التكلف والتصنع في كل أمر حتى وفي الصعود إلى السماء . وأما سبب كرهي هذه الأشياء فهو ما أراه حولي في كل دقيقة من مظاهر هذه المدنية الآلية ونتائج هذا الاجتماع السائر على دواليب لأنه بدون أجنحة.

أظن أن السبب الذي يجعلك أن تعزي إليّ « التهكم الدقيق » هو بعض ما جاء في « المجنون» وإذا صح ظني أكون أول ضحايا ذلك الكتاب لأن « المجنون» ليس أنا بكليتي والأفكار والمنازع التي أردت بيانها بلسان شخصية ابتدعتها ليست كل ما لدي من الأفكار والمنازع واللهجة التي وجدتها مناسبة لميول ذلك المجنون ليست اللهجة التي اتخذها عندما أجلس لمحادثة صديق أحبه وأحترمه . ولكن إذا كان لا بد من الوصول إلى حقيقتي بواسطة ما كتبته فما عسى يمنعك عن اتخاذ فتى الغاب في كتاب « المواكب » لهذه الغاية بدلا من « المجنون» ؟ إن روحي يا مي أقرب بها لا يقاس إلى «فتى الغاب» ونغمة نايه منها إلى « المجنون» وصراخه . وسوف يتحقق لديك بأن «المجنون» لم يكن سوى حلقة من سلسلة طويلة مصنوعة من معادن مختلفة . لا أنكر أن « المجنون» كان حلقة طويلة مصنوعة من معادن مختلفة . لا أنكر أن « المجنون» كان حلقة خشنة مصنوعة من حديد ولكن هذا لا يدل على أن السلسلة بكليتها ستكون من الحديد الخشن . لكل روح فصول يا مي وشتاء الروح ليس كربيعها ولا صيفها كخريفها.

قد سررت جداً لانتسابك إلى عائلة لاويّة (نسبة إلى لاوي الابن الثالث ليعقوب وقد خرج اللاويون كهنة بني اسرائيل من سبطة) سررت إلى درجة قصوى وسبب هذا السرور الهائل هو هذا أنا ابن كاهن ماروني!! نعم فقد كان جدي والد أمي كاهنا متعمقاً بالأسرار اللاهوتية ! (بيد أنه كان مولعاً بالموسيقى الكنائسية والغير كنائسية ولهذا قد غفرت له كهنوتيته.) وقد كانت أمي أحب أبنائه إليه أشبههم به . والغريب أنها عزمت واستعدت وهي في ربيع العمر للدخول إلى دير القديس سمعان للراهبات في شمال لبنان . أما أنا فقد ورثت عن أمي تسعين بالمئة من أخلاقي وميولي «لا أقصد بذلك أنني أماثلها من حيث الحلاوة والوداعة وكبر

القلب» ومع أنني أشعر بشيء من البغضاء نحو الرهبان فأنا أحب الراهبات وأباركهن في قلبي .

وقد يكون حبي لهن ناتجاً عن تلك الرغائب السرية التي كانت تشغل خيال أمي في صباها .

وإني أذكر قولها لي مرة وقد كنت في العشرين:

- لو دخلت الدير لكان ذلك أفضل لي وللناس

فقلت لها:

- لو دخلتِ الدير لما جئت أنا.

فأجابت :

- أنت مقدّر يا ابني.

فقلت :

- نعم ولكن قد اخترتكِ أماً لي قبل أن أجيء بزمن بعيد.

فقالت :

- لو لم تجيء لبقيت ملاكاً في السماء

فقلت

- لم أزل ملاكاً

فتبسمت وقالت :

- أين جوانحك ؟

فوضعتُ يدها على كتفي قائلاً:

- هنا

فقالت: متكسرة

بعد هذا الحديث بتسعة أشهر ذهبت أمي إلى ما وراء الأفق الأزرق . أما كلمتها «متكسرة» فظلت تتمايل في نفسي ومن هذه الكلمة قد غزلت ونسجت حكاية «الأجنحة المتكسرة».

لا يامي لم أكن قط من جدود جدود أمي . لقد كانت ولم تزل أما لي بالروح . وإني أشعر اليوم بقربها مني وتأثيرها عليّ ومساعدتها لي أكثر مما كنت أشعر به قبل أن تذهب - أكثر بما لا يقاس . ولكن هذا الشعور لا ينفي الروابط الأخرى الكائنة بيني وبين أمهاتي وأخواتي بالروح وليس هناك من فرق بين شعوري نحو أمي وشعوري نحو أمهاتي سوى الفرق الموجود بين الذكرى الواضحة والذكرى الضئيلة

هذا شيء قليل عن أمي . واذا جمعتنا الأيام أخبرتك الشيء الكثير عنها وإني لا أشك بأنك ستحبينها . ستحبينها لأنها تحبك . والأرواح السابحة هناك تحب الأرواح الجميلة السائرة هنا . وأنت يا مي روح جميلة اذاً لا تستغربي قولي « إنها تحبك»

أما الوجه الآخر الذي نشر في « الفنون» فهو وجهها في حالة الألم النفسي . والوجه المنشور في أول صفحة من « عشرون رسماً») عنوان لكتاب يتضمن رسوماً بريشة جبران كتبت مقدمته اليس رافائيل نشر في نيويورك سنة (. ١٩١٩ هو وجهها أيضاً ولقد دعوته « نحو اللانهاية» لأنه يمثلها في آخر دقيقة من حياتها هنا وأول دقيقة من حياتها هناك.

وأما من جهة عائلة والدي فإني أستطيع أن أتبجح وأتباهى بثلاثة أو أربعة من الكهان مثلما تباهيتِ وتبجحتِ بكهنة وقسس بيت زيادة !!!! أقرّ لك بميزة واحدة وهي وجود القسس عندكم إن شجرتنا لم تثمر من هذا النوع ! ولكن قد ظهر عندنا

خور و« سقفس» أي خوري ونصف خوري فهل ظهر عندكم من هذا الجنس ؟ ولقد كان هذا الخوروسقفس أو هذا المونسنيور الجبراني يصلي ويبتهل لله ليرجعني إلى حضن الكنيسة الجامعة الرسولية مثلما ارجع الابن الشاطر إلى أبيه !وحضن الكنيسة كما تعلمين يشابه صدر أبينا ابراهيم - الأول لراحة الخطأة والثاني لراحة الأموات . والمسيحي المسكين لا يتملص من هذا حتى يهبط في ذاك وأنا والحمد للسماء لم أكن من الخطأة ولن أصير من الأموات ! بيد أنني أشفق على ابراهيم إجمالاً وعلى صدر إبراهيم خصوصاً

هذا ولا يغرب عن بالكِ أن نصف سكان شمال لبنان من الكهنة والقساوسة والنصف الثاني من أبناء وأحفاد الكهنة ! فهل في بلدكم - وأظنها غزير- (قرية في لبنان تقع بالقرب من مسقط رأس مي زيادة أي من قرية شحتول كانت تؤمها للاصطياف.) مثل ذلك ؟ أما في بلدنا - بشري (مسقط رأس جبران) فمن الصعوبات احصاء عدد الكهان والرهبان!

أجل لنتحدث عن كتاب «دمعة وابتسامة» فأنا لست بخائف! ظهر هذا الكتاب قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة . وقد بعثت إليك بنسخة منه يوم صدوره . نعم قد بعثت إليك بنسخة من كتاب « دمعة وابتسامة» يوم صدوره من مطبعة الفنون ولكنني لم أسمع منك كلمة واحدة عن وصولها فتأثرت ولم أزل متأثراً.

أما مقالات « دمعة وابتسامة » فهي أول شيء نشر لي في الجرائد . هي من حصرم كرمي وقد كتبتها قبل « عرائس المروج » بزمن ولقد شاء نسيب عريضة فجمعها واضاف إليها مقالتين كتبتا في باريس منذ ١٢ سنة . سامحه الله ! لقد كتبت ونظمت قبل « دمعة وابتسامة» أعني بين الطفولية والشباب المجلدات الضخام ! ولكنني لم أقترف جريمة نشرها ولن أفعل . وأنا باعث إليك بنسخة ثانية من « دمعة وابتسامة »

مع الأمل بأنك ستنظرين إلى روحها لا إلى جسدها.

أنا من الميالين إلى شارل جيران (شاعر فرنسي له عدة دواوين من الشعر العاطفي الرقيق) ولكنني أشعر أن المدرسة التي ينتمي إليها أو الشجرة التي هو غصن من غصونها لم تكن في الغابة العلوية . إن الشعر الافرنسي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين كان خاتمة لشيء وجد بدلاً من أن يكون بداية لشيء غير موجود - أعني غير موجود في عالم الحواس . ففي عقيدتي أن روادان النحات (وهو المثال الافرنسي المشهور الذي تأثر به جبران (.وكيريار المصور (رسام افرنسي اشتهرت لوحاته بأنها كانت تعتمد على أرضية من الضباب (.وديبوسي الموسيقي (من أشهر مؤلفي الموسيقى ومجدديها في القرن العشرين.) قد ساروا على سبل جديدة فكانوا حقيقة من العظام . ولكن جيران ورفاقه كانوا وما برحوا يسيرون حتى الساعة على السبل التي رسمتها لهم الحالة المعنوية في أوربا قبل زمن الحرب . ومع أنهم يشعرون بجمال الحياة وما في الحياة من الألم والغبطة والمظاهر والأسرار فهم يمثلون مساء عهد بدلاً من صباح عهد آخر . وعندي أن كتاب وشعراء العالم العربي في أيامنا هذه يمثلون ولكن بصورة مصغرة جداً نفس الفكرة ونفس الحالة ونفس العهد.

وعلى ذكر العالم العربي فإني أسألك : لماذا يا ترى لا تعلمّي كتاب وشعراء مصر المسير على السبل الجديدة ؟ أنتِ وحدكِ قادرة على ذلك فماذا يمنعك ؟ أنتِ يا مي من بنات الصباح الجديد فلماذا لا تنبهي الراقدين ؟ إن الصبية الموهوبة كانت وستكون بمقام ألف رجل موهوب . وإني لا أشك بأنكِ إذا ناديتِ تلك النفوس الضائعة الحائرة المستعبدة بقوة الاستمرار أيقظتِ فيها الحياة والعزم والميل إلى الصعود نحو الجبل . افعلي هذا وثقي بأن من يسكب الزيت في السراج يملأ بيته

نوراً - أفليس العالم العربي بيتك وبيتي ؟

أنت تتأسفين لأنك لم تستطيعي الحضور إلى « الوليمة الفنية » وأنا أستغرب أسفك هذا أستغربه جداً أفلا تذكرين ذهابنا سوية إلى المعرض ؟ هل مسيت انتقالنا من صورة إلى صورة ؟ هل نسيت كيف سرنا ببطء في تلك القاعة الواسعة نبحث وننتقد ونستقصي ما وراء الخطوط والألوان من الرموز والمعاني والمقاصد ؟ هل نسيت كل ذلك ؟ الظاهر أن « العنصر الشفاف» فينا يقوم بكثير من الأعمال والمآتي على غير معرفة منا فهو يسبح مرفرفاً إلى الجهة الثانية من الأرض ونحن في غرفة صغيرة نقرأ جرائد المساء . ويزور الأصدقاء البعيدين ونحن نجالس ونحدث الأصدقاء القريبين ويسير في حقول وغابات بعيدة سحرية لم ترها عين بشري ونحن نسكب الشاي في فنجان سيدة تخبرنا عن الاحتفال بعرس ابنتها.

ما أغرب العنصر الشفاف فينا يا مي وما أكثر أعماله المجهولة لدينا . ولكن عرفناه أو لم نعرفه فهو أملنا ومحجتنا . وهو مصيرنا وكمالنا . وهو نحن في الحالة الربانية.

هذا و أنا أعتقد بأنكِ إذا أجهدتِ حافظتكِ قليلاً تتذكرين زيارتنا إلى المعرض فهلا فعلت ؟

لقد طالت رسالتي - ومن يجد لذةً في شيء أطاله.

قد ابتدأت بهذا الحديث قبل نصف الليل وها قد صرت بين نصف الليل والفجر ولكنني للآن لم أقل كلمة واحدة مما أردت أن أقوله عندما ابتدأت . إن الحقيقة الوضعية فينا ذلك الجوهر المجرد ذلك الحلم الملتف باليقظة لا يتخذ غير السكوت مظهراً وبياناً.

نعم كان بقصدي أن أسألك ألف سؤال وسؤال وها قد صاح الديك ولم أسألك

شيئاً . كان بقصدي أن أسألكِ مثلاً ما اذا كانت لفظة « سيدي» موجودة حقيقة في قاموس الصداقة ؟ لقد فتشت عن هذه اللفظة في النسخة الموجودة لديّ من هذا القاموس ولم أجدها .. فاحترت بأمري غير أنني أشعر أن نسختي هي النسخة المصححة - ولكن قد أكون غير مصيب!

هذا سؤال صغير أما السؤالات الكبيرة فسأتركها إلى فرصة أخرى - إلى ليلة أخرى- فليلتي هذه قد شاخت وهرمت وأنا لا أريد أن أكتب إليك في ظلال الليالي المسنة.

وإني أرجو أن يملأ العام الجديد راحتيك بالنجوم.

والله يحفظك يا مي ويحرسك

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

«بعد أن ختمت هذه الرسالة فتحت نافذتي فوجدت المدينة متشحة برداء أبيض والثلج يتساقط بهدوء وعزم وغزارة فتهيبت لهذا المشهد الجليل بطهره ونقاوته وعدت بالفكر إلى شمال لبنان إلى أيام حداثتي عندما كنت أصنع التماثيل من الثلج ثم تطلع الشمس فتذيبها.

إني أحب عواصف الثلج محبتي لكل أنواع العواصف . وسأخرج في هذه الدقيقة وأمشي تحت هذه العاصفة البيضاء . ولكنني لا ولن أمشي وحدي.

جبران



■ نيويورك صباح الاثنين ٣٠ أيار ١٩٢١

يا مي يا ماري يا صديقتي

استيقظت الساعة من حلم غريب. ولقد سمعتك تقولين لي في الحلم كلمات حلوة ولكن بلهجة موجعة والأمر الذي يزعجني في هذا الحلم ويزعجني جداً– هو أنني رأيت في جبهتك جرحاً صغيراً يقطر دماً. ليس في حياتنا شيء أدعى إلى التفكير والتأمل من الأحلام. وأنا من الذين يحلمون كثيراً بيد أنني أنسى أحلامي إلا إذا كانت ذات علاقة بمن أحبهم. لا أذكر أنني حلمت في ماضيَّ حلماً أوضح من هذا الحلم لذلك أراني مشوشاً مضطرباً مشغول البال في هذا الصباح. ماذا تعني رنة التوجع في كلماتكِ الجميلة؟ وما معنى الجرح في جبهتكِ ؟ و أيّ بشري يستطيع آن يخبرني مفاد انقباضي وكآبتي ؟

سوف أصرف نهاري مصلياً في قلبي. أصلي لأجلكِ في سكينة قلبي .وسوف أصلي لأجلنا.

والله يباركك يا ميّ ويحرسك

جبران

■ **نيويورك ٩ أيار ١٩٢٢**

صديقتي الفاضلة ...

تسألينني يا سيدتي ما إذا كنت وحيد الفكر والقلب والروح فبما يا ترى أجيبك ؟ أشعر أن وحدتي ليست بأشد ولا أعمق من وحدة غيري من الناس. كلنا وحيد منفرد. كلنا سر خفي. كلنا محجوب بألف نقاب ونقاب وما الفرق بين مستوحد ومستوحد سوى أن الأول يتكلم عن وحدته والثاني يظل صامتاً. وقد يكون في الكلام بعض الراحة وقد يكون في الصمت بعض الفضيلة.

لا أدري يا سيدتي ما إذا كانت وحدتي بما فيها من الكآبة مظهراً « لهوى بعض شخصياتي» أو برهاناً على عدم وجود شخصية في هذا الكائن الذي أدعوه « أنا» لا لا أدري. ولكن إذا كانت الوحدة عنوان الضعف فأنا بدون شك أضعف الناس.

أما مقالة« نفسي مثقلة بثمارها» فلم تكن « أنة شاعر في ساعة غمّ عابرة» بل « صدى لعاطفة عمومية قديمة مستتبة شعر ويشعر بها الكثيرون» وسيدتي تعلم أن ميلنا إلى سكب ما في أرواحنا في كؤوس الآخرين لأشد بها لا يقاس من الرغبة في الارتواء مما يسكبه الآخرون في كؤوسنا. تلك صفة لا تخلو من الغرور في بعض الأحايين ولكنها طبيعية.

ما أحسن قولكِ« إن كربة الوحدة وتباريحها تشتد وسط الجماهير». هذه حقيقة أولية . فكم مرة يجلس الواحد منا بين أترابه ومريديه فيحدثهم ويجادلهم ويشاركهم بالأقوال والأعمال- يفعل كل ذلك بإخلاص ومسرة ولكن فعله لا يتعدى حدود الذات المقتبسة من عالم المظهر أما ذاته الأخرى ذاته الخفية فتبقى ساكنة مستوحدة في عالم المصدر.

الناس وأنا منهم ميالون إلى الدخان والرماد أما النار فيخافونها لأنها تبهر العين وتحرق الأصابع. الناس وأنا منهم منصرفون إلى درس ثنايا قشور بعضهم بعضاً

أما اللباب فيتركونه وشأنه لأنه لا يقع تحت حواسهم. وكيف يستطيع اللباب أن يظهر إلا بكسر القشرة؟ وليس من الأمور الهينة أن يمزق المرء قلبه ليرى الناس مكنونات قلبه. وهذه هي الوحدة يا سيدتي وهذه هي الكآبة.

قد أسأت التعبير- وبشيء من القصد- عندما قلت لكِ في أواخر الصيف الغابر « منذ ستة أسابيع وأنا أحاول الكتابة إليكِ» كان يجب أن أقول« من ستة أسابيع وأنا أستأجر بعض الناس للاهتمام برسائلي لأن أعصاب يميني لم تكن صالحة للكتابة» ولم أحلم قط بأن لفظة « أحاول» ستتحول إلى مبضع في يد صديقتي. كنت أتوهم أن الأرواح المجنحة لا تسجن في قفص من الألفاظ. وكنت أتوهم أن الضباب لا يتحجر وكنت أتوهم وأتوهم وأجد الراحة والطمأنينة في أوهامي حتى إذا ما طلع الفجر واستيقظت وجدتني جالساً على رابية من رماد وفي يدي قصبة مرضوضة وعلى رأسي اكليل من الشوك ..لا بأس فأنا المخطىء أنا أنا المخطىء يا « مي».

أرجو أن تحقق الأيام رغبتك في السفر إلى أوربا . سوف تجدين خصوصاً في إيطاليا وفرنسا من مظاهر الفن والصناعة ما يسرك ويبهجك. هناك المتاحف والمعاهد وهناك الكنائس القديمة الغوطية وهناك آثار نهضة القرنين – الرابع عشر والخامس عشر وهناك أفضل ما تركته الأمم المغلوبة والأمم المنسية. أوربا يا سيدتي مغارة لص غاوي خبير يعرف قيمة الأشياء النفيسة ويعرف كيف يحصل عليها.

كان بقصدي الرجوع إلى الشرق في الخريف الآتي. ولكن بعد قليل من التفكير وجدت أن الغربة بين الغرباء أهون من الغربة بين أبناء وبنات أمي. وأنا لست ممن يميلون إلى الهيّن ولكن القنوط فنون كالجنون .

تفضلي بقبول تحيتي مشفوعة بأحسن تمنياتي والله يحفظك.

المخلص : جبران خليل جبران

رسائل من : مي إلى جبران

... جبران !

لقد كتبت كل هذه الصفحات لأتحايد كلمة الحب .. إن الذين لا يتاجرون بمظهر الحب ودعواه في المراقص والاجتماعات ينمي الحب في أعماقهم قوة ديناميكية قد يغبطون الذين يوزعون عواطفهم في اللألأ السطحي لأنهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون أن يتمنوها لنفوسهم ويفضلون وحدتهم ويفضلون السكوت ويفضلون تضليل القلوب عن ودائعها والتلهي بما لا علاقة له بالعاطفة. ويفضلون أي غربة وأي شقاء (وهل من شقاءٍ في غير وحدة القلب؟) على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة.

ما معنى هذا الذي أكتبه ؟ إني لا أعرف ماذا أعني به ولكني أعرف أنك محبوبي وأني أخاف الحب. أقول هذا مع علمي أن القليل من الحب الكثير. الجفاف والقحط واللاشيء بالحب خير من النزر اليسير.

كيف أجسر على الإفضاء إليك بهذا. وكيف أفرط فيه ؟ لا أدري.

الحمد لله أني أكتبه على الورق ولا أتلفظ به لأنك لو كانت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلاً بعد هذا الكلام ولاختفيت زمناً طويلاً فما أدعك تراني إلا بعد أن تنسى.

حتى الكتابة ألوم نفسي عليها لأني بها حرة كل هذه الحرية.. أتذكر قول القدماء من الشرقيين: إن خير للبنت أن لا تقرأ ولا تكتب.

إن القديس توما يظهر هنا وليس ما أبدي هنا أثراً للوراثة فحسب بل هو شيء أبعد من الوراثة. ما هو؟ قل لي أنت ما هو. وقل لي ما إذا كنت على ضلال أو هدى

فإني أثق بك.. وسواء أكنت مخطئة أم غير مخطئة فإن قلبي يسير إليك وخير ما يفعل هو أن يظل حائماً حواليك يحرسك ويحنو عليك.

... غابت الشمس وراء الأفق ومن خلال السحب العجيبة الأشكال والألوان حصحصت نجمة لامعة واحدة هي الزهرة آلهة الحب أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون؟ ربما وجد فيها بنت هي مثلي لها جبران واحد حلو بعيد هو القريب القريب. تكتب إليه الآن والشفق يملأ الفضاء وتعلم أن الظلام يخلف الشفق وأن النور يتبع الظلام وأن الليل سيخلف النهار والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة قبل أن ترى الذي تحب فتتسرب إليها كل وحشة الشفق وكل وحشة الليل فتلقي بالقلم جانباً لتحتمي من الوحشة في اسم واحد: جبران.

مي زيادة

صديقي جبران

لقد توزع في المساء بريد أوروبة وأمريكة وهو الثاني من نوعه في هذا الأسبوع وقد فشل أملي بأن تصلني فيه كلمة منك .

نعم إني تلقيت منك في الأسبوع الماضي بطاقة عليها وجه القديسة حنة الجميل ولكن هل تكفي الكلمة الواحدة على صورة تقوم مقام سكوت شهر كامل ...

لا أريد أن تكتب إلي إلا عندما تشعر بحاجة إلى ذلك أو عندما تنيلك الكتابة سرورا ولكن أليس من الطبيعي أن أشرئب إلى أخبارك كلما دار موزع البريد على الصناديق يفرغ فيها جعبته ! .. أيمكن أن أرى الطوابع البريدية من مختلف البلدان على الرسائل حتى طوابع الولايات المتحدة وعلى بعضها اسم نيويورك واضح فلا أذكر صديقي ولا أصبو إلى مشاهدة خط يده ولمس قرطاسه ...

ولتحمل إليك رقعتي هذه عواطفي فتخفف من كآبتك إن كنت كئيبا وتواسيك إن كنت في حاجة إلى المواساة ولتقوك إذا كنت عاكفا على عمل ولتزد في رغدك وانشراحك إذا كنت منشرحا سعيدا .

١١ آذار ١٩٢٥

مي زيادة

هات وخُذ بين مي وجبران

كتبت له مي تقول :

(.....) في حضورك سأتحول عنك الى نفسي لافكر فيك وفي غيابك سأتحول عن الاخرين اليك لافكر فيك.

سأتصورك عليلا لاشفيك مصابا لاعزيك مطرودا لاكون لك وطنا واهل وطن ثم ابصرك متفوقة فريدا لافاخر بك واركن اليك.

وسأتخيل الف الف مرة كيف انت تطرب وكيف تشتاق وكيف تحزن وكيف تتغلب على عادي الانفعال برزانة وشهامة لتستلهم ببسالة وحرارة الى الانفعال النبيل وسأتخيل الف الف مرة الى اي درجة تستطيع انت انت تقسو والى اي درجة تستطيع ان ترفق لاعرف الى اي درجة تستطيع انت ان تحب.

وفي أعماق نفسي يتصاعد الكثر لك بخورا لانك اوحيت الي ما عجز دونه الاخرون.

أتعلم ذلك أنت الذي لا تعلم؟ أتعلم ذلك أنت الذي لا أريد أن تعلم؟.

وكان تاريخ هذه المقطوعة عام ١٩٢٣. والملاحظ في تلك المفاجأة هذا الحب العظيم الذي كانت تكنه مي لجبران وتمنياتها ان لايعرف وان يعرف في آن معا.

مي

رسالة من جبران

فجاء رد جبران عليها :

في ١ و ٢ كانون الاول ١٩٢٣ :

ما أعذب رسالتك في قلبي ما أحلاها في قلبي يا مي.

أنت معي في هذه الساعة أنت معي يا مي أنت هنا هنا وأنا أحدثك ولكن بأكثر من هذه الكلمات أحدث قلبك الكبير بلغة اكبر من هذه اللغة وأنا أعلم أنكِ تسمعين أعلم أننا أقرب من عرش الله في هذه الليلة منا في أي وقت من ماضينا.

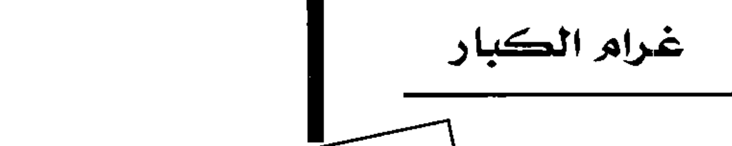
أحمد الله وأشكره .. أحمد الله وأشكره فقد رجع الغريب إلى وطنه وعاد المسافر إلى بيت أمه وأبيه .

أحب صغيرتي غير أني لاادري بعقلي لماذا أحبها.. ولا أريد أن أدري بعقلي يكفي أنني أحبها بروحي وقلبي يكفي انني احبها بروحي وقلبي يكفي إنني أسند رأسي الى كتفها كئيبا غريبا مستوحدا فرحا مدهوشا مجذوبا يكفي أن أسير إلى جانبها نحو قمة الجبل وأن أقول لها بين الآونة والاخرى: أنت رفيقتي انت رفيقتي.

والآن قربي جبهتك ..

والله يباركك .. والله يحرسك.

جبران



خليل مطران

شاعر القطرين..

أم شاعر مي ؟

هو .. شاعر رقيق العبارة .. دقيق الإشارة .. أنيق الإثارة .. عذب كالقيثارة ..

إذا قرر التأريخ دراسة عظماء الشعر .. باليقين سيتوقف التأريخ أمامه طويلاً طويلاً ويسجل إسمه بحروف من نور شعره الوضَّاء ومفرداته المتميزة .. فما قصته في صالون الكبار وهل حقاً كان شاهد رؤية وشريك بالنصف في غرام مي زيادة ؟!

فَمَنْ هو ؟

هو

خليل مطران .. شاعر القطرين (١ يوليو ١٨٧٢ - ١ يونيو ١٩٤٩) شاعر لبناني مصري شهير. عرف بغوصه في المعاني وجمعه بين الثقافة العربية والأجنبية كما كان من كبار الكتاب عمل بالتاريخ والترجمة يشبّه بالأخطل بين حافظ وشوقي كما شبهه المنفلوطي بابن الرومي. عرف مطران بغزارة علمه وإلمامه بالأدب الفرنسي والعربي هذا بالإضافة لرقة طبعه ومسالمته وهو الشيء الذي انعكس على أشعاره أُطلق عليه لقب «شاعر القطرين» ويقصد بهما مصر ولبنان وبعد وفاة حافظ وشوقي أطلقوا عليه لقب «شاعر الأقطار العربية».

هو خليل بن عبده بن يوسف مطران ولد في الأول من يوليو عام ١٨٧١م في بعلبك بلبنان وتلقى تعليمه بالمدرسة البطريركية ببيروت. تلقى توجيهاته في البيان العربي على يد أستاذاه الأخوان خليل وإبراهيم اليازجي كما أطلع على أشعار فكتور هوغو وغيره من أدباء ومفكري أوروبا هاجر مطران إلى باريس وهناك انكب على دراسة الأدب الغربي

كان مطران صاحب حس وطني فقد شارك في بعض الحركات الوطنية التي أسهمت في تحرير الوطن العربي ومن باريس انتقل مطران إلى محطة أخرى في حياته فانتقل إلى مصر حيث عمل كمحرر بجريدة الأهرام لعدد من السنوات ثم قام



بإنشاء «المجلة المصرية» ومن بعدها جريدة «الجوانب المصرية» اليومية والتي عمل فيها على مناصرة مصطفى كامل باشا في حركته الوطنية واستمر إصدارها على مدار أربع سنوات وقام بترجمة عدة كتب

وهو شاعر الشعور والخيال وشاعر بعلبك والأهرام ولد سنة ١٨٧١ ببعلبك وتعلم بها قدم مصر سنة ١٨٩٣ م واشتغل بمكاتبة الصحف وانشأ باسمه «المجلة المصرية» سنة ١٨٩٩ م وأنشأ أيضاً (جريدة الجوانب المصرية) وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل).

دعا مطران إلى التجديد في الأدب والشعر العربي فكان أحد الرواد الذين أخرجوا الشعر العربي من أغراضه التقليدية والبدوية إلى أغراض حديثة تتناسب مع العصر مع الحفاظ على أصول اللغة والتعبير كما أدخل الشعر القصصي والتصويري للأدب العربي.

شعره: مجمع الصور وملعب الخيال ونفسه كالصحيفة الحساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم بل وج البحيرة الصافي يحركه كل ريح.

نقل خليل مطران مسرحية عطيل إلى العربية عن اللغة الفرنسية وبعد ذلك ترجمها جبرا إبراهيم جبرا عن اللغة الإنكليزية ويرى جبرا إبراهيم جبرا أنّ اسم عطيل موجود باللغة الإيطالية وتعني الحذر وليس هو تحريفاً لاسم عربي كما ظن خليل مطران. ولكن هل كان عطيل حذراً بالفعل؟ أم وقع في حفرة حفرت له.

(انحدرت أسرة المطران) من أصل غساني من بطن يعرف(بأولاد نسيم) استوطن بعلبك وفي سنة١٦٢٨ سيم على بعلبك مطران من أولاد نسيم اسمه (ابيفانيوس) كان يقضي شؤون الناس في بيته فعرف بيته(ببيت المطران) ولقبت

الأسرة بهذه الكنية. وقد أنجبت أسرة المطران طائفة من أهل العلم والفضل والأدب وقد اعتمد أمراء آل حرفوش وهم حكام بعلبك هذه الأسرة فجعلوا من بعض أفرادها كتبة ومستشارين لهم.

هو شاعر العبقرية المرحوم خليل بن عبده بن يوسف بن إبراهيم بن مخايل مطران وأمه (ملكه الصباغ) ولد في بعلبك لم يكن والده على شيء من الثراء فأراد أن يعوض هذا النقص فأرسل ولده للدراسة في الكلية الشرقية في زحلة فأنهى دراسته الابتدائية. انتقل إلى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت فدرس النحو على الشيخ خليل اليازجي والبيان والأدب على الشيخ إبراهيم اليازجي ودرس اللغة الفرنسية على يد أستاذ في (التورين) وقد وصفه ابن بعلبك الكاتب والصحفي اللبناني قاسم محمد عثمان بكوب بعلبك الشعري.

وبعد خروجه من المدرسة البطريركية بدأ ينظم الشعر ضد سياسة السلطان عبد الحميد.

وفي إحدى ليالي صيف عام١٨٩٠ عاد الشاعر إلى غرفته في أخريات الليل ورأى سرير نومه مثقوباً برصاص جواسيس السلطان وقد ظنوا انه في فراشه وأنهم قضوا عليه ونجاه الله من الاغتيال وألح عليه أهله بالسفر إلى باريس لأسباب عدة أهمها أن أسرة مطران لا تريد إفساد العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية إكراما لشعر خليل وتعرضه للسلطة الاستبدادية وخوفاً على حياة الشاعر الشاب ودفعه إلى مراقي العلم والمجد.

وفي باريس اتصل بجماعة تركيا الفتاة وهو الحزب الذي كان يعمل ضد طغيان عبد الحميد وضايقه الجواسيس فقرر السفر إلى شيلي في أمريكا الجنوبية وأكب يتعلم اللغة الاسبانية.

وفي سنة١٨٩٢ كان في وادي النيل وتعرف على بشارة تقلا وبدأ يحرر في جريدة الأهرام وخلالها تعرف على أستاذه الشاعر المرحوم نجيب الحداد الذي كان محرراً في جريدة الضياء.

وفي سنة ١٩٠٠ جاء إلى القاهرة وانشأ المجلة المصرية نصف الشهرية ثم أصدر الجوائب اليومية ووجد من الناس مؤازرة وإقبالا عظيمين وفي عام١٩٠٤ ودع الصحافة وتفرغ للأدب ونظم الشعر.

وفي عام١٩١٢ مارس الشؤون المالية وكثرت مضارباته وربح وخسر فأضاع في صفقة واحدة كل ما يملك واستسلم لليأس وفكر في الانتحار ثم طرح هذه الفكرة وهي سلاح ضعيف وقد أنطقه الألم الذي اجتاح قلبه بروائع الأدب فنظم قصيدته باسم الأسد الباكي.

نال من عطف الخديوي عباس الثاني ما خفف عنه ألم النكبة المادية فعينه سكرتيراً مساعداً للجمعية الزراعية الخديوية. وبدأ يتعهد المسرح المصري إذ ترجم عن اللغة الإنكليزية بعض الروايات وقدمها للتمثيل وساعد في الإخراج وكانت له في سبيل المسرح جهود مضنية وفي عام١٩٣٤ أصبح رئيساً للفرقة القومية للتمثيل المسرحي.

وفي عام١٩٢٤ قام بزيارة إلى لبنان وسورية فأقيمت له حفلة تكريم في حلب وأخرى في بعلبك وأنشد ملحمته الخالدة «نيرون» في جامعة بيروت الأميركية وزار بعلبك في عام١٩٢٩ بصحبة صديقه حافظ إبراهيم شاعر النيل فاحتفلت بهما المدينة وكان يؤم ربوع لبنان للاصطياف.

وفي عام١٩٤٧ أنعمت عليه حكومة لبنان بوسام الاستحقاق اللبناني.

وفي٣٠ آذار سنة١٩٤٧ أقيم له مهرجان أدبي في دار الأوبرا الملكية وبدأت

سلسلة مهرجانات في البلاد العربية والاميركية وقد جمعت القصائد والخطب التي ألقيت وطبعت في الكتاب الذهبي الذي نشرته لجنة تكريم شاعر الأقطار العربية.

وبهذه المناسبة نذكر للتاريخ أن الشاعر الخليل هو أول من دعا إلى إقامة حفلة تكريم للإشادة بذكر رجالات مصر المعدودين فقد دعا الشعراء لإلقاء المراثي يوم الأربعين لوفاة محمود سامي باشا البارودي ودعا الكبراء.

أما أولى حفلات التكريم في مصر فقد أقامها تنويهاً بفضل سلامة حجازي فصارت هي الأخرى سنة مرعية وعادة قومية. كان لنفاسة شعره يلقب بشاعر الأقطار العربية وله ديوان واف في أربعة مجلدات هو شاعر الشعور والخيال استفاد من لغة الأجانب دون تقليد ونهج على طريقة قدماء العرب دون تقييد فاحترس بصيغة العرب في التعبير وأدخل الأساليب الغربية في التأليف والتفكير

جاءت وفاة مطران بالقاهرة في الأول من يونيو العام ١٩٤٩م بعد أن اشتد عليه المرض لتشهد مصر وفاته كما شهدت انطلاقته الأدبية .

■ ■ ■

غرام الكبار





هو شريك رحلة العقاد .. والقاسم المشترك الأعظم في قصته .. فهل كان شريكاً في حب مي زيادة ..خصوصاً أنه من رجال صالونها وعاين عن كثب مفرمة غرام الكبار في الصالون الأكثر شهر في العالم العربي ؟

فما هي قصته ؟

***

أديب ومترجم وكاتب لاذع صاحب مدرسة متميزة في الكتابة الساخرة كما أنه ناقد وشاعر مصري عبقري تميز بروح السخرية والفكاهة حتى عندما تصل به الأحوال والمشاكل إلى ذروة المأساة .

وُلد إبراهيم عبدالقادر المازني في ١٩ أغسطس ١٨٨٩ مات والده وهو حدث صغير فقامت أمه برعايته وتنشئته وعندما أنهى دراسته الابتدائية والثانوية تابع تعليمه في مدرسة المعلمين فنال شهادتها سنة ١٩٠٩ .. ودخل سلك التعليم رغم عدم ميله لهذه المهنة وظل يعمل في هذا الحقل حتى عام ١٩١٩ بعد ذلك احترف مهنة الصحافة حيث لمع نجمه إلى أن عين محرراً بجريدة الأخبار ثم محرراً بجريدة «السياسة الأسبوعية» ثم رئيساً لتحرير جريدة «السياسة اليومية» ثم رئيساً لجريدة «الاتحاد» كما انتخب وكيلاً لمجلس نقابة الصحفيين عام ١٩٤١ .

لم تقتصر ثقافة المازني على ما حصل عليه من المعاهد العلمية.. بل قرأ قراءة الدارس المتمعن لنوابغ الأدب العربي القديم ثم راح ينهل من الأدب الانجليزي بالإضافة إلى مطالعاته الفلسفية والاجتماعية فتكونت لديه ثقافة فكرية متنوعة كونت شخصيته الأدبية وساعده في ذلك ميله إلى الدعابة التي تحولت فيما بعد إلى نوع من السخرية والاستخفاف بالحياة تجلت في معظم كتاباته .. التي أخذت مرة شكل الهزل ومرة شكل التشاؤم .

بدأ حياته الأدبية شاعراً فترك للأجيال كثيراً من الشعر والنثر كما كان بارزاً ومتميزاً في معالجته للموضوعات التي طرحها بأسلوب لا يعرف التكلف أو قيود الصنعة وكلها مستوحاة من حياته الشخصية أو حياة ممن يحيطون به أو من وقائع الحياة العامة.. وهي تعكس بدقة صورة المجتمع المصري كما رآها الكاتب بحسناتها وسيئاتها. أصدر ديوانه الشعري بجزئيه الأول والثاني ودراسة أدبية عن الشعر عام ١٩١٣ .

انتقل المازني بعد ذلك إلى كتابة الرواية والقصة القصيرة والتراجم وله مجموعة من الروايات من أهمها: إبراهيم الثاني وعدد من الكتب من بينها: (حصاد الهشيم - قبض الريح - صندوق الدنيا - خيوط العنكبوت - وغيرها) .

قام بدور مؤثر مع عباس العقاد وأحمد شكري في إنشاء مجموعة الديوان المدرسة الشعرية الجديدة التي هاجمت الشعر الكلاسيكي ووضعت أساساً للقصيدة الحديثة باعتبارها بناءً واحداً متماسكاً .. توفي في ٦ أغسطس ١٩٤٩ .

■ ■ ■


غرام الكبار
طه حسين
الحب بالأذن قبل العين أحيانًا

لماذا كان ضجره وجود العقاد في حياة مي ؟!

ولماذا كان أول المبادرين ترجُلاً لصالون مي ليتخذ موقعه في الصدارة ؟!

وما هي أعنف صراعات طه وشوقي وحافظ والعقاد والرافعي في الصالون الأدبي الناري الأكثر شهرة في تاريخ الأدب العربي ؟!

ماذا أسرت إليه مي وماذا قال لها ؟!

...

أديب ومفكر وشاعر سياسي وناقد مصري .. لقّب بعميد الأدب العربي يُعد أحد الأركان الأساسية في تكوين العقل العربي المعاصر وصياغة الحياة الفكرية في العالم العربي وملمحاً أساسياً من ملامح الأدب العربي الحديث.. غيّر الرواية العربية فهو خالق السيرة الذاتيّة مع كتابه «الأيام» الذي نُشر عام ١٩٢٩ .

وُلد طه حسين في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ في «عزبة الكيلو» قرب مغاغة بمحافظة المنيا بالصّعيد وكان سابع أخوته الثلاثة عشر وأصابه رمد ذهب ببصره وأصبح مكفوفاً منذ طفولته. حفظ القرآن في كُتّاب القرية وهو في التّاسعة من عمره .

قدم للقاهرة سنة ١٩٠٢ للتعلم في الأزهر وأنفق فيه ثماني سنين لم يظفر في نهايتها بشهادة «العالميّة.. فما إن أُنشئت الجامعة المصريّة (الأهلية) سنة ١٩٠٨ حتّى انتسب إليها ولكنّه ظلّ مقيّداً في سجلاّت الأزهر: وقضى سنتين (١٩٠٨ـ ١٩١٠) يحيا حياة مشتركة يختلف إلى دروس الأزهر مُصبحاً وإلى دروس الجامعة مُمْسِيًا. وما لبث أن وجد في الجامعة روحاً للعلم والبحث جديدة فتلقى دروساً في الحضارة الإسلامية والحضارة المصرية القديمة ودروس الجغرافيا والتاريخ واللغات السامية والفلك والأدب والفلسفة على أيدي أساتذة مصريين وأجانب وخلال تلك الفترة نال درجة «العالميّة» (الدكتوراه) التي نُوقشت في ١٥ مايو ١٩١٤ برسالة موضوعها

«ذكرى أبي العلاء» فكانت «أوّل كتاب قُدّم إلى الجامعة وأوّل كتاب امتُحِنَ بين يدي الجمهور .

وأول كتاب نال صاحبه إجازة علميّة منها».

سافر إلى فرنسا لمواصلة التّعلّم فانتسب إلى جامعة مونبيليه حيث قضّى سنة دراسيّة (١٩١٤ـ ١٩١٥) ذهب بعدها إلى باريس وانتسب إلى جامعة السّوربون حيث قضى أربع سنوات (١٩١٥ـ١٩١٩).. أُرسل ليدرس التّاريخ في السّوربون فما لبث أن أيقن بأنّ الدرجات العلميّة لا تعني شيئا إن هي لم تقم على أساس متين من الثقافة وليس إلى ذلك من سبيل سوى إعداد «الليسانس» وأحرز درجة «الليسانس في التّاريخ» سنة ١٩١٧ فكان أوّل طالب مصري يظفر بهذه الشهادة من كليّة الآداب بالجامعة الفرنسيّة.. وفي ذات المدة نفسها كان يُعدّ رسالة «دكتوراه جامعة» باللّغة الفرنسيّة موضوعها : «دراسة تحليليّة نقديّة لفلسفة ابن خلدون الاجتماعيّة» :

Etude analytique et critique de la philosophie sociale d'Ibn Khaldoun .

ولم يكد يفرغ من امتحان الدكتوراه حتّى نشط لإعداد رسالة أخرى فقد صحّ منه العزم على الظفر «بدبلوم الدّراسات العليا» Diplôme d'Etudes Superieures وهو شهادة يتهيّأ بها أصحابها للانتساب إلى دروس «التبريز في الآداب». وما هي إلاّ أن أشار عليه أُستاذه بموضوع هو: «القضايا التي أقيمت في روما على حكّام الأقاليم الذين أهانوا جلال الشّعب الرّوماني في عهد تباريوس فقبله ومارسه بالصّبر على مشقّة البحث وبالمثابرة على الفهم حتّى ناقشه ونجح فيه نُجْحاً حسناً سنة ١٩١٩.

في عام ١٩١٩ عاد طه حسين إلى وطنه فعيّنته الجامعة المصريّة مباشرة أستاذاً للتاريخ القديم (اليوناني والرّوماني) فظلّ يُدرّسه طيلة ستّ سنوات كاملات (١٩١٩-١٩٢٥). وفي سنة ١٩٢٥ أصبحت الجامعة المصريّة حكوميّة فعيّن طه حسين أستاذاً لتاريخ الأدب العربي في كليّة الآداب وتقلد ـ منذ ذلك الوقت حتّى سنة ١٩٥٢ـ في مناصب علميّة وإداريّة وسياسيّة. ففي عام ١٩٤٢ أصبح مستشاراً لوزير المعارف ثم مديراً لجامعة الإسكندرية حتى أُحيل للتقاعد في ١٦ أكتوبر ١٩٤٤ واستمر كذلك حتى ١٣ يناير ١٩٥٠ عندما عُين لأول مرة وزيراً للمعارف. وكانت تلك آخر المهام الحكومية التي تولاها حيث أنصرف بعد ذلك وحتى وفاته عام ١٩٧٣ إلى الإنتاج الفكري والنشاط في العديد من المجامع العلمية التي كان عضواً بها من داخل وخارج مصر.

أنتج طه حسين أعمالاً كثيرة منها أعمال فكرية تدعو إلى النهضة والتنوير وأعمال أدبية منها الروايات والقصص القصيرة والشعر ومن أعماله:

على هامش السيرة الأيام حديث الأربعاء مستقبل الثقافة في مصر الوعد الحق في الشعر الجاهلي المعذبون في الأرض صوت أبي العلاء من بعيد دعاء الكروان فلسفة ابن خلدون الاجتماعية الديمقراطية في الإسلام طه حسين والمغرب العربي.

كذلك قام بدور اجتماعي وسياسي كبير في إنهاض المجتمع المصري وتنوير العقل العربي وارتبطت به دعوة مبكرة من أجل مجانية التعليم وهي الدعوة التي قادها تحت شعار «العلم كالماء والهواء حق لكل إنسان».

توفي في ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ بالقاهرة عن عمر يناهز ٨٤ سنة .

■ ■ ■


غرام الكبار
الشيخ
مصطفى عبد الرازق
والعشق من أول ركعة

هو شيخ الأزهر الوقور .. فما يمنعه من حضور صالون مي !!

بل .. وهل منعه ذلك من مراسلة مي وعشقها ؟!

إنها هرطقة الحب في صالون مي زيادة التي ألغت العقل وباعت النقل ومنحت الفِكر أجازة مفتوحة وشطبت الموروث وداست على المكتسب .

فمن هو فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق ؟

يعد الشيخ مصطفى عبد الرازق رائد الدرس الفلسفي في مصر المعاصرة وأول أستاذ جامعي يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية من وجهة نظر إسلامية خالصة حيث كانت تدرس من قبل في الجامعة المصرية من خلال الدرس الاستشراقي الذي ربط الفلسفة الإسلامية بالتراث اليوناني وأنكر أي دور للعقل المسلم في تطوير الفكر الفلسفي عامة.

قدم الشيخ مصطفى عبد الرازق رؤية جديدة تقوم على تلمس نشأة التفكير الإسلامي الفلسفي في كتابات المسلمين أنفسهم قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية ويدرسوها دراسة وافية ودعا إلى تدريس علم الكلام والتصوف في أقسام الفلسفة وإلى البحث عن أوجه الأصالة والابتكار في الفلسفة الإسلامية.

ورأى أن الاجتهاد بالرأي هو بداية النظر العقلي ومن ثم فإن علم أصول الفقه ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام.

ومنذ أن أعلن مصطفى عبد الرازق عن دعوته التجديدية وإلى دراسة الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية سارع تلاميذه إلى إحياء الفكر الفلسفي الإسلامي.

سليل أسرة عريقة

ومصطفى عبد الرازق صاحب هذه المدرسة سليل أسرة عريقة اشتهر كثير من

أبنائها بخدمة القضية الوطنية المصرية ولد سنة (١٣٠٥هـ=١٨٨٨م) في قرية «أبو جرج» التابعة لمركز بني مزار بمحافظة المنيا بصعيد مصر ونشأ في كنف أبيه حسن عبد الرازق الذي كان عضوا بالمجالس شبه النيابية التي عرفتها مصر منذ عصر الخديوي إسماعيل.

قضى طفولته في قريته حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ثم انتقل وهو في العاشرة إلى القاهرة والتحق بالأزهر ليحصل العلوم الشرعية واللغوية حيث درس الفقه الشافعي وعلوم البلاغة والمنطق والأدب والعروض والنحو وغيرها.

وبدأ يتردد منذ سنة (١٣٢١هـ=١٩٠٣م) على دروس الإمام محمد عبده في الرواق العباسي وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم ويشرح كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

وقد تأثر التلميذ بشيخه وبأفكاره الإصلاحية وتوثقت الصلة بينهما وصار من خاصة تلاميذه وأقربهم إليه على الرغم من قصر المدة الذي اتصل فيها بشيخه الكبير.

وقد ظل وفيا له ولم يترك الحديث عن جهاده تأليفا ومحاضرة وتدريسا وكتابة في الصحف عن سيرة الإمام وآثاره ووجهته في الإصلاح حين دعا إلى التوفيق بين العقل والنقل وإلى تحرير العقل من التقليد لأن النظر العقلي هو أساس الإيمان الصحيح.

كما اتصل بعدد من كبار علماء الأزهر فدرس أصول الفقه على الشيخ أبي الفضل الجيزاوي والمنطق على الشيخ حسنين مخلوف وأحمد أبو خطوة ومن شيوخه أيضا: بسيوني عسل ومحمد حسنين البولاقي ومحمد الحلبي وغيرهم.

الأزهري في باريس :

وبعد حصوله على العالمية سنة (١٣٢٦هـ=١٩٠٨م) بدأ حياته العامة وأبدى اهتماما بالمشاركة في الجمعيات العلمية والأدبية كالجمعية الأزهرية التي أنشأها محمد عبده واختير مصطفى عبد الرازق رئيسا لها. وكانت هذه الجمعية تجتمع لدراسة إصلاح التعليم في الأزهر.

ثم بدا له أن يسافر في سنة (١٣٢٩هـ=١٩١١م) إلى باريس لاستكمال دراسته العليا والوقوف على الثقافة الغربية ومعرفة ينابيعها فالتحق بجامعة السربون لدراسة اللغة الفرنسية وحضر دروس الفلسفة ودرس الاجتماع على يد دوركايم وتلقى دروسا في الأدب وتاريخه ثم تحول إلى جامعة ليون ليدرس أصول الشريعة الإسلامية على أستاذه إدوارد لامبير وفي أثناء إقامته هناك أعد أطروحته لنيل درجة الدكتوراة وكانت بعنوان «الإمام الشافعي أكبر مشرعي الإسلام». وبعد قيام الحرب العالمية الأولى عاد مع زملائه المصريين الذين كانوا يدرسون في أوربا سنة (١٣٣٢هـ=١٩١٤م).

على ضفاف السياسة :

وبعد عودته إلى القاهرة عين في سنة (١٣٣٢هـ=١٩١٥م) موظفا في المجلس الأعلى للأزهر ثم لم يلبث أن ترقى إلى وظيفة سكرتير المجلس ثم انتقل إلى القضاء الشرعي سنة (١٣٣٨هـ=١٩٢٠م) حيث عمل مفتشا بالمحاكم الشرعية ثم اشترك مع أقطاب أسرته في تأسيس حزب الأحرار الدستوريين (١٣٤١هـ=١٩٢٢م) وإن لم يندمج هو في أنشطة الحزب السياسية اندماجا كبيرا بسبب طبيعته الهادئة وميله إلى الفكر والأدب واكتفى بنشر مقالاته الأدبية والاجتماعية والدينية في صحيفة الحزب المعروفة باسم «السياسة».

وحين صارت الجامعة الأهلية في مصر جامعة حكومية انتقل إليها في سنة (١٣٤٦هـ=١٩٢٧م) أستاذا مساعدا للفلسفة بكلية الآداب وكان أول أستاذ مصري يلقي محاضرات في الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية.

ثم اختير وزيرا للأوقاف عدة مرات (١٣٥٦-١٣٦٣هـ=١٩٣٧-١٩٤٤م) فكان أول شيخ أزهري يتولى الوزارة في مصر ومُنح لقب الباشاوية ولكنه آثر عليه لقب شيخ ولم يخلع عمامته طوال حياته.

وفي (٢٢ من المحرم سنة ١٣٦٥هـ= ٢٧ من ديسمبر ١٩٤٥م) عين شيخا للأزهر خلفا للشيخ المراغي غير أن مشيخته لم تطل حيث توفى في (٢٤ من ربيع الأول ١٣٦٦هـ= ١٥ من فبراير ١٩٤٧م).

رائد الفكر الفلسفي الإسلامي الحديث

كان عمل الشيخ مصطفى عبد الرازق أستاذا للفلسفة الإسلامية نقطة تحول في تاريخ الدرس الفلسفي الإسلامي في مصر حيث قدم تصورا خاصا في نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي لم يُسبق إليه وكانت الفلسفة الإسلامية تدرس على نحو يميل إلى النظر الغربي حيث اتهمت بعدم الدقة والأصالة والعجز عن الابتكار وبأنها ليست إلا محاكاة للفلسفة اليونانية وأنها اختصار سيئ قام به مترجمون غير جيدين للفكر اليوناني القديم.

وقد جحد غالبية الباحثين الأوربيين وبعض الكتاب المحدثين من المسلمين الفكر الإسلامي كل جديد وإبداع وأعلنوا أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة الكندي والفارابي وابن طفيل وابن باجة وابن رشد وهي الطائفة التي عرفت باسم فلاسفة الإسلام. وحاول هؤلاء أن يبينوا التطابق التام بين ما يسمى لديهم فلسفة إسلامية والفلسفة اليونانية وأن يردوا الأولى إلى الثانية مع تفصيلات جزئية.

وهؤلاء حصروا الفكر الإسلامي في دائرة واحدة لم يتخطوها وهي الفلسفة الإسلامية على طريقة اليونان وأغفلوا جوانب أخرى أصيلة لم يلتفتوا إليها سواء عن عمد أو غير عمد وهذه الجوانب هي ما حاول الشيخ مصطفى عبد الرازق أن يكشف عنها ويبرز ما فيها من جدة وابتكار وأصالة وإبداع من خلال دراسة الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية وفي كتابات المسلمين الأصيلة ودحضه لمزاعم المستشرقين -وعلى رأسهم رينان- من أن العقل الإسلامي من الناحية البيولوجية غير قادر على إنتاج فلسفة يعتد بها لأنه يميل إلى البساطة والوحدة ويرفض التعدد والتركيب ودحض الشيخ عبد الرازق هذا مؤكدا على المكانة الرفيعة التي يتبوأها العقل في الإسلام من خلال دراسته للنظر العقلي في الفكر الإسلامي مدعما بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وتحليله لمكانة الرأي في الفكر الإسلامي.

المدرسة وتلاميذها

وقد تأثر بأفكار الشيخ مصطفى عبد الرازق نفرٌ كريم من تلاميذه فاستكملوا ما بدأه وقدموا دراسات جديدة تكشف عن جوانب أصيلة في الفكر الفلسفي فكشف تلميذه محمود الخضيري عن ملامح الفلسفة الإسلامية الحقيقية في عصورها المختلفة.

وكتب محمد مصطفى حلمي عن الحياة الروحية في الإسلام وانبثاقها في جوهرها عن الدين الحنيف وحده ووضع دراسة ضافية عن فلسفة الحب الإلهي لدى عمر بن الفارض المعروف بسلطان العاشقين وقد ملأت كتاباته في التصوف فجوة كبيرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية.

وقدم محمد عبد الهادي أبو ريدة دراسة رائدة عن المعتزلة متمثلة في فكر إبراهيم بن سيار النظام وأثبت أن لهذا الشيخ الكبير من شيوخ المعتزلة فلسفة أصيلة تجعله من الرعيل الأول من فلاسفة الدنيا.

وقدم علي سامي النشار كتابا حافلا بعنوان «مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسي» رد فيه على مؤرخي المنطق وعلم مناهج البحث الذين ينكرون أن يكون للمسلمين مكانة مبدعة في نطاق علم مناهج البحث وأنهم أخذوا بالمنطق اليوناني واعتبروه منهجا لأبحاثهم.

وأثبت عدم قبول المفكرين المسلمين لمنطق أرسطو ومحاربتهم له وأنهم وضعوا المنطق الاستقرائي كاملا وهو المنهج التجريبي وأن هناك وثائق عدة تثبت أن المسلمين استخدموا طرق التحقيق التجريبية في دراستهم للطب والعلوم الطبيعية والكيميائية والفلكية والنباتية وأن هذا المنهج قد وصل إلى أوربا واستفاد منه علماؤها ونسبوه إلى أنفسهم وكان سببا في إقامتهم حضارة إنسانية وعلم حقيقي.

وللنشار دراسة وافية في ثلاثة أجزاء بعنوان «نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام» تتبع فيها نشأة ذلك الفكر وأسس بنائه.

وإلى جانب هؤلاء أسهم عدد كبير آخر من تلامذة مصطفى عبد الرازق في مجالات الفلسفة يأتي في مقدمتهم: عثمان أمين وتوفيق الطويل وأحمد فؤاد الأهواني.

ولم تكن تلك المدرسة وحدها تقوم بهذا التفسير الحضاري للفلسفة الإسلامية بل تكونت مدرسة أخرى في دار العلوم تعنى بالمدرسة العقلية الإسلامية على يد العالم الكبير محمود قاسم الذي نشر أبحاثا فياضة عن ابن رشد بالعربية والفرنسية ورأى أنه يعبر عن روح الفلسفة الإسلامية وأصالتها وأنه لم يتابع أرسطو متابعة الأعمى وبيّن أثر ابن رشد في فيلسوف المسيحية توماس الإكويني وكذلك قامت في الأزهر مدرسة حمل لواءها الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبد الرحمن بيصار.

وقد تابع هذا الجيل من الرواد جيلٌ آخر يقف في طليعته عمار الطالبي بأبحاثه عن الخوارج وعن ابن العربي وعبد الحميد بن باديس ومحمد رشاد سالم ببحوثه عن

ابن تيمية وأحمد صبحي بدراساته عن علم الكلام وعلم الأخلاق عند المسلمين وعبد القادر محمود بمباحثه عن الإمامية وتاريخ التصوف وفوقية حسين بكتاباتها عن الجويني وحسن الشافعي ببحوثه عن الآمدي.

مؤلفات مصطفى عبد الرازق :

وقد ترك الشيخ عددا من المؤلفات فكتب دراسة صغيرة أدبية عن البهاء زهير الشاعر المعروف ونشرت سنة (١٣٤٩هـ=١٩٣٠م) وأصدر كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» سنة (١٣٦٣هـ=١٩٤٤م) وهو أشهر كتبه وأهمها. وله أيضا:

- كتاب «فيلسوف العرب والمعلم الثاني» تناول فيه فلسفة كل من الكندي والفارابي وصدر سنة (١٣٦٤هـ=١٩٤٥م).

- وكتاب «الإمام الشافعي» وصدر ضمن سلسلة أعلام الإسلام سنة(١٣٦٤هـ=١٩٤٥م).

-وكتاب «الشيخ محمد عبده» ونشره في سنة (١٣٦٥هـ=١٩٤٦م) وهو يجمع مقالاته ودراساته عن أستاذه وركز فيه على الجانب الإصلاحي والفلسفي من حياة الإمام كما قام بترجمة «رسالة التوحيد» لمحمد عبده إلى الفرنسية بالاشتراك مع برنارد ميشيل.

-وقد جمع أخوه الشيخ علي عبد الرازق مجموعة من مقالاته التي نشرها في الجرائد والمجلات في كتاب تحت عنوان «من آثار مصطفى عبد الرازق» مع مقدمة لطه حسين وصدر في سنة (١٣٧٧هـ=١٩٥٧م).

وقد حظي الشيخ مصطفى عبد الرازق بتقدير الهيئات والمجامع العلمية فاختير عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة كما تناول فكره عدد من الدراسات والأطروحات العلمية.


غرام الكبار
ولي الدين يكن
قتيل غرام مي

عشقها بلا هوادة .. وسفح فيها الشعر والكرامة .. وحين فقد الأمل في قلبها انصرف إلى الكوكاكيين فاتخذه صديقاً ورفيقاً ومؤنساً علّه ينسى صراع الكبار عليها في الصالون الأشهر .. وأخيراً سقط صريع الموت ليكون من ضحايا مي زيادة !!

وهو الوحيد الذي اتشحت عليه السواد طويلاً .

فهل كان ولي الدين يكن الشاعر الفذ هو أول لعنات مي ؟!

حيث بدأ العد التنازلي لأحزانها الجِسام فلحق بها أبويها وجبران !!

فمَنْ هو ولي الدين يكن ؟!

...

هو .. ولي الدين يكن تركيّ الأب شركسيّ الأم .. شاعر كبير .. ولد في استانبول عام ١٨٧٣ وانتقل إلى مصر مع والده لما ارتحل هذا الأخير إليها. كان لا يزال طفلاً في السّادسة من عمره لما توفي والده عام ١٨٧٩ فكَفِله والعائلة عمه علي باشا يكن ناظر المالية المصرية.

ضُمّ ولي الدين يكن إلى «مدرسة الأناجل» وهي المدرسة التي كان االخديوي توفيق قد أنشأها لتعليم ابنيه وبعض أولاد الأسرة العلوية. وبين هذه المدرسة ومدرسة مارسيل العالم الفرنسي الذي كانت مدرسته تُعلّم الفرنسية والمدارس الأميرية بعد ذلك خرَج ولي الدّين وقد أتقن العربية والتركية وأَحْكَم الفرنسية وألمّ بالإنكليزية واليونانية.

ونفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيواس سنة ١٩٠٢ فاستمر إلى أن أعلن الدستور العثماني ١٩٠٨ فانتقل إلى مصر .

وعمل في وزاره الحقانية سنة (١٩٢٤) فعين سكرتيراً عربياً لديوان الأمناء ومرض وابتلي بالكوكايين فقعد عن العمل (١٩١٩) وقصد حلوان مستشفياً فتوفي

بها ودفن في القاهرة.

ويبدو أنّ نزعة ولي الدين نحو الكتابة جاءت نتيجة رغبة نفسية داخلية. فهو لما يبلغ العشرين أخذ يكتب المقالات في الموضوعات المتنوّعة ويبعث بها إلى الصحف المصرية. كتب في السياسة وفي الأدب وطَرَق شؤونًا اجتماعيةً وبلغ به الأمر أن أصدر في هذا الوقت المبكر مساهمةً مع الصحفي يوسف فتحي بك جريدة «المقياس». بعد ذلك أُلحِقَ بالقسم الأجنبي في معيّة الخديوي السّنية وكان في العشرين من عمره.

زار ولي الدين يكن استانبول سنة ١٨٩٦ وقضى سنة كان لها أثر كبير في نفسه إذ أغنت تجاربه.

وسافر إلى الأستانة مرتين (سنة ١٣١٤ - ١٣١٦هـ) وعين في الثانية عضواً في مجلس المعارف الكبير .

وعاد إلى مصر وقد أدرك من اضطراب الأمور في عاصمة الدولة العثمانية ما حمله على الإندفاع في الدعوة إلى الإصلاح فأنشأ جريدةً دعاها «الإستقامة» حتى أصبحت منبره الخاص. لكن هذا المنبر لم يرق لأوّلي الأمر في استانبول فمُنِعَت «الإستقامة» من الدخول إلى الولايات فأوقفها صاحبها مُكرَهًا. لكن قلمه كان قد اعتاد على الكتابة فلا سبيل إلى وقفه. كانت جريدة «المشير» وجريدة «المقطم» وجريدة «القانون الأساسي» ميدانًا لما يكتب.

عاد ولي الدين إلى استانبول ووُظِّف في الدولة عضوٌ في مجلس المعارف الأعلى. لكنّ ذلك لم يشفع لماضيه الذي كان ممسوسًا بأنه دفاع عن الحرية لذلك أُلقيَ عليه القبض سنة ١٩٠٢. وبعد أن قضى بعض الوقت في سجنٍ ضيّقٍ نُفِيَ إلى سيواس وظلّ هناك إلى سنة ١٩٠٨. لكن لما وصل سيواس منفيًا عيّنته الحكومة العثمانية في

منصبٍ محترمٍ. وجاءت سنة ١٩٠٨ وأُعلِنَ الدستور وخرج ولي الدين من منفاه وعاد إلى إستانبول ولكن إقامته فيها لم تطل فاتجه إلى مصر واستقرّ هناك.

كان ولي الدين كاتب المقالة في عصره. وجميع الكتب التي ظهرت له في حياته وبعد وفاته هي مجموعات من المقالات باستثناء رواية «دكران ورائف» وهي رواية اجتماعية. وقد كتب المقالة كثيرون ممن عاصروا ولي الدين لكنه تميّز في أنه كتب في جميع أنواع الموضوعات. فمقالته كانت شاملة كما أن مقالاته كانت مثل أشعاره تكشف عن أمرين امتزجا معًا بشكلٍ ملحوظٍ: المنطق السّويّ والعاطفة الجائشة إضافة إلى الأسلوب السّاخر الذي تناول فيه حديثي النعمة.

لولي الدين يكن الآثار المطبوعة التالية: «المعلوم والمجهول» «الصحائف السود» «التجاريب» «خواطر نيازي»(المترجمة إلى التركية) «الديوان»(الذي جمعه أخوه يوسف حمدي يكن) «دكران رائف» وهي جميعها مقالات أو قصائد. وولي الدين ينتقل في مقالاته من الشّعر إلى النّثر ومن النثر إلى الشعر على أهون سبيل .

ولي الدين وغرام مي زيادة

قال فيها شعراً وسفح فيها شعوراً فماذا قال :

أتسقم ميّ وأبقى صحيحاً ... ألا أنني الصاحب الخائن
فيا ويح قلبي من غادر ... لقد غر بالمسكن الساكن
إذا لم يكن مان في وده ... فها هو في عهده مائن
فيا رب هب لي مواجع مي ... بأضعاف ما يزن الوازن
وهب من حياتي حياة لها ... وإني لأمثالها ضامن
لها من أمانك ركن منيع ... ومن أنت أمنته آمن

بالرغم من سنواته القليلة وقصارها الا أنه أخذ مكانته العظيمة في تاريخ الشعر



العربي لموهبته التي ظهرت وهو فتى

وبدأت بكتابة المقالات والشعر في صحف زمانه على الرغم من أنه لم ينل حقه المطلوب من الشهرة خاصة في الأوساط الثقافية .. إنْ ولي الدين يكن شاعر يعتبر من رواد عصر النهضة ولد في الآستانة وجاء إلى القاهرة طفلاً وعندما توفي والده رعاه عمه وعندما لاحظ ميوله شجعه ورعاه فكانت كل قصيدة أو مقالة يكتبها تلقى الشهرة وكانت الحرية والعدالة والوقوف في وجه الظلم وفضح الجهل الهواجس التي كانت تشغل قلمه وقد نفي أبان عهد السلطان عبد الحميد إلى مدينة سيواس وذلك لكلمته الجريئة ورغم منصبه في مجلس المعارف الكبير إلا انه لم يشفع له المنصب فنفي .. بعد عودته أسس صحيفة خاصة سماها الاستقامة وأصدر أكثر من عدد ولكن السلطات العثمانية منعت دخولها إلى الممالك العثمانية ما دفعه الى التوقف عن إصدارها وكتب شبه مرثية لتلك الصحيفة التي أحب وكانت أمله في الكلمة وبالرغم من عزوفه عن الكتابة الا انه لم يستطع الابتعاد عنها كثيراً ورغم سنوات عمره التي لم تتجاوز الخمسين فقد ترك أكثر من مؤلف نثري وشعري وترجم كتباً عديدة عن الفرنسية والتركية ثم رحل عام ١٩٢١ نتيجة إصابته بالربو وترك لنا أشعاراً كثيرة تعتبر إحدى ارهاصات الشعر العربي الحديث وقصة غرامه بمي الذي قتله هواها حين انصرف للكوكاكيين حتى ينسى زحمة رجال صالونها فيها وتصارعهم عليها .

■ ■ ■


غرام الكبار
شبلي شميّل
أول الأحزان



هو رمز الإلحاد في صالون مي .. خفيف الظل .. سريع الطلقات .. صريح العبارة .. عاش أزهى صراعات صالون مي .. تحرَّق على جمر نار مي .. وكان شاهد رؤية على معركة الكبار في هواها .. فمَنْ هو هذا الرجل ؟

هو الدكتور شبلي شميل ولد عام ١٨٥٠ .. مسيحي لبناني من طلائع النهضة العربية .. تخرج من الكلية البروتستنتية الجامعة الأمريكية في بيروت ثم توجّه إلى باريس لدراسة الطب ثم استقر في مصر أقام في الاسكندرية طنطا ثم القاهرة

أصدر مجلة (الشفاء) سنة ١٨٨٦م وكان أول من أدخل نظريات داروين إلى العالم العربي من خلال كتاباته في المقتطف ثم مؤلفه (فلسفة النشوء والارتقاء). كما أصدر هو و سلامة موسى صحيفة أسبوعية اسمها المستقبل سنة ١٩١٤ لكنها أغلقت بعد ستة عشر عددا

كان من العلامات الأخلاقية المعروفة. نافح عن العلمانية كنظام سياسي اذ كان يرى بأن الوحدة الاجتماعية ضرورة أساسية لتحقيق إرادة شعبية عامة تستلزم الفصل بين الدين والحياة السياسية على اعتبار أن الدين كان عامل فرقة.

من مؤلفاته :

- «فلسفة النشوء والارتقاء».
- «مجموعة مقالات». مما نشره في المقتطف والهلال
- «المعاطس». رسالة
- تحقيق لكتاب فصول أبقراط
- تحقيق لكتاب أرجوزة لابن سينا

- توفى عام ١٩١٧ .. ليكون أول آلام مي وأول أحزان سماء الصالون الأدبي الأشهر في تاريخ الأدب العربي .


غرام الكبار
حافظ إبراهيم
الرجل الصامت
في الصالون الصاخب

لماذا كان حافظ إبراهيم صامتاً في صالون مي ؟!

ولماذا كان أحرص رجال الصالون على الحضور مساء كل ثلاثاء إلى ندوة مي ؟!

وكيف رأى معارك غرام الكبار وصراع الجبابرة على امرأة واحدة هي مي زيادة ؟!

ولكن .. مَنْ هذا العاشق الشاعر الصامت ؟!

...

هو .. محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس المشهور باسم حافظ إبراهيم .. الشهير بـ حافظ إبراهيم شاعر النيل - في مدينة ديروط بمحافظة أسيوط في ٢٤ فبراير ١٨٧٢ من أب مصري وأم تركية .. توفى والده بعد عامين من ولادته وأنتقل حافظ إلى القاهرة مع والدته التي توفيت هي الأخرى بعد أعوام قليلة من وفاة والده وتولى خاله تربيته وادخله المدرسة وفي المدرسة أقبل حافظ على قراءة الدواوين الشعرية ونظم الشعر وهو الأمر الذي أثر على دراسته .

التحق بالمدرسة الحربية في عام ١٨٨٨ وتخرج منها في عام ١٨٩١ ضابطاً برتبة ملازم ثان في الجيش المصري وعُين في وزارة الداخلية. وفي عام ١٨٩٦ أُرسل إلى السودان مع الحملة المصرية إلى أن الحياة لم تطب له هنالك فثار مع بعض الضباط .. ونتيجة لذلك أُحيل حافظ على الاستيداع بمرتب ضئيل .

وبعد أن تم طرده من الجيش بعد أن قامت القوات الإنجليزية باتهامه هو ومجموعة من الضباط والجنود المصريين بتدبير مؤامرة عليها وتأليف جماعة وطنية سرية فقاموا بمحاكمته هو والآخرون وطرد من الجيش أعيد مرة أخرى للخدمة فعين بوزارة الداخلية عام ١٨٩٤م أصبح بعد ذلك رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية عام ١٩١١م ثم عمل محرراً بجريدة الأهرام .

في الفترة التي تلت عودته من السودان عاش حافظ حياة بها الكثير من الألم

والفقر وفي مصر بدأ يمعن النظر في حياة المصريين وتعمق فيهم فنظم العديد من الأشعار التي تنوعت بين مدح ورثاء ووطنية والتقى هناك بالعديد من الرموز الفكرية والوطنية من أمثال محمد عبده قاسم أمين مصطفى كامل البارودي وغيرهم مما اثر عليه كثيراً .

شعره :

قام حافظ إبراهيم بحمل هموم الوطن والشعب فعبر عنها في الكثير من القصائد الشعرية اشتهر بشعره الوطني وقوميته وارتبط شعره بالمناسبات على اختلاف أنواعها سواء رثاء أو مدح أو وصف وقال عنه الشعراء والنقاد انه احكم الصياغة والأسلوب وأجاد بها وقد هزته الأحداث الوطنية التي مرت على بلاده في الفترة التي عاصرها كما اثر فيه ظهور الكثير من الشخصيات الوطنية الحاملة لهموم الوطن .

وحافظ من أهم شعراء مصر والعروبة ذائع الصيت .. عاصر أحمد شوقي ولقب بشاعر النيل وبشاعر الشعب .

من طرائف روعة أقداره :

أنه على متن سفينة كانت راسية على النيل أمام ديروط وهي مدينة بمحافظة أسيوط من أب مصري وأم تركية. توفي والداه وهو صغير. وقبل وفاتها أتت به أمه إلى القاهرة حيث نشأ بها يتيما تحت كفالة خاله الذي كان ضيق الرزق حيث كان يعمل مهندسا في مصلحة التنظيم. ثم انتقل خاله إلى مدينة طنطا وهنالك أخذ حافظ يدرس في الكتاتيب. أحس حافظ إبراهيم بضيق خاله به مما أثر في نفسه فرحل عنه وترك له رسالة كتب فيها :

ثقلت عليك مؤونتي إني أراها واهية
فافرح فإني ذاهب متوجه في داهية

بعد أن خرج حافظ إبراهيم من عند خاله هام على وجهه في طرقات مدنية طنطا حتى انتهى به الأمر إلى مكتب المحام محمد أبو شادي أحد زعماء ثورة ١٩١٩ وهناك اطلع على كتب الأدب وأعجب بالشاعر محمود سامي البارودي. وبعد أن عمل بالمحاماة لفترة من الزمن التحق حافظ إبراهيم بالمدرسة الحربية في عام ١٨٨٨ م وتخرج منها في عام ١٨٩١ م ضابط برتبة ملازم ثان في الجيش المصري وعين في وزارة الداخلية. وفي عام ١٨٩٦ م أرسل إلى السودان مع الحملة المصرية إلى أن الحياة لم تطب له هنالك فثار مع بعض الضباط. نتيجة لذلك أحيل حافظ على الاستيداع بمرتب ضئيل.

كان حافظ إبراهيم إحدى أعاجيب زمانه ليس فقط في جزالة شعره بل في قوة ذاكرته التي قاومت السنين ولم يصبيها الوهن والضعف على مر ٦٠ سنة هي عمر حافظ إبراهيم فإنها ولا عجب إتسعت لآلاف الآلاف من القصائد العربية القديمة والحديثة ومئات المطالعات والكتب وكان بإستطاعته – بشهادة أصدقائه – أن يقرأ كتاب أو ديوان شعر كامل في عده دقائق وبقراءة سريعة ثم بعد ذلك يتمثل ببعض فقرات هذا الكتاب أو أبيات ذاك الديوان.

وروى عنه بعض أصدقائه أنه كان يسمع قارئ القرآن في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو مريم أو طه فيحفظ ما يقوله ويؤديه كما سمعه بالروايه التي سمع القارئ يقرأ بها .

يعتبر شعره سجل الأحداث إنما يسجلها بدماء قلبه وأجزاء روحه ويصوغ منها أدبا قيما يحث النفوس ويدفعها إلى النهضة سواء أضحك في شعره أم بكى وأمل أم يئس فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ويملؤه بما يجيش في صدره

مع تلك الهبة الرائعة فأن حافظ صابه – ومن فترة امتدت من ١٩١١ إلى ١٩٣٢ – داء اللا مبالاه والكسل وعدم العناية بتنميه مخزونه الفكرى وبالرغم من إنه كان رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب إلا أنه لم يقرأ في هذه الفترة كتاباً واحداً من آلاف الكتب التي تذخر بها دار المعارف الذي كان الوصول إليها يسير بالنسبه لحافظ تقول بعض الآراء ان هذه الكتب المترامية الأطراف ألقت في حافظ الملل ومنهم من قال بأن نظر حافظ بدا بالذبول خلال فترة رئاسته لدار الكتب وخاف من المصير الذي لحق بالبارودى في أواخر أيامه

كان حافظ إبراهيم رجل مرح وأبن نكتة وسريع البديهة يملأ المجلس ببشاشته و فكاهاته الطريفة التي لا تخطأ مرماها .

وأيضاً تروى عن حافظ أبراهيم مواقف غريبة مثل تبذيره الشديد للمال فكما قال العقاد (مرتب سنة في يد حافظ إبراهيم يساوى مرتب شهر) ومما يروى عن غرائب تبذيره أنه استأجر قطار كامل ليوصله بمفرده إلى حلوان حيث يسكن وذلك بعد مواعيد العمل الرسمية

مثلما يختلف الشعراء في طريقة توصيل الفكرة أو الموضوع إلى المستمعين أو القراء كان لحافظ إبراهيم طريقته الخاصة فهو لم يكن يتمتع بقدر كبير من الخيال ولكنه أستعاض عن ذلك بجزالة الجمل وتراكيب الكلمات وحسن الصياغة بالأضافة أن الجميع اتفقوا على انه كان أحسن خلق الله إنشاداً للشعر. ومن أروع المناسبات التي أنشد حافظ بك فيها شعره بكفاءة هي حفلة تكريم أحمد شوقى ومبايعته أميراً للشعر في دار الأوبرا الخديوية وأيضاً القصيدة التي أنشدها ونظمها في الذكرى السنوية لرحيل مصطفى كامل التي خلبت الألباب وساعدها على ذلك الأداء المسرحى الذي قام به حافظ للتأثير في بعض الأبيات ومما يبرهن ذلك المقال

الذي نشرته إحدى الجرائد والذي تناول بكامله فن إنشاد الشعر عند حافظ. ومن الجدير بالذكر أن أحمد شوقي لم يلقى في حياته قصيدة على ملأ من الناس حيث كان الموقف يرهبه فيتلعثم عند الإلقاء .

حافظ كما يقول عنه خليل مطران «أشبه بالوعاء يتلقى الوحى من شعور الأمة وأحاسيسها ومؤثراتها في نفسه فيمتزج ذلك كله بشعوره و إحساسه فيأتى منه القول المؤثر المتدفق بالشعور الذى يحس كل مواطن أنه صدى لما في نفسه». ويقول عنه أيضاً «حافظ المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسج على منوالها ويتذوق نفائس مفرداتها وإعلاق حلالها.» وأيضاً «يقع إليه ديوان فيتصفحه كله وحينما يظفر بجيده يستظهره وكانت محفوظاته تعد بالألوف وكانت لا تزال ماثلة في ذهنه على كبر السن وطول العهد بحيث لا يمترى إنسان في ان هذا الرجل كان من أعاجيب الزمان»

وقال عنه العقاد «مفطوراً بطبعه على إيثار الجزالة و الإعجاب بالصياغة والفحولة في العبارة».

كان أحمد شوقي يعتز بصداقه حافظ إبراهيم ويفضله على أصدقائه. و كان حافظ إبراهيم يرافقه في عديد من رحلاته وكان لشوقى أيادى بيضاء على حافظ فساهم في منحه لقب بك وحاول أنْ يوظفه في جريدة الأهرام ولكن فشلت هذه المحاولة لميول صاحب الأهرام - وكان حينذاك من لبنان - نحو الإنجليز وخشيته من المبعوث البريطانى اللورد كرومر .

وفي عام ١٩١١ انتقل إلي دار الكتب رئيساً للقسم الأدبي ثم اشتغل محرراً بالأهرام .

من أهم أعماله الشعرية: «قصيدة العام الهجري ـ الأم المثالية ـ مصر تتحدث عن

نفسها - خمريات - سجن الفضائل»

أما بالنسبة لأعماله النثرية فمن أهمها « ليالي سطيح » .

ومن أعماله المترجمة: مسرحية شكسبير - البؤساء «لفكتور هوجو »

وقد اتصف حافظ إبراهيم بثلاث صفات يرويها كل من عاشره وهي : «حلاوة الحديث وكرم النفس وحب النكتة والتنكيت ».

ورحمَ الله حافظ إبراهيم الذي رحل عنا في ٢١ يوليو عام ١٩٣٢م

■ ■ ■


غرام الكبار
عبد العزيز فهمي
كيف جعل من
صالون مي قضيته؟



هو شيخ القضاء وسيد القانون ومُعلِّم الدستوريين وفيلسوف المحاكم وأمير العدل في عصره .. إليه يرجع الفضل في الفصل الحق في شتى النزاعات القضائية والقضايا الخلافية في زمانه.

هو حُجة في حرفته وعلاَّمة وعلامة بارزة في مكانه .

فكيف سارت به قدميه لصالون مي زيادة فأصبح من أقرب المقربين لمي ومن أشرس المنافحين عن قلبها ومن ألَّد خصوم نجوم الفوز بهواها ؟!

ولكن ..

مَنْ هو أصلاً هذا الرجل الكبير الرائع تميزاً ؟

...

يعد فهمي من أبرز الشخصيات السياسية في تاريخ مصر الحديث حيث انضم إلى سعد زغلول في حركته الوطنية وكان عضواً بالوفد وكان إحدى الشخصيات التي قامت بالسفر إلى لندن لعرض المطالب المصرية على المعتمد البريطاني – فقد كانت ثلاث شخصيات هم سعد زغلول كمتحدث رسمي وعلي شعراوي نائباً عن الوجه القبلي بالإضافة إلى عبد العزيز فهمي - حيث كان نائباً للوجه البحري المصري.ولد عبد العزيز فهمي في ٢٣ ديسمبر من عام ١٨٧٠م بإحدى قرى الريف المصري والتي تدعى (كفر المصيلحة) إحدى قرى محافظة المنوفية تلقى تعليمه الأول في بلدته وحفظ القرآن الكريم ثم أرسله والده إى جامع السيد البدوي بطنطا ليتعلم التجويد ثم ما لبث أن نقله إلى الأزهر حيث تعلم على يد مشايخه لكنه انتقل بعد ذلك إلى مدارس علمانية حتى حصل على الابتدائية ومنها إلى الثانوية.انتقل عبد العزيز فهمي بعد ذلك إلى مدرسة (كلية) الحقوق وهنا دعوني أروي لكم موقفاً طريفاً وقع بينه وبين علي باشا مبارك والذي كان ناظراً للمعارف

(أي وزيراً للتربية والتعليم) آنذاك حدث ذلك عام ١٨٨٩م وكان فهمي وقتئذ طالباً بالسنة النهائية بالحقوق ولم يبق على امتحان الليسانس سوى بضعة أشهر وفي ذلك الحين أعلنت الحكومة عن وظيفتي مترجم إحداهما في نظارة الحقانية ومرتبها ١٢ جنيها يعلو إلى ١٦ والأخرى في إدارة مصالح القاهرة بنظارة الأشغال ومرتبها ٨ جنيهات يعلو إلى ١٢.

وإذ كانوا متخرجو الحقوق وقتئذ يتقاضون خمسة جنيهات فقد أغرى هذا المبلغ فهمي وبعض من زملائه بالتقدم إلى امتحان مسابقة الالتحاق بتلك الوظيفتين ولما علم علي مبارك بما عزم عليه هؤلاء الطلبة استدعاهم إلى مكتبه بالنظارة حيث استقبلهم في غضب وسألهم لماذا يتركون الدراسة للالتحاق بالوظائف مع أنه لم يبق الكثير على حصولهم على الليسانس فجاوبوه أنها فرصة لا تترك حيث أن المرتب لا يحصل عليه خريجو الحقوق فلم يقتنع ثم خرجوا من مكتبه وهو يستشيط غضباً.وجاء ميعاد الامتحان الشفهي للمسابقة وكانت اللجنة برئاسة أربعة من كبار علماء ذلك العصر لكن المشكلة أنه كان على رأسها علي مبارك فلما رأى فهمي قال في غضب: إنت يا ولد! ما رحتش المدرسة بتاعتك ليه؟- طيب لما نشوف ...

وكان هذا الاختبار يدور حول مطالعة كتاب « الوسيلة الأدبية » للشيخ حسن المرصفي حيث تم امتحان فهمي في باب (الإيجاز والإطناب والمساواة) وكانت قراءته له صحيحة فقال أحد أعضاء اللجنة:- خلاص .. خلاص .. قوم يابني.فقال مبارك:- كلا .. هذا لا يكفي .. يجب أن يلخص لنا ما قرأه.ولم يكن ذلك بالشئ الصعب على فهمي ولكن ظل مبارك يضع أمامه العراقيل حتى يرسب في الاختبار ولكن كان فهمي بالفعل مثالاً للشخصية الأنسب لتلك الوظيفة حتى أن مبارك همس لأحد الممتحنين وقال:- يا شيخ عبد الكريم .. شوف له عقدة .



وهنا طلب الشيخ من فهمي أن يقرأ له تلك الأبيات حتى يقوم بتفسيرها:

وهاجرة يشوى مهاها سمومها ... طبخت بها عيرانة واشتويتها

مفرجة منفوجة حضرمية ... مساندة سر المهاري التقيتها

قطعت بها شجعاء قوراء جرشعا ... إذا عد مجد العيس قدم بيتها

وجدت أباها رائضيها ... فأنفذت فيها الحكم حتى احتويتها

ويقول فهمي : « فقرأت الأبيات كأني أقرأ كلاماً أعجمياً ولكنني فسرت عيرانة بمعنى ناقة كما أدركت من عنوان الأبيات ولما جئت إلى قوله (شجعاء قوراء جرشعا) قلت: هاتوا لي قاموساً » ، وهنا قال علي مبارك: كيف ذلك .. وأنت في امتحان ؟ قال فهمي: لا أستطيع تفسيرها فلم يسبق لي أن قرأت هذا الكلام الغريب.وهنا ضحك مبارك وقال: اتلبخت للرقبة ووقف حمار الشيخ في العقبة .. قم واعطنا عرض أكتافك!فرد عليه فهمي مغتاظاً: لا .. لست عريض الأكتاف .. بل إن عريض الأكتاف غيري.ولكن على الرغم مما حدث فقد نجح عبد العزيز فهمي حيث حصل على وظيفة في نظارة الأشغال ولكنه حرص على دخول امتحان الليسانس وبالفعل حصل عليه عام ١٨٩٠م.

وفي أحد الأيام تلقى عبد العزيز فهمي بمكتبه دعوة لمقابلة السير ملنر وكان في ذلك الحين وكيلاً لوزارة المالية وصاحب الشأن الفعلي فيها فدهش لهذه الدعو وتهيب لمقابلته ولكن استقبله ملنر استقبالاً طيباً وحدثه عن حاجة الحكومة إلى متخرجي مدرسة الحقوق ليعملوا في وظائف الإدارة حيث تم تعيينه معاون إدارة بالدقهلية بمرتب ١٢ جنيهاً ولكنه سرعان ما طلب نقله على إثر المشكلات التي وقعت بينه وبين أعيان المنطقة فذهب كاتباً بمحكمة طنطا وظل فهمي يترقى بالمناصب حتى ذهب إلى نيابة بني سويف وهناك التقى بصديق عمره أحمد لطفي

السيد عضواً بنيابتها.

وفي عام ١٨٩٧م تم تعيين عبد العزيز فهمي وكيلاً للمستشار القضائي للأوقاف لكنه استقال في عام ١٩٠٣م وفتح مكتباً للمحاماة وفي ١٩٠٦ استعفى أحمد لطفي السيد من رئاسة النيابة فزامل فهمي في مكتبه وهنا يعترف فهمي بفضل لطفي السيد عليه من نواحي عدة فقد كانا يقضيان وقت فراغهما في المطارحة بالشعر وأنه له الفضل في تشجيع فهمي على الاطلاع على الدراسات القديمة من علمية وأدبية هذا بالإضافة إلى تشجيعه على ممارسة الرياضة البدنية.

وفي يوليو سنة ١٩١٣ صدر قانون بإنشاء الجمعية التشريعية لتحل محل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وأعلن عن انتخابها مما جعل أهالي مدينة قويسنا يرشحون فهمي وينتخبونه عن دائرتهم. وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى اتجهت الأذهان إلى مصير مصر التي أصبحت تحت نير الحماية البريطانية وخشي رجالات مصر أن تنقلب تلك الحمية إلى احتلال نهائي تصبح مصر من بعده جزءاً من الإمبراطورية البريطانية فاجتمع كلاً من عبد العزيز فهمي وسعد زغلول وعلي شعراوي في منزل محمد محمود باشا وعن طريق اقتراح هذا الأخير بدأت المناقشات حول السعي للحصول على حقوق البلاد وتأليف وفد للعمل لهذه الغاية.

توالت الاجتماعات ببيت سعد زغلول وتم الاتفاق على الأشخاص الذين يتألف منهم الوفد ولما كان سفره يقتضي تصريحاً من السلطة البريطانية فقد تم الاتفاق على ذهاب كلاً من سعد زغلول وعلي شعراوي وعبد العزيز فهمي لمقابلة السير ونجت لاستصدار التصريح منه وبالفعل تم تحديد الساعة الحادية عشرة من

صباح يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ استغرقت تلك المقابلة ساعة كاملة دونها عبد العزيز فهمي بيده والتي أودعها بعد ذلك بين أوراق الوفد لكن لم يتمكن الوفد من استخلاص التصريح منه.تألف الوفد المصري وبدأ ينهض بمسئولية الدفاع عن حقوق البلاد ويسعى لرفع الحماية البريطانية وتحقيق الاستقلال ولكنه أراد أن يبرهن للانجليز أنه وكيل الأمة وينطق بلسانها فضلاً عن الصفة النيابية التي كانت لأكثر أعضائه في الجمعية التشريعية ففكر في أن يطلب من السلطة العسكرية أن تمنح أعضاؤه جوازات سفر إلى أوروبا للمطالبة بحقوق البلاد ولكن القيادة العليا للجيوش البريطانية رفضت ذلك المطلب وقدم الوفد الاحتجاجات إلى المعتمد البريطاني وممثلي الدول الأجنبية حتى تم اعتقال سعد زغلول وبعض من رفاقه نتج عن ذلك قيام ثورة ١٩١٩ الشهيرة وتم الإفراج عن المعتقلين وبعدها سافر الوفد إلى لندن ومنها إلى باريس.

وفي ٢٩ ديسمبر عام ١٩٢٠ قام عبد العزيز فهمي بكتابة استقالته من الوفد وكان ذلك بسبب تلغرافين أولهما الذي بعثه أحمد نجيب مراسل جريدة الأخبار في باريس محتواه أن عدلي باشا يكن يسد الأبواب في وجه الوفد ويضع العراقيل في سبيل المفاوضات فأرسل إسماعيل صدقي صورة من هذا التلغراف إلى عدلي الذي ذهب إلى سعد وزملائه وأبدى غضبه لما جاء في هذا التلغراف ولكن يتضح من موقف سعد السلبي أنه كان موافقاً على محتواه لكنه نفى علمه به.وبعد أيام دخل محمد محمود باشا إلى الوفد وبيده تلغرافاً من والده يفيد بأن جريدة الأخبار قد نشرت تلغرافاً آخر ورد إليها من مصطفى النحاس يقول فيه أن عدلي يكن كارثة على الوفد ولكن ذكر علي ماهر أن سعداً كان على علم بهذين التلغرافين وأن

النحاس هو الذي كتبها بالشفرة فما كان من عبد العزيز فهمي يعد أن سمع ذلك إلا أن استقال هو وبعض زملائه من الوفد هذا بالإضافة إلى إن عبد العزيز فهمي اقترح على الوفد توجيه نداء للأمة يتضمن الحث على الاتحاد وتجديد الثقة بعدلي يكن وبالفعل كتب لطفي السيد النداء ولكن عندما قرأ سعد نص النداء انفعل بحجة أنه يجب أن يكون هو محور النداء وليس عدلي باعتباره وكيل الأمة.

كان عبد العزيز فهمي هو أول من وضع مشروع الدستور المصري حيث حدث ذلك عام ١٩٢٠ عندما كان في باريس عهد إليه الوفد بوضع مشروع لدستور مصري فعكف على دراسة دساتير أوروبا واجتمع الوفد لقراءة ما أعده فهمي إلا أن سعد اعترض على بعض مواده إلى أن صدر تصريح ٢٨ فبراير وتم إعلان استقلال البلاد. استقالت حكومة سعد زغلول في ١٩٢٤ بعد مقتل السير (لي ستاك) سردار الجيش المصري وفي ذلك الوقت كان فهمي معتزلاً الحياة السياسية حتى وصله خطابين كانا من محمد محمود باشا وحافظ عفيفي باشا حاصلهما أنهما يرغبان في أن يكون رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين ثم تم ترشيحه في البرلمان باعتباره رئيساً للحزب وفي صبيحة يوم إعلان النتيجة تم إدراج اسمه كوزير للحقانية حتى تمت إقالته على إثر خلافه مع يحيى إبراهيم باشا وفي عام ١٩٢٦ تنازل فهمي عن رئاسة الحزب وتفرغ للمحاماة.وفي نفس العام تم ترشيح عبد العزيز فهمي كرئيساً لمحكمة الاستئناف لكنه في عام ١٩٣٠ حدث أن أحد أعضاء مجلس النواب قد سأل: لماذا مرتب رئيس محكمة الاستئناف يكون كمرتب وزير؟ فاستقال فهمي من رئاسة المحكمة احتجاجاً على ذلك ثم أنشئت محكمة النقض في نفس العام فاختتم حياته القضائية برئاسة هذه المحكمة.ومما هو جدير بالذكر أن



عبد العزيز فهمي كان سياسياً وأديباً موهوباً وكان عضواً بمجمع اللغة العربية وتقدم للمجمع بمشروع لإصلاح الحروف العربية وكان يقضي وقته في قراءة ما يختار من الكتب القانونية والأدبية حيث كان من هواه قراءة الشعر ونظمه.

فهو الذي قال :

يا حادي العمر أبعدت المدى فمتى ... تلقي عصاك وتعفني من الكبد
تسع وسبعون ميلادية غبرت ... قضيتها بشقاء الروح والجسد
إن سامني الطبع إخلاداً إلى دعة ... صالت على الأماني صولة الأسد

■ ■ ■

عبد العزيز فهمي .. المتفرد الأول للقانون

اشتغل بالمحاماه فور تخرجه ثم عمل بالقضاء رئيسا لمحكمة الاستئناف ثم أسس محكمة النقض ويذكر له أنه صاحب اختيار هذا الاسم لها والذى قيل انه استوحى إياه من الآيه الكريمة فى سورة النحل «ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها » ويذكر له أنه أول من ابتدع بعض التعبيرات التى صارت من ثوابت المصطلحات القضائيه مثل تعبير أوجه النفى للدلاله على أسباب الطعن كما استحدث نظرية القدر المتيقن فى القانون الجنائى ولقد تقلد سيادته رئاسة محكمة النقض كماكان ثانى نقيب للمحامين وكان اصغر من تولى هذا المنصب كما عين وزيرا للحقانيه وقد كان عضوا بمجلس النواب لايشق له غبار فقد أصبح سياسيا وثائرا من أعمدة ثورة ١٩١٩ بجوار رفيقه سعد زغلول وعلى باشا شعراوى ثم رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين كما شرف بعضوية المجمع اللغوى ولقد استحوذت فكرة العدل وقدسية القضاء على وجدان هذا العملاق وعندما ألقى كلمته فى الاحتفال بالعيد الذهبى لانشاء المحاكم جاءت لتعبر عن مدى ايمانه برسالة العدل والقضاء اذ قال :

اليوم عيد العدل يتقدم فيه سدنة محراب العدل إلى حارسه الأعظم مغتبطين ما أحسنوا السدانه متحدثين بنعمة الله عليهم إنْ وفقهم الى القيام بها لزم ضمائرهم فى هذا المحراب . ويسجل التاريخ فى أنصع صفحاته وبأحرف من نور لهذا العملاق موقفه الشامخ الذى يقطع بمدى إيمانه بقدسية القضاء وكرامة القاضى .. ففى أثناء ذهابه الى محكمة النقض قرأ فى الصحف آن مجلس النواب سوف يناقش سؤالا عن مرتب رئيس محكمة النقض و على الفور أمر سائق السياره بأن يتوجه إلى قصر عابدين وطلب مقابلة الملك فابدى كبير أمناء القصر دهشته وقال لعبد العزيز باشا:

ولكنك ترتدى ملابسك العاديه وليس هناك طلب سابق المقابله فرد عليه الباشا بحزم أبلغ جلالة الملك أن قاضي القضاه يلتمس مقابلته بملابسه العاديه لامر يتعلق بكرامة كرسى القضاء والعداله ..

وبعد دقائق عاد كبير الأمناء وأبلغه باستعداد الملك لمقابلته واستمرت المقابله ساعة كاملة انصرف بعدها القاضي عبد العزيز فهمى إلى عمله بمحكمة النقض وطلب انعقاد الجلسه ثم أثبت فى محضر الجلسة لقد تشرفت اليوم بمقابلة الملك بعد ما قرأت فى الصحف أن مرتب رئيس المحكمة كان موضع نقاش فى مجلس النواب وقد أبلغت الملك أننى أحسست أن كرسى العدالة يهتز من تحتى ولهذا فقد صممت على الاستقاله وقد استأذنته فى ذلك فتفضل وغمر شخصى بما طمأننى وطيب خاطرى وسأذهب الآن إلى الوزاره لتقديم استقالتى رفعت الجلسه . هكذا يؤمن بقدسية القضاء وبكرامة القاضي ويذكر لعبد العزيز باشا فهمى أنّه كان يعشق اللغه ويحسن استخدام مفرداتها حتى إن أحكامه تعد قطعا من الادبيات النادره ومازالت تدرس لطلبة الحقوق حتى الآن ومن بينها حكمه الخالد فى نفى سصبق الإصرار فى القضيه المعروفه مقتل مأمور البدارى والذى اعتاد احضار المتهم إلى ديوان القسم وإذلاله وتعريضه لأقسى أنواع الإذلال والاهانه والتعريض به وبأهله بقسوة غير مسوقه فما كان من الرجل إلا أن ترصد له وأطلق عليه النار فقتله وعندما عرضت القضيه أمام هذا العملاق جرت كلمات حكمه بمفرادت لا يستطيع أحد أن يأتى بأفضل منها فى مقام نفى الترصد اذ جاء بالحكم والنفس الموتورة الهائجه المنزعجة مما كان الواجمة مما سيكون هى نفس هائجة أبدا لايدع لها انزعاجها سبيلا للتريث والتروى حتى يحكم العدل هادئا مترويا متزنا كما يذكر انه بلغ القمة فى تمكنه من فنون اللغه ونظم قصيده من ٣٣٦ بيتا أطلقوا عليها المعلقه الثامنة كما يذكر عن

سيادته أنَّه كان بارا بأهل بلدته حتى قيل إنّه عَيَّنَ جميع أبناء البلد إلا واحدا لم يصلح أن يؤدى أى عمل فوظف حماره فى هيئة البريد ليقوم بحمل الرسائل .

■ ■ ■


غرام الكبار
منصور فهمي
فيلسوف الأديبة الساحرة

اختار صالون مي زيادة قِبلة وبيتاً ومنارة وملاذاً ..

واختارته مي فيلسوفاً وحيداً تـزُبَّ بـه فتـاوى الجميع وجعلتـه منـبراً للتجديـد والتأويل والتفسير الخلافي في قضايا الصالون الفلسفية .. فهل أصبح أيضاً فيلسوف قلب مي في زحمة كبار غرامها ؟!

إنه منصور فهمي .. فماذا تعرف عن هذا الفيلسوف الكبير ؟

...

منصور فهمي (١٨٨٦-١٩٥٩) هو أحد أساتذة الفلسفة في تاريخ مصر .

ولد منصور في إحدى قرى محافظة الدقهلية بـمصر وتعلـم في كتـاب قريتـه وأتـم دراسته الإبتدائية في مدينة المنصورة ثم انتقل بعد ذلك للقاهرة ليتحصل على شهادة البكالوريا من إحدى المدارس الفرنسية عام ١٩٠٦ ليلتحق بمدرسة الحقوق. وبعد عامين من الدراسة بها تم تأهيله مع عدد من زملائه للتدريس بالجامعة التي انشئت عـام ١٩٠٨ ثـم سـافر إلى بـاريس للحصـول عـلى درجـة الـدكتوراه في الفلسـفة مـن السوربون كانت أطروحته للحصول على درجـة الـدكتوراة لهـا صـدى واسـع وهـي (أحوال المرأة في الإسلام) عام ١٩١٣ منع على إثرها من التدريس بالجامعة المصرية آنذاك بعد عمله بها لمدة عام

عاد للتدريس في الجامعة بعد ثورة ١٩١٩ و ذلك في العام ١٩٢٠ وقد تـدرج في عمله الجامعي إلى أن كان عميدا لكلية الآداب جامعة القاهرة ثم أختـير مـديرا لـدار الكتب ثم مديرا لجامعة الإسكندرية إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٩٤٦

كان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه و إنتخب كاتب سره و ظل بهذا المنصب حتى يوم وفاته

لم ينشر بالإضافة إلى أطروحته التي صدرت بالفرنسيّة في باريس إلا كتابا واحـدًا

هو (أبحاث وخطرات) دار المعارف القاهرة ١٩٣٠ وهي فصول أدبية و فلسفية نشرها في الصحف ثم جمعها في هذا الكتاب .

أنتقد أطروحته بعد ذلك في عدد من المقالات نشرها ببعض الصحف والجرائد.

■ ■ ■

معركة حول نبي الإسلام في القرن العشرين

كانت الجامعة المصرية قد عزمت على إيفاد بعثات إلى أوروبا ليعود الطلبة بعد إتمام دراستهم للتدريس بالجامعة المصرية وفاز منصور فهمي في مسابقة بعثة الفلسفة إلى جامعة باريس عام ١٩٠٨ لمدة خمس سنوات وتنوعت المعارف التي حصلها في باريس لكنه تخصص في الفلسفة وفروعها وخاصة علم الاجتماع وقد درس على يد أشهر علماء الاجتماع في ذلك الحين وهو «ليفي بريل» أحد أقطاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية في أوائل القرن العشرين.

وتقدم منصور فهمي لنيل إجازة الدكتوراه وكان موضوع رسالته «حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها» وقد نشر الكتاب للمرة الأولى في باريس عام ١٩١٣ ثم نشر في طبعة ثانية في باريس أيضا عام ٢٠٠٢ بعنوان «وضع المرأة في الإسلام» وهو كتاب صغير الحجم يقع في حوالي ١٤٠ صفحة من القطع الصغيرة وتسببت هذه الرسالة في معركة فكرية كبيرة في الأوساط المصرية كان من بين فصولها فصل منصور فهمي من الجامعة المصرية عدة سنوات نظرًا لما احتوته الرسالة من تطاول صريح على شخص النبي ﷺ.

المرأة.. والتقاليد:

وقد تناول المؤلف في تقديمه للكتاب الدافع وراء اختياره لموضوع رسالته والمنهج الذي التزم به والنتائج التي خلص إليها وكيف تأثر بجو حرية البحث العلمي في جامعة «السربون» فقال: إن غرابة أوضاع المرأة المسلمة صدمت الأوروبيين منذ وقت طويل عبر عنه نابليون عند بدء حملته على مصر بقوله: «إن الشعوب التي سنذهب إليها تعامل المرأة بشكل يختلف عن معاملتنا لها».

كان موضوع المرأة وأحوالها في نظر منصور فهمي ذا أهمية خاصة باعتباره أحد هموم البلدان الإسلامية وكان يرى ضرورة إصلاح تقاليد وأعراف هذه المجتمعات وأكد أن دراسته أثبتت أن عزل المرأة لم يكن السبب وراءه دينيًا فقط ولكن أيضا كان نتيجة التميز الطبقي داخل المجتمع ولذلك استدعى الأمر منه بحث جوانب العقيدة والشريعة والأعراف والتقاليد التي اجتمعت وامتزجت معًا فيما يتعلق بموضوع دراسته كما استدعى تناول علاقات الرسول -صلى الله عليه وسلم- بزوجاته باعتبار الرسول نموذجًا يحتذي بسننه وبسلوكه المسلمون.

وأعرب منصور فهمي في رسالته عن سعادته بما تأثَّرَ به من حرية البحث العلمي في السربون وأشار أنه ولد مسلمًا وقضى شبابه في بلد مسلم ثم جاء إلى باريس فاكتسب تحت إشراف أستاذه «ليفي بريل» مناهج البحث الأكاديمي فقام بدراسته وليس أمامه من هدف غير الوصول إلى الحقيقة وهو يدرك أن هذه الروح النقدية ستعرضه -كما قال- لمؤاخذة من جانب أولئك المسلمين الذي يضفون على التقاليد قداسة واحترامًا دينيًا وقال: «ولكن أردنا أن نكون جادين في بحثنا بالرغم مما قد يسببه ذلك من جرح لمشاعر من هم أعزاء لدينا».

وذهب منصور فهمي أن دراسة الوثائق التاريخية انتهت به إلى وجود روابط بين ظاهرة عزل المرأة وتحجبها وبين ظاهرة العبودية في المجتمعات الإسلامية وأن العزل والاحتجاب كان يهدف أساسًا إلى التميز بين الحرة والأمَة وهو ما جعل الإماء أحظى عند الرجال من الحرائر لأن الزوج قبل أن يملك الأمَة يكون قد تأمل كل شيء فيها وعرفه على عكس الحال مع الحرة.

منصور يتطاول على الرسول :

وتضمن الكتاب عبارات لا تتفق مع احترام الدين الإسلامي وتجرح بقسوة

مشاعر المسلمين من ذلك أنه كان يذكر اسم النبي الكريم مجردا من صفة النبوة أو صيغة السلام بل كان يذكر اسم «محمد» فقط كما كان انتقائيًّا فيما استشهد به من وقائع وردت في كتب التراث والسيرة خصوصًا في الفصل الخاص بعلاقة الرسول ﷺ بزوجاته وكانت عباراته فيها جرأة وتطاوُل على شخص الرسول الكريم وعلاقاته بزوجاته خاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومن ذلك قوله: «محمد يشرع لجميع الناس ويستثني نفسه –مع أنه– يعني محمدا– كان المشرع الذي ينبغي عليه أن يخضع لما يدعو إلى تطبيقه على الآخرين إلا أنه كان له ضعفه واختص نفسه ببعض المزايا».

ومن ذلك أيضا قوله: «وهكذا نجد أنه –يعني محمدًا– بعد أن ينام نومًا عميقًا يقوم ليؤدي صلواته دون أن يجدد طهوره ووضوءه على حين أن المؤمنين الآخرين كان عليهم الشروع في وضوء وطهور جديد ومن أجل أنه يبرر الاستثناء الذي عمل لصالحه اكتفى بأن قال: إن عيني تنام ولا ينام قلبي أبدًا».

ومن ذلك أيضا قوله: «لقد حد النبي من نظام تعدد الزوجات إلا أنه تعدى بالنسبة إلى نفسه ما وضعه عن حدود الآخرين فمع أن بقية المؤمنين لم يكن بمقدورهم أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمدًا أجاز لنفسه بأكثر من ذلك هذا كما استلزم لشرعية الزواج دفع مهر ووجود شهود إلا أنه في زواجه أعفى نفسه من المهر والشهود».

ولقد سعت إدارة الجامعة التي أوفدته جاهدة إلى منع تقديم رسالته حيث رأت فيها أنه جرى على قلمه عبارات تتنافى واحترام التقاليد الدينية ولكن مناقشة الرسالة جرت في موعدها ونال منصور فهمي الدكتوراه وعاد إلى القاهرة في شهر يونيو ١٩١٣ فالتحق بهيئة التدريس بالجامعة طبقًا لتعاقده مع الجامعة قبل إيفاده

للبعثة ومر الأمر بهدوء ولكن عندما بدأ يمارس التدريس مع بداية العام الدراسي تنبه البعض إلى وجوده وأثاروا الموضوع من جديد فاضطر مجلس الجامعة إلى فصله في ديسمبر ١٩١٣.

هل هذا صحيح؟

نشرت صحيفة «المؤيد» كلمة بتاريخ ٢٠ يناير ١٩١٤ تحت عنوان «هل هذا صحيح؟» تساءلت فيها عن حقيقة ما جاء في رسالة منصور وطلبت من رجال الدين أن يعملوا على إيقاف تيار الإلحاد حتى لا تفسد عقول الناشئة.

وكتب محمد لطفي جمعة مقالاً طويلاً نشرته المؤيد في ٢٨ يناير سنة ١٩١٤ وفيه رد قوي على مزاعم منصور فهمي الذي اعتمد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة بل ولم يشأ أن يفهمها على وجهها الصحيح و«فهمها على وجه الخطأ لأغراض قبيحة انطوت عليها نفسه الخبيثة» وبين لطفي جمعة الحكمة في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع والظروف التي أحاطت بكل زواج وما ترتب على ذلك من فوائد سياسية واجتماعية عززت مكانة الإسلام ووطدت أركانه في شبه الجزيرة.

وذكر لطفي جمعة أن حياة النبي عليه الصلاة والسلام من يوم مولده إلى أن بعث وهو في الأربعين من عمره كانت حياة طهر وعفاف وصلاح واستقامة ولو أنه كان شهوانيًا مفرطًا في حب النساء لاقتنى أكثر من امرأة وبخاصة أنه كان شابًا ولم توجد أمامه عقبة تحول بينه وبين التمتع بالنساء أما أنه قد تزوج بأكثر من امرأة وهو بعد الأربعين وبعد أن شُغل بنشر الرسالة وحمل أعباء الجهاد واستشهد جمعة في مقاله بأقوال المنصفين من كتاب غربيين وكلها في مدح النبي عليه السلام والثناء عليه والإشادة بطهره وعفافه واستقامته ونزاهته ثم تناول الأحاديث التي اعتمد عليها منصور فهمي وبين أنها موضوعة أو ضعيفة.

وقد نشرت المؤيد مقالاً آخر بعنوان «حملة مدبرة ضد محمد صلى الله عليه وسلم» بتاريخ أول مارس سنة ١٩١٤ فيه تفنيد لمزاعم منصور فهمي وقد فرض كاتب المقال أن منصور ينكر الإسلام فقط وعلى هذا الفرض ذكر الكاتب أن التوراة لم تحدد عدد الزوجات للرجل وأن نبي الله يعقوب وداود -عليهما السلام- تزوجا بأكثر من امرأة كما أن التوراة تنسب إلى بعض الأنبياء ارتكاب المعاصي والخطايا ومع ذلك فلم يطعن أحد في نبوتهم أما منصور فهمي فلم يخص النبي محمدا -صلى الله عليه وسلم- بالطعن دون غيره من الأنبياء؟

وقد بعث عبده البرقوقي رئيس جمعية الطلبة المصريين -وقتها- مقالين نشرا في صحيفة «الجريدة» في فبراير سنة ١٩١٤ دافع فيهما عن حرية الرأي وأشار بوجوب اتباع آداب النقد والمناظرة وقال: إن الإنسان حر في فكره ما دام بعيدًا عن إلحاق الأذى بالآخرين.

المراجعة للأفكار:

ولما نشرت الصحف ما نشرت عن منصور فهمي اضطر إلى الاختفاء من المجتمعات لأن بعضًا من أفراد الشعب وبخاصة الأطفال كانوا يجرون خلفه متهمين إياه بالكفر ولذا غادر القاهرة وانزوى في قريته شرنقاش بالدقهلية وقضى فيها عدة سنوات أحس خلالها بشعور المطرود المنبوذ من مجتمعه.

ولا شك أن تجربة منصور فهمي مع الجامعة كانت نقطة فاصلة في حياته حولت نقده الجريء إلى حذر وحيطة وحولت ثقته بالناس إلى شك وريبة يقول عنه محمود تيمور في هذا الصدد: «وليس عجيبًا أن ترى منصور فهمي بعد أن عرك الحياة في حقائقها الواقعة قد اصطبغت مبادئه ودعواته ونشاطاته بصبغة المحافظة والاستمساك بمأثور التقاليد وموروث القوميات اختط لنفسه خطة واضحة في

توجيه الحركة الفكرية خطة تأبى الثورة والانتفاضة وتؤثر الهوادة والرفق في ملاءمة التطور والانتقال من حال إلى حال وتوصي بالتبصر في ترك ما تترك من القديم وفي قبول ما تأخذ من الجديد».

ولقد كان الكتاب الوحيد الذي ألفه منصور فهمي «خطرات نفس» انعكاسًا مريرًا لهذه التجربة فقد كانت كل خاطرة تعكس بعمق ما تعرض له من اضطهاد وحرمان وبؤس نتيجة لمسلك الجامعة التي فصلته من عمله لتطاوله على الإسلام ونبيه الكريم وإذا راجعنا مقالات منصور فهمي في جريدة «السفور» نجده ما إن يأخذ الطريق إلى التجديد والأفكار الحديثة حتى يعود في المقال ذاته إلى الطريق المضاد ويزاوج بطريقة تلفيقية بين الأفكار المتناقضة والحذرة من الوقوع في براثن المؤاخذة والنقد ولقد عبر في أحد خواطره عن صراعه الهائل بين ما ينطوي عليه من رؤى وأفكار وبين المحيط الاجتماعي بالقول: «إن منشأ همي يا سيدي هو التنازع بين ما تحن إليه نفسي ونزعاتها وبين المبادئ التي يقوم عليها المحيط الذي يضمني».

ولكن الملف للنظر هو موقفه بعد ذلك من المرأة فمع أنه اختتم رسالته في فقرتها الأخيرة بقوله: «إنني لأنحني أمام ذكرى الكاتب المصري قاسم أمين الذي نذر نفسه كلية لقضية المرأة وتوفي قبل أن يسعد بجني ثمار عمله الذي سوف تقوده الحركة التقدم إلى النجاح في نهاية الأمر» لكنه في مقالاته وأحاديثه يرى أنه من الباطل والخديعة والتمويه أن تتساوى المرأة مع الرجل في كل شئون الحياة الاجتماعية وأعمالها وأنه من التملق إليها أن تهون لها الحقوق السياسية والتشريعية والحزبية فتساق إلى المطالبة بمراكز الحكم والنيابة.

ورأى منصور فهمي أن الخير للمرأة ألا تخرج من ميدان البيت وهو ما يزيد في بهجته وإشراقه ومن ميدان الأمومة وتربية الأولاد وتعهدهم بحسن التنشئة ومن

ميدان الزوجية والسهر على راحة الزوج وأمور الولادة والتمريض وما يتصل به مما تتفوق فيه المرأة على الرجل لاتصاله بطبيعتها وأنه إذا تغلب فوز المرأة بها تصانع من حقوق موهمة فذلك كتغلب الإظلام على الضياء.

وشعر منصور فهمي بما في هذا الموقف الجديد من تناقض مع موقفه السابق فيقول: «قد يرميني البعض بالتقهقر وبالرجعية المغالية وقد يبدو له فيما ذكرته ما يمثل ذهنية العصور الخوالي التي ذهبت بلا رجعة ولكن الباعث إلى كتابة ما كتبت لا يرجع إلى سوء تقدير للمرأة وإنما مرده الإيمان بالعائلة التي هي الركاز الأول وكل أمر يشغلها عن مركزها في العمارة إنما هو تفويت لما تنشده الإنسانية من خير وسلام وكل خروج بالمرأة إلى أعمال المجتمع هو محسوب ومطروح من حساب خصائص العائلة وتراحمها وتساكنها».

العودة للإسلام:

وقد ظل منصور فهمي مفصولا من الجامعة منذ ١٩١٤م وحتى ١٩٢٠ حين أعاده الملك فؤاد إلى مدرسة المعلمين العليا بعد أن قضى هذه السنوات بين التعطل والعمل بالفلاحة وكانت تجربته بدرجة من القسوة التي جعلته يقدم ما يشبه الاعتذار عما بدر منه ففي إحدى خواطره يقول: «اللهم لقد قطعنا من العمر مراحل فيها كبونا وزلت النفس وعثرت القدم فأعنا على أن نستفيد لبقية طريقنا من كبوة كبوناها فيما مضى وعثرة عثرناها فيما انقضى. اللهم لقد كتبنا بأعمالنا صحفا تشهد عندك علينا بما أحسنا وبما أسأنا فأعنا على أن تكتب في صحيفتنا الجديدة ما يزيد فيها الحسنات على السيئات».

ولما أعادته الجامعة مرة أخرى لتدريس الفلسفة بنظام المكافأة عام ١٩٢٠م ومر الأمر دون متاعب أو اعتراض أعارته الجامعة في العام التالي كعضو منتظم في هيئة

التدريس وتدرج في مناصبها من أستاذ مساعد إلى وكيل لكلية الآداب وعندما فصل الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب تم تعيين منصور فهمي خلفا له من ١٩٣٣م إلى ١٩٣٦م ثم عين مديرا لدار الكتب عام ١٩٣٦م ومرة أخرى يحل محل طه حسين كرئيس لجامعة الإسكندرية عام ١٩٤٥م بعد الاستغناء عن طه حسين عقب إقالة حكومة الوفد عام ١٩٤٤م.

وكان منصور فهمي عضوًا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٣٤م وفي العام التالي أصبح أمين سر المجمع حتى وفاته عام ١٩٥٩م كما كان عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي بدمشق.

وقد اعترف الدكتور منصور فهمي بتورطه في البحث دون استعداد فقد ذكر ذلك في مجلة (حياتك) الصادرة في ديسمبر ١٩٥٨م.

«كانت رسالتي في الدكتوراه عن المرأة في الإسلام فاندفعت أكتب بحرارة الشاب المندفع ويظهر أني انحرفت قليلا حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفة وحين قوبلت في مصر بضجة كبرى ازددت عنادا ثم كتب الله لي أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء من ذوي الأفق الواسع والصدر الرحيب من أمثال الشيخ حسونة النووي والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ على سرور الزنكلوني وهم الذين يمثلون رجل الدين الحقيقي في عقولهم وعلومهم فبدأت أتخلص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله».

وقد زاد على ذلك في موضع آخر نشر بمجلة لواء الإسلام شوال سنة ١٣٧٨هـ إذ تحدث بإعجاب عن لقائه بالشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر الأسبق فقال: «إنه أرشدني إلى قراءة القرآن وصحيح البخاري باهتمام وجدية فوعدته بذلك واستحييت ألا أفي بعهدي فعكفت على قراءة البخاري وعجبت لغفلتي الأولى إذ

وجدت حكما ونظما وأخذت أقارن ذلك بما درست من فلسفة وأن الإلهام الصادق يبدو من كل حديث فشهدت أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله».

كان اطمئنان منصور لما وصل إليه من حقائق الإسلام دافعا له أن يهدي الشباب الغافل إلى تعاليمه فانضم إلى جمعيات كثيرة منها جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الأخلاق وجمعية نشر الفضائل والإسلامية ليكون الخطيب البارز في ندواتها المتوالية.

وكان منصور فهمي يمتاز بين خطباء هذه الجمعيات وأكثرهم من علماء الأزهر باتجاه غير مألوف لأن دراسته الفلسفية قد أمدته بمقارنات كانت جديدة على الجمهور فجعلت لقوله مذاقا خاصا فهو مثلا يقول في الاحتفال بذكرى المولد النبوي بجمعية الشبان المسلمين سنة ١٣٦٠هـ.

«إذا صح لأهل الفلسفة والتاريخ عند ذكر سقراط أن يقولوا إنه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض يعنون بذلك أن وجهة العلم قد غيرها هذا الفيلسوف إذ كانت مقصورة على البحث في حقائق الهيئة والنجوم والأفلاك فحولها سقراط إلى البحث عن حقائق الإنسان ونفسيته ومسلكه كذلك يصح لمؤرخي الديانات أن يذكروا ذلك الحدث العظيم حين حول محمد بن عبد الله ﷺ معاملات الناس في الدنيا ومعايشهم الجارية فيها فرفعها من خفضها الأرضي ووجه مسامها الدنيوي وجهة عالية فجعل في شتى معاملات الناس بعضهم بعضا صلة بالتعبد والتقوى وجعل في شتى مساعيهم ومكاسبهم جوانب ترتبط بأمر الله حين يحب لعباده ابتغاء الأحسن فيما يعملون وبذلك رفع محمد صلى الله عليه وسلم أديم الأرض إلى وجه السماء».

وقد جعل من منابر قاعة يورت التذكارية والجمعية الجغرافية والمجمع العلمي المصري مجالا للحديث عن الإصلاح الاجتماعي موضعًا لتصحيح ما أخطأ فيه من قبل في رسالته عن المرأة.


غرام الكبار
أمين الريحاني
رجل المهام الصعبة

هو بالفعل رجل القضايا الصعبة والمهام الإنتحارية والشئون الإنسانية والألغاز المستحيلة في نهايات مي زيادة !!

دنا منها برفق .. وأحبها بصدق .. لم يزايد عليها .. ولم يراهن على هواها .. حفظ أسرارها ونجواها ورفع راية القتال دفاعاً عنها حتى بلغت أجلها ومنتهاها .

فمَنْ هو هذا الفارس النبيل حقاً ؟

...

هو أمين فارس أنطون يوسف بن المطران باسيل البجاني ولد في ٢٣ أكتوبر تشرين ثاني ١٨٧٦ في بلدة الفريكة قضاء المتن في جبل لبنان ولقب بالريحاني لكثرة شجر الريحان المحيط بمنزله. والده فارس تاجر حرير ميسور الحال حاد الطباع كريم الخلق يجسم عقلية اللبناني المتوسط المحافظ على التقاليد. والدته أنيسة ابنة جفال البجاني شيخ القرنة الحمراء تصرف أوقاتها في العبادة والزهد.

أمين فارس أنطوان الريحاني أديب شاعر باحث مؤرخ كاتب روائي قصصي مسرحي رحالة سياسي مرب عالم آثار ناقد خطيب رسام كاركتير داعية إلى الإصلاح الإجتماعي من عمالقة الأدب العربي ورجال الفكر ملقب بفيلسوف الفريكة.

ولد في ٢٤ أكتوبر / تشرين الثاني ١٨٧٦ في بلدة الفريكة من قرى منطقة المتن الشمالي في جبل لبنان وهو من أسرة مارونية تعود بجذورها إلى قرية (بجّة) في بلاد جبيل. انتقلت أسرته منذ حوالي منتصف القرن السابع عشر إلى ضيعة (بيت شباب) في المتن ومنها إلى (الشاوية) مع المطران باسيليوس عبد الأحد سعادة البجاني الجد الثاني لوالد أمين ويحكى أن منزل الأسرة هناك كان محاطا بشجر(الآس) أو الريحان فبات يعرف ببيت الريحاني.

والد فارس انطون الريحاني من الشاوية ووالدته أنيسة جفال طعمه من (القرنة الحمراء) عمل والده في تجارة الحرير ونمت عائلته حتى أصبحت تضم ستة أولاد ة هم على التوالي: أمين (البكر) سعدى أسعد يوسف أدال ألبرت.

عرفت طفولة أمين شقاوة مميزة بين الصبية فقد كان كثيرا ما يعود إلى المنزل بعد عراك مع رفاقه أو بعد تلاسن واقتتال بسبب اللعب مع أولاد القرية وقلما ما كان يرضح لإرادة ذويه وكثيرا ما كان يصر على ما يريد وإذا ما زار معمل والده فليس للعون والمساعدة بل لفضول عنده لمعرفة ما يجري فيستمع ويراقب الفتيات العاملات وحين يصلين يجد نفسه خارج الجمع فلا يشارك في الصلاة ولعل طبعه هو الذي دفعه من حيث لا يدري إلى التذمر والإنزعاج من أمور كان يصادفها في البيت ومعمل الحرير وأزقة القرية ويروي شقيقه ألبرت: أن أمينا في طفولته ما كان ليتقيد بالشعائر الدينية أسوة بوالدته

كانت نشأة أمين الدراسية الأولى غير منتظمة ولم تكن مادة الدراسة لتختلف عن مادة الكتيبات الأولية المتداولة في مدرسة (تحت السنديانة) في ذلك الزمان كانت أولى دروسه الابتدائية على يد معلم القرية أمام كنيسة (مار مارون) المجاورة لمنزله شتاء وتحت زيتونة هرمة قرب العين خريفا وربيعا. يذكر الريحاني عن هذه الفترة من تعليمهأنه كان يقرأ كراسة الأبجدية والمزمور الأول من مزامير داوود على الشدياق متى تحت الجوزة في الساحة السفلى من (بيت شباب) وينتقل إلى مدرسة (نعوم مكرزل) حيث يتلقن مبادئ الفرنسية إلى جانب القراءة العربية والحساب والجغرافية وقد عرف خلال دراسته بذكائه وتفوقه على أترابه

وكان الريحاني قد تلقى في بلدته الفريكة مبادئ اللغة العربية والفرنسية أرسله والده في صيف ١٨٨٨ مع عمه إلى أمريكا وكان عمره اثنتي عشرة سنة وفيها تعلم

مبادئ اللغة الإنكليزية وبرز ميله إلى المطالعة. ثم ترك المدرسة ليتسلم مهمة المحاسبة في متجر عمه في منهاتن.

اندفع الريحاني إلى المطالعة ليل نهار فاطلع على أعمال الشعراء والكتاب أمثال شكسبير وهيجو وسبنسر وهاكسلي وكارليل وآخرين من المعاصرين والقدامى وفي عام ١٨٩٥ التحق بفرقة تمثيل محلية بعد أن ولدت فيه المطالعات ميلاً إلى فن التمثيل فجال معها ثلاثة أشهر ثم تركها لأسباب مجهولة لم تذكر.

وفي عام ١٨٩٧ التحق بمعهد الحقوق في جامعة نيويورك واستمر فيه سنة حيث مرض فأشار عليه الطبيب بالعودة إلى لبنان فعاد إليه عام ١٨٩٨ وهناك درس الإنكليزية في مدرسة أكليريكية وتعلم اللغة العربية بالمقابل وبدأ في كتابة المقالات في جريدة (الإصلاح) التي اتخذها منبراً للهجوم على الدولة العثمانية.

عام ١٨٩٩ رجع الريحاني إلى أمريكا فاشتغل بالتجارة والأدب وبدأ في إصدار الكتب وكان أولها (نبذة عن الثورة الفرنسية) كما ترجم إلى الإنكليزية مختارات من شعر الشاعر أبي العلاء المعري ومنذ ذلك الحين كرس حياته للكتابة وفي هذا الإطار تعترف صحيفة (الأوبزرفر) اللندنية بأن (أمين الريحاني هو أول من أعطى كتباً بالإنجليزية عن البلاد العربية والشرق الأدنى).

وفي سنة ١٩٠٤ عاد الريحاني إلى لبنان مروراً بمصر فزار الخديوي عباس حلمي واتصل بأبرز الأدباء والزعماء السياسيين وباحثهم في أحوال الشرق العربي الاجتماعية والسياسية والفكرية ووسائل النهوض بها وفي لبنان تابع نشاطه الفكري والاجتماعي العاصف والمتعدد الأوجه وأصبحت صومعته في قريته (الفريكة) ملتقى عشرات الأدباء من أمثال: محمد كرد علي وبيرو باولي والأخطل الصغير والشيخ مصطفى الغلاييني وغيرهم كما كان ينتقل من مدينة إلى أخرى يلقي الخطب داعياً إلى الحرية

ومهاجماً الإقطاع والخنوع والجهل ويحاضر في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي معاهد أخرى في لبنان وسوريا ويكتب وينشر في المجلات والجرائد العربية والإنكليزية.

وفي سنة ١٩١١ قفل أمين الريحاني راجعاً إلى نيويورك ليطبع كتابه (كتاب خالد) ومنذ ذلك الحين أصبح يتنقل بين نيويورك وبلدته الفريكة. وأصبح مرموقاً في كل من أمريكا وإنكلترا وكندا وكذلك في أوروبا والشرق الأدنى والبلاد العربية. وفي الحرب العالمية الأولى كان الريحاني أحد أعضاء (اللجنة السورية ـ اللبنانية) التي مارست نشاطاً سياسياً ضد السيطرة التركية. فقد اشترك الريحاني سنة ١٩١٨ في مؤتمر انعقد في واشنطن من أجل الحد من التسلح وزار أوروبا عدة مرات حيث التقى في إحدى زياراته الفيلسوف (ولز) صاحب النظرية المستقبلية فجرى نقاش بينهما حول الشرق والغرب.

في عام ١٩٢٢ بدأ رحلته إلى الحجاز والتي قابل فيها شريف مكة الحسين بن علي وسلطان قبائل حاشد والإمام يحيى إمام اليمن وعبد العزيز آل سعود وأمير الكويت أحمد الجابر الصباح وشيخ البحرين أحمد بن عيسى وفيصل الأول ملك العراق وزار وصنعاء حيث التقى إمامها يحيى .. والبحرين وفيها اجتمع إلى شيخها أحمد بن عيسى .. وأخيراً بغداد حيث قابل الملك فيصل الأول وكتب عن رحلاته بالعربية والإنجليزية وشرح قضايا العرب في أمريكا وطالب باستقلال لبنان فتفته فرنسا إلى العراق وعاد منها عام ١٩٣٤ وتأثر بمبادئ الثورة الفرنسية وإنتقد المادية الغربية وكان معجبا بنشاط الأميريكين وقد كان مؤثرا في كتاباته في الأوساط الأميركية والغربية وقد كتب عن الرقي ومعناه وعن الحياة السياسية والإجتماعية وكان يحض المغتربين على التطوع للدفاع عن أوطانهم وإستقلال بلادهم وقد تأثر بفلسفته بشكسبير وكارليل وفولتير.

وخلال سنوات تمتد منذ ١٩٢٧ ـ ١٩٣٩ حاضر الريحاني في الولايات المتحدة

الأمريكية حول مخاطر الدور الصهيوني في الوطن العربي وشن حرباً دفاعاً عن الحرية والتحرر والحقوق الإنسانية وقد طلب إليه الحاج أمين الحسيني أن يشترك في الوفد الفلسطيني لمفاوضة الحكومة البريطانية فاعتذر ولما عاد إلى لبنان تصدى للفرنسيين المستعمرين وراح يدعو لتحقيق الاستقلال فنفي إلى بغداد ولم يعد إلا بعد ضغط كبير من الجاليات العربية في المهاجر.

في عام ١٩١١ جرى اختيار أمين الريحاني عضواً مراسلاً للمجمع العربي بدمشق وكان عضواً في جمعية الشعراء الأمريكيين وفي منتدى الصحافة النيويوركية ونادي المؤلفين الأمريكيين والجمعية الشرقية الأمريكية كما اختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الأسباني رئيس شرف له.

وفي ١٥ أغسطس/ آب عام ١٩٤٧ تعرض أمين الريحاني لحادث سقوطه عن دراجة التي اعتاد أن يركبها على طرقات الجبل حول بلدته الفريكة. وأدخل المستشفى وتوفي في ١٢ سبتمبر عام ١٩٤٧ ودفن في بلدته وقد أقيم له تمثالاً نصب في باحة كلية الآداب في الجامعة اللبنانية .. وهكذا خرج أمين الريحاني من عالمنا بعد أن ترك لنا غرثا أدبيا وتاريخيا ضخما وقيما كما كتب المسرحيات والقصص بالعربية والإنجليزية وكان أشهر أدباء المهجر بعد جبران خليل جبران .

وقد ترك الريحاني العديد من المؤلفات في العربية والإنكليزية في السياسة والأدب والشعر والتاريخ والفن. ومنح أمين الريحاني عدة أوسمة هي: ـ وسام المعارف الأول الإيراني ـ وسام المعارف الأول للمغرب الإسباني ـ وسام الاستحقاق اللبناني الأول المذهب.

■ ■ ■


غرام الكبار
ميخائيل نعيمة
الهادئ الثائر
في صالون مي

هو رجل هادئ .. يفكر بهدوء .. ويقرر باتزان .. ويمشي بتؤدة .. ويكتب بتوازن .. فهل عشق مي بعنف وأحبها بضراوة وسفح فيها المشاعر بالزُّحَّافة ؟!

حين اتخذ من صالونها الأدبي منارة وداراً وغاية ومحطة صراع مع كبار رجال مي في معركة هواها وعشقها ؟!

إنه الكاتب الكبير والعاشق النبيل والمقرَّب الأثير من مي وندوتها .. فماذا عنه ؟!

...

هو مفكر وكاتب عربي كبير وهو واحد من ذلك الجيل الذي قاد النهضة الفكرية والثقافية وأحدث اليقظة وقاد إلى التجديد واقسمت له المكتبة العربية مكاناً كبيراً لما كتبه وما كتب حوله. فهو شاعر وقاص ومسرحي وناقد متفهم وكاتب مقال متبصر ومتفلسف في الحياة والنفس الانسانية وقد أهدى إلينا آثاره بالعربية والانجليزية والروسية وهي كتابات تشهد له بالامتياز وتحفظ له المنزلة السامية.

ولد في بسكنتا في جبل صنين في لبنان في شهر تشرين الأول من عام ١٨٨٩ وانهى دراسته المدرسية في مدرسة الجمعية الفلسطينية فيها تبعها بخمس سنوات جامعية في بولتافيا الأوكرانية بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١١ حيث تسنّى له الاضطلاع على مؤلّفات الادب الروسي ثم اكمل دراسة الحقوق في الولايات المتحدة الأمريكية (منذ كانون الاول عام ١٩١١) وحصل على الجنسية الأمريكية. انضم إلى الرابطة القلمية التي أسسها أدباء عرب في المهجر وكان نائبا لجبران خليل جبران فيها. عاد إلى بسكنتا عام ١٩٣٢ واتسع نشاطه الأدبي . لقّب ب«ناسك الشخروب» توفي عام ١٩٨٨ عن عمر يناهز المئة سنة.

قصصه :

نشر نعيمة مجموعته القصصية الأولى سنة ١٩١٤ بعنوان «سنتها الجديدة» و كان

حينها في أمريكا يتابع دراسته وفي العام التالي نشر قصة «العاقر» وانقطع على ما يبدو عن الكتابة القصصية حتى العام ١٩٤٦ إلى أن صدرت قمة قصصه الموسومة بعنوان «مرداد» سنة ١٩٥٢ وفيها الكثير من شخصه وفكره الفلسفي. وبعد ستة أعوام نشر سنة ١٩٥٨ «أبو بطة» التي صارت مرجعاً مدرسياً وجامعياً للأدب القصصي اللبناني/ العربي النازع إلى العالمية وكان في العام ١٩٥٦ قد نشر مجموعة «أكابر» «التي يقال أنه وضعها مقابل كتاب النبي لجبران».

سنة ١٩٤٩ وضع نعيمة رواية وحيدة بعنوان «مذكرات الأرقش» بعد سلسلة من القصص والمقالات والأشعار التي لا تبدو كافية للتعبير عن ذائقة نعيمة المتوسع في النقد الأدبي وفي أنواع الأدب الأخرى.

«مسرحية الآباء والبنون» وضعها نعيمة سنة ١٩١٧ وهي عمله الثالث بعد مجموعتين قصصيتين فلم يكتب ثانية في هذا الباب سوى مسرحية «أيوب» صادر/ بيروت ١٩٦٧.

ما بين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ وضع نعيمة قصّة حياته في ثلاثة اجزاء على شكل سيرة ذاتية بعنوان «سبعون» ظنا منه أن السبعين هي آخر مطافه ولكنه عاش حتى التاسعة والتسعين وبذلك بقي عقدان من عمره خارج سيرته هذه.

شعره:

«مجموعته الشعرية الوحيدة هي «همس الجفون» وضعها بالإنكليزية وعربها محمد الصابغ سنة ١٩٤٥ إلا أن الطبعة الخامسة من هذا الكتاب (نوفل/ بيروت ١٩٨٨) خلت من أية إشارة إلى المعرب».

مؤلفاته:

في الدراسات والمقالات والنقد والرسائل وضع ميخائيل نعيمة ثقله التأليفي

(٢٢ كتاباً):

- نجوى الغروب.
- الغربال ١٩٢٧ .
- كان يا ما كان ١٩٣٢.
- المراحل دروب ١٩٣٤ .
- جبران خليل جبران ١٩٣٦ .
- زاد المعاد ١٩٤٥ .
- البيادر ١٩٤٦ .
- كرم على درب الأوثان ١٩٤٨ .
- صوت العالم ١٩٤٩ .
- النور والديجور ١٩٥٣ .
- في مهب الريح ١٩٥٧ .
- أبعد من موسكو ومن واشنطن ١٩٦٣ .
- اليوم الأخير ١٩٦٥ .
- هوامش ١٩٧٢ .
- في الغربال الجديد ١٩٧٣ .
- مقالات متفرقة يابن آدم نجوى الغروب ١٩٧٤ .
- مختارات من ميخائيل نعيمة وأحاديث مع الصحافة ١٩٧٤.
- رسائل من وحي المسيح ١٩٧٧ .
- ومضات شذور وأمثال الجندي المجهول.

غرام الكبار



هو فيلسوف لبنان وفنان الشام وعبقري مصر المرهف الشعور فناناً وأديباً وصحفياً .. اعتبرته مي مرجعاً صحفياً ومنبراً خطابياً وفارساً حربياً وسداً منيعاً يقيها شرور العقاد وحروب طه حسين ومعارك المازني وهدوء لطفي السيد وآلام جبران .. وجراح ولي الدين يكن .. وثورة الرافعي .. وعلوم الشيخ مصطفى عبد الرازق .. وشظايا شوقي أمير الشعراء .. وفيوض إسماعيل صبري رقيق المشاعر ؟

اقتربت منه .. أسرت إليه .. انتفضت بين يديه .. ناحت وناجت وتاقت معه إلى الخلاص من أحزانها وأتراحها وحتى نفسها .. حَنَّت إليه .. ورَنت وتطلعت .. واقترابت فذابت فيه .. فهل كان يعقوب صروف في كفة وكل رجال زيادة في كفة أخرى ؟!

وهل منحته القلب والحب والخصوصية فافضت إليه بما في كوامن ذاتها وأفضى إليها بنيران قلبه المشتعله فيها شوقاً وغراماً ؟!

فمَنْ هو هذا الرجل الملجأ والملاذ الذي أصبح وحده مجلس شورى مي زيادة ؟!

***

ولد يعقوب صروف في قرية الحدث بلبنان ١٨٥٢ - ١٩٢٧م / ١٢٦٩ هـ - ١٣٤٦ هـ

ثم أرسله والده إلى مدرسة الأميركان في عبيه ثم إلى الجامعة الأميركية في بيروت. وبعد ذلك تولى رئاسة وإدارة مدرستي الأميركان في صيدا وطرابلس

وفي سنة ١٨٧٦ أنشأ مجلة المقتطف في بيروت و معه الأديب فارس نمر و ظلت تصدر مدة تسع سنوات تقريبا ثم نقلت بعدها إلى القاهرة سنة ١٨٨٨ وظل يديرها ويشرف على مايكتب فيها إلى آخر حياته. وقد صارت لها شهرة واسعة وحملت إلى الأقطار العربية كلها ثمرة جهود الرجل الجبارة في حقلي العلم والفن وقد توفي

يعقوب صروف سنة ١٩٢٧.

آثاره:

أهم ما ترك يعقوب صروف من الآثار مجلة المقتطف التي رافقتها نحو اثنين وخمسين عاما، فكان أكثر مقالاتها العلمية و الفلسفية والفنية من قلمه. ومن أهم ما نشره في المقتطف واسترعى انتباه الكثيرين درس طويل عن نوابغ العرب والإنكليز قابل فيها بين المعري وملتن، وابن خلدون ومسيتسر، وصلاح الدين و ريشارد قلب الأسد. وقد ألف يعقوب صروف وعرب كثيرا من الكتب قبل أنتقاله غلى مصر منها سر النجاح والحرب القدسية والحكمة الإلهية ومرآة العصر. ومما عربه مع فارس نمر سير الأبطال والعظماء ومشاهير العلماء وأما عن أهم رواياته فكانت فتاة مصر وفتاة الفيوم وأمير لبنان وقد ترجم روايات كيلوباترا وتنكرد.

كان يعقوب صروف مطبوعا على حب البحث والتدقيق شأن العلماء، يقضي الساعات الطويلة في المكتبات لدرس المسائل العلمية والنظريات الفلسفية والتاريخية. وكان واسع الإطلاع على المذاهب العلمية والنزعات الفلسفية وأحداث التاريخ ورجاله، متقنا لأهم اللغات القديمة والعصرية

وقد بسط يعقوب صروف في مقالاته العلمية التي كان ينشرها في كل عدد من المقتطف- وقد جمعت بعدئذ في كتب - اختبارات العلماء الغربيين في مختلف القضايا العلمية بأسلوب له صبغته العلمية من غير أن يكون جافا. وكان إلى ذلك يثبت في مقالاته هذه الكثير من ملاحظاته الشخصية ومن اختياراته الخاصة في الموضوع المطروق، مما يضاعف قيمته.

وقد فتح للرياضيات بابا في مجلته تطارح فيه رجال العلم المباحث العويصة وتسابقوا غلى حلها سواءا أكانت في الحساب أم في الجبر أم في الهندسة أم في غيرها.

وكان يعقوب صروف الحكم المرجع. وقد وضع كتابا في بسائط علم الفلك ظهر فيه علمه وإطلاعه الواسع في ذلك العلم، كما أنه عالج في مجلته موضوعات شتى في النظام الشمسي والسيارات والثوابت والسفع الشمسية و المذنبات وما إلى ذلك. وغنه وغن لم يدرك شأو العبقريين في هذا العلم، فقد بلغ فيه شأوا عظيما، وكان بعيد الغور، واضح البيان، سهل المأخذ.

أما الطبيعيات والكيمياء والفلسفة فقد كان صروف الصلة بين الشرق ورجالها بأوروبة فكتب عن جميع أساطينها وبسط الآراء الحديثة بسطا بين المعالم، واسع النطاق. وجال في العالمين القديم والحديث جولة اكتشاف قلما جاراه فيها آخر من أبناء هذه البلاد .

أما التاريخ فيعقوب صروف من رجاله الدين استقرأوا الحفريات الأثرية و وصفوا عادياتها واقتبسوا أخبارها من مصادرها الاصلية، حتى إنك لتستطيع أن تستخرج من المقتطف كتبا في علم الآثار ولا سيما آثار مصر التي كان يعقوب صروف يطوف بنفسه ليشاهدها ويكتب عنها. وقد تقصى البحث أيضا في أصول الشعوب وفروعها وأنسابها وتواريخها وأخلاقها، معتمدا في كل ذلك أحدث الآراء، ناظرا في أقوال من سبقه نظر المحقق البصير.

وهكذا كان يعقوب صروف من أبرز رجال النهضة العلمية الحديثة .

■ ■ ■


غرام الكبار
رسائل
مي زيادة
للكرملي

هذه كوكبة أخرى جديدة من الرسائل المتبادلة بين مي زيادة والأب أنستاس ماري الكرملي الراهب الكبير وأحد سدنة اللغة العربية .

لقد كتب الكثيرون عن مي زيادة وأعيد طبع مؤلفاتها وما كتب عنها مرارا واهتمت بعض الدوائر الثقافية في الوطن العربي وخارجه برصد تراثها وما يتعلق به ولكن حسب علمنا لم يتطرق أحد لأمر رسائلها مع الأب الكرملي (١٨٦٦-١٩٤٧) وهي الرسائل التي تنشر لأول مرة وفيها من الفوائد الأدبية والتاريخية ما يعد شيئا مهما في سيرة مي وأدبها خاصة أنها كتبت مابين ١٩٢٠- ١٩٢٥ وهي الفترة التي اشتهرت فيها مي زيادة كأديبة رقيقة تتطلع اليها أفئدة شيوخ الادب أمثال العقاد والرافعي ويكن والزهاوي .

ويبدو لي من هذه الرسائل أن أسلوب مي في كتابة رسائلها وما يتخللها من سطور رقيقة لايقوى على تسطيرها إلا العشاق المغرمون هو الذي دفع العديد من الأدباء للاعتقاد بأن صار الحبيب الذي تبث الانسة مي إليه لاعج الحب وآهات الغرام وربما كان الشيخ كاظم الدجيلي (المتوفى سنة ١٩٧٠) أحد هؤلاء الذين افتتنوا بأسلوب مي ورسائلها فنظم تلك القصيدة المشهورة والمهم هنا أن رسائلها للكرملي كتبت وهي في تكاملها العقلي قبل المحنة التي ألمت بها في السنين الأخيرة من عمرها حيث تكالب عليها مرض (العصاب) وجعلها نزيلة أحد المشافي الخاصة بالأمراض العصبية كما هو معروف لمتتبعي سيرتها ولا ادري هل أن محنتها بدأت منذ عام ١٩٢١ أو لا ؟ ففي رسالتها المؤرخة في ١٤ آب ١٩٢١ كتبت تقول للكرملي: وكأني اني ابتليت بالأرق المتتابع مما أدى بي الى انحطاط عصبي عام).. وهذا مايهم المعنيين بسيرة هذه الأديبة الفذة ويضيف الى معلوماتهم فائدة تاريخية مهمة كما ان المعنيين بتراثها سيسرهم العثور على هذه الاضمامة الرقيقة من (حدائق مي) خاصة أنهم رصدوا كل كبيرة وصغيرة من آثارها حتى إنَّ إحدى المجلات

العربية افتخرت يوما بعثورها على أغلفة كتب عليها كلمات إهداء وتوقيع مي .

وقد عُثِرَت عليها ضمن المخلفات الخطية للاب انستاس ماري الكرملي ببغداد .

■ الرسالة الأولى :

٢٨ شارع المغربي .

القاهرة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠

أبتِ ..

جاء خطاباك الشيقان وعددان من (دار السلام) في أحدهما مقال مجنح عن كتاب (باحثة البادية) تناولت إزاء هذه الثروة الجليلة بعظم موهبة الكتابة والمراسلة عاش من ابدع الريشة وشق القصبة ولو كان الها ميثولوجيا وعاش تحالف البريد الدولي وإن اظلت سقوف دواوينه نصوص رسائل وصحاف ولم تذهلني رغبتك في مكاتبتي قبل اليوم لأنه يخيل إليّ أنَّ كل رغبة تحمل في ذاتها بذور تحقيق ذاتها وأنَّ كل أمنية إنّما هي إنذار بمقدور أما عندي فقد تولدت الرغبة منذ شهر مايس ١٩١٩ اذ كنا نتناول الشاي في منزل الدكتور صروف مع المستشرق الانكليزي الاستاذ مرجليوث بعد عودته من العراق حيث قال إنَّه تشرف بالاجتماع بك وأخذ العالمان يتحدثان عن تلك الشخصية الكبيرة التي تخفي نفسها وراء تعدد الاسماء المستعارة فلا تختفي ولايزيدها التكتم إلا تشعا وظهورا وعلى ذكر الدكتور صروف أقول إنِّي سارعت وسألته عن مقالة (الحنفاء) فأجاب إنَّه منتهز هذه الفرصة ليسر بالكتابة اليك مباشرة والدكتور شديد الإعجاب بك لا أعني ذلك الاعجاب الذي لايدرك نفسه وكثيرا إمّا يتعب موضوعه إعجاب الجمهور وإنما إعجاب العالم الهادئ الذي يقدر لأنه يتأمل ويفهم.

يجذبنا اسم العاق ونحن إليه حنين الأخ المتألم إلى اللامتألم نحن إليه خصوصا

نحن السوريون لما يوحدنا واياه من ماض عربي قريب وماض بعيد غاطس في غلس التاريخ لذلك نهم بكل مايكتب في هاتيك الربوع وتشوقنا حالتها الفكرية والنفسية. ولذلك نشعر شديدا بوطأة الظلم اذا كان الظلم عراقيا.. والشيخ كاظم الدجيلي الذي اضطهدني اضطهادا نيرونيا في اثنتي عشرة صفحة مستهلا باسمي تكرارا جاء يأسو بعدئذ بقصيدة حسناء تصلح لأي فتاة من أي أمة في أي عصر!!! ولكني أميل إلى نسيان الأذى بفطرتي تشهد لي بذلك نسخة من (باحثة البادية) أقدمها إلى حضرة الشيخ كاظم راجية من لطفك عذرا إذا أرسلتها بعنوانك وهل من عجب أن يضم ناديك كل نابه وحصيف من أدباء العراق وأن تقصد إليه لتصافحهم فيه كل روح آتية من بعيد.

أما قول إخواننا هناك أن لي من يكتب عني وينقح لي فقد سبقهم إليه إخواننا في مصر فصاروا يبحثون عن هذا الذي يضحي نفسه لأجلي فوجدوا لابي اهتماما عاديا بموضوعات تهمني شديدا وعلموا أن لا أخوة لي لأني وحيدة أبوي واقتنع زوارنا إن الذي يعمل لي قد اختبأ في دماغي ليكون طوع آمري في كل كلمة اقولها وكما شاءت الأحوال أن أقف خطيبة قاموا يشبهون ما أكتب بما أقول !

اشكر لك همة تحدو بك إلى طلب ترجمتي لتستخرج منها ما يقطع لسان كل مكابر أنا باعثة إليك ببعض الصحف والمجلات التي كتب فيها عني أشخاص عرفوني كذلك اهدي إليك نسخة من ديواني الفرنساوي و(ايزيس كوبيا) اسم أوقع به ما انشره بالفرنساوية والإنكليزية كما أني أكتب أحيانا بالعربية باسم (خالد رأفت) أكثر صفحات (أزهار الحلم) كتبت على مقاعد المدرسة والباقي في الشهور الأولى بعد عودتي إلى البيت حيث مازلت أتابع دروسي فلا شك عندي انك ستنظر إلى الروح من دون الجسم على أني أرجو أن ترد إليّ المجلتان ونسختا (المحروسة)



لئلا تنقص عندي هذه المجموعات وأطلب إليك أن لاتحاول إقناع أحد. ان ما أطمع فيه هو نشر أفكاري ومادمت حاصلة على الأمر الجوهري فما نصيب العرض مني سوى الإغفال وعدم الاكتراث.

بل أظن من تتبع كتاباتي منذ ١٩١١ وهو العام الذي بدأت فيه بمعالجة القلم. يعلم أن التي كانت تكتب يومئذ لم تكن سوى تلميذة حائرة الفكر مرتبكة التعبير لأنها لم تكن تعرف من العربية غير المبادئ البسيطة التي تدرس في المدارس الأجنبية وذات الصبغة الأجنبية ثم أخذت تنمو قليلا قليلا باحثة عن الكلمة التي قدر لها أن تقولها في الحياة وقد زاد في نزعتها الفطرية إلى الاستقلال الفكري والأسلوبي إنها لم تدرس اللغة العربية في غير حبها لها إلا أن الكتابة التي لم تكن في البدء سوى ميل وسلوى صارت اليوم احتياجا عميقا صارت جوعا وعطشا صارت شعلة تتقد بين جوانحي وتفتا تفني نفسها لتحييها صارت سلطانا قاهرا يدفعني إلى الإفصاح عما يشغلني مسيرة غير مخيرة.

هذا اعتراف طويل لأنه اعتراف عام ويتراءى لي أني لا أقول ما تجهله بل أكاد أسمعك هامسا الوقت بعد الوقت: اعلم ما أكثر ما في هذه الجملة من رسالتك الثانية من نبل وكآبة وأي نفع عساني أن أنتظر وأنا قابض على ناصية السعادة بالعيشة التي انتمي اليها. ناحية السعادة ياأبتِ العزيز هي غير السعادة نفسها الي أن الشمس التي ترسل النور الى العالمين انها تتسع فيها كل يوم بقع الظلام؟ ولكن من ذا الذي قال ان السعادة غاية الحياة؟ إن الذي أوجد هذه الفكرة أساء الى الناس أجمعين اذ ما غاية الحياة الا الحياة والأبطال فينا الذين يستحقون الإعزاز والإجلال ليس أولئك المتنعمين بل هم ذوو الأرواح الكبيرة الدامية الذين يقضون أيامهم على الصليب هم كهنة المذابح وكهنة الأفكار وهم نور العالم لذلك تراني ألمس رسالة الكاتب منك متهيبة كأني أضع شفتي على أنامل الكاهن.

ابنتك مي

■ الرسالة الثانية :

٢٨ شارع المغربي

القاهرة في ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٠

أبتِ ..

أتشرف بأن أتقدم إليك بنسخة من كتيبي (باحثة البادية) راجية قبوله تذكارا من فتاة بعيدة تكبر فضل الكاهن منك وتطرب لنفثات الكاتب وتعجب بأبحاث العالم إن في العلم ضربا من الكهنوت فما أجل الكهنوتين يجتمعان في شخص واحد مع الاحترام.

ابنتك المخلصة

مي

■ الرسالة الثالثة :

القاهرة في ٢٠ يونيه سنة ١٩٢١

أبتي

تتابعت الأسابيع حتى تكونت شهورا أعدها على أصابع اليد الواحدة وأنا لم أقم بعد بواجب الشكر نحوك ولم ألب داعي السرور والمنطلق من نفسي في ساعة احبسها على الكتابة إليك لم انعم بعد ذلك لما يتنازعني من شواغل وينهب من وقتي من إنجازها وفي وسط هذه الحمى الفكرية حرمت تلك السعادة التي نجدها في مناجاة القلوب الكبيرة والمدارك العالية ولكن كم من رسالة روحية أنفذتها إليك وكم حملني تيار الأثير الى ربوع بي إليها شوق وحنين ولو صحت نظرية التناسخ حسبت أني صرفت هناك عمرا سابقا أو قدر لي أن اقضي في العراق عمرا لاحقا أم كان هذا وذاك هجسا وحدسا وكفى أن تحوي الديار من نجل ونكبر وان تضم إخواننا يربطنا بهم الأمس والغد لتصير وطنا مختارا لطائفة من خواطرنا وسوانحنا. ماكان اكرم البريد يوم جاءني منك بأشياء خفيفة الحمل غالية الثمن تتالق منها الأجزاء تألق درر يأبى قلمي تثمينها فرادى لان الصور السماوية لاتتشكل الا بتجمع الكواكب انما اقول ان تقسيم ترجمتي في (دار السلام) وتبويبها وتنسيق جملها واستطراد الوصف فيها كل ذلك لو لم أكن أنا موضوعة لقررت انه شاهد جديد ينطق بالذوق المصفى والنظر الثاقب والرأي الحكيم أما شروح الأسماء الثلاثة فحسبها شهادة أنها من نتاج اليراعة البحاثة واعترف بلا خجل أني شعرت ازاء بعض دقائق الشرح بمثل ما شعر أبو النواس أمام حذاقي فسر له قوله:

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر

على أني خجلت أن ينسب إلي ما لم أفكر فيه من سبب تاريخي لانتحل تلك

الأسماء إني لم أتطاول إلى ادعاء الألوهية وكل ما ازعم هو اني إنسان كل الإنسانية هذه مفخرتي الوحيدة والله يعلم أن فيها مافيها من مرارة الحياة ومن حلاوتها أيضا.

وإذا سمحت لي أن أعود الى شرح لولا حب تقرير الواقع ما كان حريا بالانتباه قلت: اني التمست الاسم المستعار لنقل الاسم الفرنجي بعد مقال عربي ولأني شعرت من نفسي يميل الى نقد الشرقيين الذين يحسبون الاسم الفرنجي شارة الرقي رغم التنافر المضحك الذي يبدو غاليا بين اسم الفرد واسم عائلته فحاولت اخراج اسم عربي من حروف اسمي فاهتديت إلى أن أول حروف (ماري) وآخرها يمثلان اسما عربيا مايحا غير غريب عن الشعراء والمتأدبين وهو في الوقت نفسه غير مبتذل إذ ندرت النساء المعروفات به بينها المدعوات بأسماء عرائس الشعر يكاد لايضبط عددهن إحصاء ومي أو MAY مستعمل عند الإنجليز كتصغير لماري وهكذا تعددت الأسباب التي رغبتني في هذا الاسم ولم يقم إزاءها معارضة واحدة كتنافر الحروف وصعوبة اللفظ وما شاكل فاتنقته غير مترددة أما إيزيس كوبيا فتكاد تكون الترجمة الحرفية لماري زيادة إذ أن إيزيس أخت الإله وعروسه كما أن ماري أم الابن وعروس البحر وكوبيا اللاتينية إن لم تكن (زيادة) بالضبط فهي مرادفة لها.

ابنتك مي

■ الرسالة الرابعة :

رمل الاسكندرية سان استفاتو ١٤ اغسطس سنة ١٩٢١

ابتي ..

جئت بعد سكوت أسابيع أشكر تلك الكلمة العذبة التي أنقذتها الي من مرسيليا تحمل على إيجازها آية من آيات بلاغتك وشاهدا من شهود وداعتك وما لزمت هذا الصمت الطويل الا لأني هجرت القلم منذ تلك الأيام بسبب سقوط والدتي على ذراعها فأصبت في الكتف ووجع العظم المكسور مؤلم كل الألم للمريض ولذويه جميعًا وكأني أني ابتليت بالأرق المتتابع مما أدى بين الى انحطاط عصبي عام فأشار الطبيب بتبديل الهواء فجئنا هذه الربوع وضربنا خيامنا في حي الزرقة الفيحاء وصارت أعصابي بعد أيام تخضع خضوعا تدريجيا لسنة الكرى وأصبحت قادرة على لم شعث فكري لأكتب ان لم يكن صفحات فكلمات وأني لأكتب رغما عن نهي الطبيب وأمره بأن أستريح كل الشهور القائظة دون تحبير سطر واحد فالأطباء مستبدون وأنا أحب العناد وأنت يا أبتِ هذا هو السبب الجوهري فوق كل أمر ونهي ومناجاتك بركة حسنة العائدة على كل من سعد بتذوقها والتمتع بمحاسنها.

حبذا تلك المباغتة عند ذهابك إلى أوربا وحبذا تكرارها عند العودة! ليت ذلك بوجودك في القاهرة ولا يعادل ذلك الاغتباط عندي إلا ابتهاجي بالتعرف إلى ذاتك الكريمة إذ رأيت ان الشخص منك كالكاتب والعالم الذين أعرفهما وأكبرهما من قبل رفعا وفضلا وكمالا ما اجل واجمل تلك الشمائل الرهبانية في بساطتها الساحرة وهذا الشعور يشاركني فيه والداي اللذان يحفظان من مرورك أطيب التذكار وبيع من اعرف من الذين تشرفوا بمقابلتك في مصر.

لو كنت الساعة في القاهرة لكنت أرسلت إليك الخطب الذي كنت أكتب الثالثة

مـن صـحائفه عنـدما أعلمنـي الخـادم بوجـودك في الصـالون ولكنـي في رمـل الإسكندرية وليس لدي سوى هذا البحر العظيم ونحن على انسه وانبساطه لانـرى منه سوى موجات ليلة تزحف متكسرة على الشاطئ كذلك من كـل مـا تكنـه نـفسي لاقنومك السامي مـن احـترام وإعجـاب وإجـلال يـبرز عـلى هـذا القرطـاس سـوى إصداء لمدة ضعيفة ضئيلة فتفضل بقبولها على أنّها من فتاة مريضة هي **ابنتك** (مي)

سنعود الى مصر في أواخر الأسبوع الآتي وأرجو أن تـأتيني قريبـا أخبـار رحلتـك عسى أن تكون وفقت إلى كل ما تود الاهتداء إليه من أعلمية وتاريخية.

■ ■ ■



■ الرسالة الخامسة :

٢٨ شارع المغربي

القاهرة ٢٦ ابريل ١٩٢٥

أبتِ الفاضل

لقد هممت غير مرة بالكتابة إليك التماسا لإخبارك ولتقديم فروض التذكر والاحترام فأمسكت القلم كل مرة لما يساورني من الحيرة والتردد ولكني اليوم أصرح لنفسي أن أهنئك بعيد الفصح المجيد (ولو بعد انقضائه) وأن أرسل إليك هذا الطابع الذي تجده على غلاف خطابي فهو من الطوابع التي انشئت للمؤتمر الجغرافي والتي لا يجوز استعمالها إلا مدة هذا الشهر شهر ابريل.

وهل أكون مقتحمة لو أنا سألتك عن صحتك ورضاك وأعربت عن رغبتي في الوقوف على اخبارك- اذا كان ذلك في الإمكان وتفضلوا أيها الأب الجليل بقبول اسمى شعائر الاحترام من ابنتكم المخلصة (مي).

■ ■ ■

■ الرسالة السادسة :

شارع المغربي

القاهرة ٢٩ ديسمبر ١٩٢٥

ابتِ المفضال

تعلن اليوم مصلحة البريد عن سفر البريد الهوائي إلى بغداد فأراني مسوقة إلى الكتابة إليك ولو كلمة واحدة لأهنئك بعيد الميلاد ورأس السنة وإذ ا حاول أن أحصي ما أتمنى لك تحقيقه خلال العام المقبل أقف حائرة فأسأل الله ان ينيلك كل ماتريد وأنت رجل الصلاح والنباهة فكل ما تميل اليه يكون صلاحا وخيرا.

وقد أبلغني يوسف إليان سركيس أفندي تحيتك وكلمتك اللطيفة فشكرت لك تفضلك بأن تذكرني وتذكر والدي وسرتني كل السرور عودتي الى بغداد حيث يجب أن تقيم دواما وكان بودي أن أكتب إليك قبل اليوم ومنذ وقت طويل لولا اني كنت متغيبة في الصيف بين ايطاليا وفرنسا فلما عدت تلقاني المشكل العائلي الذي تعلم وقد انتهى الأمر على خير ولله الحمد وبعد فقد نشرت لجنتنا في الشرق العربي وفي أمريكا الدعوة إلى الاحتفاء بيوبيل المقتطف فلبى الدعوة كثيرون وبعثوا إلينا بنفثاتهم شعرا ونثرا وانبرى إخواننا السوريون في البرازيل فأرونا مظهرا آخر من همتهم بتقديم هدية فنية جميلة على أني حتى الساعة لم أتلق منك شيئا وأنت تعلم مبلغ إعجابي بنتاج قلمك وتعلم أي مكانة في كتاب (الذكرى) لما تتحفنا به وكنت ذكرت سابقا رغبتك في درس التطور الإنشائي أو الفكري في العراق خلال نصف قرن وآثر المقتطف في ذلك التطور وانه لبحث خطير ننتظره منك.

ولما كانت الحالة في العالم العربي الآن تقضي بتأجيل اليوبيل فان الوفاء التاريخي يقضي بذلك أيضا لأن الجزء الأول من المقتطف لم يصدر في مطلع السنة الميلادية بل

في فصل الربيع وقد قررنا التأجيل كما ترى في نداء اللجنة المرفق بهذا وهذا يفسح في الوقت لدى الأدباء والشعراء لغاية اخر فبراير ١٩٢٦..

فأرجو أن تكون سفيرنا في العراق فتنشر في الصحف خبر هذا التأجيل مع شكر اللجنة الحار للذين تفضلوا فلبوا دعوتها والصحف التي أوصلت صوتها إلى الجمهور وأن تستحث الإخوان على إرسال نفثاتهم ليشاركو في إقامة هذا اليوبيل لا لتكريم مجلة علمية فحسب بل للاحتفاء بتطور الشرق خلال نصف قرن ولإقامة مظاهرة فخمة في سبيل لغتنا العربية الجميلة.

وتقبل ابتِ في الختام عواطف الاحترام والإكرام

مي

بين مي وسيمون بوفوار ومدام ريكامييه

مي زيادة ..

سيمون دي بوفوار ..

مدام ريكامييه ..

لا أتذكر واحدة دون أن تجتاحني الثانية والثالثة في نفس اللحظة !!

ثلاث نسوة تتشابه قصة كل منهنَّ .. ويتلاقي مسار الثلاثة عند نقطة نظام ومحطة توقف أو سير أو حتى دوران !!

عجباً لهُنَّ !!

كل منهنَّ كاتبة ومفكرة وفيلسوفة وعاشقة وصاحبة صالون ومجنونة عشق .. وساحرة الرجال وشاغلة الرأي العام !!

فهل تأثرت مي زيادة برفيقتيها على درب الإبداع والجنون والتميز ؟

يقيناً حدث هذا لدرجة الإمتزاج .. ولا ريب أن مي زيادة اتخذت منهنَّ مثالاً أعلى ونبراساً ومنهاجاً وسِكة ودرباً وعشقاً .

وتنفجر على مائدة استفهامات تتناثر في الأرجاء :

هل أرادت مي زيادة أن تصنع صالوناً أدبياً يهز الدنيا كـ مدام ريكامييه ؟!

الجواب : نعم .. أرادت وفعلت .

وهل بغت مي زيادة أن تجعل من جبران خليل جبران بطلاً كـ جان بول سارتر ؟!

نعم ولكنها فشلت في صناعة جبران شريكاً لعمرها وصديقاً لوجدها ورفيقاً لدربها وأنيساً لقلبها وفارساً أوحد لذاتها .

ولكن الواقع ..

أن مي زيادة تتشابه تماماً مع سيمون دي بوفوار ومدام ريكامييه حتى وإن ولدت بوفوار عام ١٩٠٨ !!

فالفِكر لا يُقاس بعُمر الميلاد بقدر ما يُقاس بتوأمة التجربة وتقارب الفِكر .

فماذا عن الثلاثة معاً ؟!

وما هي أوجه التقارب المتماثلة في تجارب ثلاث نسوة سطرنَّ تاريخهن الغرامي بالنار والبارود على درب العشق والإبداع والتميز ؟

...

■ ■ ■

سيمون دي بوفوار المرأة المنصهرة دائماً

سيمون دي بوفوار المولودة في ٩ يناير ١٩٠٨ .. هي كاتبة وجودية فرنسية ارتبطت طول عمرها بعلاقة صداقة و حب مع الفيلسوف جان بول سارتر

ولدت في عام ١٩٠٨ في باريس لعائلة برجوازية .. والدها كان محام خسر أملاكه في الحرب العالمية الأولى. أمها عملت على تلقينها هي وأختها الصغرى مبادئ الكاثوليكية والتي ما لبثت دي بوفوار أن أعلنت كفرها بها

درست الفلسفة في جامعة «أكول نورمال سوبراير» (المدرسة العليا) والتي كانت جامعة تضم الذكور فقط حينها. وفي جيل ٢١ تخرجت من الجامعة. في عام ١٩٢٩ تعرفت على جان بول سارتر الذي كان وقتها طالب في قسم الفلسفة ونشأت قصة حب بينهما استمرت حتى وفاة سارتر عام ١٩٨٠ لكن بدون أنْ يلتزما بالزواج. في الاعوام ١٩٣١ - ١٩٤٣ درست بوفوار الفلسفة في ثانويات مختلفة في ارجاء فرنسا. في الاعوام ١٩٤١ - ١٩٤٣ عملت كبروفيسور (استاذه جامعيه) في السوربون. عام ١٩٤٣ نشرت روايتها الأولى «المدعوة».

هذه الأعوام كانت مهمة في صقل شخصيتها كفيلسوفة ومفكرة لا سيما في المجال النسوي. في عام ١٩٨١ كتبت «مباركة الانفصال عن سارتر» وبه وصف صعب للسنوات الأخيرة التي عاشها سارتر. تعتبر دي بوفوار أماً للتيار النسوي ما قبل عام ١٩٦٨ . وقد اشتهرت بصورة خاصة بفضل كتابها «الجنس الاخر» الذي نشرته عام ١٩٤٩.

توفيت بوفوار في باريس في الرابع عشر من ابريل (نيسان) عام ١٩٨٦ ودفنت في باريس إلى جانب جان بول سارتر .

من أهم أعمالها :

- رواية المثقفون.
- الجنس الآخر.
- المرأة بين الحب والزواج.
- نموذج المرأة الحديثة.
- ومقال : « خلق الغموضة ».

عرفت فرنسا كاتبات مرموقات خلال القرن العشرين مثل كوليت «١٨٧٣-١٩٥٤» ومارغريت يورسنار «١٩٠٣-١٩٨٧» غير أن سيمون دو بوفوار التى يُحتفل هذا العام بمرور مائة عام على ميلادها كانت أكثرهن شهرة وحضورا على المستوى العالمي.

وقد لا يعود ذلك فقط إلى علاقتها الوثيقة بجان بول سارتر الذى كانت أفكاره ومواقفه الأدبية والفلسفية والسياسية تثير عواصف هوجاء لا فى فرنسا وحدها وإنما فى العالم بأسره وإنما أيضا لأنها اختارت العيش خصوصا منذ نهاية الحرب الكونية الثانية فى قلب الأحداث التى عرفتها الإنسانية فى النصف الثانى من القرن العشرين.

فكانت مساندة لحركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي وكانت إلى جانب سارتر عند تأسيسه لمجلة «العصور الحديثة» المدافعة عن الفلسفة الوجودية وعن الحرية والديمقراطية بصفة عامة والمنتقدة للجوانب المعتمة للرأسمالية. وكانت ضمن المثقفين الفرنسيين الذين ناهضوا الاحتلال الفرنسى للجزائر وطالبوا باستقلالها فى حين كانت الحرب تحرق الأخضر واليابس على أراضيها. وكانت ضد حرب فيتنام.

وفى كتابها «الجنس الثاني» وضعت الأسس الأولى التى قامت عليها الحركة النسوية فى العالم الغربى وذلك خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي. وفى عام ١٩٧٠ وبعد أن هدأت ثورة ربيع مايو/ أيار الطلابية شاهدها الناس توزع مع جان بول سارتر جريدة «قضية الشعب اليسارية المتطرفة» التى كانت الناطقة باسم الشبيبة الماوية «نسبة إلى الزعيم الصينى ماوتسى تونغ».

■ ■ ■

«باسيوناريا» القرن العشرين

لذلك قد يكونون على حق أولئك الذين سموها «باسيوناريا» القرن العشرين. وقد ولدت سيمون دو بوفوار عام ١٩٠٨ من أب ينحدر من عائلة نبيلة ومن أم تنتسب إلى عائلة غنية من منطقة «فاردان». وكان الأب لائكيا عاشقا للمسرح والأدب. أما الأم فكانت محافظة ومتمسّكة بالتقاليد. وفى سنوات المراهقة ارتبطت سيمون دو بوفوار بفتاة تدعى اليزابيت لاكوان وعنها سوف تتحدث كثيرا فى كتابها «ذكريات فتاة رصينة». وفى الوقت نفسه اشتدت الخلافات بينها وبين والديها وبدأت تبحث عن طريقة للفرار بعيدا عن البيت العائلي. وأمام من يعرفونها أو لا يعرفونها كانت تجاهر بعدائها لكل ما يتصل بالدين.

عقب حصولها على البكالوريا وذلك عام ١٩٢٤ انتسبت سيمون دو بوفوار إلى جامعة «السربون»- قسم الفلسفة- وأثناء سنوات الطلب فى الجامعة انشغلت بكتابة يومياتها التى سمتها «دفاتر الشباب» وفيها كتبت تقول «سوف أؤسس قوة ألجأ إليها إلى الأبد!». ولم تكن هذه القوة غير الأدب الذى سوف يصبح العنصر الأساسى فى حياتها حتى النهاية.

وسوف تكون هذه الدفاتر بمثابة التمارين اليومية التى تقوم بها سيمون دو بوفوار لكى تكون المرأة والكاتبة التى تطمح إلى أن تكون- وهذا ما نلاحظه فى هذه الفقرة التى كتبتها يوم ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٢٧ والتى فيها تقول «قوتي! أريد لكى أتغنى بها أن يكون لى الكبرياء الحماسى للنهر». أمس أمام باب المكتبة نظرت إلى ساحة «السربون» لأعاين كما قال كوكتو فى «السر المهني» أننا نكتشف فجأة الأشياء التى هى عاديّة للغاية.

وكان الطلبة الذين كانوا يسيرون فى الضوء يبدون كما لو أن فكرى هو الذى خلقهم. وقد أحسست بأن الحياة تغمرنى بكل ما فيها. وراحت تتسابق فى ذهنى ذكريات عن الكتب وعن لوحات أحببتها. وأمس قبل أن أنام شعرت بأننى أنا أنا التى فى قلب الحياة. غير أن هذا ليس مجديا. فالكلمات لا تضمن مثل هذا التأكيد.

■ ■ ■

الكائنات الذكية والحساسة

وفى فقرة أخرى من اليوميات كتبت سيمون دو بوفوار تقول «الحياة جميلة بكل اللوحات الجميلة التى رسمها الناس وبكل الكتب الرائعة التى أبدعوها وبكل الأفكار والنظم الفلسفية التى ابتكروها. وهى جميلة بفضل الكائنات الذكية والحساسة التى تعيشها وبفضل شمس الأيام الحارة وبطراوة الصباحات الرمادية قليلا وبفضل العلاقات السهلة والصداقات العميقة. وهى غنية بكل غنائي. أنا غنية!».

وفى جامعة «السوربون» تعرفت سيمون دو بوفوار على مارلو بونتى الذى سيكون فى ما بعد واحدا من أهم الفلاسفة الوجوديين. غير أن لقاءها بجان بول سارتر مطلع الثلاثينات من القرن الماضى هو الذى سوف يحدث منعرجا هائلا فى حياتها كامرأة وككاتبة وكمفكرة. وفى بدايات هذا اللقاء كتبت سيمون دو بوفوار تقول «كان سارتر يجيب بالضبط على تمنياتى وأنا فى الخامسة عشرة من عمري. وكان الصّنو الذين كنت أعثر فيه من جديد على جميع ميولى المفرطة وقد تأججت بها فيه الكفاية. معه سيكون باستطاعتى دائما أن أتقاسم كل شيء. وعندما فارقته فى أوائل شهر أغسطس/ آب كنت أعلم أننى لن أخرج من حياته أبدا».

ومنذ البداية اتفقت سيمون دو بوفوار مع سارتر على أن تكون المسألة الجنسية بينهما ثانوية.

لذلك كان بإمكان كل واحد منهما أن تكون له علاقاته الجنسية الخاصة. وبعض من هذه العلاقات سوف تكون بمثابة الفضائح الجنسية لدى وسائل الإعلام والرأى العام الفرنسي.



ووصف بعضهم العلاقة بين سيمون دو بوفوار وجان بول سارتر بأنها كانت «مغامرة ثقافية» كان الهدف الأساسي منها تقويض وتدمير الضوابط و«المعايير البورجوازية».

■ ■ ■

صعود الفاشية

وخلال الثلاثينات لم يهتم الاثنان- أى دو بوفوار وسارتر بالأحداث السياسية الكبيرة التى هزت العالم فى ذلك الوقت مثل صعود النازية فى ألمانيا والفاشية فى إيطاليا والحرب الأهلية التى اندلعت فى إسبانيا عام ١٩٣٦ و«الجبهة الشعبية» التى حكمت فرنسا لفترة وجيزة من شهر يونيو/ حزيران ١٩٣٦ حتى نفس الشهر من عام ١٩٣٧ فقد كانت الفلسفة والأدب كل ما يشغلهما. وكان طموح كل واحد منهما كتابة أعمال تخرج عن العادى والمألوف وتنسف القوالب الجامدة. وكان سارتر قد أصدر فى ذلك الوقت عملين جلبا له اهتمام النقاد هما «الغثيان» وهى رواية و«الجدار» وهى مجموعة قصصية. أما سيمون دو بوفوار فلم تكن قد أصدرت أى شيء.

ثم اندلعت الحرب الكونية الثانية فجنّد سارتر وأرسل فى الحين إلى الجبهة. أما سيمون دو بوفوار فقد واصلت تدريس الفلسفة فى المعاهد الثانويّة مهتمة بالخصوص بالتلميذات الذكيات والجميلات وغير عابئة بالأخريات. وكانت تعيش حياتها وكأن شيئا لم يقع وكأن باريس لم تحتل من قبل النازيين. غير أن موقف سارتر سوف يكون مختلفا. فقد كانت الحرب بالنسبة إليه بمثابة الصدمة العنيفة التى جعلته يفتح عينيه وللمرة الأولى على حقائق لم يكن قد انتبه إليها قبل ذلك. وعن ذلك كتب ميشال كونتا يقول: كانت الحرب المنعرج الكبير فى حياة سارتر تلك الحرب التى لم يكن قد توقعها ولم يكن قد فهم أسبابها. وعندما سقطت عليه شعر كما لو أنه استقال ثقافيا لأنه لم يكن قد فكر قبل ذلك فيها.

وابتداء من ذلك أصبح مسكونا بحب عميق للسلم سلم كان قد عرفه فى

المدرسة العليا تحت تأثير تلامذة الفيلسوف آلان ولم يكن سارتر محبا للسلام بطبعه. كان بالأحرى مثقفا لامعا وكان أيضا شديد الاقتناع بأن العنف هو فشل الحوار وإنه من الضرورى اللجوء دائما وأبدا إلى الحوار العنيف والحاد ربما ولكنه يظل مع ذلك الوسيلة الأنجع لحل الخلافات. ولم يكن سارتر يفكر مثل سوريل الذى كان يرى أن العنف هو المولد للتاريخ. لذا من المحتّم المرور منه. وكان سارتر يميل بالأحرى إلى عنف المتمردين لكن من دون أن يعظمه أو يتخذ منه قيمة أساسية.

فى عام ١٩٤١ عاد سارتر إلى باريس بعد أن أمضى أشهرا طويلة فى الأسر. وعندما التقى بسيمون دو بوفوار شرع يحرضها على الخروج من حالة الفراغ الثقافى التى كانت تعيشها طالبا منها الانخراط مثله فى النضال ضد النازية. وفى ما بعد سوف تقول سيمون دو بوفوار «للأسف الشديد كان لا بد من اندلاع الحرب لكى أعلم أننى أعيش فى العالم وليس خارجه».

■ ■ ■

مجموعة «الاشتراكية والحرية»

ولم تتردد سيمون دو بوفوار فى الانضمام إلى مجموعة «الاشتراكية والحرية» المناهضة للنازية والتى كان سارتر أحد الناشطين فيها. وكانت مهمتها توزيع المناشير فى محطات المترو وعند مدخل المعامل وإعداد النصوص التحريضية.

غير أن المجموعة سرعان ما اندثرت. وكان على سارتر وسيمون دو بوفوار أن يسافرا فى الصيف إلى «المنطقة الحرة» للالتقاء بأندريه جيد واندريه مالرو الذى كان قائدا فاعلا فى حركة المقاومة. غير أن هذا الأخير الذى كان قد اكتسب تجربة حربية هامة فى الهند الصينية وفى الحرب الأهلية الإسبانية اقتصر على مدهما بالورق والمال. وعندما أدرك سارتر أنه لن يكون عنصرا فاعلا فى حركة المقاومة استسلم للحياة «الرمادية» فى باريس «الحزينة». ولمقاومة الملل انكب على كتابة مسرحيات سوف تحقق له فى ما بعد شهرة عالمية واسعة.

كما أنه انصرف إلى إعداد المادة الأساسية لمؤلفه الفلسفى «الوجود والعدم». أما سيمون دو بوفوار فقد أصدرت كتابا حمل عنوان «الضيفة». ومنذ ذلك الحين أصبحت الأوساط الباريسية تتعامل معها ككاتبة وليس فقط كعشيقة لسارتر.. ولأنهما لم يشاركا فى حركة المقاومة بصفة ناجعة وفعلية فإن المؤرخة أنات فيفيوركا كتبت عنهما تقول «كان الاثنان- أى دو بوفوار وسارتر- يعيشان حياة الفرنسيين العاديين. ولم تحدث الحرب أى شرخ لا فى حياتهما ولا فى أعمالهما الأدبية. لقد فوّتا فرصة الالتزام النضالى الحقيقي ذلك الذى يمكن أن يلاقيا فيه حتفهما».

لكن حالما وضعت الحرب أوزارها وعادت باريس لتنخرط فى حياتها الصاخبة أصبح سارتر فيلسوف الحرية بامتياز وأصبح النقاد والقراء يتعاملون مع دو بوفوار

وكأنها الكاتبة التى عاشت فى قلب حركة المقاومة.

وفى باريس الضاحكة السعيدة بحياتها الجديدة بعد سنوات القتامة التى عاشتها تحت الاحتلال النازي كان الاثنان أى دو بوفوار وسارتر يتحركان وكأنهما بطلان. وكان المعجبون يتحلقون حولهم فى مقاهى «السان جارمان دى بويه» وساحة «الاوديون» وهم متلهفون لسماع كل كلمة ينطقان بها وكل فكرة يطلقانها.

ولأنهما شعرا بالأهمية الكبيرة التى أصبحا يحظيان بها فى المشهد الثقافى والفكري فإن سارتر وبوفوار سارعا بتأسيس مجلة «العصور الحديثة» التى ستصبح حال صدورها أرقى مجلة فكرية وأدبية عرفتها فرنسا عقب الحرب الكونية الثانية. ولأن الاثنين أى سارتر وسيمون دو بوفوار كانا متفقين على ضرورة عيش حياة جنسية حرة فإن كل واحد منهما انصرف باحثا عن ما يمكن أن يرضى غرائزه وشهواته الجنسية. فقد ارتبط سارتر بعلاقة حب مع ميشال فيان زوجة الفنان والكاتب بوريس فيان ومع نساء أخريات مثل الأمريكية دولوريس فانيتي.

■ ■ ■

رسائل حب محمومة

أما سيمون دو بوفوار فقد عشقت أمريكيا يدعى نلسون الغرين كان يسميها «ضفدعتي» مرة ومرة أخرى «تمساحي». وكانت هى تكتب له رسائل حب محمومة. وفى واحدة من هذه الرسائل كتبت له تقول وكأنها أَمَةٌ تخاطب سيدها سأكون عاقلة سأغسل الصحون وأوانى الطبخ سأكنس وسأذهب وحدى لأشترى البيض وحلويات «الروم». لن أمس شعرك ولا وجنتيك ولا كتفيك من دون إذن منك. وأبدا لن أفعل أشياء لا تسمح بها أنت...

ومع الغرين سافرت سيمون دو بوفوار إلى شيكاغو لتكتشف هناك بؤس الأحياء التى على حزام المدينة وحياة الهامشيين والمدمنين على المخدرات والعنف الذى يهيمن على العلاقات بين الزنوج والبيض. وكل هذا سوف يدفعها إلى النظر إلى الكثير من الأشياء والقضايا انطلاقا من رؤية جديدة وسوف يجعلها أكثر تضامنا مع الطبقات الكادحة ومع المعذبين والمقهورين فى الارض.

وفى عام ١٩٤٩ أصدرت سيمون دو بوفوار «الجنس الثاني» الذى سوف يكون واحدا من أهم الكتب التى ألفتها خلال مسيرتها الأدبية والفكرية الطويلة. وقد أثار هذا الكتاب موجة عارمة من الغضب والسخط داخل الأوساط الأدبية والثقافية فى فرنسا. فقد اتهم البير كامو سيمون دو بوفوار بأنها «تمس من شرف الرجال الفرنسيين».

ومخاطبا واحدا من المساهمين فى مجلة «العصور الحديثة» قال الكاتب الفرنسى فرانسوا مورياك «لقد أصبحت أعرف كل شيء عن الثياب الداخلية لصاحبتكم!» وعلق الحزب الشيوعى الفرنسى على الكتاب قائلا بأنه سوف «يسلّى ويضحك

عاملات بيونكور».

وقد ردت سيمون دو بوفوار على التهجمات والانتقادات التى انهالت عليها عقب صدور «الجنس الثاني» قائلة «لقد نحتوا لى صورتين الأولى صورة فتاة مجنونة نصف مجنونة منحرفة »...« أما الصورة الثانية فصورة امرأة بحذاء مستو وبعقيصة. وهم يقولون إنى رئيسة كشاف وإنى رئيسة جمعية خيرية وإنى معلمة. لا شيء يمنعنى من أن أصالح بين الصورتين. يمكن أن أكون سيدة ماجنة بفكر كبير ورئيسة لجمعية خيرية. المهم أن أظهر للناس كما لو أننى غير طبيعية».

■ ■ ■

سن النضج

ولكن لماذا عالجت هذا الموضوع موضوع المرأة فى كتابها «الجنس الثاني» ؟ مجيبة عن هذا السؤال كتبت سيمون دو بوفوار فى مؤلفها الآخر «سن النضج» تقول «ماذا يعنى بالنسبة إلى أن أكون امرأة ؟ » أبدا لم أشعر بالدونية لكونى امرأة. وأنوثتى لم تكن تسبب لى أى شعور بالنقص. وقد قلت كل هذا لسارتر. فرد عليّ قائلا «مع ذلك يا سيمون أنت لم تتربى بنفس الأساليب والطرق التى يتربى بها الطفل الذكر.. وعليك أن تنظرى إلى هذا عن قرب..».

وقد نظرت وعندئذ اكتشفت الشيء التالى « هذا العالم الذى من حلوى عالم ذكوري وقد تغذت طفولتى بالأساطير التى نسجها الرجال وأبدا لم أرد الفعل بنفس الطريقة التى أرد بها لو كنت طفلا. ومن شدة اهتمامى بهذا الموضوع تركت كل شيء جانبا لأهتم بموضوع المرأة فى مجمله».

ومنذ الخمسينات والستينات من القرن الماضى أصبح «الجنس الثاني» إنجيل زعيمات الحركات النسوية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى العالم بأسره. وعن «الجنس الثاني» كتبت الألمانية انغريد كاستلير تقول «صادمة اليمين كما اليسار كانت بوفوار من دون شك سابقة لعصرها »...« فلقد تمكنت ولأول مرة من أن تستعمل السجل الفلسفى الذى يسمح بالتفكير فى العلاقة بين الجنسين عوض أن نفعل ذلك بحسب التعابير التجريبية وإعطاء هذا التفكير المكانة الضرورية لكى نجعل منه خطابا أكثر انتشارا».

وعند اندلاع الحرب التحريرية فى الجزائر رفعت سيمون دو بوفوار صوتها مع سارتر ومع مثقفين فرنسيين آخرين للتنديد بجرائم جيش الاحتلال هناك وقامت

بحملات للتضامن مع جبهة التحرير الشعبية. ومع جيزال حليمي كانت ضمن لجنة التضامن مع المناضلة جميلة بوباشا التى عذبها الجنود الفرنسيون واغتصبوها قبل أن يحكم عليها بالإعدام. ولم تكن سيمون دو بوفوار تتردد فى النزول إلى الشوارع للمشاركة فى المظاهرات المناهضة للحرب أو لتوزيع المناشير الداعية إلى إنهائها.

وفاة سارتر عام ١٩٨٠ أصدرت سيمون دو بوفوار كتابا حمل عنوان «موكب التوديع» وفيه تروى علاقاتها به خلال السنوات العشر الأخيرة التى سبقت وفاته. وفى هذا الكتاب هى تروى بدقة متناهية التدهور الصحى والجسدى لرفيق حياتها وتدين ألاعيب بنى ليفي المثقف اليهودى الذى كان تروتسكيا «نسبة إلى ليون تروتسكي» والذى أصبح صهيونيا متطرفا. وقد حاول بنى ليفى استدراج سارتر إلى أفكاره الصهيونية الشيء الذى أثار غضب سيمون دو بوفوار. وفى كتاب «موكب التوديع» نقرأ ما يلى «موته يفصلنا موتى لن يجمعنى وإياه. هكذا هو الأمر. وعلى أية حال لقد كان رائعا أن تتوافق حياتى مع حياته لفترة طويلة».

وكانت قد مرت ستة أعوام بالضبط على وفاة جان بول سارتر عندما لفظت سيمون دو بوفوار أنفاسها لتدفن فى ثوب أحمر وفى إصبعها الخاتم الفضى الذى كان قد أهداه إياها عشيقها الأمريكى نيلسون الغرين. وقد رافق جثمانها إلى مقبرة «مونبارناس» آلاف الناس من المعجبين والمعجبات. وعندما مر الموكب أمام مقهى فى حى «مونبارناس» والتى كانت من مرتاديه وقف النادلون والعاملون فيه ليؤدوا لها تحية الوداع الأخير.

■ ■ ■

علاقة سيمون بوفوار وسارتر

العلاقة المحيرة بين جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار صيف عام ١٩٢٩ الإسمين الأكثر حضوراً بين طلاب الفلسفة اللامعين في الإيكول نورمال ونزهاتها في حديقة اللوكسمبرغ في باريس هو موضوع كتاب كارول سيمور- جونز. كان سارتر أكبر من سيمون بثلاثة أعوام وكانت قد تكونت له سمعة سيئة وكان عرف عنه كتاباته وأفكاره في استنباط فلسفة غريبة قائمة على الكون كما عرف عنه تصرفاته غير الطبيعية في حفلات الطلبة. في صبيحة يوم ما في حديقة اللوكسمبرغ وجدت بوفوار نفسها تقع في حب سارتر وتحت سحره القريب كان ساحراً بليغاً لبقاً هزلياً وقبيحاً بشكل ساحر.

استمع سارتر إلى أفكار هامول «جودة» ما وراء نطاق الحيرة او المعرفة ثم امضى الساعات الثلاث التالية في تمزيق فلسفتها الى قطع صغيرة .

بعد عدة اشهر تقدم الى خطبتها ذكرته دي بوفوار انه وصف الزواج بـ«مؤسسة برجوازية حقيرة» وقدمت له عرضاً رومانسياً: إنهما سيوقعان عقداً لمدة عامين قابل للتجديد حول علاقتهما اخذت بين يديها رأسه ملاحظة أنْ رائحته كانت مزيجاً من التبغ والمعجنات ثم قبلته.

وهكذا بدأت واحدة من اكثر العلاقات اثارة للحيرة في تاريخ الادب رسائل حب سارتر كانت عبارة عن فلسفة اكاديمية عجيبة حب ورمانسية وخيال علمي .

نحن وعيان ذائبان في واحد يطوفان بين الارض والسماء وجسدان آليان صغيران نحن وبالنسبة الى أسى بوفوار فان جسديهما كانا منفصلين .

لقد تم تعيين كل واحد منهما في وظيفة تدريسية في موقعين مختلفين ثم جنّد

سارتر إلزامياً وأمضى تسعة أشهر كسجين حرب .

وفي خلال تلك الفترة لم تكن علاقتهما جيدة جداً ووجهات نظرهما بشأن الزواج والعلاقات بشكل عام كانت مختلفة تماماً ومع ذلك فقد تواصلت علاقتهما أكثر من قرن وحافظا طوال هذه الفترة على العهد الذي قطعاه على أنفسهما أن يخبر أحدهما الآخر بكل شيء يحصل له.

وعند وفاته قالت دي بوفوار: «إنَّ وفاته قد فرقتنا وموتي لن يوحدنا هذه هي الأمور كان كافيا في انسجام حياتنا طوال هذه المدة» .

سارتر وبوفوار مادتان صعبتان لكتابة تاريخ حياتيهما وكاتب السيرة يجد في الأمر صعوبة وكل من يحاول المعرفة التامة بعقلية كل واحد منهما سيصبح مثل احد تلاميذ سارتر في مدرسة (الليسيه) كان أحدهما يدخل إلى الصف وينظر «بقرف» ثم «يحدق في التلاميذ بعد صمت ٤٥ ثانية ثم يصبح كل هذه الوجوه ليس فيها إشراقة الذكاء» .

وعلى الرغم من هذه الصعوبة فان المؤلفة سيمور جونز قدمت سيرة مقروءة عن حياتهما وهي على الرغم من تركيزها على دقائق حياتهما الخاصة فانها ايضاً تتطرق الى رواياتهما والمسرحيات والمقالات والذكريات والحملات السياسية التي جعلت من الشهيرين فولتير وفيكتور هيجو القرن العشرين .

كانت هي تتوقع الكثير من سارتر وكان هو عازماً على اختبار سلطته اذ كان لديه من الأعداء بقدر الأصدقاء .

وقد رفض فلسفة «الوجودية» التي حقق بها شهرته وحظه وقدره .

وقد تحققت مكانة الإثنين عبر قضايا اليسار السياسي حتى من دون أن يشاركهم أحياناً الأفكار ولكن لا يمكن مطلقاً اعتبار مواقفهما انتهازية وهما عندما عارضا

الحرب الفرنسية في الجزائر واستخدام التعذيب من قبل الجيش الفرنسي فإنهما بالكاد تخلصا من الموت على أيدي الإرهابيين في الجناح اليميني ومواقفهما السياسية قد لا تبدو جميعها اليوم سليمة .

والفلاسفة الذين يحاولون تغيير العالم يرتكبون بعض الأخطاء والكتاب الذين يريدون أن تسمع أصواتهم كان عليهم التوصل إلى حل وسط مع الرقابة. عدد قليل من الكتاب احتفظوا بحريتهم الفكرية ومنها سارتر وكامو وحتى وهو في سجنه كسجين حرب كتب سارتر واخرج مسرحية عن المقاومة الفلسطينية أيام الاحتلال الروماني .

وماتت سيمون دي بوفوار فى ١٤ ابريل ١٩٨٦ فى باريس .

■ ■ ■

صالون مدام ريكاميه

ولدت مدام ريكاميه في ١٧٧٧ في باريس .. ففي بدايات عصر النهضة وبينما كانت مدام ريكاميه مستلقية على الأريكة يتحلق حولها الفنانون ليرسموا أجمل صاحبة صالون أدبي في تلك الفترة لم تكن ريكاميه لتستوعب أن سلوكها الارستقراطي سيكون شاهدا ودليلاً مسبقا على سلوك تقتضي الحياة إعادته برسم الخدمة ولم يدر بخلدها أن جلوساً متوقداً كجلستها ستثير في الفنانين الحماسة ليؤرخوا ثقافة الارستقراط في مواجهة الانتيك وسوق المقاصيص.

ريكاميه كانت تستخدم موهبة هؤلاء الأنتيك الفقراء والعزل إلا من الموهبة لإبراز وجهها الحضاري بعيداً عن أزقة سوق المقاصيص الفرنسية والفنانون كانوا يرسمون هذه الارستقراطية بنية أنواع الشبق كله في آن واحد.

ريكاميه لم تكن جميلة فقط بل ساهمت في تأسيس واقع ثقافي لأهم مرحلة في التاريخ الأوروبي لكن دافيد وباسكال راحوا يشهدون ثقافة تروج باسم النهضة فيما الواقع يسحق مثقفين من نوع آخر لا تبهجهم الأضواء ولا يعجبهم التقافز أمام مدام ريكاميه.

أما ماجريت فكان أكثر جرأة كونه جاء متأخراً كان أكثر تحدياً في مواجهة هؤلاء الارستقراطيين ممن يريدون جعل الثقافة بمثابة الانتيك ومحطة سياحية يتفرج عليها السذج من الناس لا لشيء. سوى أن هالة من الغبار كانت تغري هؤلاء.

لكن ماجريت لم يكن ليرى في مدام ريكاميه سوى الموت متأنقاً أمام الرسامين عمق اللوحة كما رسمها باسكال وهيئة الكرسي أيضا.. لكن تابوتاً كان يجلس أمامنا وليست صاحبة الصالون الأدبي والفاتنة مدام ريكاميه .

صالونات فرنسا

عرفت فرنسا الصالونات الأدبية في القرن السابع عشر وكثرت في القرن التالي واكتست طابعاً عالمياً بمن كانوا يترددون عليها وبالقضايا التي كان المرتادون يتناولونها وكان يقوم عليها سيدات اتصفن بالذكاء والثقافة والحس الاجتماعي الرهيف والجمال أيضاً .

وكانت هذه الصالونات بمثابة تجمّعات مثالية لتبادل الآراء والأحاديث المتنوعة كما أنها كانت تتناول كل جديد وطريف.

وبعض هذه الصالونات أدت دوراً بالغ الأهمية في إلقاء الضوء على الآداب الأجنبية ودفع الأدباء المغمورين إلى عالم الشهرة والذيوع.

كان أقدم صالون أدبي عرفته فرنسا هو صالون أوتيل دي رامبوييه وكانت صاحبته كاترين دي فيفون١٦٦٥ -١٥٨٨ م مركيزة رامبوييه .. وهي سيدة على قدر كبير من الجمال مصقولة التربية والدتها رومانية ووالدها فرنسي عمل سفيراً لبلاده في روما العاصمة الإيطالية .آثرت «دي فيفون» أن تترك البلاط جانباً وأن تفتح صالونها عام١٦٠٨ م للنبلاء والطبقة الأرستقراطية والمثقفين الراغبين في تنمية مواهبهم إلى مستوى هذه الطبقات فأعدت قاعاته وزينت حجراته لتبعث البهجة والمتعة في نفوس زواره وليكون منتدى لمجتمع الصفوة الراقية بأكملها.

في هذا الصالون كانت تناقش مختلف التيارات الأدبية الحديثة التي تفجّرت حول فرنسا في إسبانيا أولاً ثم في إيطاليا فيما بعد فعرف روّاده أصول الرواية الحديثة وما سوف يُطلق عليه أدب التصنّع أو الحذلقة أو الأدب المثقف الذي يعتمد على زخرفة الأسلوب والإيغال في التصوير.

وكان الكاتب المسرحي «كورني»١٦٨٤-١٦٠٦ م من روّاد هذا الصالون حيث قرأ على روّاد الصالون أصول مسرحياته ومنها مسرحية السيد وهو شخصية أندلسية .وفيه ارتجل «بوسيه»١٧٠٤-١٦٢٧ م- وكان وقتها شاباً -خطبة امتدت حتى منتصف الليل قال عنها «فولتير» إنه لم يسمع بمثلها لا من قبل ولا من بعد.

كما تردد على ذات الصالون الشاعر الكبير «مالرب»١٦٢٨-١٥٥٥ م وظهر أثر القصائد الإيطالية واضحاً في شعره وبخاصة في أيام شبابه الأولى قبل أن ينضج على حين اهتم «فوجيلا»١٦٥٠-١٥٨٥ م بنقاء اللغة الفرنسية ومقاومة التسرب الأجنبي إليها في الألفاظ أو التراكيب ولقد استخدم أعضاء المجمع اللغوي الفرنسي مؤلفاته في الدفاع عن اللغة الفرنسية.

أما الشاعر «شبلان» فكان يبذل أقصى جهده لتثبيت مبادئ الكلاسيكية في الأدب وقد قالت عنه «جولي» ابنة صاحبة الصالون إنه :«شاعر ملحمي تعس فاتن الجمال ومُتعب حتى النخاع».

وتعكس أعمال «فولتير»١٦٤٨-١٥٩٨ م التي نُشرت فيما بعد روح هذا الصالون بدقة .وفيما بعد أصبح الروائي «بلزاك» من روّاد الصالون أيضاً ويعد بعضهم أن عالمية مصادره واتجاهاته تعود إلى تأثير أجواء هذا الصالون والحوار الذي كان يُجريه بين قاعاته.

وكانت «مدام لافيت» من بين الشخصيات التي تتردد على الصالون ولعله ألهمها روايتها الفذة سيدة وهي رواية تعبق بأريج أندلسي نفاذ.

وحين بلغت ابنتا صاحبة الصالون «جولي» و«انجليك» السن التي تُهيء لهما الاشتراك في المناقشات انضمتا إلى روّاده وأبديتا استعداداً أدبياً عالياً ومبكراً فهما تقرأان مسرحيات «كورني» وتنتقدانها وتعكفان على دراسة كتاب «مقال في المنهج».

لـ«رينيه ديكارت» ولقد بلغ إعجابها بهذا الفيلسوف غايته.

وقد امتدت الحياة بصاحبة الصالون «كاترين دي فيفون» حتى شاهدت مسرحية «موليير» الساخرة «المتحذلقات الساخرات».

أما صالون «مدام ريكاميه» فقد فتح أبوابه مع بداية القرن التاسع عشر وهي زوجة لأحد كبار رجال البنوك في فرنسا وأصبح صالونها يجمع أهم الأدباء والشخصيات الاجتماعية المرموقة.

وكذلك كان هناك صالون الروائية الفرنسية الشهيرة «جورج صاند» التي جاءت إلى باريس عام١٨٣١ م ليصبح صالونها ملتقى لكبار الأدباء والشخصيات.

وهناك أيضاً صالون اكتسب شهرة عالمية وأدى دوراً مهماً في الحياة الأدبية في أوروبا هو صالون «مدام دي ستال» وهي أديبة كبيرة وناقدة عظيمة هيأت المناخ لتطوير رائع في النقد والأدب وقد فتح صالونها في «كوبيه» أبوابه على دفعات بين عامي١٧٩٥ م و١٨١١م لكثير من الأدباء المشهورين الذين ينتسبون إلى عدد من الدول والقوميات المختلفة وكان الصالون إبان هذه السنوات البوتقة التي انصهرت فيها الخلافات القومية الأوروبية وأطل المفكرون من خلاله على آداب الأمم الأخرى.

وخارج فرنسا اشتهر صالون «الدوقة مازرين» في لندن في القرن السابع عشر وقام بالدور نفسه الذي قامت به الصالونات الفرنسية ومثله صالون «ليدي هولاند» في القرن الثامن عشر.

وفي عام١٧٥٠ م أنشأت «مدام نوردان فليشت» أول صالون أدبي في ستوكهولم عاصمة السويد.

وفي ألمانيا يعد صالون «راحيل فارنهاجن فون إنزه» التي ولدت في برلين في مايو

عام١٧٧١ م وتوفيت في مارس عام١٨٣٣ م من أشهر الصالونات الأدبية في الأدب الألماني وكان ملتقى الشعراء والسياسيين وكبار شخصيات المجتمع والأرستقراطيين. وكان من أشهر الأسماء التي تتردد على صالونها «جان باول» و«لودفيج تيك» و«إرنست فون بفول» و«فريدريش شليجل» و«فريدريش دي لاموت فوكيه» والأمير «لويس فرديناند» وخطيبته «باولينه فيزبل».

و«راحيل فارنهاجن» هي أديبة ألمانية تنتمي إلى الحقبة الرومانسية ولكن كتاباتها كانت تُعبّر في الوقت نفسه عن أفكار وعصر التنوير في أوروبا وكذلك كانت تنادي إلى تحرير المرأة .وكان الشكل الأدبي المفضّل لديها هو كتابة الرسائل والمذكرات الذي كان منتشراً بين أديبات القرن التاسع عشر .وقد تميزت بأسلوبها الرائع في الكتابة وقد نشر الجزء الأكبر من كتاباتها بعد وفاتها في ١٨٤٩ م.

■ ■ ■

صالون مي

كانت مي فتاة جميلة .. جمالها شرقي يرتدي مسحة من أخيلة الغرب .. وكانت جاذبيتها ليست في جمالها فحسب .. بل في عقلها الذي كان يبهر عمالقة الفكر والأدب في هذا العصر .. ومنهم الدكتور طه حسين والمفكر عباس محمود العقاد والكاتب مصطفى صادق الرافعي وخليل مطران وأحمد لطفى السيد وعدلي يكن وغيرهم كثيرون كانت في عيونهم جميعاً شعاعاً جميلاً .. يتدفق فكراً وأدباً وثقافة مع لطف في الأخلاق وأسلوب مهذب .. أنيق في الترحيب والاستقبال .. فكان بيتها ملاذاً للجميع لا تحت تأثير مشاعرهم التي تحركت نحوها .. بل أيضاً تحت تأثير هذا الجو العقلي الذي كان من النادر جداً وجوده عند غالبية نساء ذلك الزمان .

كان عصر الحجاب .. حجاب الوجه وحجاب التقاليد الاجتماعية الصارمة خاصة تجاه المرأة وخروجها العام إلى المجتمع . وكانت مي التي نشأت في الاوساط المارونية ذات الثقافة الأوربية مختلفة تماماً عن صورة المرأة الشرقية في هذا الوقت .. فجذبت العقول كما جذبت القلوب .

وكانت مي الفتاة الشابة القادمة من لبنان هي الوحيدة في عصرها التي استطاعت أن تحرر فكرها وحياتها من أسلوب الحياة السائد بين النساء في ذلك الوقت في مصر .

ولكن كيف ولدت فكرة الصالون في خاطر مي ؟

تأثرت مي بتجربة شهيرة في مطلع النهضة الأوربية خاصة في عصر لويس الرابع عشر في فرنسا حيث كان صالون مدام ريكاميه .. وكانت سيدة على جانب كبير من العلم والذكاء جعلت من إحدى غرف بيتها منتدى لتحريك الأفكار وتبادل الرؤى

الثقافية والفكرية وعرفت هذه الغرفة بـ « الغرفة الزرقاء» . كما كان هناك صالون آخر شهيراً هو صالون مدام دوستايل .

وتأثرت مي كثيراً بصالون مدام دوستايل من حيث اهتمام مناقشاته وندواته بالتراث العالمي كله فقد كانت مي تتقن عدة لغات قراءة وكتابة .

لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي دفع بالفكرة إلى رأس مي .. بل جاء الإيحاء من أستاذها أحمد لطفي السيد الذي كان من أهم الذين تأثرت بهم مي وتتلمذت على أفكارهم واطاعت نصائحهم . والتأثير الأكبر الذي أحدثه أحمد لطفي السيد في حياة مي هو تشجيعها على دراسة اللغة العربية وإتقانها وكذلك قراءة القرآن والفقه الإسلامي وهذا ما شجعها على الكتابة باللغة العربية بعد أن كانت تكتب فقط باللغات الأجنبية التي تجيدها . وكان أول ديوان لها باسم «زهرات حلم» باللغة الفرنسية.

ويبدأ في مايو ١٩١٣ أشهر صالون أدبي شهده القرن العشرون صالون مي .. ليكون ملتقى كبار مفكري وأدباء وفناني مصر وسوريا وكبار الأدباء الأوربيين الزائرين لمصر .

كيف كان شكل صالون مي؟.. ماذا كان يدور في أمسيات الثلاثاء الفريدة ؟ كيف كانت نجمة الأدب والفكر تشرق بذكائها ونبوغها خلال تلك الأمسيات .. وكيف كانت تخلب عقول وقلوب كبار مفكري عصرها ؟ ماذا لو أدرنا عجلة الزمن لنعود إلى الزمن الجميل . ونستمع إلى ضيوف مي من عمالقة الفكر والأدب وكيف وصفوا هذا الصالون الأدبي الفريد..

*** يصف الكاتب اللبناني سليم سركيس صالون مي فيقول :**

مساء كل ثلاثاء يتحول منزل إلياس أفندي زيادة صاحب جريدة « المحروسة»

إلى منزل فخم في باريس .. وتتحول مي التي لا تزال في العقد الثاني من عمرها إلى مدام دوستايل أولادة بنت المستكفي أو وردة اليازجية في شخص ومدارك الآنسة مي ويتحول مجلسها إلى فرع من سوق عكاظ وتروج المباحث العلمية والفلسفية والأدبية في مجلس يحضره إسماعيل صبري وشبلي شميل وخليل مطران وأحمد زكي باشا . هؤلاء جميعاً يهزون بأحاديثهم ومناقشاتهم أغصان شجرة ذات ثمر . ويحركون وردة ذات أريج والآنسة مي بينهم تناقش هذا وتدافع عن ذاك..

ويصفها المفكر الكبير محمود عباس العقاد فيقول:

«كل ما تتحدث به مي ممتعا كالذي تكتبه بعد روية وتحضير فقد وهبت ملكة الحديث في طلاوة ورشاقة وجلاء ووهبت ما هو أدل على القدرة من ملكة الحديث وهي ملكة التوجيه وإدارة الحديث بين مجلس المختلفين في الرأي والمزاج والثقافة والمقال فإذا دار الحديث بينهم جعلته مي على سنة المساواة والكرامة وأفسحت المجال للرأي القائل الذي ينقضه أو يهدمه وانتظم هذا برفق ومودة ولباقة ولم يشعر أحد بتوجيه الكلام منها وكأنها تتوجه من غير موجه وتنتقل بغير ناقل وتلك غاية البراعة في هذا المقام».

ويتحدث عميد الأدب العربي طه حسين ن ذكرياته في صالون مي .. فيقول :

«كان الذين يختلفون إلى الصالون متفاوتين تفاوتاً شديداً فكان منهم المصريون على تفاوت طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية وعلى تفاوت أعمارهم وكان منهم السوريون ومنهم الأوربيون على اختلاف شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء وكانوا يتحدثون في كل شيء ويتحدثون بلغات مختلفة وبالعربية والفرنسية والانجليزية خاصة» .

ولكن كيف وأين بدأ أهم وأشهر صالون أدبي في القرن العشرين .. صالون مي ؟

كانت البداية في الحفل الكبير الذي أقيم في بهو الجامعة المصرية لتكريم الشاعر خليل مطران

بمناسبة الإنعام عليه بوسام رفيع .. وبعد أن ألقت مي كلمة الكاتب المغترب جبران خليل جبران نيابة عنه . خطفت القلوب واستأثرت على العقول .. وبعد أن عقبت على كلمة جبران اشتعل حماس الجمهور لهذه الأديبة الشابة .. وصارت منذ تلك اللحظة حديث الناس.

في هذه الليلة دعت مي الحاضرين إلى الصالون الأدبي الجديد الذي قررت أن تقيمه في بيتها مساء كل ثلاثاء . في بيتها بشارع مظلوم وهكذا بدأ صالون مي الذي استمر لفترة طويلة حوالي ربع قرن يجمع عمالقة الفكر والثقافة والسياسة والأدب .. وتدور في أمسياته أعمق وأغنى المناقشات والحوارات .. ويتبارى الكتاب والشعراء والفلاسفة في عرض أفكارهم وثقافاتهم ورؤاهم المختلفة .. وتحول هذا الصالون إلى منبر قوي يدعم تيار الفكر والثقافة الذي كان مزدهراً في ذلك الوقت ويسهم بدور هام في تحريك الأفكار وشحذها وتفاعلها الايجابي فأثرت الحياة الأدبية في مصر وغيرها من بلاد العالم العربي.

وكان المترددون على ندوتها يتحدثون في شتى الموضوعات الفكرية والأدبية . يتكلمون بالعربية أو بغيرها من اللغات الأجنبية أما مي فكان حديثها دائما باللغة العربية الفصحى .

ورأى هؤلاء المفكرون في مي الشخصية الفريدة التي جمعت بين الثقافة الرفيعة والأخلاق الفاضلة فازدادوا إيماناً بضرورة تعليم الفتاة وتشجيعها على الثقافة وصقل الذات بالمعرفة .

وأطلق عليها أدباء ومفكرو عصرها العديد من الألقاب منها : الأديبة .. النابغة

.. فريدة العصر .. ملكة دولة الإلهام .. حلية الزمان .. الدرة اليتيمة .. وغيرها من الألقاب التي تعكس قدر الاحترام والإجلال اللذين حظيت بهما مي من كتاب عصرها.

ولكن ورغم كل هذا التوهج واللمعان في سماء الفكر والأدب .. هل كانت أديبتنا النابغة سعيدة بما حققته من شهرة ونجاح وتفرد ؟

هل أضاءت تلك الشمس المشعة حياتها .. أم أشرقت فقط في حياة الآخرين ؟!

وفي النهاية ..

لقد احترقت مي زيادة حين هجرها الجميع وانفضَّ مولد الصالون الأشهر ؟!

وعجباً لهذا التشابه العجيب في حياة مي زيادة وسيمون دي بوفوار ومدام ريكاميه !!

عجباً للملحمة العشق الخالدة وجنون التفرُّد المتميز ولهيب الغرام السرمدي الذي أضاء الخافقين في تاريخ كل منهنَّ !!

عجباً للأقدار التي جمعت بينهن رغم بُعد المسافات والجغرافيا والتاريخ والموطن !

إنها عجائب الأقدار وخوارق الأفكار وفلتات الزمن .

رحم الله الجميع ..

بعد أن خلَّفوا لنا تأريخاً أدبياً ذهبياً زاخراً ومائدة إبداعية عامرة بشتى صنوف الإبداع الفِكري انطلقت شرارته من صالون مي زيادة .. وتفجرت قنابله من معارك غرام كبار نجوم المرحلة حول امرأة واحدة هي :

الآنسة مي ..


غرام الكبار
لماذا
مي زيادة
دون غيرها

السؤال الذي يطرح ذاته على طاولة البحث :

لماذا مي زيادة دون غيرها كان لها صالوناً أدبياً مبهراً ضم نجوم الأدب والسياسة والفِكر والدين والقانون والصحافة والعِلم ؟!

لماذا مي زيادة وحدها ولم نر أي من نجمات المجتمع الشهيرات مثلاً وهُنَّ على الترتيب :

«عائشة التيمورية هدى شعراوي ملك حفني ناصف روزا اليوسف أمينة السعيد عائشة عبد الرحمن لطيفة الزيات » ؟!

ولماذا ليست سيزا نبراوي أو درية شفيق أو سهير القلماوي ؟!

أين كل هؤلاء النسوة الكبيرات ؟!

وكلهُنَّ نجمات ساطعات ملء السمع والبصر !!

إن صفية هي زوجة سعد باشا زغلول وابنة مصطفى فهمي باشا رئيس الوزراء الذي عُرِفَ عنه صداقته للإنكليز ومكث في رئاسة الوزارة ١٣ سنة كاملة .. أي لديها كل مقومات النجومية فلماذا لم تكُن بطلة لصالون سياسي وأدبي وفني يضم النخبة ؟!

ولماذا ليس هدى شعراوي وهي ابنة محمد سلطان باشا الذي كان يرافق الاحتلال الإنكليزي في زحفه على العاصمة وهي زوجة علي شعراوي باشا أحد أعضاء حزب الأمة (الوفد حالياً) ومن أنصار السفور وتحرير المرأة ولها باع وذراع وموطئ قدم راسخة في الشهرة والظهور والحياة العامة ؟!

ولماذا ليست سيزا نبراوي (واسمها الأصلي زينب محمد مراد) وهي صديقة هدى شعراوي في المؤتمرات الدولية والداخلية .

وهما أول من نزعنَّ الحجاب في مصر بعد عودتهنَّ من الغرب إثر حضور مؤتمر

الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما ١٩٢٣م !!

أي لديها كل مقومات الإختلاط بالرجال وكسر القواعد !!

ولماذا ليست هي درية شفيق ؟! وهي من تلميذات لطفي السيد .. رحلت وحدها إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراه ثم إلى إنجلترا وصورتها وسائل الإعلام الغربية بأنها المرأة التي تدعوا إلى التحرر من أغلال الإسلام وتقاليده مثل : الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات !!

أي أنها أيضاً لديها كل مقومات « الخروج » على المألوف !!

فلماذا تفوقت مي زيادة وتفردت ؟!

ولماذا ليست سهير القلماوي وعي التي تربت في الجامعة الأمريكية في مصر - وتخرجت من معهد الأمريكان - وتنقلت بين الجامعات الأمريكية والأوربية ثم عادت للتدريس في الجامعة المصرية .

لماذا ليس كل هؤلاء النسوة الأماجد في عالِم الشهرة والنجومية والعمل العام ؟!

لماذا فقط مي زيادة ؟!

قبل أن نجيبك هلا توقفنا مع بعضهن لنتعرَّف عليهنَّ من زاوية قريبة ؟

نبدأ بالترتيب العُمري فنجد :

عائشة التيمورية

هي واحدة من أبرز الناشطات في المجال الاجتماعي بالإضافة إلى كونها شاعرة وأديبة .

وُلدت عائشة بنت إسماعيل باشا تيمور سنة ١٨٤٠ لأسرة كريمة فقد كان والدها من أصل كردي يعمل رئيساً للحاشية الملكية وله شغف بمطالعة كتب

الأدب.. فاهتم بتعليمها القراءة والكتابة والقران الكريم ومبادئ الفقه الإسلامي فأحضر لها أستاذين يقوم أحدهما بتعليمها القراءة والكتابة والآخر بتحفيظها القرآن وتعليمها مبادئ الفقه الإسلامي.

تزوجت عائشة وهي في الرابعة عشرة من عمرها وكان ذلك في عام ١٨٥٤ وهيأت لها حياتها الرغدة أن تستزيد من الأدب واللغة فاستدعت سيدتين لهما إلمام بعلوم الصرف والنحو والعروض ودرست عليهما حتى برعت فأتقنت نظم الشعر باللغة العربية كما أتقنت اللغتين التركية والفارسية والتي أخذتهما عن والديها .

استطاعت عائشة التيمورية كتابة الشعر بالعربية والتركية والفارسية وعاشت أيامها الأخيرة في القاهرة بعد وفاة زوجها الذي كان قد اصطحبها إلي اسطنبول وعندما ماتت ابنتها وهي شابة رثتها في عدة قصائد تُعد من أفضل المرثيات في العصر الحديث وقد جمع شعرها في ديوان باسم «حلية الطراز».

نشرت عائشة في جريدة الآداب والمؤيد عدداً من المقالات عارضت فيها آراء قاسم أمين وكانت أسبق في الدعوة إلى تحسين أحوال المرأة والنهوض بها من قاسم أمين ومهدت السبيل في مجال المقالة الاجتماعية لباحثة البادية.

أما مؤلفاتها فهي كالتالي:

* نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال:

وهو كتاب عربي فيه قصص لتهذيب النفوس أسلوبه إنشائي وقد تم طبعه سنة ١٨٨٨.

* مرآة التأمل في الأمور:

وهي رسالة باللغة العربية تتضمن ١٦ صفحة في الأدب « دعت فيه الرجال إلى

الأخذ بحقهم من الزعامة والقوامة على المرأة دون تفريط في واجبهم نحو المرأة من الرعاية والتكريم وقد تم طبعه قبل سنة ١٨٩٣».

* حلية الطراز:

وهو ديوان لمجموعة أشعارها العربية وقد تم طبعه في القاهرة.

* شكوفة أو (ديوان عصمت):

هو ديوان أشعارها التركية وهو يحتوي على بعض الأبيات التي قالتها الشاعرة في أبنتها توحيدة التي فقدتها.

توفيت عائشة التيمورية في ٢ مايو ١٩٠٢.

صفية زغلول

هي نجمة سوبر ستارز في سماء الشهرة .. فهي ابنة رئيس وزراء وزوجة رئيس وزراء أيضاً وزعيم الوفد .. ولها دورها البارز في ثورة ١٩١٩ والحياة العامة في مصر في عصرها فلماذا لم تكن هي نجمة الصالون ؟!

وقد ولدت صفية مصطفى فهمى والتى لقبت باسم صفية زغلول فى عام ١٨٧٨م لعائلة ارستقراطية .. فوالدها هو مصطفى فهمى باشا والذى يعد من أوائل رؤساء وزراء مصرمنذ عرف نظام الوزراة بمصر فى أوائل القرن التاسع عشر.

وقد أطلق عليها أيضاً لقب «أم المصريين» وذلك لعطائها المتدفق من أجل قضية الوطن العربى والمصرى خاصةً حيث خرجت على رأس المظاهرات النسائية من أجل المطالبة بالاستقلال خلال ثورة ١٩١٩.

كان لصفية دوراً كبيراً حيث حملت لواء الثورة عقب نفى زوجها الزعيم سعد زغلول إلى جزيرة سيشل إضافة إلى ذلك فقد ساهمت بشكل مباشر وفعال فى تحرير

المرأة المصرية .

بعد رحيل زوجها سعد زغلول عاشت بعده عشرين عاما لم تتخل فيها عن نشاطها الوطنى لدرجة أن رئيس الوزراء آنذاك « إسماعيل باشا صدقى » وجه لها انذارا بأن تتوقف عن العمل السياسى إلا أنها لم تتوقف عن العمل الوطنى بالرغم من هذه المحاولات.

توفيت أم المصريين « صفية زغلول » فى ١٢ يناير ١٩٤٦ تاركة وراءها حياه غير تقليدية للفتاة المصرية والزوجة المخلصة المؤمنة بزوجها .

هدى شعراوي

ولدت السيدة هدي شعراوي فى ٢٣ يونيو سنة ١٨٧٩ م وهى ابنة محمد سلطان باشا رئيس أول مجلس نيابى فى مصر وهو حاكم الصعيد العام وقائمقام الخديوي سعيد في الثورة العرابية والذي توفى وهى في

الخامسة من عمرها يوم ١٤ أغسطس سنة ١٨٨٤م فى مدينة جراتسي بالنمسا فراعتها والدتها ونشأتها على حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم واللغات وحب الفنون وتزوجت هدي شعراوي وهي فى الثالثة عشر من عمرها من ابن عمتها على شعراوي باشا وهو أحد قادة ثورة ١٩١٩م ولم تعلم الصغيرة بهذا الزواج إلا قبل حدوثة بنصف ساعة فتمردت ولكن الفتاة في هذا العصر كان صوتها غير مسموع .

العمل السياسي والإجتماعى:

في ١٦ مارس سنة ١٩١٩م بدأ كفاح هدي شعراوي السياسي عندما خرجت علي رأس مظاهرة نسائية من ٣٠٠ سيدة مصرية للمناداة بالإفراج عن سعد زغلول ورفاقه وخرجت لتواجه لتحد فوهة بندقية جند بريطاني وشهد هذا اليوم التاريخي إستشهاد أول شهيدة للحركة النسائية والتي أشعلت حماس بعض نساء الطبقات

الراقية التى خرجن في مسيرة ضخمة رافعات شعار الهلال والصليب دليلاً على الوحدة الوطنية ويندن بالإحتلال وتوجهت هذه المسيرة الى بيت الأمة. ومنذ ذلك التاريخ والمرأة المصرية تحتفل بالسادس عشر من مارس بعد إختياره ليكون يوماً للمرأة المصرية. وعلي صعيد العالم الإحتماعى ساهمت السيدة هدى شعراوي ضمن ما ساهمت فى إنشاء مبرة محمد على لمساعدة أطفال المرضي سنة ١٩٠٩م ولم تكن قد تجاوزت الثلاثين كانت من أولي المساهمات في تشكيل اتحاد المرأة المصرية المتعلمة عام١٩١٤ م كما أسست لجنة تحت اسم جمعية الرقي الأدبي للسيدات فى ابريل سنة ١٩١٤ م.

بين الحجاب والسفور :

في مايو سنة ١٩٢٣م بعد هذا المؤتمر عاد الوفد النسائي المصري الى الإسكندرية فى قطار من الإسكندرية إلى القاهرة رفعت هدي شعراوي النقاب عن وجهها وقد كان ذلك بهدف اتاحة الفرصة للمرأة المصرية للإنخراط بالحياة الإجتماعية السياسية وثار كثيرون ولكن كفاح هدى شعراوي الجاد على درب الخروج على كل شيئ جعل كثيراً من الآباء يقتنعون تدريجياً برفع الحجاب عن وجه المرأة المصرية !!

تأسيس جمعية الإتحاد النسائي المصري عام١٩٢٣ م:

فى ١٦ من مارس عام ١٩٢٣م أسست هدي شعراوي جمعية باسم الإتحاد النسائي المصري بهدف رفع مستوي المرأة الأدبي والإجتماعي للوصول به إلى حد يجعلها أهلاً للإشتراك مع الرجال في جميع الحقوق والواجبات. و تسعي الجمعية بكل الوسائل المشروعة لتنالالمرأة المصرية حقوقها السياسية والإجتماعية كما ورد في المادة الثانية والثالثة من القانون الأساسي لهذا الإتحاد. وكانت العضوات المؤسسات لهذا الإتحاد ١٢ سيدة فقط في مقدمتهن هدي شعراوي الرئيسة وشريفة رياض

نائبة الرئيسة وسكرتيرتين هما إحسان القوسي وسيزا نبراوي بلإضافة الى عدد من عضوات لجنة الوفد المركزية للسيدات. وحرصت هدي علي صيانة المرأة من الظلم الواقع عليها فطالبت برفع سن الزواج للفتاة الى ١٦ سنة علي الأقل وقد تحقق لها ما أرادت في عام ١٩٢٣م وقد طالبت بفتح أبواب التعليم العالي للفتيات وبإشراك النساء مع الرجال في حق الإنتخاب وبسن قانون يمنع تعدد الزوجات إلا للضرورة وأيضاً طالبت برفع الظلم والإهانة اللذان يقعان علي المرأة فيما يدعي بدار الطاعة .

عضوية الإتحاد النسائي الدولي:

في عام ١٩٢٣م دعى الإتحاد النسائي الدولي السيدة هدي شعراوي بصفتها رئيسة لجمعية الإتحاد النسائي المصري لحضور مؤتمر النساء الأول الذي سينعقد في روما في الفترة من ١٢ الي ١٩ من مايو عام ١٩٢٣م ولبت هدي شعراوي الدعوة وخرجت ثلاث سيدات لأول مرة يمثلن مصر في مؤتمر دولي وهن هدي شعراوي ونبوية موسي وسيزا نبراوي.

وفي مؤتمر الإتحاد النسائي الدولي العاشر في باريس عام ١٩٢٦م أختيرت هدي شعراوي عضواً في اللجنة التنفيذية للإتحاد النسائي الدولي وبذلك أصبحت الممثلة الوحيدة للمرأة في بلاد الشرق الأقصي والأدنى في هذه اللجان. وكذلك أنتخبت ضمن أعضاء اللجنة المعنية ببحث مسألة السلام الدولي. وفي مؤتمر الإتحاد النسائي الدولي لعام ١٩٣٥م أنتخبت هدي شعراوي نائبة لرئيسة الإتحاد النسائي الدولي وكانت أول شرقية تنال هذا المنصب الدولي المشرف وفي عام ٢٠٠٣م أعيد انتخاب جمعية هدي شعراوي للنهضة النسائية لتكون نائباً لرئيس الإتحاد النسائي الدولي.

■ ■ ■

ملك حفني ناصف

أديبة ومثقفة وداعية إلى الإصلاح الاجتماعي وإنصاف المرأة وتحررها من بداية القرن العشرين .

ولدت ملك حفني ناصف في القاهرة في ٢٥ كانون الأول سنة ١٨٨٦ (وهو بالمناسبة نفس عام مولد مي زيادة !!) وتلقت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة والتحقت بالمدرسة السنية .. وقد سميت ملك بـ (باحثة البادية) لأنها كانت توقع مقالاتها في الصحف بهذا الاسم.

وحصلت ملك على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات لأداء الامتحان للحصول على تلك الشهادة وكانت ملك أول فتاة مصرية نالت هذه الشهادة ثم انتقلت إلى القسم العالي بالمدرسة نفسها فتفوقت على أقرانها فما كان من وزارة التعليم إلا أن عينتها معلمة ممتازة . وحصلت على شهادتها العالية ثم اشتغلت بالتعليم في مدارس البنات الأميرية .

كانت ملك ناصف أول امرأة مصرية جاهرت بالدعوة العامة إلى تحرير المرأة وظلت كذلك حتى وفاتها. وكان بيتها ناديا يقصده كثير من السيدات الغربيات والشرقيات وجمعت ملك بين العقليتين العربية والأوروبية . وكانت تجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية وتعرف شيئا من اللغات الأخرى وهذا ما ساعدها في عملها .

أدبها :

لملك حفني ناصف مقالات نشرتها في(الجريدة) ثم جمعتها في كتاب أسمته (النسائيات) يقع في جزءين وقد طبع الجزء الأول منه وظل الثاني مخطوطا. ولها كتاب آخر بعنوان (حقوق النساء) حالت وفاتها دون إنجازه. وكانت خطيبة تخطب



النساء داعية إلى قيم العدل والاعتدال والبحث عن حقوق المرأة

توفيت ملك حفنى ناصف فى عام ١٩١٨ .

فلا فارق إذاً في المستوى الفِكري بين مي زيادة وملك حفني ناصف فكلتاهما تجيد لغات أجنبية عديدة وكلتاهما أديبة حاذقة وكلتاهما مستنيرة ولديها من الشهرة الكثير .

فلماذا لم تكن ملك حفن يناصف صاحبة صالون أدبي وسياسي كبير أو حتى صغير ؟!

ثم هاهي نجمة أخرى أكثر تألُقاً وشهرة ونجومية وهي :

روزاليوسف

وُلدت «روزاليوسف» واسمها الحقيقي فاطمة محمد محيي الدين اليوسف بمدينة طرابلس في لبنان سنة ١٨٩٨ وأصبحت يتيمة وهي في السابعة من عمرها ورحلت إلى مصر وهي في الرابعة عشرة حيث بدأت حياتها كممثلة ناشئة في فرقة عزيز عيد وجورج أبيض المسرحية وكانت البطلة الأولي في فرقة (رمسيس) ليوسف وهبي ومن أشهر أدورها «غادة الكاميليا - أوبريت العشرة الطيبة - دافيد كوبرفيلد - التاج والفضيلة» وتعلمت في تلك الفترة القراءة والكتابة والتمثيل وأصبحت الممثلة الأولى في مصر وأطلق عليها النقاد «سارة برنار الشرق».

تُعد روزاليوسف رائدة الصحافة في مصر ومعلمة وقائدة لجيل من أهم كتابي وصحافي مصر الذين بدءوا خطواتهم الأولى في مجلة روزاليوسف والتي صدر العدد الأول منها عام ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥ والتي انتشرت انتشاراً واسعاً ثم ما لبث أن تحولت هذه المجلة إلى السياسة وكان أول تحقيق صحفي لها أثناء محاكمة محمود فهمي النقراشي وأحمد ماهر في إحدى القضايا السياسية. وهبت روزاليوسف مجلتها

لخدمة قضايا الوطن فخاضت في سبيل ذلك معارك طاحنة ضد الملك والإنجليز.

تقاربت فاطمة اليوسف مع حزب الوفد الذي قام بضمها إليه هي ومجلتها وتعرض حزب الوفد في تلك الفترة لحملة انتقادات عنيفة وأطلق عليه خصومه «حزب روزاليوسف» غير أن هذه العلاقة الوطيدة لم تدم بين فاطمة اليوسف وحزب الوفد فسرعان ما تحولت إلى عداء شديد بعد إصرارها على انتقاد رئيس الوزراء «نسيم باشا» ومطالبته بعودة دستور ١٩٢٣ وإجراء انتخابات نزيهة فما كان من الوفد إلا أن فصلها ومجلتها من الحزب. إلا أن نجاح حملتها ضد حكومة نسيم باشا قد أدى إلى استقالة الحكومة وعودة دستور ١٩٢٣.

أنشأت صحيفة روزاليوسف اليومية التي صدرت في ٢٥ مارس ١٩٣٥ والتي كان من أبرز محرريها عباس العقاد ومحمود عزمي كما أصدرت مجلات أخرى منها « الرقيب - صدي الحق - الشرق الأدنى - مصر حرة». كما أصدرت مجلة صباح الخير عام ١٩٥٦.

تزوجت «فاطمة اليوسف» ثلاث مرات كانت أولها من المهندس الفنان «محمد عبدالقدوس» وأعلنت بعدها الإسلام وتسمّت بفاطمة بدلاً من «روز» الاسم المسيحي لها وأنجبت «إحسان» الذي أصبح من كبار أدباء مصر ثم تزوجت من المسرحي زكي طليمات ثم من المحامي قاسم أمين حفيد قاسم أمين صاحب كتاب تحرير المرأة.

لم تكن روزاليوسف رائدة في الصحافة والفن فقط ولكنها كانت قائداً نشطاً في الحركة النسائية الناهضة آنذاك حيث حفزت السيدات على أن يعملوا في أي مجال للمشاركة في النهوض بالمستوى المادي لأسرهم وهذا هو السبب وراء توظيفها لكثير من البنات في مجلتها.

توفيت فاطمة اليوسف في ١٠ إبريل ١٩٥٨عن عمر يناهز ٦٧ عاماً .

أمينة السعيد

هي رائدة من رائدات الحركة النسائية الداعية إلي تحرير المرأة ومنحها جميع حقوقها كما كانت من رائدات العمل الصحفي في مصر فكانت أول فتاة مصرية تعمل بالصحافة.

ولدت أمينة السعيد في أسيوط في (٢٠ من مايو ١٩١٠) وكان والدها طبيبا مشهورا وممن يرون ضرورة تعليم المرأة تعليما راقيا مما غرس في وجدان ابنته حب التعليم والجرأة في المناقشة.

تعرفت في سن الخامسة عشرة على «هدى شعراوي» الرائدة النسوية ومؤسسة الاتحاد النسائي التي تبنتها وأحاطتها برعايتها حتى دخولها الجامعة.

التحقت «أمينة السعيد» بكلية الآداب سنة (١٩٣١) في أول دفعة من الفتيات تدخل كلية الآداب وحصلت على الليسانس من قسم اللغة الإنجليزية عام (١٩٣٥). عملت أثناء دراستها بالصحافة لتصبح أول فتاة مصرية تعمل بالصحافة وقد عملت في مجلة «الأمل» ثم «كوكب الشرق» و«آخر ساعة» و«المصور» .

كما عملت بالتمثيل في بداية الثلاثينيات أثناء دراساتها الجامعية ومثلت مسرحية «المرأة الجديدة» لتوفيق الحكيم .

وبعد تخرجها في الجامعة عملت بدار الهلال ثم انتقلت إلى الإذاعة المصرية ثم عادت إلى دار الهلال سنة (١٩٤٥) وظلت تعمل بها حتى وفاتها .

تولت عددا من الوظائف منها رئاسة تحرير مجلة «حواء» و«المصور» ورئاسة مجلس إدارة دار الهلال عام (١٩٧٦) وأصبحت عضواً في مجلس الشورى وانتخبت أكثر من مرة عضوا بمجلس نقابة الصحفيين ثم وكيلة للنقابة والسكرتيرة العامة

للاتحاد النسائي .

وألفت عددا من الكتب منها «آخر الطريق» و«الهدف الكبير» و«وجوه في الظلام» «ومن وحي العزلة» و«مشاهدات في الهند» وكانت صاحبة أكبر باب لعلاج المشكلات الاجتماعية ظلت تكتب فيه ٤٠ عاما بمجلة المصور تحت عنوان «اسألوني».

حصلت على عدة أوسمة منها وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى وجائزة الكوكب الذهبي الدولية ووسام الجمهورية ووسام الثقافة والآداب.

كانت أمينة السعيد تنادي بتحرير المرأة وإلغاء المحاكم الشرعية ومنح المرأة جميع الحقوق السياسية .

توفيت أمينة السعيد في (١٣ أغسطس ١٩٩٥

عائشة عبد الرحمن

هي .. مفكرة وكاتبة مصرية وأستاذة جامعية وباحثة معروفة بدفاعها عن الإسلام وعن حرية المرأة اشتهرت بلقب ببنت الشاطئ.

وُلدت عائشة عبدالرحمن في مدينة دمياط بشمال دلتا مصر في ٦ نوفمبر ١٩١٣ وهي ابنة لعالم أزهري وحفيدة لأجداد من علماء الأزهر ورواده وتفتحت مداركها على جلسات الفقه والأدب وتعلمت وفقاً للتقاليد الصارمة لتعليم النساء وقتئذ في المنزل وفى مدارس القرآن (الكُتّاب) ومن المنزل حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات عام ١٩٢٩ بترتيب الأولى على القطر المصري كله ثم الشهادة الثانوية عام ١٩٣١ والتحقت بجامعة القاهرة لتتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية ١٩٣٩ ثم تنال الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤١ .

في عام ١٩٥٠ حصلت على شهادة الدكتوراه في النصوص بتقدير ممتاز وناقشها

فيها عميد الأدب العربي د. طه حسين.

تدرجت في المناصب الأكاديمية حتى أصبحت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب حيث استمرت هناك لمدة ٢٠ عاماً وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر وأستاذاً زائراً لجامعات أم درمان ١٩٦٧ والخرطوم والجزائر ١٩٦٨ وبيروت ١٩٧٢ وجامعة الإمارات ١٩٨١ وكلية التربية للبنات في الرياض ١٩٧٥ـ ١٩٨٣. وكانت عضواً بكل من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر والمجالس القومية المتخصصة والمجلس الأعلى للثقافة.

بدأت د. عائشة عبدالرحمن النشر منذ كان سنها ١٨ سنة في مجلة النهضة النسائية ثم بعدها بعامين في جريدة الأهرام ونظراً لشدة محافظة أسرتها آنذاك والتي لم تعتد انخراط النساء في الثقافة اختارت التوقيع باسم «بنت الشاطئ».

وعقب ذلك بعامين بدأت الكتابة في جريدة الأهرام فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة مي زيادة وظلت تكتب بجريدة الأهرام حتى وفاتها فكان لها مقال أسبوعي طويل فكانت آخر مقالة نُشرت لها بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨ وكانت بعنوان «علي بن أبي طالب كرم الله وجهه».

أهم الأعمال:

كتب ودراسات: «التفسير البياني للقرآن الكريم» «الإعجاز البياني للقرآن» «بنات النبي» «نساء النبي» «أم النبي» «السيدة زينب» «عقلية بني هاشم» «السيدة سكينة بنت الحسين» «الإسرائيليات في الغزو الفكري» «نص رسالة الغفران للمعري» «الخنساء الشاعرة العربية الأولى» «مقدمة في المنهج وقيم جديدة للأدب العربي»«المرأة المسلمة» «رابعة العدوية» «القرآن وقضية الحرية الشخصية الإسلامية» «الحديث النبوي: تدوينه ومناهج دراسته».

أعمال أدبية:

«على الجسر» «الريف المصري» «سر الشاطئ» «سيرة ذاتية».

حصلت بنت الشاطئ على الكثير من الجوائز منها جائزة الدولة التقديرية للأدب في مصر في عام ١٩٧٨ جائزة الحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية والريف المصري عام ١٩٥٦ ووسام الكفاءة الفكرية من المملكة المغربية وجائزة الأدب من الكويت عام ١٩٨٨ وفازت أيضا بجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع د. وداد القاضي عام ١٩٩٤.

منحتها العديد من المؤسسات الإسلامية عضوية لم تمنحها لغيرها من النساء مثل مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة والمجالس القومية المتخصصة وأيضاً أُطلق اسمها علي الكثير من المدارس وقاعات المحاضرات في العديد من الدول العربية.

وقد توفيت د. عائشة عبدالرحمن في ١ ديسمبر ١٩٩٨ إثر إصابتها بأزمة قلبية أدت إلى حدوث جلطة في القلب والمخ وهبوط حاد بالدورة الدموية .

لطيفة الزيات

وأخيراً .. نتوقف مع لطيفة الزيات ..

وهي كاتبة روائية وأديبة وناقدة أولت اهتماماً خاصاً لشئون المرأة وقضاياها.

ولدت لطيفة عبدالسلام الزيات في مدينة دمياط بمصر في ٨ أغسطس ١٩٢٣ وتلقت تعليمها بالمدارس المصرية وحصلت على دكتوراه في الأدب من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٥٧ .

شغلت مناصب عديدة فقد انتخبت عام ١٩٤٦ وهي طالبة أميناً عاماً للجنة الوطنية للطلبة والعمال التي شاركت فى حركة الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني. تولت رئاسة قسم اللغة الإنكليزية وآدابها خلال عام ١٩٥٢ إضافة إلى

رئاسة قسم النقد بمعهد الفنون المسرحية وعملت مديراً لأكاديمية الفنون. كما شغلت منصب مدير ثقافة الطفل و رئيس قسم النقد المسرحي بمعهد الفنون المسرحية ١٩٧٠ - ١٩٧٢ ومدير أكاديمية الفنون ١٩٧٢ - ١٩٧٣.

كانت لطيفة عضو مجلس السلام العالمي وعضو شرف اتحاد الكتاب الفلسطيني وعضو بالمجلس الأعلى للآداب والفنون وعضو لجان جوائز الدولة التشجيعية في مجال القصة ولجنة القصة القصيرة والرواية. كما أنها كانت عضوا منتخبا في أول مجلس لاتحاد الكتاب المصريين ورئيس للجنة الدفاع عن القضايا القومية ١٩٧٩ ومثلت مصر في العديد من المؤتمرات العالمية.

أشرفت على إصدار وتحرير الملحق الأدبي لمجلة الطليعة ونالت لطيفة الزيات الجائزة الدولية التقديرية في الآداب عام ١٩٩٦.

*** نشر لها العديد من المؤلفات الأكاديمية والترجمات كما صدر لها مؤلفات إبداعية منها:**

- الباب المفتوح عام ١٩٦٠.
- الشيخوخة وقصص أخرى عام ١٩٨٦.
- حملة تفتيش - أوراق شخصية وهي سيرة ذاتية عام ١٩٩٢.
- مسرحية بيع وشراء عام ١٩٩٤ صاحب البيت عام ١٩٩٤.
- الرجل الذي يعرف تهمته عام ١٩٩٥.
- إضافة إلى العديد من الأبحاث في النقد الأدبي الإنكليزي والأمريكي وساهمت بالكتابة في المجلات الأدبية.

وتوفيت لطيفة الزيات عام ١٩٩٦

ونعود إلى السؤال الأول الأخطر والأكثر أهمية :

لماذا لم نر صالوناً شهيراً لأية نجمة من نجمات الحياة العامة السابق ذكرهن ؟!

ولم نر سوى صالون مي زيادة فقط ؟!

الجواب هو :

هل هي الفروق الفردية .. والإبداع .. مع الرغبة في الإنطلاق والإطلاق نحو آفاق جديدة واستشراف للمستقبل من خلال جمع شمل كوكبة كبيرة من نجوم المجتمع ومبدعيه في حلقة واحدة وصالون واحد كل ثلاثاء ؟!

أم ..

أن مي زيادة كانت موجهة ومدعومة ومقصودة ومرصودة بجمع كوكبة رموز ونجوم السياسة والفِكر والإبداع الذين يوجهون الأمة ويحركون الأحداث ويصنعون القرار في مصر على مائدة رِضاعة وصناعة في صالون مي زيادة كل ثلاثاء ؟!

فهل حدث فعلاً توجيه سياسي وفِكري للأمة من خلال صالون مي زيادة .. عن عمد وسبق إصرار وترصُد ونية مبيتة على إختراق هذه الأمة في رموزها ؟!

وهل هذا الإختراق –إن وجِدَ– كان دينياً أم سياسياً أم كليهما معاً ؟!

إيجازاً هل كان صالون مي زيادة مهبطاً للوحي الإبداعي والأدبي أم قلعة مخابراتية وسياسية موجهة وموجعة من أجل صُنع السياسات والأفكار والأيدلوجيات المسمومة والمسومة إلى هذه الأمة ودينها وأجيالها ؟!

أم أن الأمر كله لا يعدو عن كونه أحاديث سمر وفرفشة وصداقات وميلاد أفكار ومهبط وحي لثُلة من عباقرة الأمة ورموز إبداعها وخلقها الفِكري والسياسي رسمت جميعها لوحة بديعة في تعانق الأفكار والثقافات والأديان دون عُصبة أو عصبية أو قَبلية في أزهى عصور النهضة في تاريخ هذه الأُمة الرُحَّل ؟!

وأي كان الجواب ..

فإن صالون مي زيادة هو أروع وأهم وربما أخطر تظاهرة فكرية وسياسية وإبداعية حدثت في تاريخ الأمة العربية منذ فجر تاريخها الأول وحتى لحظة كتابتي لهذه السطور.

ولكن الذي يحزُنني أن قادته امرأة بديعة بليغة منيعة ساحرة راحت ضحية أجلامها الغير مسقوفة .. تسمى : مي زيادة .

رحم الله الجميع .

وشكر سعيكم في صالونات الأمة ..

ومفكريها ..

وقادتها ..

وصُنَّاع أمجادها ..

ورجالها ..

وباليقين نسائها ..

ومستقبلها المبهم الحالِك الذي خَبا فيه أهل الإبداع العظماء !!

ويبقى الأمل فقط :

في صغارها وأفراخها وأطفالها .. فلذات أكبادها !!

وعجباً لعصر كان يزخر بسعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد فريد ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وإسماعيل صدقي وعزيز المصري في السياسة !!

وفي الإقتصاد نرى عمالقة مثل طلعت حرب وعبود باشا !!

وفي القانون نجد الدكاترة عبد العزيز فهمي والسنهوري وإبراهيم الهلباوي ووحيد رأفت !

بينما في الفِكر يزخر تاريخنا بالمنفلوطي وعباس العقاد وطه حسين والدكتور محمد حسين هيكل والمازني ومصطفى صادق الرافعي وجبران !!

وفي الشِعْر يزهو ويزهر بأحمد شوقي وحافظ إبراهيم معاً وولي الدين يكن وإسماعيل صبري وأحمد رامي وخليل مطران !

وفي الغناء نرى أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب !!

وحتى في الرياضة كنا نجد صالح سليم ورفعت الفناجيلي !!

فماذا نجد اليوم في شتى مجالات السياسة والفِكر والقانون والإبداع والفنون والرياضة ؟!

يرحمنا ويرحمكم الله جميعاً !!

ولا أراكم الله مكروهاً في أمة عربية لديكم !!

ومع تحياتي ومودتي ،،،،،،،،،،

أنيس الدغيدي

anis_al_deghidy@hotmail.com


غرام الكبار
ملف صور نجوم
صالون
مي زيادة



مي زيادة .. ساحرة الكبار في عصرها ؟!

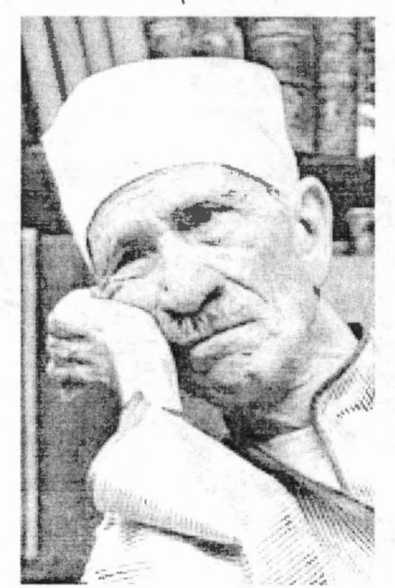


إدريس راغب باشا يتوسط محفل الماسونية رئيساً .. أول من احتضن مي في القاهرة !

دار مي .. أو قِبلَة السادة نجوم المرحلة في رحلة غرام الكبار !! هنا كان المدخل للصالون الذي شغل مصر والأمة العربية قرابة العشرين عاماً! هنا عاشت مي ووالديها في القاهرة



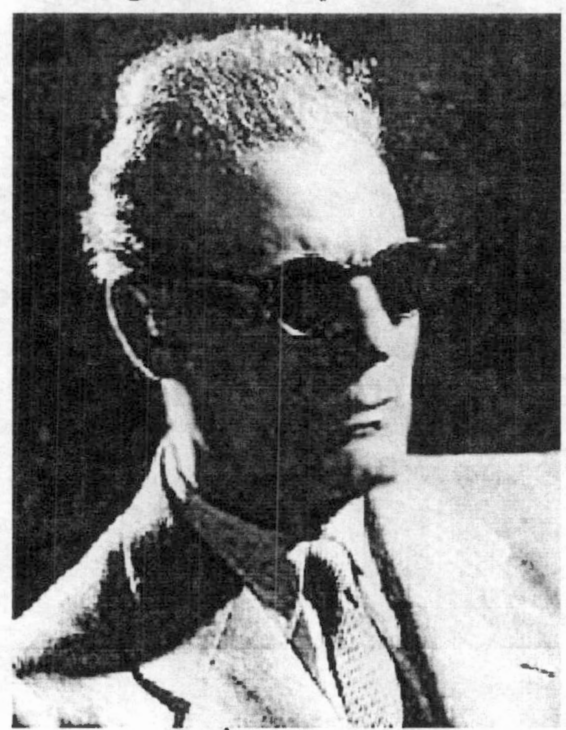
جبران خليل جبران .. وحب بالمراسلة دام عشرون عاماً ! إنه غرام الكبار فقط !!



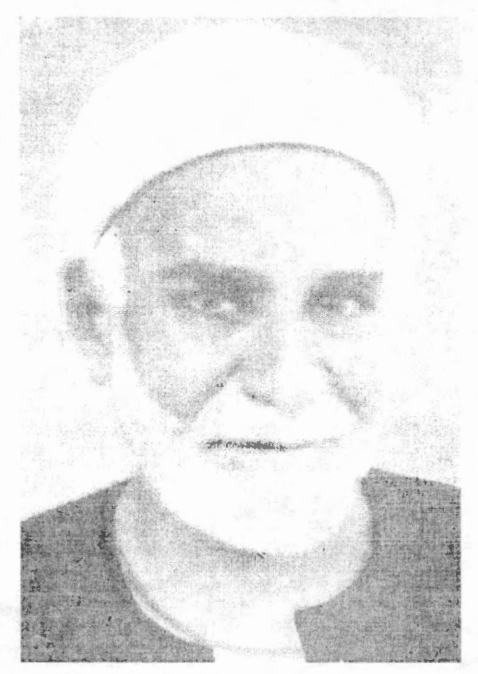
أحمد لطفي السيد .. أستاذ الجيل .. في غرام مي زيادة ! وقائد أوركسترا الصالون



العملاق .. عباس العقاد .. هل جنن مي ؟! فرفض الزواج .. وكذلك هي لم تتزوج !!



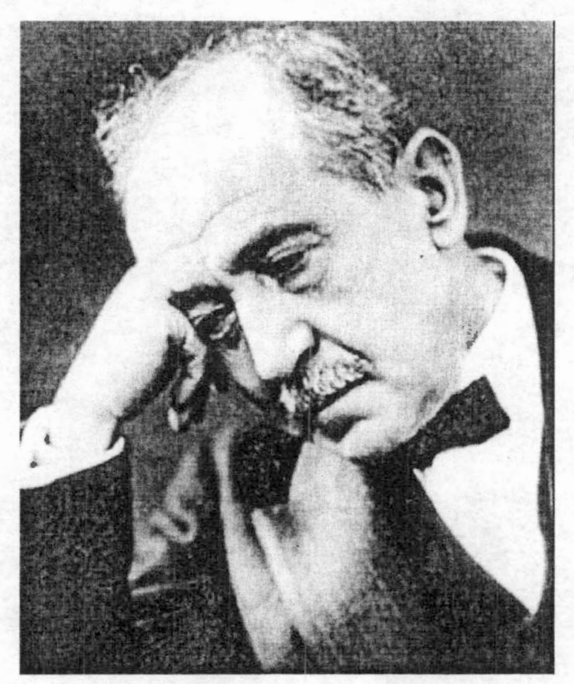
وطه حسين .. الحُب بالأُذُن أحياناً !!



والشيخ مصطفى عبد الرازق .. شيخ الأزهر .. أحد رجال مي !!



والبليغ العبقري .. مصطفى صادق الرافعي .. فيلسوف اللُغة وسيد العربية .. الأصم العاشق .. والحُب بالعين والكلمة أحياناً !! لا يسمع سوى حُب مي زيادة المفقود .. فلم يجده يوماً!!



وأمير الشعراء شوقي .. تائه في صالون وقلب مي !!



وحافظ إبراهيم أيضاً .. من زبائن مي وصالونها ..

وشاهد رؤية وعيان على مرمطة الجميع في غرام امرأة واحدة .. فقط !!



إسماعيل باشا صبري .. الشاعر المرهف .. أعظم عُشاق مي



الأديب الكبير يعقوب صروف .. الأب الروحي لمي



ولي الدين يكن .. الشاعر الجهبز الذي ارتدت عليه السواد حداداً !



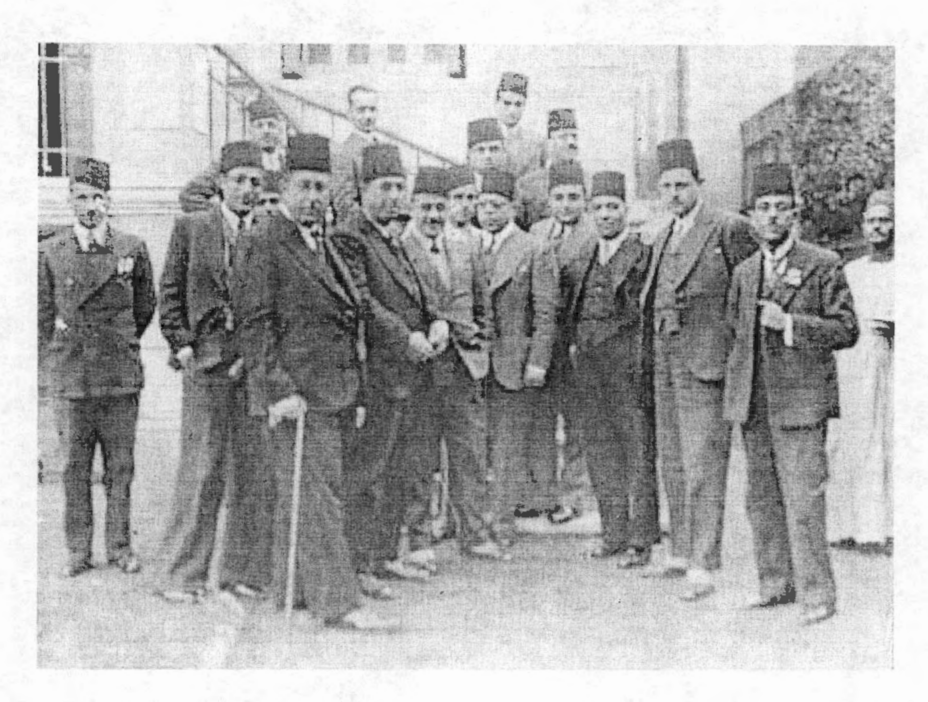
جبران خليل جبران .. من أهم أعمدة الصالون العاشق .. الهادئ دوماً ..
والصاخب جداً والعاشق المتأمل لأسطورة مي الخالدة .



أمين الريحاني .. الأمين دائماً .. منقذ مي في محنتها الأخيرة



وميخائيل نعيمة .. أحد قادة الصالون العشاق



من اليمين إلى اليسار : أبو الحسن – إميل الغوري – محمود عزمي - كريم ثابت باشا الذي أصبح فيما بعد مستشارا للشؤون الصحفية لدى الديوان الملكي المصري – محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد في القاهرة – أنطون باشا الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام – الوطني الفلسطيني سليم عبد الرحمن – واقفا في الخلف حاسر الرأس دون طربوش الصحفي المصري حبيب جاماتي . والآخرين غير معروفة أسماءهم



أنطون الجميل .. رئيس تحرير الأهرام .. مؤسس صالون مي وأحد صُناع مجدها .. رفض الزواج من أجل مي زيادة .. رغم أن أرملة تقلا باشا صاحب الأهرام قالت : لو طلبني أنطون الجميل للزواج بعد موت زوجي لتزوجته !! فقد ظل كغيره سجين حب وقلب مي وصالونها .. الذي قام هو نفسه بتأسيسه وصناعته !! إنه صراع الأفيال وغرام الكبار في صالون مي الرائعة الساحرة المريبة !!



الدكتور شبلي شميل .. المُلحد .. مجنون صالون مي



وإبراهيم عبد القادر المازني .. توأم روح وصداقة عباس العقاد .. وكاتم أسرار الصالون



طه حسين وزوجته السيدة سوزان

كلهم تأثروا بفرنسا وثقافة الإحتلال ..

طه حسين وزوجته الفرنسية سوزان بعد غرام مي وزمانها



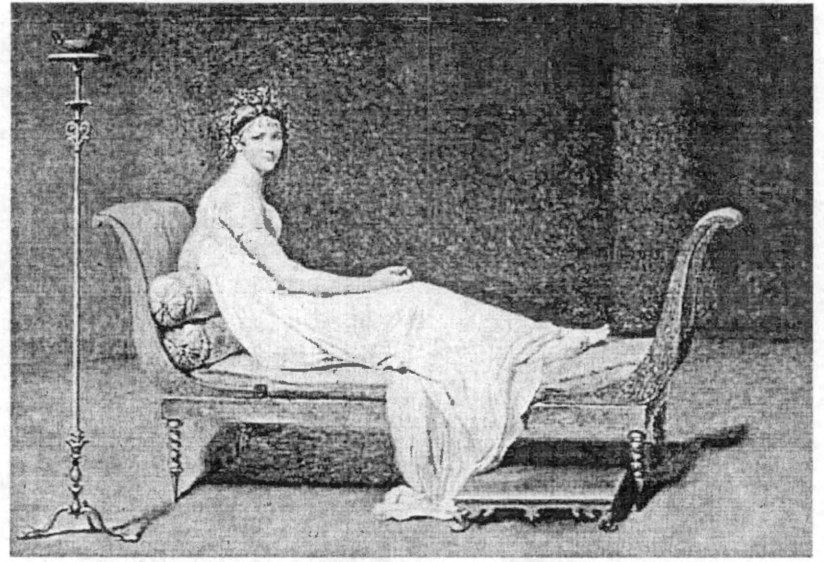
من اليمين: محمد الفوزان والباجي التونسي ود. منصور فهمي أبو فلسفة صالون مي وأحد عشاقها ود. بدر خالد البدر ود.بنت الشاطئ وكامل الشناوي ود. احمد زكي اثناء زيارة وفد الادباء العرب الى مقر مجلة العربي عام ١٩٥٨ .



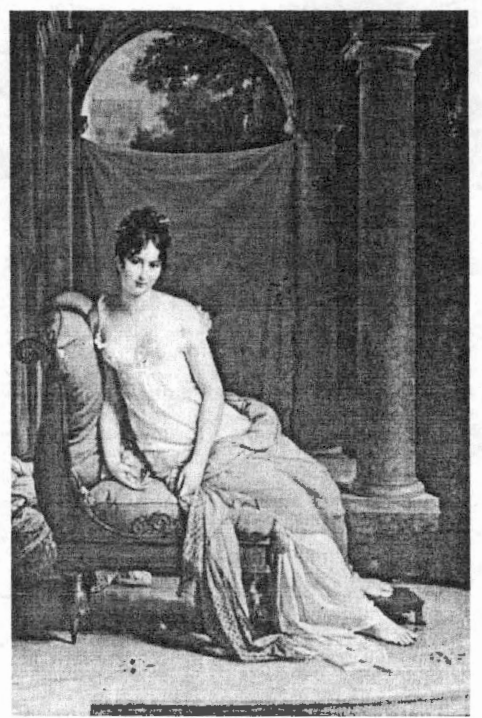
الدكتور عبد العزيز فهمي أبو القانون والقضاء المصري من دراويش مي وصالونها !
كلهم تلاميذ فرنسا الحُرة المُحتلة !



مدام ريكامييه المثل الأعلى لـ مي زيادة صاحبة أشهر صالون فرنسي



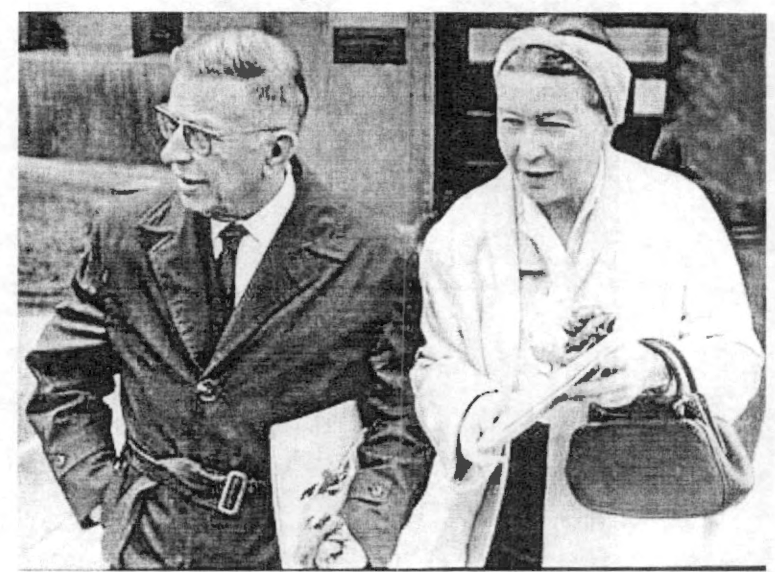
مدام ريكامييه الجميلة .. فهل مي زيادة كانت كذلك ؟!



مدام ريكامييه .. هل قتلت مي بأفكارها وأحلامها وصالونها ؟!



سيمون دي بوفوار .. هل قلدت مي أو عاشتها مي فامتزجا معاً ؟!



سيمون دي بوفوار مع عشيقها الأثير جان بول سارتر .. هل استعاضت عنه مي بجبران ؟!



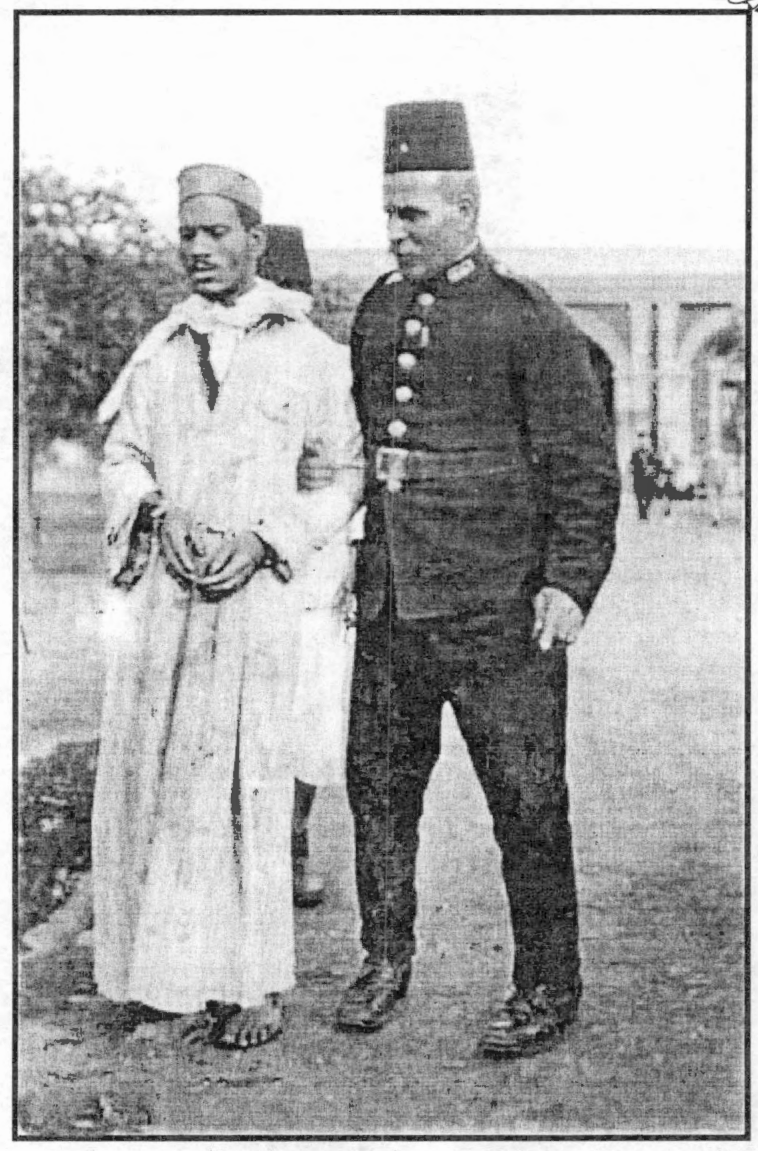
جان بول سارتر وسيمون دي بوافوار .. مع تشي جيفارا



الملك أحمد فؤاد .. وعصر مي زيادة



سعد زغلول .. صديق رحلة لطفي السيد
هل حضر صالون مي أيضاً لتكتمل كارثة الكبار ؟!



واحد من الناس .. رجل من شعب مصر في عصر صالون الكبار .. مسكين .. بسيط .. كادح .. يقوده الشرطي !! توحي ملابسه بأنه ماسح أحذية .. حافي القدمين كسمات مرحلته .. بائس كالسواد الأعظم من أهل مصر البسطاء الذين عاشوا عصر مي زيادة ورجالها الذين هربوا إلى الصالون .. إنها سمات عصر الغلابة في زمن مي زيادة .. فرآها الكبار عاصمة المدنية والإنفتاح !!

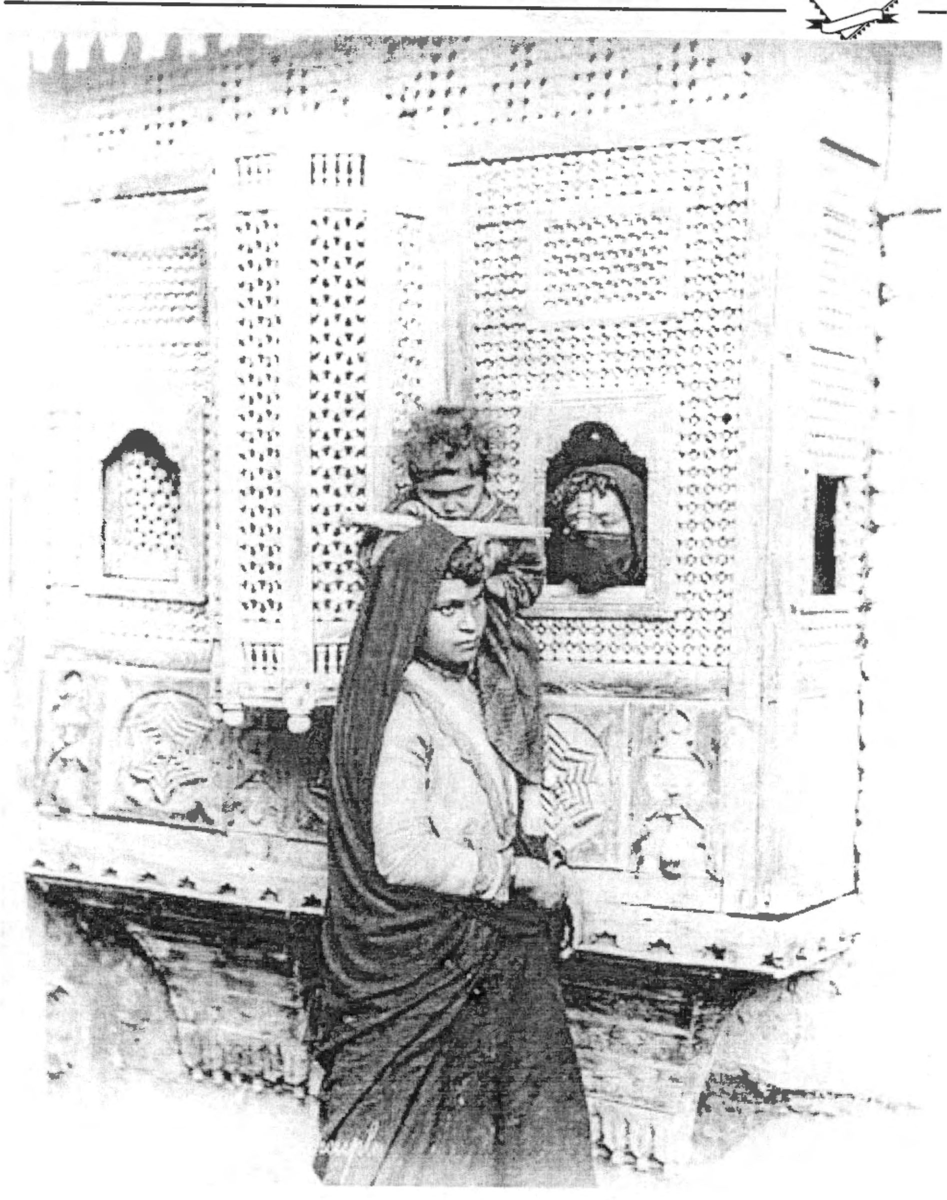


هكذا كانت مي زيادة .. مختلفة عن بنات جيلها فهرول إليها الكبار فتحولت وحدها إلى عاصمة ومدينة مفتوحة ومقصورة على الكبار فقط .. حين تناطحوا عليها حباً وغراماً



وهكذا كانت النساء .. خلف الحجاب والستور فتكالب الكبار على مي زيادة .. غراماً !!

امرأة من عصر مي زيادة .. لذلك ظهرت مي وصالونها فخبلت عقول الكبار !



النساء في عصر مي .. فتفوقت بصالونها وصارت قصة وغراماً خاصاً لكبار القوم !!

Femme du peuple au Caire.



CAIRE - Esbekieh - Petit restaurant populaire

وهؤلاء هم رجال مصر عصر مي .. فعاث الكبار في صالونها !!

رجل وامرأة في زمن مي زيادة !!

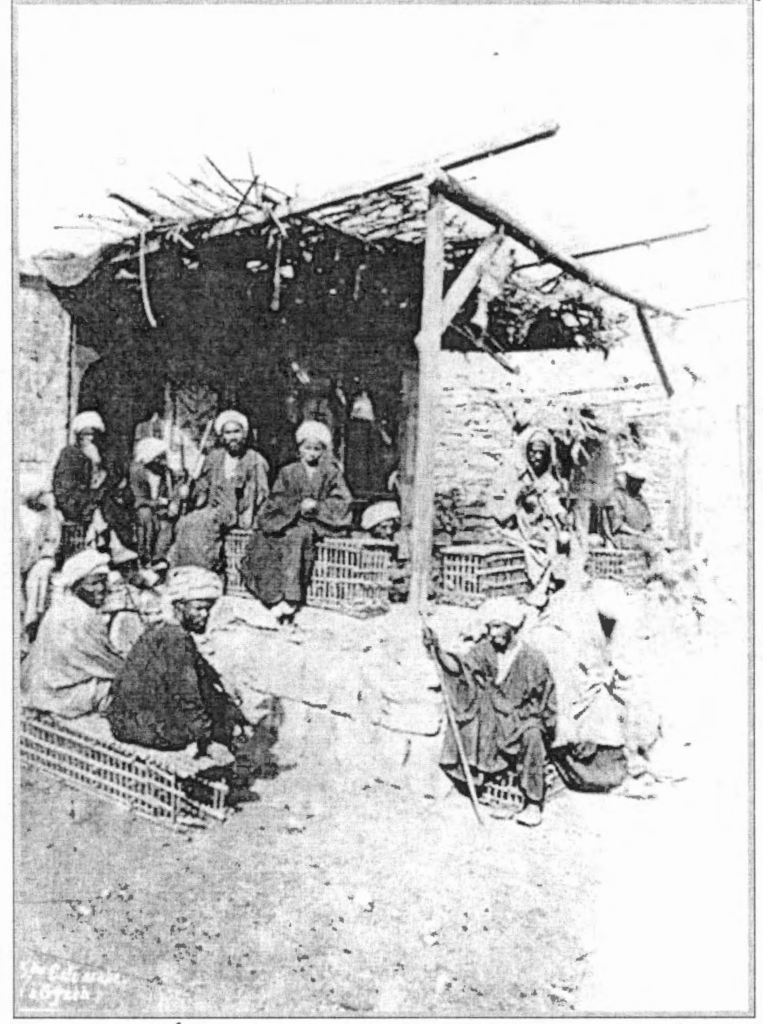
والبحث عن كسرة الخبز فالتوت أعناق الصفوة تجاهها

حلاق من عصر مي .. ولا مجال لصالون الحلاقة .. فكان صالون مي !!

فهل لو عادت مي الآن في عصر بنات الإستايل والإنترنت والشات .. هل تنجح هي وصالونها؟! أشُك في ذلك .. لأنها عرجاء خرجت من وسط مكسحات .. فتوجه الكبار إلى صالونها .. رغم وجود الجانب الفكري والثقافي في صالونها أيضاً .. لكن الصورة واللباس واللسان الغربي كانوا وراء التفاف الكبار حول مي ليقتسموا جميعاً و"علناً" في قلبها المسكين الفسيح جداااااااااً !

قهوة من عصر مي .. يلعبون فيها الدومينو !!

هذا هو كافي شوب وكافي نت عصر مي زيادة ؟! دومينو على قوالب الطوب في وسط القاهرة .. هذا هو عصر مي .. ففر الكبار من المفكرين والسياسيين والمبدعين إلى كافي شوب وكافي نت مي زيادة !! بينما شاركت بعض كبار النسوة المشاهير في حضور الصالون بغرض «الفُرجة» فقط .. ونزعنَّ داء الغيرة الأنثوية !!

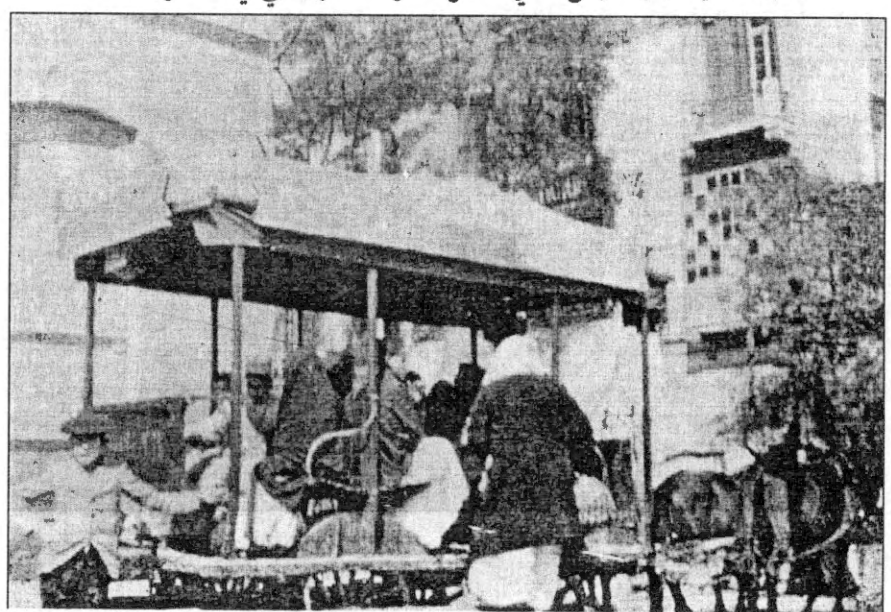


وهذا هو «الكافي شوب» الذي عاشه عصر غرام الكبار .. مقهى بأقفاص يجلسون عليها ! هنا وفي هذا العصر وهذه الأجواء ولِدَ العباقرة أمثال العقاد ولطفي وطه شوقي وحافظ والرافعي .. لكنهم يستحيل أن يتوائموا مع بسطاء القوم ويجلسوا معهم على هذه الأقفاص .. فكان صالون مي هو الملجأ والملاذ .. ليتحدثوا معاً ويفكروا معاً والأخطر المذهل : «أن يحبوا امرأة واحدة» .. معاً !! هي مي زيادة .. بمنتهى الرِضا والعِلم والقبول وسبق الإصرار والترصُد .. فأبت أن تتزوج حتى مضى قطار العُمر ..ففقدت عقلها وعاشت ٣ سنوات في مصحة نفسية .. ثم ماتت عن ٥٥ سنة فقط !! قضت ثلثيها في غرام الكبار !!

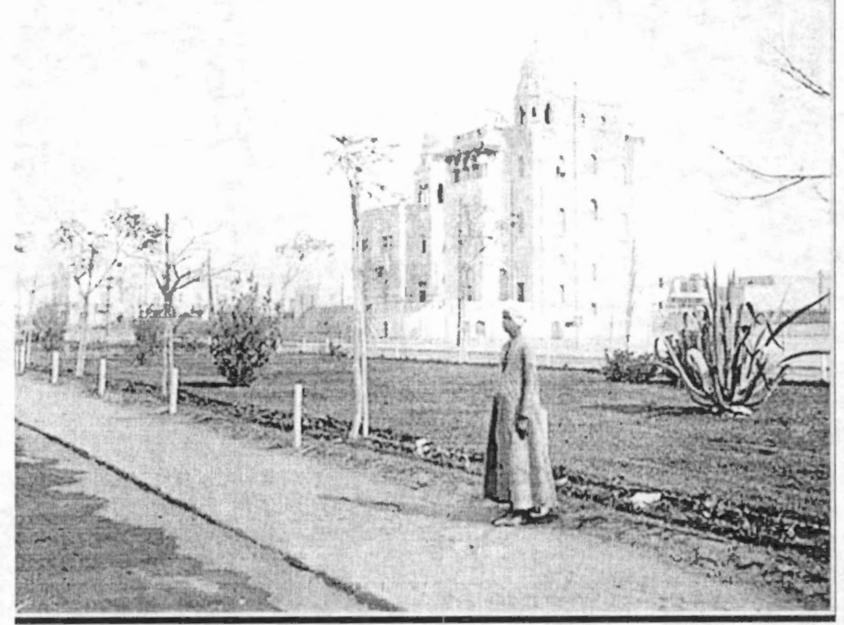
محل خُضار متنقل في عصر غرام الكبار .. والزمن الجميل .. الكحيتي !!



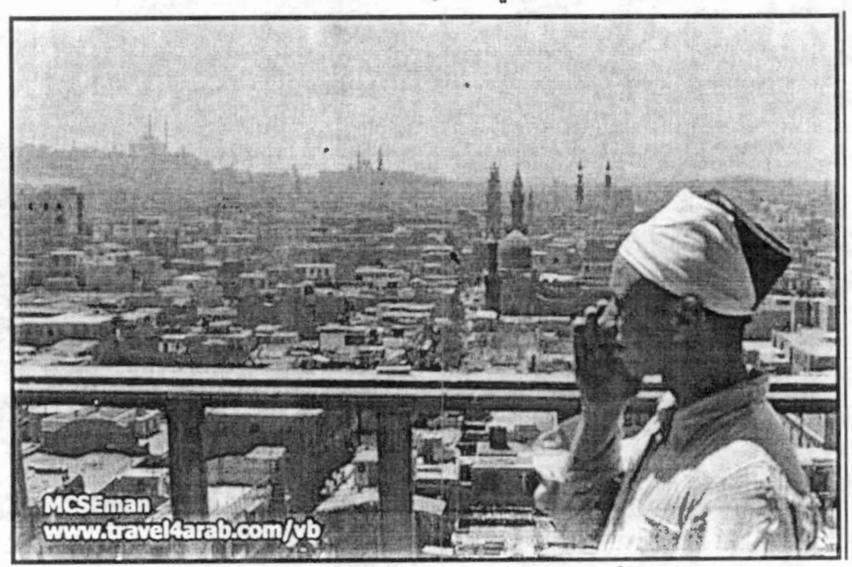
مفاجأة : ميدان رمسيس .. في عصر قاهرة صالون مي في العشرينات !!



وسيلة مواصلات عصر الكبار .. كارو بسقف يجرها الخيول في شارع رمسيس !! فشر المرسيدس يا مولانا !!



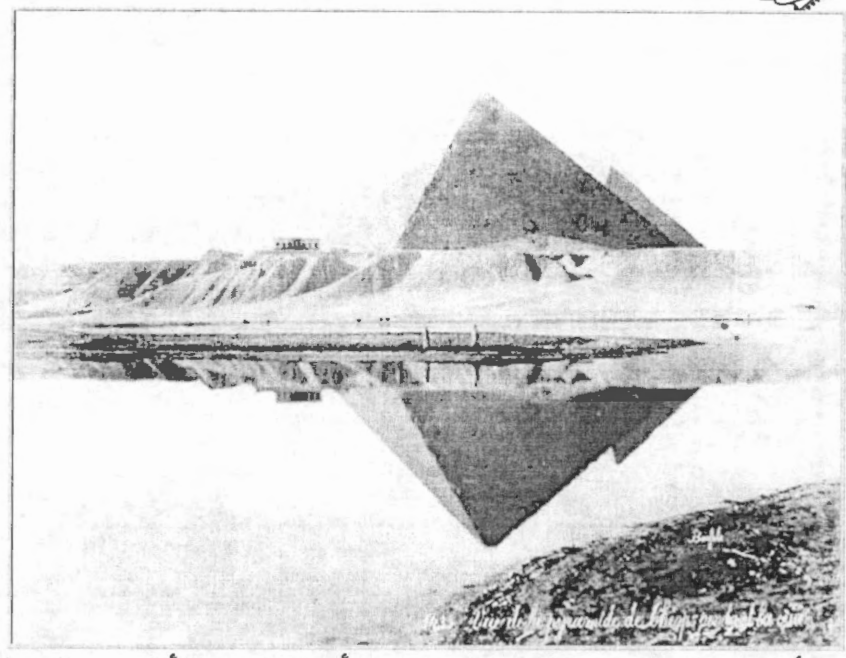
صدق أو لا تصدق : مصر الجديدة .. بجوار قصر البارون .. على بُعد أمتار من قصر العروبة الرئاسي .. الآن .. ما أجمل عصر مي زيادة !! لكنها لو عادت اليوم ٢٠١٠ فلن يلتفت إليها أحداً .. في عصر النت والفضائيات .. لماذا ؟!



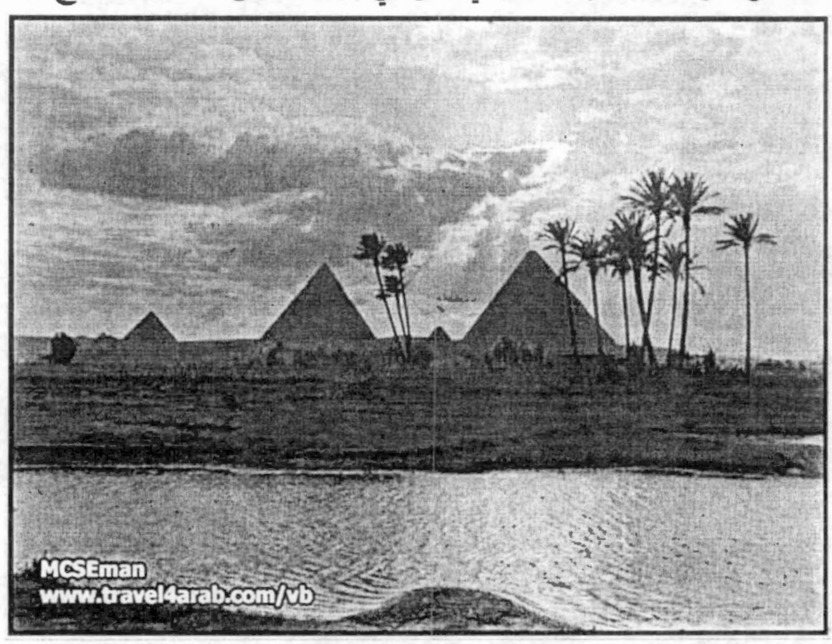
المؤذن .. يؤذن في القاهرة أم في مالطة ؟! بدون مكبرات صوت .. عصر الكبار والصالون

الأهرام

صحافة عصر مي زيادة .. وجريدة الأهرام زماااااان !!

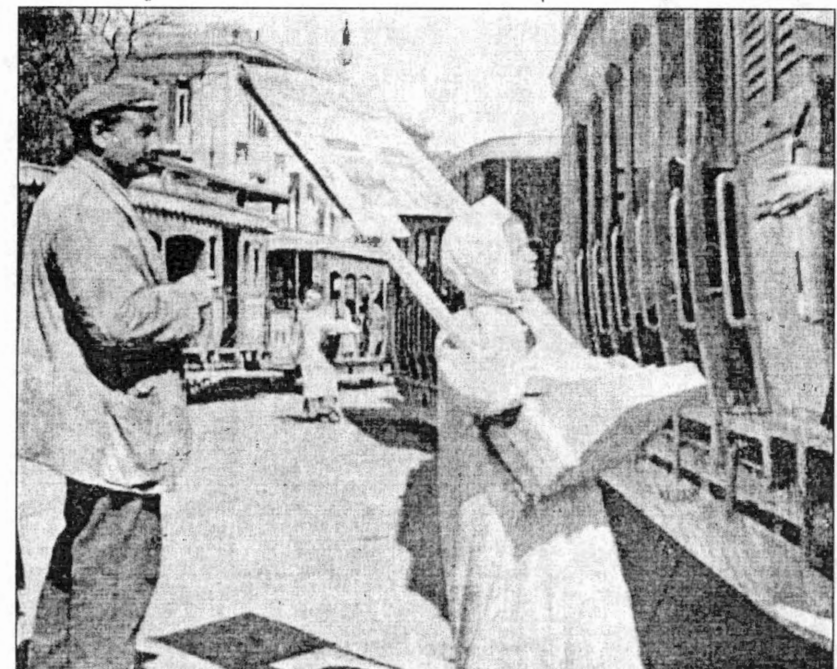


حتى أهرامات عصر مي .. كانت مختلفة !! مفاجأة مذهلة تراها لأول مرة : النهر في حضن أهرامات الجيزة .. قديماً في زمن مي زيادة الجميل .. البسيط الرائع !!





أبو الهول .. في عصر غرام الكبار .. مختلف أيضاً .. كصالون مي زيادة !!



حتى بائع الجرائد اختلف تماماً .. كُشك جرائد متحرك على كتفي الصبي .. زمااااان !!

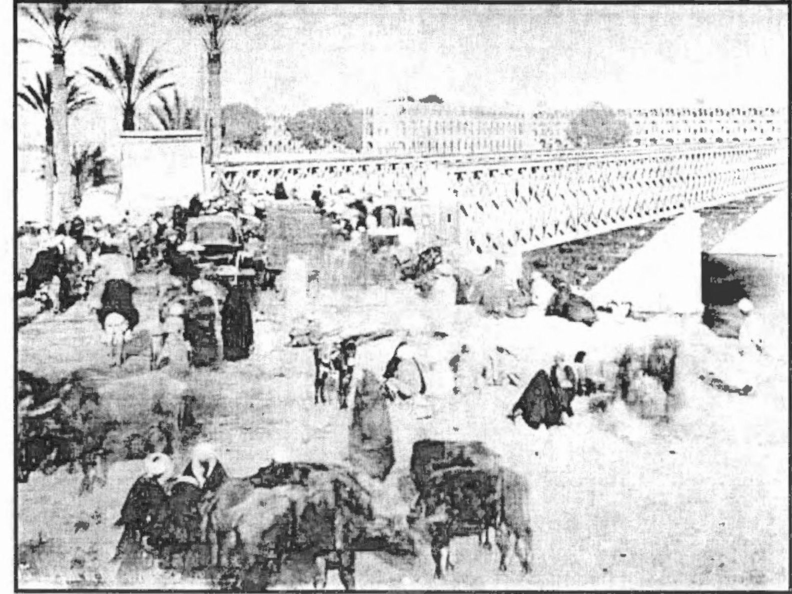


وميدان طلعت حرب أيضاً .. اختلف تماماً من عصر مي وحتى الآن .. صورتين مختلفتين

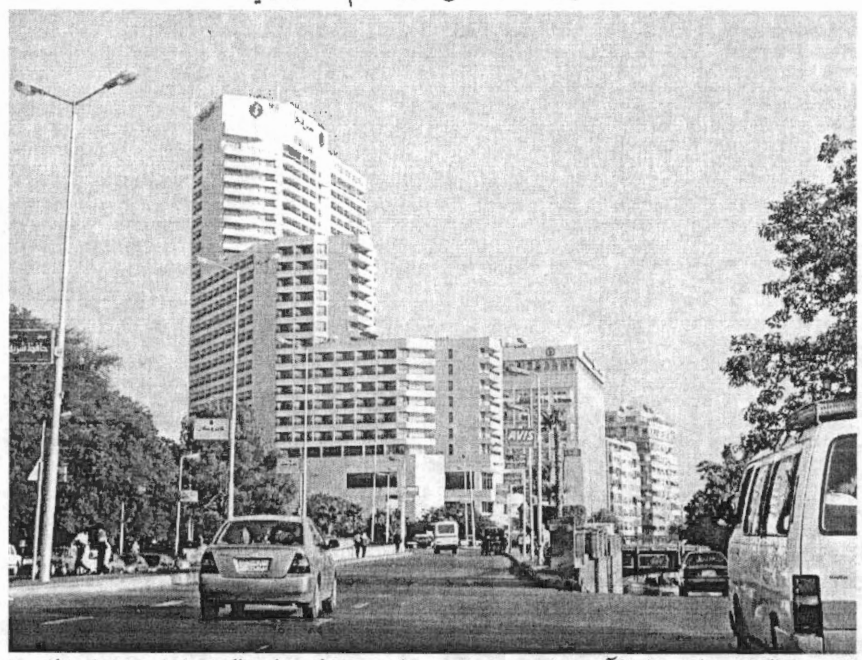


وميدان طلعت حرب في ٢٠٠٩ وفي الأعلى ميدان طلعت حرب في أوائل القرن الماضي

وعصر مي زيادة الجميل البديع !!



صدق أو لا تصدق : هذا هو كوبري قصر النيل في عصر مي زيادة !!
ماعز وماشية قبل عبورهم الكوبري



هو نفس المكان بالضبط الآن .. كوبري قصر النيل .. في هذا المكان كانت تنام الماشية ..
فأصبحت تمُرّ المرسيدس !! بعد عصر الكبار قديماً !!

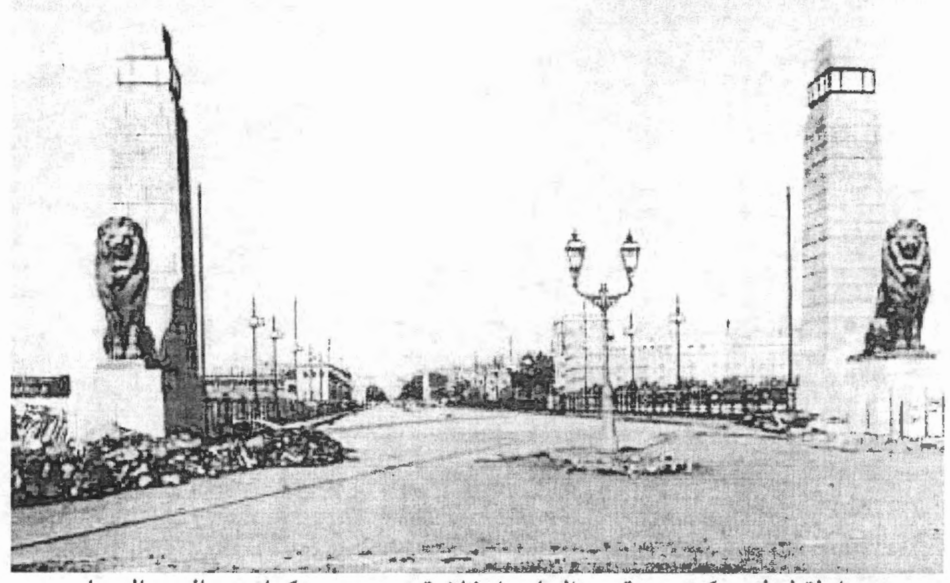




كوبري قصر النيل أيضاً وهو معبراً للجمال والنوق تحمل «التبن والقش » في عصر مي !!



هكذا أصبح كوبري قصر النيل الآن !!



محاولة لتطوير كوبري قصر النيل وانتفاضة عصر مي وكبار رجال صالونها



وهكذا أصبح بعد أن توارى عصر مي ورجالها .



وهكذا كان كورنيش النيل في عصر مي زيادة وغرام الكبار !!



وهكذا أصبح الكورنيش .. مع تقدُّم الحياة .. لذا لو عادت مي فلن تسبق بنات هذا الجيل



١٦ شارع أبو السباع – [illegible]
القاهرة في ٢ مارس ١٩٢٩

أخي العزيز الأستاذ فيلكس،
تلقيت خطابكم الأخير والخطاب الذي سبقه. وقد
طويت الخطاب الأول على الصدر، وطويت كذلك من خطابين على
شعور من كرمكم وما يكمن مع كثير من عطفكم. ونشأت من
عبقريتكم. [illegible] لم أكتب إليكم ولا إلى غيركم. لأني
جد منهمكة في رفع الأنقاض التي تحيط بي من كل صوب لترميم
ما يمكن ترميمه من العمران الذي أحاله أولئك الناس
خراباً.
ومنذ ١٩ فبراير – وهو اليوم الذي رد فيه إلي [illegible]
ولا على قضية طلب الحجر، منذ أن قرر مجلس [illegible] مصر في رفع
الحجر – منذ ذلك اليوم وأنا أبحث عن منزل، ومنازل
الشارع فأضع هذا الخطاب بيدي في صندوق البريد،
ثم أمضي أستأنف البحث. وما أكثر المنازل، ولكن ما أقل
ما يوافقني منها!
وإني أحن إلى منزلي حيث قضيت مع الأعزاء أجمل سنين
[illegible] ما كان أحلاها بعد ثلاثة أعوام! بيد أني
كثيراً ما أكرر الزيارة بالفكر فأجلس في وسطكم [illegible]
[illegible]
البديع، [illegible] والدنيا الناطقة، [illegible]
أنتم تعرفون بزياراتي العديدة وتقبلون ما أبثكم خلالها من
عواطف الشكر والمحبة!
لقد كنت يا أخي أول من أنقذني في محنتي خلال إقامتي
في مستشفى [illegible]. بارك الله في روحكم الرائعة!
سلامي وأشواقي إليكم جميعاً. اذكرني عند الدكتور [illegible] وقرينته
وقل للدكتور [illegible] لم تزل ذاكرة له فضله. واكتب إلي [illegible] يا شيخ
[illegible]. فأكتب إليك عندما أستقر قريباً.
هذا شكري، وأفكاري، ومحبتي الأخوية
مي،

أحد رسائل مي «بخط يدها» إلى الأستاذ «فيلكس» ! قبل موتها بعامين فقط



مي زيادة .. هكذا أشرقت في سماء الكبار فأشعلت قلوبهم غراماً ! امرأة كاشفة .. ناسفة .. ستايل جديد .. مملوءة القوام مكتنزة ربعة .. موافقة تماماً لمزاج السادة رجال المرحلة الغابرة .. تجيد الموسيقى واللغات والكلام وتأسر الألباب .. مع موهبة صحفية عادية وخبرات تأمُل تسربت إليها من الكبار .. ومدعومة من إدريس راغب زعيم الماسونية في مصر في عصر الناقة والجمل واليشمك والحبرة والملاءة اللف .. فأصبحت قصة وحكاية .



هكذا اختلفت مي زيادة عن لطيفة الزيات وكل بنات جيلها فأسرت الكبار بجرأتها وأسلوبها وذكائها الوقَّاد وتحررها !!



وهكذا كانت ملك حفني ناصف باحثة البادية فتفوقت مي وكان : غرام الكبار



هدى شعراوي جهة اليسار وصفية زغلول جهة اليمين .. فاختلفت عنهنَّ مي زيادة فهرول الكبار إليها شوقاً وغراماً .. واشتعل الصالون بقادة المرحلة ورموز الحقبة .. حين اختلفت كل المقاييس والمفاهيم ولُغة العصر ومفردات الحكاية !!

ويبقى السؤال الهام :

لماذا لم تتحول أي من هذه الأسماء الكبيرة إلى مي زيادة كـ «بطلة صالون »؟!

الجواب لأنهنَّ لسن كـ« مي ».. فيستحيل أن يقبل سعد زغلول ذلك وكذلك لا يقبله على باشا شعراوي أو يقبله زوج ملك حفني ناصف .. فالوضع المصري والبيئة المصرية لم يكونا ليسمحا بذلك حتى بين الطبقات المتحررة أو العَلية من كبار القوم .. فآثروا أن يؤموا صالون مي زيادة .. وهي ليست بارعة الجمال أو مثيرة البنيان أو راقصة !! بل ذكية .. بليغة .. مثقفة .. متحررة .. فصارت حكاية حُب أبدية .. رحم الله مي زيادة .. ورجالها.

المؤلف في سطور

- ولد في أول مايو ١٩٦٠ بجنزور محافظة المنوفية .

- يؤسس حزب الحرية الساداتي الديمقراطي بصفته وكيلاً للمؤسسين .

- ينشر مقالاته أسبوعياً في جريدة «صوت الأمة» واسعة الإنتشار .

- حائز على تقدير أفضل كاتب عربي عام ٢٠٠٤ بالمركز الأول كأعلى كتاب توزيع ضمن قائمة الكتب العشرة الأولى في العالم العربي عن كتابه : الحياة السرية لصدام حسين « والصادر عن دار الكتاب العربي (القاهرة- بيروت – دمشق) والحائز على نفس الجائزة بالمركز الأول عام ٢٠٠٥ عن كتابه : « بن لادن والذين معه » الناشر دار مكتبة الإيمان بالقاهرة .. كما فاز لعام ٢٠٠٦ عن كتابه « السي آي إيه وملفات الحكام العرب الصادر عن دار الكتاب العربي ».

- وفي عام ٢٠٠٧ فاز بتقدير أفضل كاتب وأفضل كتاب عن كتابه « صدام لم يعدم » عن مكتبة مدبولي للطبع والنشر .. وذلك في معرض القاهرة الدولي للكتاب التاسع والثلاثون كأعلى وأفضل كتاب توزيع ضمن ٢٠ مليون كتاب وكاتب على مستوى العالم .. ليكون الكاتب والكتاب الأول .

- تلقى مؤلفاته اهتمام سياسي أمريكي وأوروبي خاص حيث تناقش مؤلفاته وتتابعها بشكلٍ غير تقليدي وكالة المخابرات الأمريكية السي آي إيه والقيادة السياسية الأمريكية وخصوصاً مؤلفاته : تاريخ بوش السري الأسود و« السي آي إيه وملفات الحكام العرب .. سري للغاية » .

- ثم عاش طفولته وصباه في قرية « الزعفران » التابعة لمركز الحامول محافظة كفر الشيخ .

- أبدى اهتماماً مبكراً بالقراءة والكتابة الأدبية والشعرية فكانت أولى تجاربه الشعرية حين كتب شعراً في انتصار حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ حيث شهد له أساتذته بالنبوغ والتفوق في حرفة الكتابة وشجعوه على الدرب لاستكمال المسيرة ومنهم الأستاذ أحمد عبد الحميد خليفة مدرس اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية والأستاذ الشيخ علي فهيم مأذون القرية .

- درس الإخراج السينمائي بالمعهد العالي للسينما بأكاديمية الفنون بالهرم .

- قبل احترافه كتب في العديد من الصحف في سنٍ مبكرة كـ « أخبار اليوم» و«الجمهورية » والمجلات : « السينما والناس » وغيرها .. ثم تفرغ للكتابة احترافاً منذ عام ١٩٨٥ وعمل في العديد من الصحف المستقلة : « الميدان » و « الخميس » و«اللواء العربي » و الأنباء و « الغد » .

- ومن أشهر محاوراته الصحفية لقاءاته مع : السيدة جيهان السادات « .. والدكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الأسبق ومهندس عملية السلام المصرية الإسرائيلية » و محاوراته الصحفية مع الصاغ فوزي عبد الحافظ مدير مكتب الرئيس السادات .. ومع الوزير طلعت حمَّاد وزير شئون مجلس الوزراء والمتابعة .. ومحاوراته مع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر .. ومقابلته الصحفية مع أسامة بن لادن في عام ١٩٩٢ .. ومع الرئيس العراقي صدام حسين ونجله عدي صدام حسين وذلك في منتصف عام ١٩٨٨ .. إلا أنه يعتبر أن أهم محاوراته الصحفية في حياته لقاءاته مع الزعيم الكبير « نلسون مانديلا » .. والتي ستنشر قريباً .

- كتب القصة والسيناريو والحوار للعديد من الأعمال السينمائية والتليفزيونية .. منها : السهرة التليفزيونية : « المقعد الخلفي » إخراج علاء كريم وبطولة طارق لطفي و وفاء فاضل وأسامة عباس وإبراهيم خان ودينا .. ومسلسل « غرام الكبار

في صالون مي زيادة » ومسلسل : سارة عن رائعة الأديب الكبير عباس محمود العقاد لقطاع الإنتاج بالتليفزيون المصري .. ومسلسل المارد والقمقم لشركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات .. وكتب سيناريو الأفلام السينمائية : « كليوباترا » و « مانديلا » و « كلاي» و « السادات .. والمنصة » وكتب كذلك مسلسل « السادات » وتعاقد معه النجم الكبير الراحل أحمد زكي والمنتج حسين القلا على فيلم « مبارك .. الضربة الجوية » ومسلسل « السادات » .

■ ■ ■

كتب صدرت للمؤلف

١- « صرخة المجهول » ديوان شعر.

٢- غريبان عندما نلتقي مجموعة قصصية .

٣- ناصر ٥٦ والسادات ٧٣ .

٤- بلاغ لسيادة الرئيس .

٥- فضائح الزعيم .. عن زعماء السياسة .

٦- انحرافات الفن والسياسة .. أجرأ حوار مع إعتماد خورشيد – .

٧- الاعترافات السرية لنجمة سينمائية « رواية » .

٨- الحياة السرية لصدام حسين .. حقيقة هروبه واعتقاله .

٩- تاريخ بوش السري الأسود .

١٠-أسرار الأميرات في الخليج العربي ... «تمت مصادرته » .

١١-اعترافات جيهان السادات .

١٢-هدى عبد الناصر .. شاهدة على عصر جمال عبد الناصر .

١٣-القصائد الممنوعة لنزار قباني .. في الحب والسياسة .

١٤-انحراف المشاهير.

١٥-الشيخ زايد .. فارس العرب وعاشق الوحدة العربية .

١٦-أنجال الزعماء .

١٧-نساء الزعماء .

١٨-بن لادن والذين معه .. حكاية أخطر رجل في العالم .

١٩-دماء الكبار .. على كرسي السلطة .

٢٠-اعترافات الجواسيس .

٢١-أسرار المحاكمات السياسية .

٢٢-الحكام العرب .. كيف وصلوا للسلطة .

٢٣-أحمد زكي .. أسرار رحلة حياته .

٢٤-أباطرة الثروة .

٢٥-السي آي إيه وملفات الحكام العرب « جزئين » .

٢٦-محمد حسنين هيكل .. الوهم والحقيقة والأسطورة وأخطر تناقضاته .

٢٧-لص واشنطن ولص بغداد

٢٨-زعماء وخونة

٢٩-الزواج الأسطوري

٣٠-حرب الجنرالات

٣١-أخطر خطب السادات

٣٢-أخطر خطب عبد الناصر

٣٣-بن لادن .. وعرش آل سعود .

٣٤-شيوخ الفتن .. ولعبة الدم والدين .

٣٥-لذة الخيانة .

٣٦-نهب النفط

٣٧-أسرار القصور الملكية

٣٨-الأميرات .. أسرار وخفايا .

٣٩-الملف النووي .

٤٠-صدام لم يُعدَم «الجزء الأول» .

٤١-صدام لم يعدم «الجزء ثاني» .

٤٢-الكبار ومقتل سوزان تميم

٤٣-فساد آل سعود

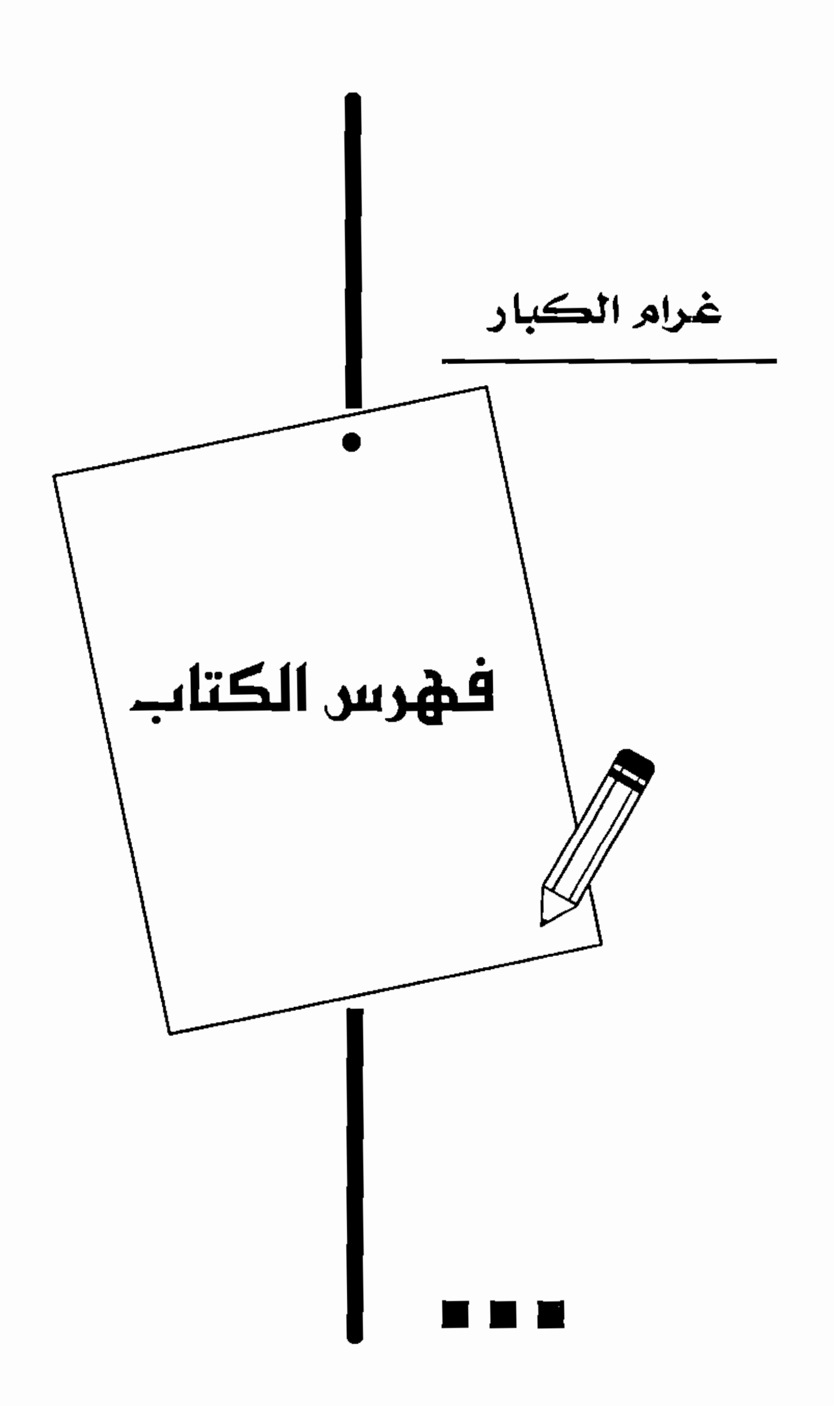
٤٤-هؤلاء قتلوا السادات

٤٥-قصر العروبة ... «رواية»

٤٦-أوباما .. الحقيقة والأسطورة .

٤٧-غرام الكبار .. في صالون مي زيادة .




غرام الكبار
فهرس الكتاب

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

■ ■ ■